

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

سورة الشعراء

٧١٢/

مقصودها أن هذا الكتاب بين في نفسه باعجازه أنه من عند الله، مبین لكل ملتبس، ومن / ذلك بيان آخر التي قبلها بتفصيله، وتنزيله^٢ على أحوال الأمم وتمثله، وتسكين أسفه صلى الله عليه وسلم خوفا [من -^٢] أن يعم أمته الهوان، بعدم الإيمان، وأن يشتد قصدهم لا تباعه^٥ بالأذى والعدوان، بما تفهمه "سوف" من طول الزمان، بالإشارة إلى إهلاك من علم منه دوام العصيان، ورحمة من أراده للهداية والإحسان، وتسميتها بالشعراء أدل دليل على ذلك بما يفارق به القرآن الشعر^٥ من علو مقامه، واستقامة مناجاه وعز مرامه، وصدق وعده وعيده، وعدل تبشيره وتهديده،^١ وكذا تسميتها بالظلة إشارة إلى أنه أعدل ١٠

(١) السادسة والعشرون من سور القرآن الكريم، مكية مع ورود استثناء بعض الآيات، وعدة آياتها مائتان وسبع وعشرون آية في الكوفي والشامي والمدني الأول، ومائتان وست وعشرون في الباقي - راجع روح المعاني ٦ / ١٨٠ (٢) من ظ و مد، وفي الأصل: تزيله - كذا (٣) زيد من ظ و مد (٤) في ظ: بعد (٥) في ظ: الشعر (٦) العبارة من هنا إلى فلن يبارزه بالعصيان، متأخرة في الأصل عن «طسم»، والترتيب من ظ و مد.

في يانه،^١ أو أدل في جميع شأنه، من المقادير التي دلت عليها قصة شعيب عليه السلام بالمكيال والميزان، وأحرق من الظلة^٢ لمن يارزوه بالعصيان .
 (بسم الله) الذي دل علو كلامه، على عظمة شأنه وعز مرامه
 (الرحمن)^٣ الذي لا يعجل على من عصاه (الرحيم)^٤ الذي يحيي
 ٥ قلوب أهل وده بالتوفيق لما يرضاه (ظسّم)^٥ [لعله إشارة إلى الطهارة
 الواقعة بذى طوى من طور سيناء وطية ومكة وطيب ما نزل على محمد
 صلى الله عليه وسلم مما يجمع ذلك كله - كما روى عن ابن عباس رضى الله
 عنهما ما يرشد إلى ذلك، وإلى خلاص نبي إسرائيل بما سمعه موسى عليه
 السلام من الكلام القديم و باتمام أمرهم بتهيئتهم لللك باغراق فرعون
 ١٠ و جنوده ونصرهم على من ناوهم في ذلك الزمان بعد تطهيرهم بطول البلاء
 الذى أوصلهم إلى ذل العبودية، وذلك كله إشارة إلى تهديد قرشم بأنهم
 إن لم يتركوا لددم فعل بهم ما فعل بفرعون و جنوده من الإذلال بأى
 وجه أراد . و خلاص عباده منهم . و أعزم على كل من ناوهم -^٤] .
 ولما فرق سبحانه في تلك بين الدين الحق و المذهب الباطل، و بين
 ١٥ ذلك غاية البيان، و فصل عباد الرحمن من^٥ عباد الشيطان، و أخبر أنه
 عم برسالاته صلى الله عليه وسلم جميع الخلائق، و ختم بشديد الإنذار
 (١) من ظ و مد، وفي الأصل : او (٢) من مد، وفي الأصل : المظلمة ،
 وفي ظ : الظلمة (٣) وقع في الأصل تفسير « الرحمن » موضع تفسير « الرحيم »
 وكذا العكس ، والترتيب من ظ و مد (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ
 و مد (٥) من ظ و مد، وفي الأصل : على .

لاهل الإدبار، بعد أن قال "قد كذبتم" وكان حين نزولها لم يسل
 منهم إلا القليل، وكان ذلك ربما أوم قرب إهلاكهم وإنزال البطش
 بهم، كما كان في آخر سورة مريم، وأشارت الأحرف المقطعة إلى مثل
 ذلك، فأوجب الأسف على فوات ما كان يرجى من رحمتهم بالإيمان،
 والحفظ عن نوازل الحدثنان، وكان ذلك أيضا ربما أوجب أن يظن ه
 ظان، أن عدم إسلامهم لنقص في البيان، أزال ذلك^١ سبحانه أول هذه
 فقال: ﴿تلك﴾ أى الآيات العالية المرام، الحائزة أعلى مراتب التمام،
 المؤلفة من هذه الحروف التى تتناطقون بها وكلمات لسانكم ﴿أيت الكتب﴾
 أى الجامع لكل فرقان ﴿المينه﴾ أى الواضح فى نفسه^٢ أنه معجز،
 وأنه من عند الله، وأن فيه كل معنى جليل^٣، الفارق لكل مجتمع ملتبس^٤؛
 بقاية البيان، فصح أنه فرقان كما ذكر فى التى قبلها، فان الإبانة هى
 الفصل والفرق. فصار الإخبار بأنه فرقان مكتفيا^٥ الإنذار أول السورة
 التبع قبل وأخرها - والله الموفق

وقال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: لما عرفت سورة الفرقان بشيخ
 مرتكب الكفرة المعاندين، وختمت بما ذكر من الوعيد، كان ذلك ١٥
 مظنة لإشفاقه عليه الصلاة والسلام وتأسفه على فوت إيمانهم، لما جبل
 عليه من الرحمة والإشفاق، فافتحت السورة الأخرى بتسليته عليه الصلاة
 (١) زيد فى الأصل: ذلك، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد فحذفناها (٢) سقط
 من ظ (٣-٢) تقدم ما بين الرقین فى الأصل على «المؤلفة»، والترتيب من
 ظ و مد (٤) من مد، وفى الأصل و ظ: مكشفا.

و السلام ، و أنه سبحانه 'لو شاء' لأنزل عليهم آية تبهرهم و تذلل جبارتهم
 فقال سبحانه "لملك باخع نفسك" - الآيتين ، و قد تكرر هذا المعنى
 عند إرادة تسليته عليه الصلاة و السلام كقوله تعالى "و لو شاء الله
 لجمعهم على الهدى"^١ ، "و لو شئنا لأنينا كل نفس ههنا"^٢ ، "و لو
 شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا"^٣ ، "و لو شاء الله / ما فعلوه"^٤
 ثم أعقب سبحانه بالتنبيه و التذكير "و لم يروا الى الارض كم ابتقنا فيها
 من كل زوج كريم"^٥ ، "و اذ نادى ربك موسى" و قلما نجد في
 الكتاب العزيز ورود تسليته عليه السلام لإلماعية بقصص موسى عليه
 السلام و ما كابد من بنى إسرائيل و فرعون ، و في كل قصة منها إحراز ما
 ١٠ لم تحرزه الأخرى من الفوائد و المعاني و الأخبار حتى لا نجد قصة تكرر
 و إن ظن ذلك من لم يعم النظر ، فما من قصة من القصص المتكررة
 في الظاهر إلا و لو سقطت أو قدر إزالتها لنقص من الفائدة ما لا يحصل
 من غيرها ، و سيوضح هذا في التفسير بحول الله ؛ ثم أتبع جل و تعالى
 قصة موسى بقصص^٦ غيره من الأنبياء عليهم الصلاة و السلام مع أهمهم
 ١٥ على الطريقة المذكورة ، و تأنيسا له عليه الصلاة و السلام حتى لا يهلك
 نفسه أسفا على فوت إيمان قومه ؛ ثم أتبع سبحانه ذلك بذكر^٧ الكتاب

(١ - ١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) سورة ٦ آية ٢٥ (٣) سورة ٢٢
 آية ١٣ (٤) سورة ١٠ آية ٩٩ (٥) سورة ٦ آية ١٣٧ (٦) في ظ : تنقيه .
 (٧) من ظ و مد ، و في الأصل : لا يجده (٨) من ظ و مد ، و في الأصل :
 بقصة (٩) من ظ و مد ، و في الأصل : تذكر .

و عظيم النعمة به فقال " و انه لتنزيل رب الغلین نزل به الروح الامین
 علی قلبك لتكون " فإلها كرامة تقصر الالسن^١ عن شكرها، و تعجز
 العقول عن تقديرها، ثم أخبر تعالى أنه " بلسان عربی مبین "، ثم أخبر
 سبحانه بعلی أمر هذا الكتاب و شائع ذكره علی السنة الرسل و الانبیاء
 فقال " و انه لنی زبر الاولین، و أخبر أن علم بنی إسرائيل من أعظم^٥
 آیه و أوضح^٦ برهان و بینه، و أن تأمل ذلك كاف، و اعتباره شاف،
 فقال " اولم یکن لهم آیه ان یعلمه علموا بنی اسرائیل " کعب الله بن
 سلام و أشباهه، ثم وضح تعالى متوقفی العرب فقال "ولو نزلته علی
 بعض الاعجمین" - الآیه^٢، ثم أتبع ذلك بما يتعظ به المؤمن الخائف
 من أن الكتاب - مع أنه هدی و نور - قد یكون محنة فی حق طائفة كما
 قال تعالى " یضل به کثیرا و یهدی به کثیرا "، " و اما الذین فی قلوبهم
 مرض فزادتهم رجسا الی رجسهم " قال تعالى فی هذا المعنی " كذلك
 سلكنه فی قلوب المجرمین لا یؤمنون به حتی یروا العذاب الالیم " - الآیات،
 ثم عاد الکلام الی تنزیه الكتاب و إجلاله عن أن یتصور الشیاطین^٦
 علی شیء منه أو تصل^٧ الیه فقال سبحانه " و ما نزلت به الشیطان و ما
 یفنی لهم^٨ و ما یستطیعون^٨ " أى لیسوا أهلا له و لا یقدرون علی استراق
 سمعه^٩، بل هم معزولون عن السمع، مرجومون بالشبه، ثم وصی تعالى

(١) فی مد: الالسنه (٢) زید فی ظ: به (٣) سقط من ظ (٤) سورة ٢ آیه ٢٦ .

(٥) - سورة ٩ آیه ١٢٥ (٦ - ٦) من ظ و مد، و فی الأصل: یتصور الشیطان .

(٧) من ظ و مد، و فی الأصل: اتصل (٨ - ٨) سقط ما بین الرقین من ظ و مد .

(٩) من ظ و مد، و فی الأصل: السمع لسمعه .

فيه صلى الله عليه وسلم - والمراد المؤمنون - فقال: "فلا تدع مع الله
 الها آخر فتكون من المعذنين" ثم أمره بالإنذار ووصاه بالصبر فقال
 "وانذر عشيرتك الاقربين و اخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين"
 ثم أعلم^١ تعالى بموقع ما توهموه^٢، وأهلية ما تخيلوه، فقال "هل انبئكم
 ه على من تنزل الشيطين تنزل على كل افاك انيم" ثم وصفهم، وكل
 هذا تنزيه / لئله صلى الله عليه وسلم عما تقولوه، ثم هددهم وتوعدهم
 فقال "وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون" - انتهى .

/ ٧١٤

و لما كان قد قدم في تلك أنه عم برسائه جميع الخلائق، وختم
 بالإنذار على تكذيبهم في تخلفهم، مع إزاحة جميع العلل، ونفى كل
 ١٠ خلل، وكان ذلك مما يقتضى شدة أسفه صلى الله عليه وسلم على المتخلفين
 كما هو من مضمون "ان قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا" على ما
 تقدم. وذلك لما عنده صلى الله عليه وسلم من مزيد الشفقة، وعظيم
 الرحمة، قال تعالى يسليه^٣، ويزيل من أسفه ويعزبه، على سبيل الاستئناف،
 مشيرا إلى أنه لا نقص في إنذاره ولا في كتابه الذى ينذر به يكون
 ١٥ سببا لوقوفهم عن الإيمان. وإنما السبب في ذلك محض إرادة الله تعالى:
 ﴿لعلك باخع نفسك﴾ أى مهلكها غما، وقائلها أسفا، من نجح^٤ نشاة

- (١) من ظ ومد، وفى الأصل و. (٢) زيد فى ظ: انه (٣) فى ظ: توهمون.
 (٤) زيد فى الأصل: ان، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد لخداعا (ه) من ظ
 ومد، وفى الأصل: مزاييد (٦) من ظ ومد، وفى الأصل: تسليه.
 (٧) من ظ ومد، وفى الأصل: قايلا (٨) من ظ ومد، وفى الأصل: تجمع.

إذا بالغ في ذبحها حتى قطع البخاع، بكسر الموحدة، وهو عرق باطن
 في الصلب وفي القفا، وذلك أقصى حد الذابح، [و هو -'] غير النخاع^١
 بتثليث النون فانه الحيط الأبيض في جوف الفقار (أن) أى لأجل
 [أن -'] (لا يكونوا) [أى كونا كأنه جيلة لهم -'] (مؤمنين)
 أى راضين في الإيمان، فكان كأنه قيل: هذا الكتاب في غاية البيان
 في نفسه والإبانة للغير، وقد تقدم في غير موضع أنه ليس عليك إلا البلاغ،
 أتخاف وتشفق على نفسك من الهلاك غما^٢ تأسفا على عدم إيمانهم والحال
 أنا لو شئنا لهديناهم طوعا أو كرها، والظاهر أن جملة الإشفاق في موضع
 حال من اسم الإشارة كما أن الآية التي بعدها في موضع الحال منها^٣،
 أى نحن نشير إلى الآيات المبينة لمرادنا فيهم والحال أنك - لمزيد حرصك ١٠
 على قطعهم - بحال يشفق فيها عليك من لا يعلم الغيب من أن تقتل نفسك
 غما لإيمانهم^٤ الإيمان والحال أنا لو شئنا اتيناهم بما يقهرهم ويذلهم
 للإيمان وغيره .

ولما كان المحب ميالا^٥ إلى ما يريد حبيبه، أعلمهم^٦ أن كل ما هم
 فيه^٧ بارادته فقال^٨: (أن تشاء) وعبر بالمضارع فيه وفي قوله: (تنزل) ١٥
 إعلاما بدوام القدرة . ولما كان ذلك الإنزال من باب التمسر، والجبروت
 (١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد، وفي الأصل: النجاع (٣) زيدت
 الواو في الأصل، ولم تكن في ظ و مد فحذفناها (٤) من ظ و مد، وفي الأصل:
 فيها (٥) زيد في الأصل: الى، ولم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٦) من
 ظ و مد، وفي الأصل: ميلا (٧) في ظ و مد: أعلم (٨) سقط من ظ .

و القمر، قال: ﴿عليهم﴾ و قال محققا^١ المراد: ﴿من السماء﴾ أى
التي جعلنا فيها بروجاً للنافع، و أشار إلى تمام القدرة بتوحيدها فقال:
﴿أية﴾ أى قاهرة كما فعلنا ببعض من قبلهم بفتح الجبل ونحوه؛
و أشار إلى تحقق أثرها بالتعبير بالماضى فى قوله عطفاً على "نزل" لأنه
• فى معنى 'أنزلنا': ﴿فضلت﴾ أى عقب الإنزال 'من غير مهلة'
﴿اعناقهم﴾ التى هى موضع الصلاة، و عنها تنشأ حركات الكبر
و الإعراض ﴿لها﴾ أى للآية دائماً، ولكنه عبر بما يفهم النهار لأنه
موضع القوة على جميع ما يراد من القلب و الحيل و المدافعة
﴿خاضعين﴾ جمعه كذلك^٢ لأن الفعل لاهلها ليدل على أن ذلهم لها
١٠ يكون مع كونهم جميعاً، و لا يفتى جمعهم^٣ و إن زاد شيئاً، و الأصل:
فظلوا، ولكنه ذكر الأعناق لأنها^٤ موضع الخضوع^٥ فانه يظهر لينها^٦
بعد صلابتها، / و انكسارها بعد شماختها، و للإشارة إلى أن الخضوع^٧
يكون بالطبع من غير تأمل لما أبهتهم و حيرهم من عظمة الآية، فكان
الفعل للأعناق لا لهم، و الخضوع: التظلمن و السكون^٨ و اللين
١٥ ذلاً و انكساراً ﴿وما﴾ أى هذه صفتا و الحال أنه ما ﴿ياتيهم﴾
أى الكفار ﴿من ذكر﴾ أى شيء^٩ من الوعظ و التذكير و التشريع^{١٠}

/ ٧١٥

- (١) من ط و مد، و فى الأصل: تحقيقاً (٢-٢) من ظ و مد، و فى الأصل:
فى غير مهملة (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: لذلك (٤) فى ظ: بجمعهم.
(٥) من ظ و مد، و فى الأصل: فانها (٦-٦) من مد، و فى الأصل: ليظهر
تقريباً (٧) العبارة من ه فانه يظهر ه إلى هنا ساقطة من ظ (٨) من ظ و مد،
و فى الأصل: السكوت (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: الكفارة.
(١٠- ١٠) سقط ما بين الرقین من ظ و مد.

يذكرونا به ، فيكون سبب ذكركم و شرفهم (من الرحمن) أى الذى أنكره مع إحاطة نعمه بهم (محدث) أى بالنسبة إلى تنزيله و علمهم به ؛ و أشار إلى دوام كبرهم بقوله : (الا كانوا) أى كونا هو كالحلق لهم ؛ و أشار بتقديم الجار المؤذن بالتخصيص إلى ما لهم من سعة الأفكار و قوة الهمم لكل ما يتوجهون إليه ، و إلى أن لإعراضهم عنه 'من القوة' ه ما يعد الإعراض معه عن^٢ غيره عدما [فقال - ٣] : (عنه) أى خاصة (معرضين ه) أى إعراضا هو صفة لهم لازمة .

ولما كان حال المعرض عن الشيء حال المكذب به قال^٤ : (فقد) أى قسب عن هذا الفعل منهم أنهم قد (كذبوا) أى حققوا التكذيب و قربوه كما تقدم آخر تلك ، [و استهزأوا مع التكذيب ١٠ بآياتنا - ٢] .

ولما كان التكذيب بالوعيد سببا في إيقاعه ، و كان حالهم في تكذيبهم له صلى الله عليه وسلم حال المستهزئ لأن من كذب بشيء خف عنده قدره^٥ ، فصار عرضة للهزاء ، قال مهددا : (فسيأتيهم) سييه بالقاء و حققه بالسين ، و قلل التنفيس عما في آخر الفرقان ليعلموا أن ما كذبوا به واقع . ١٥ و أنه ليس موضعا للتكذيب بوجه^٦ (نبؤا) أى عظيم أخبار و عواقب (ما) أى العذاب الذى (كانوا -) أى كونا كأنهم جبلوا عليه (به) أى خاصة لشدة إمعانهم في حقه وحده (يستهزئون ه) أى يهزؤون ،

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ و مد (٢) في ظ : من (٣) زيد من ظ و مد .

(٤) في ظ : فقال (ه-ه) من ظ و مد ، وفي الأصل : بالشئ . قدرة خف عنه .

(٦) سقط من ظ (٧) تقدم في الأصل على ه أى خاصة ه والترتيب من ظ و مد .

ولكنه عبر بالسين إشارة إلى أن حالهم في شدة الرغبة في ذلك الموء
حال الطالب له، [وقد ضموا إليه التكذيب، فالآية من الاحباك: ذكر
التكذيب أولاً دليلاً على حذفه ثانياً، والاستهزاء ثانياً دليلاً على
حذف مثله أولاً - ١].

٥ ولما كانت زويتهم للآيات السماوية والأرضية الموجبة للاقياد
والخضوع موجبة لإنكار تخلفهم عما تدعو إليه فضلاً عن الاستهزاء،
وكان قد تقدم آخر تلك الحث على تدبر بروج السماء وما يتبعها من
الدلالات، فكان التقدير: ألم يروا إلى السماء كم أودعنا في بروجها وغيرها
من آيات نافعة وضارة كالأمطار والصواعق، عطف عليه ما ينشأ عن
١٠ ذلك في الأرض في قوله معجبا منهم: ﴿أو لم يروا﴾.

ولما كانوا في عَمَى عن تدبر ذلك، عبر للدلالة عليه بحرف الغاية
فقال: ﴿إلى الأرض﴾ أى على سعتها واختلاف نواحيها وتربها؛
وبه على كثرة ما صنع من جميع الأصناف فقال: ﴿كم ابتنا﴾ أى
بما لنا من العظمة ﴿فيها﴾ بعد أن كانت يابسة ميتة لا نبات بها - ١
١٥ ﴿من كل زوج﴾ أى صنف مشاكل بعضه لبعض، فلم يبق صنف
يليق بهم في العاجلة إلا أكثرنا من الإنبات^٢ منه ﴿كرم﴾ أى جم
المنافع، محمود العواقب، لا خباثة فيه، من الأشجار والزرع وسائر النباتات
على اختلاف ألوانها في زهورها وأنوارها، [و - ١] طعومها وأقدارها،

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد، وفي الأصل: الانبات .

و منافعها و أرواحها - إلى غير ذلك من أمور لا يحيط بها خدا ولا يحصيها
عدا، إلا الذى خلقها، مع كونها تسقى بماء واحد؛ و التكرم وصف
لكل ما يرضى فى بابه و يحمده، وهو ضد اللثيم .

ولما كان ذلك باهرا / للعقل منها^١ له فى كل حال على عظيم ٧١٦/
اقتدار صانعه، و بديع اختياره، وصل به قوله : ﴿ ان فى ذلك ﴾ أى هـ
الامر العظيم من الإنبات و ما تقدمه^٢ من العظات على كثرتة ﴿ لاية^٣ ﴾
أى علامة عظيمة جدا [لهم -^٤] على تمام القدرة على البعث و غيره،
كافية فى الدعاء إلى الإيمان، و الزجر عن^٥ الطغيان، و لعله وحدهما على
كثرتها إشارة إلى أن الدوال^٦ عليه متساوية الاقدام فى الدلالة، فالراستخون
تغنيهم^٧ واحدة، و غيرهم لا يرجعون لشيء^٨ ﴿ و ﴾ الحال أنه^٩ ١٠
﴿ ما كان ﴾ فى^{١٠} الشاكلة^{١١} التى خلقتهم^{١٢} عليها ﴿ اكثرم ﴾ أى البشر
﴿ مؤمنين ﴾ أى عريقين فى الإيمان، لأنه « ما يؤمن اكثرم [بالله -^{١٣}]
الا وهم مشركون » ﴿ وان ﴾ أى و الحال أن ﴿ ربك ﴾ أى الذى أحسن
إليك بالإرسال، و سخر لك قلوب الأصفياء، و زوى عنك اللد الاشقياء
﴿ هو ﴾ .

١٥

- (١) سقط من ظ ومد (٢) من ظ ومد، وفى الأصل : نبها (٣) فى ظ : يديه .
(٤) زيد من ظ ومد (٥) من ظ ومد، وفى الأصل : على (٦) فى ظ : بشيء .
(٧) فى ظ : انهم (٨) من ظ ومد، وفى الأصل : من (٩) من مد، وفى
الأصل و ظ : المشاكلة (١٠) من ظ ومد، وفى الأصل : خلقتهم (١١) زيد
من ظ ومد و القرآن الكريم ١٠٦/١٢ .

و لما كان المقام لإنزال الآية القاهرة، قدم قوله: ﴿العزيز﴾ أي
القادر على كل من قسرم على الإيمان والانتقام منهم ﴿الرحيم﴾ في
أنه لم يعاجلهم بالنقمة، بل أنزل عليهم الكتاب ترفقا بهم، و يانا لما يرضاه
ليقيم به الحجة على من أريد للهوان، و يقبل بقلوب من يختصه منهم للإيمان،
٥ قال أبوحيان: و المعنى أنه عز في نقمته من الكفار، و رحم
مؤمني كل أمة - انتهى . و من هنا شرع سبحانه و تعالى في تمثيل آخر
الفرقان في إظهار القدرة بالبطش عند النقمة حيث لم يشكر النعمة بأن
أبي المدعو الإجابة لدعوة الرسل، و ترك الداعي - عقب الانقياد [من - ١]
الشدايد - التضرع للرسل، و قص أخبار الأمم على ما هي عليه بحيث
١٠ لم يقدر أحد من أهل الكتاب الذين هم بين ظهرائهم على إنكار شيء من
ذلك، و من ثم قرع أسماعهم أول شيء بقصتهم من فرعون و موسى
عليه السلام، فصح قطعاً أن هذا الكتاب جلي الأمر، على القدر، ليس
بكهانة و لا شعر، كما سيؤكد ذلك عند إظهار النتيجة في آخرها، بل
هو من عند رب العالمين، على لسان سيد المرسلين، و صح أن أكثر الخلق
١٥ مع ذلك هالك و إن قام الدليل، و وضح السبيل. لأن سلك الذكر
في قلوبهم شبه في الضيق بنظم السهم فيما يرمى به، و صح أنه سبحانه
يعلى لهم و ينعم عليهم بما فيه حياة أديانهم بارسال الرسل و إنزال الكتب،
و ما فيه حياة أديانهم بالإيتاء من كل ما يحتاجونه إظهاراً لصفة الرحمة.

(١) زيد من ظ و مد (٢) سقط من ظ .

ثم ينتقم منهم بعد طول المهلة، وتماديه في سكرات الغفلة، كسفا لصفة العزة، كل ذلك تسلية له صلى الله عليه وسلم وتخفيفا عليه وإعلاما بأنه لا قصور في نيته، ولا تقصير لديه .

ولما اقتضى وصف العزة الإهلاك، ووصف الرحمة الإمهال^١،

وكان الأول مقدما، وكانت^٢ عادتهم تقديم ما هم به أم، وهو^٣ لهم هـ

أعنى، خيفت^٤ غائلته، فأتبع ذلك أخبار هذه الأمم، دلالة على الوصفين

معا ترغيا وترهيبا، ودلالة على أن الرحمة سبقت الغضب، وإن قدم الوصف

اللاتق به، فلا يعذب إلا بعد البيان مع طول الإمهال، وأخلى قصة

أيهم إبراهيم عليه السلام من ذكر الإهلاك إشارة إلى النبشارة بالرفق

بينه^٥ العرب في الإمهال كما رفق بهم^٦ في الإنزال والإرسال^٧، ولما كان ١٠

مع ذلك في / هذه القصة تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم فيما يقاسيه من ٧١٧ /

الأذى والتكذيب، وكانت التسلية بموسى وإبراهيم عليهما السلام^٨ أم،

لما لهما من القرب، والمشاركة في الهجرة، والقصد إلى الأرض المقدسة،

وكان قد اختص موسى عليه السلام^٩ بالكتاب الذي ما بعد القرآن مثله

و الآيات التي^{١٠} ما أتى بمثلها^{١١} أحد قبله، وإقرار عينه بهداية قومه، وحفظهم ١٥

(١) من ظ و مد، وفي الأصل: تحقيقا (٢) من ظ و مد، وفي الأصل:

الإمهال (٣) في ظ: كان (٤) في ظ: هم (٥) في ظ: خيفت (٦) من ظ

و مد، وفي الأصل: سه - بدون النقط (٧ - ٧) في ظ و مد: بالارسل

والانزال (٨ - ٨) سقط ما بين الرقعين من ظ (٩ - ٩) من ظ و مد،

وفي الأصل: ما يأتي مثلها .

بعده بالكتاب، وسياسة الانبياء المجددين لشرعته، وعدم استصالحهم بالعذاب^١ والانتقام بأيديهم من جميع أعدائهم، وفتح بلاد الكفرة على أيديهم بعده صلى الله عليه وسلم إلى غير ذلك مما شابهوا به هذه الأمة منع مجاورتهم للعرب حتى في دار الهجرة، وموطن النصر، هـ ليكون في إقرارهم^٢ على ما يسمعون من أخبارهم أعظم معجزة، و آتم دلالة، قدمها^٣ مقدما لموسى - عليها السلام، والنحية والإكرام - فان كان القصد تسكين ما أورثه^٤ آخرتك من خوف الملازمة بالعذاب نظرا إلى وصف العزة، فالتقدير: اذكر أثر رحمتنا بطول إهمالنا لقومك - وهم على أشد ما يكون من الكفر والضلال في أيام الجاهلية - ١٠ برحمتنا الشاملة بارسالك إليهم وأنت أشرف الرسل، وإنزال هذا الكتاب الذي هو أعظم الكتب ﴿و﴾ اذكر ﴿اذ﴾ وعلى تقدير التسلية يكون العطف على تلك لأن المراد بها التنبيه، فالتقدير: خذ آيات الكتاب و اذكر إذ ﴿نادى ربك﴾ أى المحسن إليك بكل ما يمكن الإحسان به في هذه الدار، وعلى تقدير التهيب يكون التقدير: أولم يروا إذ ١٥ نادى ربك، وعدوا رائين لذلك لأن اليهود في بلادهم وفي حد القرب^٥ منهم، فاما أن يكونوا عالمين^٦ بالقصة بما سمعوه منهم، أو متهئين

(١) من ظ و مد، وفي الأصل: للعذاب (٢) من ظ و مد، وفي الأصل: قرارهم (٣) في ظ: قدمها (٤) من ظ و مد، وفي الأصل: اورده. (٥) من ظ و مد، وفي الأصل: العرب (٦) من ظ و مد، وفي الأصل: عالمون.

لذلك لإمكانهم من سؤا لهم ؛ ثم ذكر المنادى فقال : ﴿ موسى ﴾ و أتبعه ما كان له النداء فقال مفسراً^١ لأن النداء في معنى القول^٢ : ﴿ ان ائت القوم ﴾ أى الذين فيهم قوة و أى قوة ﴿ الظلمين ﴾ أى بوضعهم^٣ قوتهم على النظر الصحيح المؤدى للإيمان في غير موضعها .

و لما كان كأنه قيل : أى قوم ؟ قال مبدياً إشارة إلى أن العبارتين ه مؤداهما واحد لأنهم عريقون في الظلم ، لظلمهم أنفسهم بالكفر وغيره ، و ظلم بنى إسرائيل و غيرهم من العباد : ﴿ قوم فرعون ﴾ . و لما كان المقصود بالرسالة تخويفهم من الله تعالى ، و إعلامهم بحلاله ، استأنف قوله معلماً بذلك في سياق الإنكار عليهم ، و الإيذان بشديد الغضب منهم ، و التسجيل عليهم بالظلم ، و التعجيب من حالهم في عظيم عسفهم فيه ، و أنه قد طال إمهاله لهم^٤ و هم لا يزدادون إلا اعتوا و لزوما للوبقات : ﴿ الايتقون ه ﴾^٥ أى يحصل منهم تقوى^٦ .

و لما كان من المعلوم أن من أتى / الناس بما يخالف أهواءهم ٧١٨ / لم يقبل ، أخبر [من تشوف إلى معرفة جوابه - ٧] أنه أجاب بما يقتضى الدعاء بالمعوية ، لما عرف من خطر هذا المقام ، بقوله ملتفتاً إلى نحو "رب ١٥ ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً : ﴿ قال رب ﴾ أى^٨ أيها الرفيق بى

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : تفسيراً (٢) زيد فى الأصل : فقال ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : بوضع (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : مؤداهما (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : بهم . (٦-٦) تكرر ما بين الرقنين فى الأصل فقط بعد « للوبقات » (٧) زيد من ظ و مد (٨) سقط من ظ .

(اقى اخاف ان يكذبون) أى فلا يترتب على إتيان إليهم أثر،
ويغنون لى الغوائل، فاجعل لى قبولا ومهابة تحرسى بها من يريدنى
بسوء، ويجوز أن يريد بـ "اخاف" أعلم أو أظن، فيكون وأن
محذوفة، فيكون الفعلان معطوفين على يكذبون، فى قراءة الجمهور بالرفع
مع جواز العطف على "اخاف" [فيكون التقدير - ١]: (و) أخاف
أنه، أو قال: إني * (يضيق صدرى) عند تكذيبهم أو خوفى من
تكذيبهم لى انفعالا كما هو شأن أهل المروءات، وأرباب علو الهمم،
لما غرز فيهم من الحدة والشدة فى العزيمة إذا لم يجدوا مساعدا
(ولا ينطلق) ونصب يعقوب الفعلين عطفا على "يكذبون" على
١٠ أن "أن" ناصبة (لسانى) [أى - ١] فى التعبير عما ترسلنى إليهم به،
لما فيه من الحبسة فى الأصل بسبب تعقده لتلك الجرة التى لدغته فى حال
الطفولة، فاذا وقع التكذيب أو خوفه وضاق القلب، انقبض الروح
إلى باطنه فازدادت الحبسة، فست الحاجة إلى معين يقوى القلب فيعين
على إطلاق اللسان عند الحبسة لئلا تحتل الدعوة (فارسل) أى قسب
١٥ عن ذلك الذى اعتذرت به عن المبادرة إلى الذهاب عند الأمر أنى
أسألك فى الإرسال (الى هرون) أخى، ليكون رسولا من عندك

- (١) من ظ و مد، وفى الأصل: فلا يقرب - كذا (٢) سقط من ظ و مد.
(٣) من ظ و مد، وفى الأصل: الى (٤) زيد من ظ و مد (٥) زيدت الواو
فى ظ (٦) من ظ و مد، وفى الأصل: على إذ (٧) من ظ و مد، وفى الأصل:
تكذبوك - كذا (٨) فى ظ: يرسلنى (٩) من ظ و مد، وفى الأصل: فتعين -
فيكون (٤) ١٦

فيكون لي عضدا 'على ما' أمضى له من الرسالة فيعين على ما يحصل من ذلك، وليس اعتذاره بتعلل في^٢ الامتثال، وكفى بطلب العون دليلا على التقبل، لا على التعلل.

ولما ذكر ما تؤثره^٣ الرسالة، وقدم الإشارة إلى استكشافه لأنه أهم، أتبعه ما يترتب على مطلق التظاهر لهم فضلا عن مواجهتهم بما يكرهون^٥ فقال: ﴿و لهم على﴾ أى بقتلى نفسا منهم؛ وقال: ﴿ذنب﴾ وإن كان المقتول غير معصوم تسمية له بما يزعمونه، ولذلك قيده بـ 'لهم'، وأيضا فلكونه ما كان أتاه فيه من الله تعالى أمر بخصوصه^٦ ﴿فاخاف﴾ [بسبب ذلك -^٧] ﴿ان يقتلون﴾ أى بذلك^٨، مع ما أضمه إليه من التعرض لهم، فلا أتمكن من أداء الرسالة، فإذا كان هارون معي عاضدنى^{١٠} في إبلاغها، وكل ذلك استكشاف واستدفاع للبلاء، واستعلام للعافية، لا توقف في القبول - كما^٩ مضى التصريح به في سورة طه.

ولما استشرفت النفس إلى معرفة جوابه عن^٩ هذه الأمور المهمة 'شنى عناءها' بقوله، إعلاما بأنه سبحانه استجاب له في كل ما سأل: ﴿قال﴾ قول كامل القدرة شامل العلم كما هو^{١٠} وصفه سبحانه: ١٥

- (١-١) من ظ و مد، وفي الأصل: الى من (٢) من ظ و مد، وفي الأصل: من (٣) في ظ: توفره (٤) من ظ و مد، وفي الأصل: بخصوصية (٥) زيد من ظ و مد (٦) سقط من ظ و مد (٧) في ظ: على (٨) في ظ: من. (٩-٩) من مد، وفي الأصل: بى عناده، وفي ظ: عناوها - كذا. (١٠) سقط من ظ.

نظم الدرر (سورة الشعراء: ٢٦: ١٥ و ١٦) ج - ١٤

(كلا ء) أى ارتدع عن هذا الكلام، فانه لا يكون شئ بما خفت،
لا قتل ولا غيره - وكأنه لما كان التكذيب مع ما قام على الصدق
من البراهين، المقوية لصاحبها، الشارحة لصدوره، المعلية لأمره، عدّ عدما -
وقد أجبناك إلى الإغانة بأخيك (فاذهبا) أى / أنت وهو متعاضدين،
ه إلى ما أمرتك به، مؤيدين (بأيتنا) الدالة على صدقنا على
ما لها من العظمة باضافتها إلينا؛ ثم علل تأمينه له بقوله: (انا) بما
لنا من العظمة (معكم) أى كائنون عند وصولكم إليهم فيمن اتبعكم
من قومكم؛ ثم أخبر خبرا آخر بقوله: (مستمعون ه) أى سامعون
بما لنا من العظمة فى القدرة وغيرها من صفات الكمال، إلى ما تقولان
١٠ لهم ويقولون' لكما، فلا نقيب عنكم ولا تغيبون عنا، فنحن نفعل معكم
من المعونة والنصر فعل القادر الحاضر لما^١ يفعل بحبيبه المصطفى له بمجده،
ولذلك عبر بالاستماع؛ قال أبو حيان: وكان شيخنا الأستاذ أبو جعفر
ابن الزبير يرجح أن يكون أريد بصورة الجمع [المثنى - ٢] والخطاب لموسى^٢
وهارون فقط، لأن لفظة ه مع ه تبين من يكون كافرا، فانه لا يقال:
١٥ الله معه، وعلى أنه أريد بالجمع التثنية حملة سيويه^٣ كأنهما لشرفهما^٤
عند الله تعالى عاملهما فى الخطاب معاملة الجمع إذ^٥ كان ذلك جائزا
أن يعامل به الواحد لشرفه وعظمته - انتهى . وهو كلام نفيس مؤيد

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل: يقولان (٢) فى ظ: بما (٣) زيد من البحر
٨/٧ (٤) من البحر، وفى الأصول: موسى (ه-ه) من ظ و مد والبحر، وفى
الأصل: كانه لشرفه (٦) من ظ و مد والبحر، وفى الأصل: اذا.

بتقديم الظرف، و يكون حيثذ خطابها مشاكلا لتعظيم المتكلم سبحانه
نفسه، لأن المقام للعظمة، وعظمة الرسول من عظمة المرسل، على أنه
يجوز أن يكون ذلك إشارة إلى البشارة بمن يتبعها كما قدرته، ويجوز
أن تكون المعية للكل كما في قوله تعالى "ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو
رابعهم" - الآية .

- و لما نفي سبحانه أن يكون شيء مما خافه موسى عليه السلام على
هذا الوجه المؤكد، وكان ظهور ذلك في مقارنة الرأس أدل وأظهر،
صرح به في قوله: ﴿فَاتَا﴾ أى قسبب عن ذلك الضمان بالحراسة
والحفظ أنى أقول لكما: اتيا ﴿فرعون﴾ نفسه، وإن عظمت مملكته،
وجلّت جنوده ﴿فقولاً﴾ أى ساعة وصولكما له ولمن عنده: ١٠
﴿انارسل﴾ أفردته مريدا به الجنس الصالح للآتين، إشارة بالتوحيد
إلى أنها في تعاضدهما واتفاقهما كالنفس الواحدة، ولا تخالف لانه
لما وقع مرتين كل واحدة^٢ بلون، أو مرة بما يفيد التثنية والاتفاق،
فساغ التعبير بكل منهما، ولم يثن هنا لأن المقام لا اقتضاء له للتثنية
على طلب نبينا صلى الله عليه وسلم المؤازرة بخلاف ما مر في سورة ١٥
ظه ﴿رب الغلبن﴾ أى المحسن إلى جميع الخلق المدبر لهم؛ ثم ذكر
[له - °] ما قصد من الرسالة إليه فقال معبرا بأداة التفسير لأن الرسول
(١) من ظ و مد، وفي الأصل: بالحراطة (٢) زيد في الأصل: اى، ولم
تكن الزيادة في ظ و مد لحذفناها (٣) من ظ و مد، وفي الأصل: مرة .
(٤) من ظ و مد، وفي الأصل: للتسليه (٥) زيد من مد، وفي ظ: لهم .

فيه معنى الرسالة التي تتضمن القول: ﴿ان ارسل﴾ أى خلّ وأطلق؛
و أعاد الضمير على معنى "رسول" فقال: ﴿معنا نبى اسراءيل﴾ أى قومنا
الذين استعبدتهم ظلما، ولا سبيل لك عليهم، نذهب بهم إلى الأرض
المقدسة التي وعدنا الله بها على السنة الانبياء من آباءنا عليهم الصلاة
و السلام .

ولما كان من المعلوم أنها امتلا ما أمرها الله، فأتياه وقال له
ما أمرا به، تشوفت النفس إلى جوابه لها، فقال / تعالى الغاتا إلى مثل
قوله في التي قبلها "وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام"، "وان يتخذونك
الاهزوا" ونحو ذلك تسليّة لهذا النبي الكريم وتحقيقا لمعنى قوله تعالى.
١٠ "كلا"، و"مستمعون" من أن فرعون وإن بالغ في الإبراق والإرعاد
لا يروع موسى عليه السلام شيء منه: ﴿قال﴾ أى فرعون حين
أبلغاه الرسالة مخاطبا لموسى عليه السلام علما منه أنه الأصل فيها، وأخوه
إنما هو وزير، منكرنا عليه مواجهته بمثل هذا وماتنا عليه ليكشف من
جرأته بتصويب مثل هذا الكلام إليه: ﴿الم نريك﴾ أى بعظمتنا
١٥ التي شاهدها ﴿فينا وليدا﴾ أى صغيرا قريب عهد بالولادة ﴿ولبثت فينا﴾
أى لا في غيرنا. باعتبار انقطاعك إلينا، وتعززك في الظاهر بنا

(١) من مد، وفي الأصل و ظ : فذهب (٢) في ظ : انبيائنا (٣) زيد في
الأصل : بها، ولم تكن الزيادة في ظ و مد فذفناها (٤) من ظ و مد، وفي
الأصل : ماتا (٥) من ظ و مد، وفي الأصل : جوابه (٦) سقط من ظ و مد.
(٧) من ظ و مد، وفي الأصل : منا .

(من عمرك سنين ١) أى كثيرة، فلنا عليك^١ بذلك من الحق^٢ ما ينبغي أن يمتك من مواجهتها^٣ بمثل هذا، وكأنه عبر بما يفهم السكند كناية عن مدة مقامه عنده بانها^٤ كانت نكدة لأنه وقع فيما كان يخافه، وفاته ما كان يحتاط به من ذبح الأطفال .

ولما ذكره منة تحمله على الحياء منه، ذكره ذنباً^٥ هو أهل لأن ه يخاف من عاقبه فقال مهولاً له بالكناية عنه : (و فعلت فعلتك) أى من قتل القبطى، ثم أكد نسبه إلى ذلك مشيراً إلى أنه عامله بالحلم تحجيلاً له فقال : (التي فعلت وانت) أى والحال أنك (من الكافرين ه) أى لنعمتى^٦ وحق تربيتى^٧ بقتل من^٨ ينسب إلى^٩، أو عده منهم لسكوته عنهم إذ ذاك، لأنه لم يكن قبل الرسالة مأموراً فيهم بشيء، فكان مجاملاً ١٠ لهم، فكأنه قال : وأنت منا . فإلك الآن تنكر^{١٠} علينا و تنسبنا إلى الكفر؟ (قال) مجيباً له^{١١} على طريق^{١٢} النشر المشوش، واثقاً بوعده الله بالسلامة^{١٣} مقراً بما دندن عليه من القتل لأنه لم يكن متحققاً لذلك، وما ترك^{١٤} قتله إلا التماساً للينة : (فعلتها إذاً) أى إذ قتلته (و أنا من الضالين ه)

- (١) سقط من ظ (٢) زيد في الأصل : في الظاهر، ولم تكن الزيادة في ظ ومد لحذفها (٣) زيد في الأصل : بمثل ذلك ولا، ولم تكن الزيادة في ظ ومد لحذفها (٤) من ظ ومد، وفي الأصل : لانها (ه) من ظ ومد، وفي الأصل : ذنب . (٦) من ظ ومد، وفي الأصل : لنعمتى (٧-٨) من ظ ومد، وفي الأصل : بالقتل لم (٨) من ظ ومد، وفي الأصل : تنكير (٩) سقط من ظ ومد . (١٠) من ظ ومد، وفي الأصل : طريقة (١١) من ظ ومد، وفي الأصل : فيهم (١٢) من ظ ومد، وفي الأصل : نزل .

[أى - ١] لا أعرف ديناً، فأنا واقف عن^٢ كل وجهة حتى يوجهني
 ربي إلى ما يشاء - قال ابن جرير^٣: و العرب تضع الضلال موضع
 الجهل [و الجهل - ٤] موضع الضلال - انتهى. وقد تقدم في الفاتحة للحرالي
 في هذا كلام نفيس - على أن هذه الفعلة كانت مني خطأ ﴿فقررت﴾
 ه أى فتسبب عن فعلها وتعقبه أنى قررت ﴿منكم﴾ أى منك لسطوتك
 [و من قومك لإغرائهم إياك على^١ - ١] ﴿لما خفتكم﴾ [على نفسى أن
 تقتلونى بذلك القتل الذى قتلته خطأ مع كونه كافراً مهدر الدم - ١]
 ﴿فوهب لى ربي﴾ [الذى أحسن إلىّ بتريقى عنديكم تحت كف أى
 آمنة بما أحدثتم من الظلم خوفاً منى - ١] ﴿حكماً﴾ أى علماً أعمل به عمل
 ١٠ الحكماء الحكمة ﴿وجعلنى من المرسلين ه﴾ أى فاجهد الآن جهدك فانى
 لا أخافك لقتل^٥ ولا غيره .

ولما اجتمع فى كلام فرعون من و تعبير، بدأ بجوابه عن التعبير
 لأنه [الآخر فكان أقرب، ولأنه - ١] أم، ثم عطف عليه جوابه
 عما من به، فقال موبخاً له مبكناً^٦ منكراً عليه غير أنه حذف حرف
 ١٥ الإنكار إجمالاً فى القول وإحساناً^٧ فى الخطاب: ﴿وتلك﴾ أى
 التربة [الشعاع العظيمة فى الشناعة - ١] التى ذكرتها^٨ ﴿نعمه تمنها على﴾

(١) زيد من ظ ومد (٢) فى ظ: على (٣) راجع من تفسيره الجزء ١٩/٣٨ .

(٤) زيد من ظ ومد والتفسير (٥) من ظ ومد، وفى الأصل: القتل (٦) من

ظ ومد، وفى الأصل: منكناً (٧-٧) من ظ ومد، وفى الأصل: العون

وانكاراً (٨) من ظ ومد، وفى الأصل: ذكرتها .

و لما كان سيها ظله لقومه ، جعله نفسها فقال مبدلاً منها [نفيها
على إحباطها ، و إعلاماً بأنها - بكونها نعمة - أولى منها في عدما نعمة - '] :
(ان عبت) [أى تعيدك و تذليلك على ذلك الوجه البديع المبعد - ']
قوى (بنى اسرآيل) أى جعلتهم عيدا ظلما و عدوانا و هم أبناء الأنبياء ،
و لسلفهم يوسف عليه السلام عليكم من المنة - باحياء نفوسكم / أولا ، ٥ / ٧٢١
و عتق رقابكم ثانيا - ما لا تقدررون له على جزاء أصلا ، ثم ما كفاك
ذلك حتى فعلت ما لم يفعله مستعبد ، فأمرت بقتل أبنائهم ، فكان ذلك
سبب وقوعى إليك لاسلم من ظلك - كما مريانه و يأتى [إن شاء الله
تعالى - '] مستوفى فى سورة القصص .

و لما كلم اللّيم الذميم الكليم العظيم بما رضى أن يكفه عن مواجهته ١٠
بما يكره ، و يرجعه إلى مداراته . فلم يفعل ، و فهم ما فى جوابه هذا
الآخر من الذم [له - '] و التعجيز ، و إثبات القدرة التامة و العلم
الشامل لله ، بما دبر فى أمر موسى عليه السلام ، و أنه لا ينهض لذلك
بجواب و لا يحمد له فيه قول ، عدل [عنه - '] إلى جوابه عن الرسالة
بما يموه به أيضا على قومه لثلا يرجعوا عنه ، فأخبر تعالى عن محاورته ١٥
فى ذلك بقوله على طريق الجواب لمن كأنه قال : ما قال له جوابا
لهذا الكلام ، الذى كأنه السهام ؟ : (قال فرعون) حائدا عن جواب

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : ما (٣) من ظ و مد ،
و فى الأصل : مستبعد (٤) من ظ و مد . و فى الأصل : يكفيه (هـ) فى ظ : ما .
(٦) سقط من ظ و مد .

نظم الدرر (سورة الشعراء ٢٦ : ٢٢ - ٢٦) ج - ١٤

موسى عليه السلام لما فيه من تأنيبه و تعجيزه^١. منكرا لحالقه على سبيل
التجاهل، كما أنكر هؤلاء الرحمن متجاهلين وهم^٢ أعرف الناس بغالب
أفعاله، كما كان فرعون يعرف، لقول^٣ موسى عليه السلام "لقد
علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض"^٤ (وما رب العالمين^٥)
هـ [أى -^٦] الذى زعمت أنكم رسوله. فسأل به دما^٧ عن حقيقته
وإنما أراد فى الحقيقة إنكاره .

[و لما كان تعريف حقيقته سبحانه بنفسها محالا لعدم التركيب، فكان
تعريفها لا يصح إلا بالخارج اللازم الجلى، تشوف السامع إلى ما يجب به
عنه، فاستأنف قوله لإخبارا عنه -^٨] : (قال^٩) أى موسى [معرضا
١٠ عن التعريف بغير الأفعال إعلاما بأنه لا شيه له، وأنه مبين وجوده
لوجود كل شيء سواه -^{١٠}]، معرفا له سبحانه بأظهر^{١١} أفعاله بما لا يقدر
أحد^{١٢} على ادعاء المشاركة فيه، مشيرا إلى خطابه فى طلب الماهية بأنه
لا مماثل له : أقول لك ولمن أردت بطلب الحقيقة التمويه عليهم :
هو (رب^{١٣}) [أى خالق ومبدع ومدر -^{١٤}] (السموات^{١٥})
١٥ [كلها -^{١٦}] (والأرض^{١٧}) [وإن تباعدت أجزاؤها بعضها عن
بعض -^{١٨}] (وما بينهما^{١٩}) وذلك أظهر العالم الذى هو صنفته وأنتم
غير مستغنين عنه طرفة عين، فهذه هى المنة، لا متلك على^{٢٠} بالترية إلى

(١) من ظ و مد، وفى الأصل : يعجزه (٢) فى ظ : هو (٣) من ظ و مد،
وفى الأصل : لقوم (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد، وفى الأصل :
بها (٦) من ظ و مد، وفى الأصل : بما أظهر (٧-٧) فى ظ : يقار احدا .

حين استغيت عنك، وهذا هو الاستعداد^١ بالإحسان، مع العصيان
بالكفران، لا استعدادك لقومي باهلا كههم^٢ وهم في طاعتك، ولسلفهم^٣
عليكم من المنة ما^٤ لا تجهلونه ﴿ان كنتم﴾ [أى كونا راسخا -^٥]
﴿موقنين﴾ أى متصفين بما عليه أهل العلم بأصول الدين من الثقة بما
تعتقدون [اتصافا ثابتا -^٦]، و الجواب: علمت ذلك، و علمت أنه لا جواب ه
أسد^٧ منه، لأن المذكور متغير، فله مغير^٨ لا يتغير، وهو هذا الذى
أرسلنا، أى إن كان لكم يقين^٩ فأنتم تعرفونه. لشدة ظهوره، و عموم
نوره ﴿قال﴾^{١٠} أى فرعون ﴿لمن حوله﴾ من أشراف قومه بموها
أيضا: ﴿الا تستمعون﴾ أى تصفون إليه بجميع^{١١} جهدكم، وهو كلام
ظاهره أنه نبههم^{١٢} على الإنكار، لأنه سأل عن الماهية، فأجيب بغيرها، ١٠
و يحتمل غير ذلك لو ضيق فيه، فهو من خفي مكره .

ولما وبخ اللعين في جوابه، وكان ربما ادعى أن الخافقين وما بينهما
من الفضاء غير مخلوق، فتشوف^{١٣} السامع إلى جواب يلزمه، استأنف
[الشفاء -^{١٤}] لى هذا السؤال بقوله: ﴿قال﴾ أى موسى، مخصصا بعد
ما عمم [بشيء لا يمكن المنازعة فيه لمشاهدة وجود أفراد بعد أن لم تكن -^{١٥}]:
﴿ربكم﴾ أى الموجد لكم و المربي و المحسن ﴿و رب البآنكم الاولين﴾

- (١) فى ظ : الاستعداد (٢) من ظ ومد، وفى الاصل : لسلفه (٣) من ظ ومد،
وفى الأصل : بما (٤) ريد من ظ ومد (٥) من مد، وفى الأصل و ظ : اشد.
(٦) من ظ ومد، وفى الأصل : معين (٧ - ٧) سقط ما بين الرقين من ظ .
(٨) من ظ ومد، وفى الأصل : لجمع (٩) من ظ ومد، وفى الاصل : ينهزم.
(١٠) من ظ ومد، وفى الاصل : فتشوق

نظم الدرر (سورة الشعراء: ٢٦ - ٢٧ - ٢٩) ج - ١٤

٧٢٢ /

و فرعون - الذى تقرون بأنه^١ ربكم - كان إذ ذاك عدما محضاً، أو مآء
 صرفاً^٢ فى ظهر أبيه، فبطل كون^٣ أحد منهم^٤ ربا لمن بعده / كما بطل
 كون أحد^٥ ممن قبلهم من الهالكين ربا لهم، لأن الكل عدم .
 فلما أوضح بذلك بطلان ما حملهم على اعتقاده من ربوبيته لم يتمالك
 ه أن (قال^٦ ان رسولكم) على طريق التهمك، إشارة إلى أن الرسول
 ينبغي أن يكون^٧ أعقل الناس؛ ثم زاد الأمر [وضوحاً] بقوله:
 (الذى أرسل اليكم) أى وأنتم أعقل الناس (لمجنون ه) حيث لا يفهم
 أنى أسأله عن حقيقة^٨ مرسله فكيف يصلح^٩ للرسالة من^{١٠} الملوك .
 فلما أساء الأدب، [فاشتد تشوف السامع إلى معرفة جوابه عنه،
 ١٠ استأنف تعالى الإخبار بذلك، فحكى أنه -^١] ذكر له ما لا يمكنه أن يدعى طاعته
 له، [وهو أكثر تغيراً وأعجب تنقلاً -^٢] بأن (قال رب المشرق والمغرب)
 أى الشروق والغروب و وقتها وموضعها (وما بينهما) أى من الناس
 الذين ليسوا فى طاعتكم، والحيوان والجماد، بسبب ما ترون من قدرته على
 قلب النيرات من بزوغ الشمس والقمر والنجوم وأفولها [وما يظهر
 ١٥ عنها من الليل والنهار -^٣] على^٤ تضاريف مختلفة، وحركات متقاربة^٥،
 (١) من مد، وفى الأصل وظ : انه (٢) من ظ ومد، وفى الأصل : صرفاً .
 (٣ - ٢) من ظ ومد، وفى الأصل : احكم (٤) من ظ ومد، وفى الأصل :
 احكم (٥) تكرر فى الأصل فقط (٦) زيد فى الأصل : غافلاً، ولم تكن الزيادة
 فى ظ ومد لحذفها (٧ - ٧) فى ظ : رسالة فكيف يصح (٨) من ظ ومد،
 وفى الأصل : عن (٩) زيد من ظ ومد (١٠ - ١٠) سقط ما بين
 الرقنين من ظ ومد .

- الولا هي لما علمت شيئا من أموركم، ولا تمكنت من أحوالكم، وهذا الدليل أبين الكل لتكرر الحركة فيه وغير ذلك من معالنه، ولذلك بهت نمرود لما ألقاه عليه الخليل عليه الصلاة والسلام .
- ولما [دعاه صلى الله عليه وسلم باللين - ٢] فأساء؛ الأدب عليه في الجواب الماضي، ختم هذا البرهان بقوله : ﴿ ان كنتم تعقلون ﴾ أي ه فأنتم تعلمون ذلك، فغيرهم بين الإقرار بالجنون أو العقل، بما أشار إليه من الأدلة في مقابلة ما نسبوه إليه من الجنون بسكوتهم^٦ وقول عظيمهم بغير شبهة، ردا لهم عن الضلالة، وإقفاذا من واضح الجهالة، [فكان قوله أنكأ مع انه أطف، وأوضح مع انه أستر وأشرف - ٢] .
- فلما علم أنه قد قطعه بما أوضح^٧ من الأمر، ووصل معه ١٠ في الغلظة إلى ما إن سكت عنه أوهن^٨ من حاله، وقر من عزائم رجاله، [تكلم بما السكوت أولى منه، فأخبر تعالى عنه بقوله - ٢] :
- ﴿ قال ﴾ عادلا عن الحجاج بعد الخوض فيه إلى المغالبة التي هي أبين علامات الانقطاع : ﴿ لئن اتخذت الها غيري ﴾ أي تعمدت أخذه [وأفردته بتوجيه جميع قصدك إليه - ٢] ﴿ لاجعلك من المسجونين ﴾ ١٥ أي واحدا من هم في سجوني على ما تعلم [من حالي في اقتداري، ومن
-
- (١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ ومد (٢) من ظ ومد، وفي الأصل : لهذا .
 (٣) ريد من ظ ومد (٤) من ظ ومد، وفي الأصل : اساء (٥) من ظ ومد، وفي الأصل : القرآن (٦) من ظ ومد، وفي الأصل : بشكوتهم .
 (٧) ريد في الأصل : به . ولم تكن الزيادة في ظ ومد لخدقهاها (٨) من ظ ومد، وفي الأصل : أوضح (٩) فيه ظ : هو .

يجونى فى فظاعتها، ومن حال من فيها من شدة الجصر، والفظافى
الحجر - ١ [(قال) مدافعا بالتي هى أحسن إرخاء للعنان، لإرادة
البيان، حتى لا يبق عذر لإنسان، رجاء التزوع^١ عن الطغيان، والرجوع
إلى الإيمان، [لأن من العادة الجارية السكون إلى الإنصاف، والرجوع
٥ إلى الحق والاعتراف - ١] (اولو) أى أتسجنى ولو (جئت بك بشئ مبین) ^٢
أى لرسالتى (قال) طمعا فى أن يجد موضعا للتكذيب أو التليس^٣ :
(فات به) أى تسبب عن قولك هذا أنى أقول لك : ائت بذلك
الشئ. (ان كنت) [أى كونا أنت راسخ فيه - ٤] (من الصديقين) ^٥
[أى فيما ادعيت من الرسالة والبيئة - ١]، وهذا إشارة إلى أنه بكلامه
١٠ المتقدم قد صار عنده فى غير عدادهم، [ولزم عليه أنه لا يأتى بالمعجزة
إلا الصادق لأنها تصديق من الله للدعى، وعادته سبحانه وتعالى جارية فى
أنه لا يصدق الكاذب - ١] (فالتى) أى فتسبب عن ذلك وتعقبه أن التى.
[ولما كان الكلام مع - ١] موسى عليه السلام، [فكان إضماره
غير ملبس، لم يصرح باسمه اكتفاء بضميره فقال - ١] : (عصاه)
١٥ أى التى تقدم فى غير سورة أن الله تعالى أراه آياتها (فاذا هى ثعبان)
أى حية فى غاية الكبر (مبين) أى ظاهر الثعبانية، لا شك عند
رائيه فيه، لا كما يكون عند الأمور السحرية [من التخيلات والتشبهات - ١]

(١) زيد من ظ و مد (٢) من مد، وفى الأصل: الروح، وفى ظ :
الزراع (٣) من ظ و مد، وفى الأصل: عن (٤) زيد فى ظ : قال -
(٥) زيد من مد.

(و نزع يده) أى التى كانت احترقت لما أخذ الحجر و هو فى حجر
 فرعون، و بذل فرعون جهده فى علاجها بجميع من قدر عليه من الأطباء
 فعجز عن إبرائها، نزعها من جيبه بعد أن أراه^١ إياها على ما يمهده
 منها^٢ ثم أدخلها فى جيبه (فإذا هى) بعد النزع (بيضاً للنظرين^٣)
 ! أى يابضاً^٤ تتوفر الدواعى على نظره لخروجه عن العادة بأن له نورا كنور هـ / ٧٢٢
 الشمس يكاد يغشى الأبصار (قال) أى فرعون (للا حولة) لما
 وضع [له -^٥] الأمر، يموه [على -^٦] عقولهم خوفاً من إيمانهم:
 (ان هذا لسحر عليم^٧) أى شديد المعرفة بالسحر، و خص فى هذه
 السورة إسناد هذا الكلام إليه لأن السياق كله لتخصيصه بالخطاب لما
 تقدم، و نظرا إلى "ظلت اعتاقهم لها خضعين" لأن^٨ خضوعه هو ١٠
 خضوع من دونه، فدلالته على ذلك أظهر، و لا يننى ذلك أن يكون
 قومه قالوه إظهارا للطواغية - كما مضى فى الأعراف^٩.

و لما أوقفهم بما خيلهم به، أحام لانفسهم فقال^{١٠} ملقيا للجلباب
 الأتفة لما^{١١} قهره من سلطان المعجزة: (يريد ان يخرجكم من ارضكم)
 أى هذه التى هى قوامكم (بسحره تماء) أى بسبب ما أتى به منه، فانه ١٥
 يوجب استتباع الناس فيتمكن بما يريد [بهم -^{١٢}]؛ ثم قال لقومه - الذين
 كان يزعم أنهم عبيده وأنه إلههم - ما دل على أنه خارت قواه،

- (١) من ظ و مد، و فى الأصل: إبراه (٢) فى ظ: منه (٣) فى ظ: ييضا .
 (٤) زيد من ظ و مد (هـ) من ظ و مد، و فى الأصل: «و» (٦) راجع آية ١٠٩ .
 (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: و قول (٨) فى ظ: لمن (٩) زيد من مد .

فخط عن منكبيه كبرياء الربوبية، وارتعدت فرائضه حتى جعل نفسه
 مأمورا بعد أن كان يدعى كونه أمرا بل إلها قادرا: ﴿فإذا تاملون﴾
 أى فى مدافعتة عما يريد بنا ﴿قالوا﴾ أى الملا الذين كانوا يأتمرون
 به قبل الهجرة ليقتلوه: ﴿ارجع﴾ أى أخره ﴿واخاه﴾ ولم يأمرؤا
 ٥ بقتله ولا بشيء مما يقاربه - فسجان من يلقى الروح من أمره على من
 يشاء من عباده فيها به كل شيء ولا يهاب هو غير خالقه
 ﴿وابعث فى المداآئن حشرين﴾ أى رجالا يحشرون السحرة، وأصل
 الحشر الجمع بكثرة ﴿ياتوك﴾ وكأنهم فهموا شدة قلقه فسكنوه بالتعبير
 بأداة الإحاطة وصيغة المبالغة فقالوا: ﴿بكل سحر﴾ أى بليغ السحر
 ١٠ ﴿عليم﴾ أى متناه فى العلم به بعد ما تنسأهى فى التجربة؛ وعبر بالبناء
 للفعول إشارة إلى عظمة ملكه فقال: ﴿لجمع﴾ أى بأيسر أمر لما له
 عندهم من العظمة ﴿السحرة﴾ كما تقدم غير مرة ﴿لليقات يوم معلوم﴾
 فى زمانه ومكانه، وهو ضحى يوم الزينة كما سلف فى طه^٢، وعن ابن
 عباس^٣ رضى الله عنهما أنه وافق يوم السبت فى أول يوم من سنتهم،
 ١٥ وهو يوم النيروز. ﴿وقيل﴾ أى بقول من يقبل لكونه عن فرعون
 ﴿لنأس﴾ أى كافة حثالهم على الإسراع إلى الاجتماع بأمر فرعون،
 وامتحانا لهم هل رجعوا عن دينه. علما منه بأن ما ظهر من المعجزة
 (١) من ظ و مد، وفى الأصل: يهابه (٢) راجع آية ٩٥ (٣) ذكر قوله فى معالم
 التنزيل - راجع هامش اللباب ٩٦ / ٥ (٤) من ظ و مد، وفى الأصل: على .
 (٥) فى ظ : الى .

- التي منها عجزه عن نوع أذى لمن واجهه بما لا مطمع في مواجهته بأدناه - لم يدع لبسا في أنه مريب مقهور، وأن ذلك موجب 'لاتباع موسى عليه السلام: ﴿ هل اتم مجتمعون ؟ ﴾ أي [اجتماعا أتم راسخون فيه لكونه بالقلوب كما هو بالأبدان - ٢] ، كلّم ليكون أهيب لكم ، [و زين لهم هذا القائل البقاء على ما كانوا عليه من الباطل بذكر جانب ه السحرة وإن كان شرط فيه الغلبة ، ولم يسمح بذكر جانب موسى عليه السلام فقال - ٢] : ﴿ لعلنا تتبع السحرة ﴾ لأن من امثل أمر الملك كان حاله حال من يرجى منه اتباع حزبه ٢ ﴿ ان كانوا هم ﴾ [أي خاصة - ٢] ﴿ الفلئينه ﴾ أي [غلبة لا يشك في أنها ناشئة عن مكنة - ٢] و نعرض عن أمر موسى الذي تنازع الملك في أمره ، [وهذا مرادهم ١٠ في الحقيقة ، و عبر بهذا كناية عنه لأنه أدل على عظمة الملك - ٢] ، و عبر بأداة الشك إظهارا للانصاف ، و استجلابا للناس ، مع تقديرهم : لقطعهم بظفر السحرة ، لما رسخ في أذهانهم في الآزمنة المتطائلة / من الضلال الذي لا غفلة لإبليس عن تزيينه مع أن تغيير المألوف امر في غاية العسر . و قال : ﴿ فلما ﴾ بالفاء إيذانا بسرعة حشرهم ، إشارة إلى ضخامة ١٤ ملكه . و وفور عظمتهم ﴿ حآء السحرة ﴾ أي الذين كانوا في جميع بلاد مصر ﴿ قالوا لمرعون ﴾ مشرطين ١ الأجر في حال الحاجة إلى الفعل ليكون ذلك أحذر ٢ بحسن الوعد ، و نجاح القصد - ان لنا لاجرا ﴾

- (١) في ظ : يوجب (٢) زيد من ظ و مد (٣-٣) سقط ما بين الرقین من ظ .
 (٤) من ظ و مد . و في الأصل : تعريضهم (٥) في ظ : ترتيبه ، و في مد : ترتيبه .
 (٦) في ظ و مد : مشرطين (٧) زيد في الأصل : الى الفلین . و لم تكن الزيادة في ظ و مد لخدمتها .

وساقوه مساق الاستفهام أدبا معه، وقالوا: (وان كنا) أى كونا نحن
 راسخون فيه (نحن) خاصة (الغلبين) بأداة الشك منع جزمهم بالغلبة
 تخويها له بأنه [إن - ١] لم يحسن في وعدم لم ينصحوا له، ثم قيل في
 جواب من كأنه سأل عن جوابه: (قال) مجيبا إلى ما سألوا:
 (نعم) أى لكم ذلك؛ وزاد لم لا أحسن منه عند أهل الدنيا مؤكدا له
 فقال: (وانكم اذا) أى إذا غلبتم (لمن المقربين) أى عندى، وزاد
 "اذا" هنا زيادة في التأكيد لما يتضمن ذلك من إبعاده عن الإيمان
 من وضوح البرهان، تخفيفا على المخاطب بهذا كله صلى الله عليه وسلم،
 تسلية له في الحل على نفسه أن لا يكون من يدعم مؤمنين، و^٢ ما بعد
 ١٠ ذلك من مسارعة السحرة للإيمان - بعد ما ذكر من إقسامهم بعزته
 بغاية التأكيد - تحقيق لآية / "فظلت اعناقهم لها خضعين" .

ولما تشوف السامع إلى جواب نبي الله تعالى موسى عليه الصلاة
 والسلام، اجيب بقوله: (قال لهم موسى) عليه السلام، أى مريدا
 لإبطال سحرهم لأنه لا يمكن منه إلا بالقائهم، لا لمجرد إلقائهم، غير مبال
 ١٥ بهم في كثرة ولا علم [بعد - ١] ما خيره - كما في غير هذه السورة:
 (القوا ما آتكم ملقون) كائنا ما كان، اذراء له* بالنسبة إلى أمر الله
 (فالقوا) أى فتسبب عن قول موسى عليه السلام و تعبه ان القوا
 (جبالهم وعصيم) التي أعدوها للسحر (وقالوا) مقسمين:

(١) زيد من ظ و مد (٢) في ظ: ما (٣-٣) في ظ: ما نعه لك (٤-٤) سقط
 ما بين الرقين من ظ و مد. سقط من ظ .

(بعضة فرعون) يؤكدين بأنواع التأكيد (انا لنحن) أى خاصة لانستثنى (الغلبون) قول واثق من نفسه مزعم على أن لا يدع بابا من السحر يعرفه إلا آتى به، فكل من حلف بغير الله كأن يقول: و حياة فلان، و حق رأسه - ونحو ذلك، فهو تابع لهذه الجاهلية .

ولما قدم^١ إضمار اسم موسى عليه السلام في الإلقاء الأول لأن الكلام ه كان معه، فلم يكن إلباس^٢ في أنه الفاعل، و^٣ كان الكلام^٢ هنا في السحرة، و ختموا بذكر فرعون وعزته، صرح باسم موسى عليه الصلاة والسلام لنفى اللبس فقال: (فالتى) أى قسب عن صنع^٤ السحرة و تعقبه أن ألقى (موسى) وقابل جماعة ما ألقوه بمفرد ما ألقى، لأنه أدل على المعجزة، فقال: (عصاه) أى التى جعلناها آية له، و تسبب عن إلقائه قوله: ١٠ (فاذا هى تلفف) أى تتلف في الحال بسرعة و نهمة (ما يافكون مليح) أى يصرفونه عن وجهه و حقيقته التى هى الجمادية بحيلهم و تخيلهم إلى ظن أنه حيات تسعى (فالتى) أى عقب فعلها من غير^٥ تلبث (السحرة يسجدون^٦) [أى فسجدوا بسرعة عظيمة -^٦] حتى كأن ملقيا ألقاهم [بغير اختيارهم -^٦] من قوة إسرائعهم، علما منهم بأن هذا من ١٥ عند الله، فأمسوا أتقياء بررة، بعد ما جاؤا في صبح ذلك اليوم سحرة . ولما كان كأنه قيل: هذا فعلهم، فما كان قولهم؟ قيل:

(١) من ظ و مد، وفي الأصل: تقدم (٢) من ظ و مد، وفي الأصل: البالى - كذا (٣-٢) من ظ و مد، وفي الأصل: بأن للكلام (٤) في ظ: مواضع - كذا (٥) سقط من ظ و مد (٦) زيد من ظ و مد .

نظم الدرر (سورة الشعراء ٢٦: ٤٧ - ٤٩) ج - ١٤

/٧٢٥

(قَالُوا آمَنَّا / برب العلين^١) أى الذى دعا إليه موسى عليه السلام أول ما تكلم؛ ثم خصوه كشفاً للئيس فرعون بما لا يحتمل غيره فقالوا يانا: (رب) ولم يدع داع هنا إلى العدول عن الأصل، فقال عبارة عن كلامهم: (موسى وهرون) أى اللذين أحسنا إلينا بالنتيه عليه، والهداية إليه، وصدقهما بما أجرى على أيديهما.

ولما خاف فرعون اتباع الناس لهم، لما يرون بما هالمهم من أمرهم، وكان قد تقدم ما^٢ يعرف أن المنكر عليهم فرعون نفسه، قال تعالى مخبراً عنه: (قال) من غير ذكر الفاعل - أى فرعون - لعدم اللبس، [ومقصود السورة غير مقتض للتصريح كما فى الاعراف^٣ بل ملائم^٤ ١٠. للاعراض عنه والإراحة منه -^٥]، منكراً مبادراً موهماً لأنه إنما يعاقب على المبادرة بغير إذن، لا على نفس الفعل، وأنه ما غرضه إلا التثبيت ليؤخر بهذا التخيل الناس^٦ عن المبادرة بالإيمان إلى وقت ما (أمنتم له) أى لموسى عليه السلام، أفرد بالضمير لأنه الأصل فى هذه الرسالة، وحققة الكلام: أوقعت^٧ التصديق بما أخبر به عن الله لأجله إعظاماً له ١٥ بذلك (قبل ان أذن لكم) أى فى الإيمان؛ ثم علل فعلهم بما يقتضى أنه عن مكر وخداع، لا [عن -^٨] حسن اتباع، فقال: (انه) أى

(١) فى ظ: فيما (٢) راجع آية ١٢٣ (٣) زيد من ظ و مد (٤ - ٤) من ظ و مد، وفى الأصل: هذا التخيل للناس (٥) من ظ و مد، وفى الأصل: موسى (٦) من ظ و مد، وفى الأصل: فى (٧) من ظ و مد، وفى الأصل: أوقعه (٨) زيد من مد.

موسى عليه السلام ﴿لكيركم﴾ .

ولما كان هذا مشعرا^١ بنسبته له^٢ إلى السحر، وأنه أعلم منهم به، فلذلك غلبهم، أوضحه بقوله: ﴿الذى عليكم السحر﴾ فتواعدتم^٣ معه على هذا الفعل، فنزعوا الملك من أربابه، هذا وكل من سمعه^٤ يعلم كذبه قطعا، فان موسى عليه السلام ما ربي إلا في بيته، واستمر^٥ حتى فر منهم إلى مدين، لا يعلم سحرا، ولا ألم بساحر، ولا سافر إلا إلى مدين، ثم لم يرجع إلا داعيا إلى الله، ولكن الكذب غالب على قطر مصر، وأهلها أسرع شيء سماعا له واقتيادا به .

ولما أوقف السامعين بما خيلهم به من هذا الباطل المعلوم البطلان لكل ذى بصيرة، أكد المنع بالتهديد فقال: ﴿فلسوف تعلمون﴾ أى ما ١٠ أفعل بكم، أى فتسبب عما فعلتم أنى أعاقبكم عقوبة محققة عظيمة، وأنى بأداة التنفيس خشية من أن لا يقدر عليهم فيعلم الجميع عجزه فيؤمنوا، مع ما فيها فى الحقيقة على السحرة من التأكيد فى الوعيد الذى لم يؤثر عندهم فى جنب ما أشهدهم^٦ الله من الآيات التى مكنتهم فى مقام الخضوع؛ ثم فر ما أبهم بقوله: ﴿لاقطن﴾ بصيغة التفعيل لكثرة القطع والمقطوعين ١٥ ﴿أيديكم وأرجلكم﴾ [ثم - ٦] بين كيفية تقطيعها فقال: ﴿من خلاف﴾ وزاد فى التهويل فقال^٧: ﴿ولا وصلبكم أجمعين﴾

(١) من ظ ومد، وفى الأصل: مشعر (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ: فتواجدتم. (٤) من ظ ومد، وفى الأصل: يسمعه (٥) من ظ ومد، وفى الأصل: أشهدتهم (٦) زيد من ظ ومد (٧) فى ظ: قال .

ثم استأنف تعالى حكاية 'جوابهم بقوله' : ﴿ قالوا ﴾ .

[ولما كان قد تقدم هنا أنهم أثبتوا له عزة توجب مزيد الخوف منه، حسن قولهم -^٢] : ﴿ لا ضير ﴾ أى لا^٢ ضر أصلا علينا 'تحصل به المكنة منا' [فيما هددتنا به، بل لنا في الصبر عليه إن وقع أعظم الجزء من الله، وورد -^٣] النفي الشامل في هذه السورة [بإذنا بأنه لم يقدر فرعون على عذابهم، تحقيقا لما في أول القصة من الإشارة إلى ذلك بـ "كلا" و "مستمعون" فان الإمكان من تابعى موسى عليه السلام يؤذيه ويضيق صدره، ولما يأتى في القصص^٤ من صريح العبارة في قوله "اتما ومن اتبعكما / الغلبون" . [ثم -^٥] عللوا ذلك بقولهم :

١٠ ﴿ أنا ﴾ أى بفعلك ذلك فينا إن قدرك الله عليه ﴿ الى ربنا ﴾ أى المحسن إلينا وحده ﴿ منقلبون ﴾ أى ولا بد لنا من الموت، فلنكن على ما حكم به ربنا من الحالات، وإنما حكمتك على هذا الجسد ساعة من نهار، ثم لاحكم على الروح إلا الله^٦ الذى هو جدير بأن يثبنا على ذلك نعيم الأبد، وذلك معنى قولهم معللين ما قبله : ﴿ انا نطمع ان يغفر ﴾ أى

١٥ يستر سترًا بليغا ﴿ لنا ربنا ﴾ الذى أحسن إلينا بالهداية ﴿ خطيئنا ﴾ أى التى قدمناها على كثرتها؛ ثم عللوا طمعهم مع كثرة الخطايا بقولهم :

﴿ ان كنا ﴾ أى كوننا هو لنا كالجليلة ﴿ اول المؤمنين ﴾ أى من أهل هذا المشهد، وعبروا بالطمع إشارة إلى أن جميع أسباب السعادة منه تعالى،

/٧٢٦

(١-١) من ظ ومد، وفي الأصل : ضر - كذا (٢) زيد من ظ ومد (٣) سقط من مد (٤-٤) سقط ما بين الرقيين من ظ ومد (٥) آية ٣٥ (٦) في ظ : الله . فكأنه (٩) ٣٦

فكأنه لا سب منهم أصلاً .

ولما قص سبحانه من حال الدعاء ما كفى في التسلية من قصد هذين
الدينين بالأذى والتهكم بمن دعوا إليه، وجعلهما الأعلىين، [و-١] لم يضرهما
ضعفهما وقلتهما، ولا نفع عدوهما قوته وكثرته، شرع يسلي^١ بما
أوقعه في حال السير، فقال طأويا^٢ ما بقي^٣ منه لأن هذا ذكر به، عاطفاً
على [هذه-٤] القصة: (واوحيناً) أى بما لنا من العظمة حين أردنا فصل
الأمر وإنجاز الموعود (الى موسى^٥ ان اسر) أى سر ليلاً، حال
اشتغال فرعون وجنوده بموت أبكارهم^٦ وتجهيزهم لهم (بعبادى) أى
بنى إسرائيل [الذين كرمتهم-٧] مصاحباً^٨ لهم إلى ناحية بحر القلزم،
غير مبال بفرعون ولا منزعج^٩ منه، وتزودوا باللحم والخبز الفطير^{١٠}
للاسر، والطخوا أعتابكم بالدم، لأنى أوصيت الملائكة الذين يقتلون
الأبكار أن لا يدخلوا بيتاً على بابه دم: ثم علل أمره له بالسير في الليل
بقوله: (انكم متبعون) أى لا تظن أنهم لكثرة ما رأوا من الآيات
يكفون عن اتباعكم، فأسرع بالخروج لتبعدوا عنهم إلى الموضع الذى
قدرت في الأزل أن يظهر فيه مجدى^{١١}، والمراد توافيهم عند البحر، ١٥

- (١) زيد من ظ ومد (٢) في ظ : يشكى (٣-٢) من ظ ومد، وفي الأصل :
بالتى (٤) زيد من ظ (٥) في ظ : حين (٦) من ظ ومد، وفي الأصل :
انكارهم (٧) من ظ ومد، وفي الأصل : صاحباً (٨) من ظ ومد، وفي
الأصل : تنزعج (٩) من ظ ومد، وفي الأصل : في امره (١٠) من ظ ومد،
وفي الأصل : في قوله (١١) من ظ ومد، وفي الأصل : مجرى .

[و-١] لم يكتفم اتباعهم عن موسى عليه السلام لعدم تأثره^١ به لما

تحقق عنده من الحفظ لما تقدم به الوعد الشريف بذلك التأكيد .

ولما كان التقدير : فأسرى بهم امثالاً للأمر بعد نصف الليل ،

عطف عليه قوله : ﴿ فأرسل فرعون ﴾ أى لما أصبح وأعلم بهم

٥ ﴿ فى المدائن حشرين ﴾ أى رجالاً يجمعون الجنود بقوة و سطوة وإن

كرهوا ، ويقولون تقوية^٢ لقلوبهم وتحريكاً لهمهم : ﴿ ان أهولاء ﴾

إشارة بأداة القرب تحقيراً لهم إلى أنهم فى القبضة وإن بدوا ، لما بهم

من العجز ، وبأل فرعون من القوة ، فليسوا بحيث يخاف قوتهم ولا

بماعتهم ﴿ لشزيمة ﴾ أى طائفة وقطعة من الناس .

١٠ ولما كانت قلتهم^٣ إنما هى بالنسبة إلى [كثرة - ١] آل فرعون

وقوتهم وما لهم عليهم من هية الاستبعاد^٤ ، و كان التعبير بالشزيمة

موهما لأنهم فى غاية القلة ، أزال هذا الوم بالتعبير بالجمع دون المفرد

ليفيد أنه خبر بعد خبر ، لا صفة ، وأن التعبير بالشزيمة إنما هو

للاشارة إلى تفرق القلوب ، والجمع ولا سيما ما للسلامة مع كونه / أيضا

/٧٢٧

١٥ للقلة أدل على أنهم أوزاع ، وفيه أيضا إشارة إلى أنهم مع ضعفهم

بقلة العدد آيسون^٥ من إسعاف بمدد ، وليس لهم أهبة لقتال لعدم العدة^٦

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : فآثره (٣) من ظ

ومد ، وفى الأصل : بقواه (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : قتلهم (٥) فى ظ :

الاستبعاد (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : ايسرت (٧) من ظ و مد ،

وفى الأصل : القوة .

لأنهم

لأنهم لم يكونوا قط في عداد^١ من يقاتل كما تقول لمن^٢ تزدريه : هو أقل من [أن - ^٣] يفعل كذا، فقال : (قليلون ^٤) أى بالنسبة إلى ما لنا من الجنود التى لا تحصى وإن كانوا فى أنفسهم كثيرين، فلا كثرة لهم تتمتعكم أيها المحشورون من اتباعهم^٥؛ قال البغوى^٦ عن ابن مسعود رضى الله عنها : كانوا ستمائة ألف^٧ و تسعين ألفا، ولا يحصى عدد أصحاب فرعون - ه انتهى . وكل هذا بيان لأن فرعون مع تنافى عظمته لم يقدر على أثر ما فى موسى عليه السلام ولا^٨ من اتبعه تحقيقا لما^٩ تقدم من الوعد به أول القصة^{١٠} .

ولما ذكر ما يمنع الخوف من اتباعهم، ذكر ما يوجب الحث عليه ويحذر من التقاعس عنه فقال : (وانهم لنا) ونحن على ما نحن ١٠ عليه من الكثرة والعظمة (لعلظون ^{١١}) أى بما لجعونا به من أنفسهم وما استعاروه من الزينة من أرائى الذهب والفضة وفاخر الكسوة، فلا رحمة فى قلوبكم تحميهم^{١٢} .

ولما كان مدار مادة شرذم^{١٣}، على التقطع . فكان فى التعبير بها إشارة إلى أنهم مع القلة متفرقون ليسوا على قلب واحد، وذكر أن ١٥

-
- (١) فى ظ : عدد (٢) زيد من ظ ومد (٣) من ظ ومد، وفى الأصل : اتباعكم (٤) راجع معالم التنزيل بهامش الباب ٩٧/٥ (٥) ليس فى المعالم (٦) من ظ ومد، وفى الأصل : لا (٧) من ظ ومد، وفى الأصل : لمن (٨) من ظ ومد، وفى الأصل : العصمة (٩) من ظ ومد، وفى الأصل : تجمعهم . (١٠) من ظ ومد، وفى الأصل : شرذمة .

نظم الدرر (سورة الشعراء: ٢٦: ٥٦ - ٥٩) ج - ١٤

في اتباعهم شفاء الغلل^١، أتبعه ما^٢ ينفي عن المتقاعد العلل، فقال:
(وانا لجميع) أى أنا وأنتم جماعة واحدة مجتمعون بإيالة الملك على
قلب واحد.

ولما أشار بهذا الخبر إلى ضد^٣ ما عليه بنو إسرائيل مع قتلهم لما
هو سبب للجرأة عليهم، أخبر بخبر ثان يزيد الجرأة عليهم، وفيه مضادة
لما أشير إليه به قليلون، من الاستضعاف فقال: (احذرون^٤) أى
ونحن - مع إجماع قلوبنا - من شأنا وطبعنا الحذر، فنحن لا نزال
على أهبة القتال، ومقارعة الأبطال، لاعتق لنا عنه بسفر ولا بغيره،
أما من جهتي فبافاضة^٥ الأموال عليكم، وإدرار الأرزاق فيكم^٦، ووضع
١٠ الأشياء في مواضعها في الأرض والرجال، وأما من جهتم فباستعمال
الامانة من طاعة الملك في وضع كل ما يعطيكم في مواضعه من إعداد
السلاح والمراكب والزاد، وجميع ما يحتاج إليه المحارب، مع ما لكم
من^٧ العزة والقوة وشاخة الأنوف وعظم النفوس مع الجرأة والإقدام
والثبات في وقف^٨ الحقائق، المحفوظ بالعقل المحوط بالجزم^٩ المانع من
١٥ اجتراء الأخصام عليكم، ومكرهم لديكم، فانه يحكى أنه [كان -] يتصرف
في خراج مصر بأن يجزئه أربعة أجزاء: أحدها لوزرائه وكتابه وجنده،

(١) من ظ و مد، وفي الأصل: العليل (٢) في ظ: بما (٣) في ظ: حذر.
(٤) من ظ و مد، وفي الأصل: فباضافة (٥) في ظ: عليكم (٦) سقط من
ظ (٧) في ظ: وقت (٨) من ظ و مد، وفي الأصل: بالغزم والحزم.
(٩) زيد من ظ و مد.

و الثاني لحفر الأنهار و عمل الجسور ، و الثالث له و لولده ، و الرابع يفرق في مدن الكور ، فان لحقهم ظمأ^١ أو استبحار أو فساد علة أو موت

عوامل قوام به^٢؛ روى أنه قصد قوم فقالوا: نحتاج [إلى -^٣] أن نحفر

خليجا [لنعم -^٤] ضياعنا ، فأذن في ذلك / و استعمل عليهم عاملا^٥ ٧٢٨/

فاستكثر ما حمل من خراج تلك الناحية إلى بيت المال ، فسأل [عن مبلغ -^٦] هـ

ما أنفقوه على خليجهم ، فاذا هو مائة ألف دينار ، فأمر بحملها إليهم فامتعوا

من قبولها ، فقال : اطرحوها عليهم ، فان الملك إذا استغنى بمال^٧ رعيته افتقر

و افتقروا ، و أن الرعية إذا استغنت بمال ملكهم استغنى و استغنوا .

و لما كان التقدير : فأطاعوا أمره^٨ ، و نفروا على كل صعب ذلول^٩ ،

عطف عليه قوله معلما بما آل إليه أمرهم : ﴿ فاخرجهم ﴾ [أى -^{١٠}] بما ١٠

لنا من القدرة ، إخراجا حثيثا بما لا يسمح أحد بالخروج منه ﴿ من جنت ﴾

أى بساتين يحق لها أن تذكر ﴿ و عيون^{١١} ﴾ لا يحتاج معها إلى نيل و لامطر

﴿ و كنوز ﴾ من الأموال تعرف بمقدار ما هم فيه من النعم الفاضلة عنهم ،

[مع -^{١٢}] ما هم فيه من تمام الاستعداد لمثل هذا المراد ﴿ و مقام ﴾ من

ال منازل ﴿ كرم^{١٣} ﴾ [أى على صفة ترضى الرائي له -^{١٤}] لانه على النهاية ١٥

من الحسن لا يقال فيه : ليه كان كذا ، أو كان فيه كذا .

و لما كان الخروج عن مثل هذا مما يستنكر^{١٥} ، أشار إلى عظمة القدرة

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : امرا طلبا (٢) سقط من ظ و مد (٣) زيد

من ظ و مد (٤) فى ظ : غلاما (٥) تكرر فى الأصل فقط (٦) من ظ و مد ،

و فى الأصل : ذلوا (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : يستلزم .

نظم الدرر (سورة الشعراء ٢٦ : ٥٩ - ٦٣) ج - ١٤

عليه بقوله : ﴿كذلك﴾ أي مثل ذلك الإخراج العجيب الذي أراده
فرعون من قومه في السرعة و كمال الهيبة^١ أخرجناهم^٢ نحن بأن ينرنا له
و لهم ذلك ، و وفرنا لهم الاسباب ، لما اقتضته حكمتنا ، أو مثل ذلك
الخروج الذي قصصناه عليك أخرجناهم^٣ ، أي كان الواقع من خروجهم
مطابقا لما عبرنا به عنه^٤ ، أو الامر الذي قصصناه كله كما قلنا [و -] أولها
أفعدما و أحسنها و أجودما ﴿و اورثناها﴾ أي تلك النعم السرية بمجرد
خروجهم بالقوة و باهلاكهم بالفعل ﴿فبنى إسرائيل﴾ أي جعلناهم
بحيث يرثونها^٥ لانا لم نبق لهم مانعا يمنعهم منها بعد أن كانوا مستعبدين^٦
تحت أيدي أربابها ، و أما لإرثهم لها بالفعل ففيه نظر لقوله في الدخان^٧
١٠ . قوما آخرين .

و لما وصف الإخراج ، وصف أثره فقال مرتبا عليه بالفعل و على
الإيراث بالقوة : ﴿فاتبعهم﴾ أي جعلوا أنفسهم تابعة لهم ﴿مشرقين﴾
أي داخلين في وقت شروق الشمس ، أي طلوعها من صيحة الليلة التي
سار في نصفها^٨ بنو إسرائيل ، و لولا تقدير العزيز العليم بخرق ذلك
١٥ للعادة لم يكن على حكم العادة في أقل من عشرة أيام ، فانه "أمر يعجز"
المملك مثله ، فبالله من حشر ما أسرع^٩ و جهاز ما أوسع^{١٠} و استمروا

(١) في مد : الهبة (٢-٢) سقط ما بين الرقين من ظ (٣) من ظ و مد ، و في
الأصل : عنهم (٤) زيد من ظ و مد (٥) في ظ : يورثونها (٦) في ظ : مستعبدين .
(٧) راجع آية ٢٨ (٨) في ظ : بضعا (٩) من ظ و مد ، و في الأصل : عشر .
(١٠-١٠) من ظ و مد ، و في الأصل : من العجز .

إلى أن لحقوهم عند بحر القلزم كما تقدم في الأعراف شرح ذلك عن التوراة، و تقدم سر تسييرهم في تلك الطريق (فلما ترآه الجمع) أى صاروا بحيث يرى كل منهما الآخر (قال اصحب موسى) ضعفاً وعجزاً استصحباً لما كانوا فيه عديم من الذل، ولأنهم أقل منهم بكثير بحيث يقال: إن طليعة آل فرعون كانت على عدد بنى إسرائيل، وذلك محقق ه لتقليل فرعون لهم، وكأنه عبر عنهم بـ « اصحب » دون « بنى إسرائيل » لأنه كان قد آمن كثير من غيرهم: (انا لمدركون) أى لأنهم قد وصلوا و لا طريق لنا وقد صرنا بين سدين من حديد و ماء، العدو ورامنا و الماء أمامنا (قال) أى موسى عليه الصلاة والسلام وثوقاً

بوعده الله، ناطقاً بمثل ما كلفه به / ربه في أول القصة من قوله: ١٠ / ٧٢٩ (كلا) أى لا يدركونكم أصلاً؛ ثم علل ذلك تسكيناً لهم بقوله: (ان معى ربى) فكانهم قالوا: و ما ذا عساه يفعل وقد وصلوا؟ قال: (سيهدين) أى بوعده مؤكد عن قرب، إلى ما أفعل عما فيه خلاصكم، و تقدم في براءة سر تقديم المعية و خصوصها و التعبير باسم الرب (فأوحينا) أى فتسبب عن كلامه الدال على المراقبة أنا ١٥ أوحينا؛ ونوه باسمه الكريم جزاء له على ثقته [به - ''] سبحانه

(١) من ظ و مد، وفي الأصل: شرع (٢-٢) في ظ: ذلك الطريقة (٣) من ظ و مد، وفي الأصل: كان (٤) في ظ: انهم (٥) في ظ: او (٦) من ظ و مد، وفي الأصل: ونوق (٧-٧) سقط ما بين الرقيين من ظ (٨) من ظ و مد، وفي الأصل: على (٩) في ظ: ما (١٠) من ظ و مد، وفي الأصل: باسم (١١) زيد من ظ و مد.

نظم الدرر (سورة الشعراء ٢٦: ٦٣ - ٦٧) ج - ١٤

قال: ﴿إلى موسى﴾ وفسر الوحى الذى فيه معنى القول بقوله: ﴿إن اضرب بعصاك البحر﴾ أى الذى أمامكم، وهو بحر القلزم الذى يتوصل أهل مصر منه إلى الطور وإلى مكة المشرفة وما والاها ﴿فافلق﴾ أى^١ فضربه فانشق [بسبب ضربه -^٢] لما ضربه امتثالا لأمر الله و صار اثني عشر فرقا على عدد أسباطهم ﴿فكان كل فرق﴾ أى جزء^٣ وقسم عظيم منه ﴿كالطود﴾ أى الجبل فى إشرافه وطوله وصلابته بعدم السيلان ﴿العظيم﴾ المتطاوّل فى السماء الثابت لا يتزلزل، لأن الماء كان منبسطا فى أرض البحر، فلما انفرق [وانكشفت فيه الطرق -^٤] انضم بعضه إلى بعض فاستطال وارتفع فى السماء.

١٠. و لما كان التقدير: فأدخلنا كل شعب منهم فى طريق من تلك الطرق، عطف عليه: ﴿وازلقنا﴾ أى قربنا بعظمتنا من قوم موسى عليه السلام؛ قال البغوى^٥. قال أبو عبيدة: جمعنا، ومنه ليلة المزدلفة، أى ليلة الجمع.

و لما كان هذا الجمع فى غاية العظمة وعلو الرتبة، أشار إلى ذلك ١٥ بأداة البعد فقال: ﴿ثم﴾ أى هنالك، فانها [ظرف -^٦] مكان للبعد ﴿الآخرين﴾ أى فرعون وجنوده ﴿وانجيننا موسى ومن معه﴾ وهم الذين اتبعوه من قومه وغيرهم ﴿اجمعين﴾ أى لم نقدر على أحد (١) وقع فى الأصل قبل «لما ضربه» والترقيب من ظ و مد (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد، وفى الأصل: جنة (٤) راجع معالم التنزيل بهامش الباب ٩٨/٥.

منهم الهلاك .

- ١٠ ولما كان الإغراق بما به الإنجاء - مع كونه أمرا هائلا - عجيا وبعيدا، عبر بأداة البعد فقال^١ : ﴿ ثم اغرقنا ﴾ أى إغراقا هو على حسب عظمتنا ﴿ الآخرين ﴾ أى فرعون وقومه أجمعين، لم يفلت منهم أحد^٢ .
- ٥ ولما قام عذر موسى عليه السلام فيما استدفعه أول القصة من كيد فرعون بما ثبت له من العظمة والمكنة في كثرة الجند وعظيم الطاعة منهم له في سرعة الاجتماع الدالة على مكنتهم في أنفسهم، وعظمته في قلوبهم، رغبة ورهبة، وظهر مجد الله في تحقيق ما وعد به سبحانه من الحراسة، وزاد ما أقربه العيون، وشرح به الصدور، وكان ذلك أمرا يهز^٣ القوى سماعه، ويروع الاسماع^٤، تصوره وذكره، قال منها ١٠
- على ذلك : ﴿ ان في ذلك ﴾ أى الامر العظيم العالى الرتبة من قصة موسى وفرعون وما فيها من العظات ﴿ لآية ﴾ أى علامة عظيمة على ما قال الرسول موجبة للإيمان به من^٥ أن الصانع واحد فاعل بالاختيار، قادر على كل شيء، وأنه رسوله حقا ﴿ وما كان أكثرهم ﴾ أى الذين شاهدوها والذين وعظوا^٦ بسماعها ﴿ مؤمنين ﴾ أى متصفين بالإيمان الثابت، ١٥
- أما القبط فما آمن منهم إلا السحرة ومؤمن آل فرعون وامرأة فرعون
-
- (١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ ومد (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ومد ، وفي الأصل : نهز (٤) من ظ ومد ، وفي الأصل : الانهام (٥) من ظ ومد ، وفي الأصل : في (٦-٦) في ظ : الذى شاهدوه و الذى غطوا - كذا .

و المرأة التي دلتهم على عظام يوسف عليه السلام - ' على ما يقال ' ، و أما
 ١٧٣٠ / بنو إسرائيل فكان كثير منهم / مزاولا بتغنت كل قليل ، و يقول و يفعل
 ما هو كفر ، حتى تداركهم ^٢ الله تعالى على يدي موسى عليه السلام
 و من بعده ، و أول ما كان من ذلك سؤالهم إثر مجاززة البحر أن
 ه يجعل لهم ^٣ إلها كالاصنام التي مروا عليها ، و أما غيرهم ممن تأخر عنهم
 فخلفهم معروف ، و أمرهم مشاهد مكشوف (و ان ربك) أي المحسن
 إليك بأعلاء أمرك ، و استنقاذ الناس من ظلام الجهل على يدك
 (لهُ العزیز) أي القادر على الانتقام من كل فاجر (الرحيم)
 أي الفاعل فعل البليغ الرحمة ، فهو يمهل و يدر النعم ، و يحوط من النقم ،
 ١٠ و لا يهمل ، بل يرسل رسلا ، و ينزل معهم ما يبين به ما يرضيه و ما
 يسخطه ، فلا يهلك إلا بعد الإعذار ، فلا تستوحش ^٥ ممن لم يؤمن ،
 و لا يهمنك ذلك .

و لما آثم سبحانه ما أراد من قصة موسى عليه السلام ، أتبعه دلالة على
 رحيميته قصة إبراهيم عليه السلام لما تقدم أنه ^٦ شاركه فيه بما يسلي عما وقع
 ١٥ ذكره عنهم من التعتات ^٧ في الفرقان ^٨ ، و لما اختص به من مقارعة أبيه
 و قومه في الآوثان ، و هو أعظم آباء العرب ، ليكون ذلك حاملا لهم

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ و مد (٢) في مد : يتداركهم (٣) سقط من
 ظ و مد (٤) في ظ : الذي (٥) من ظ و مد ، و في الأصل : فلا يستوحش .
 (٦) سقط من ظ (٧) في ظ : النفشات (٨) من ظ و مد ،
 و في الأصل : القرآن .

على تقليده في التوحيد إن كانوا لا ينفكون عن التقليد، و زاجرا عن
استعظام تسفيه آباؤهم في عبادتها، و تعبيره سبحانه^١ للسياق قبل و بعد،
و تعبيره بقوله - : ﴿ و اتل ﴾ أى اقرأ قراءة متتابعة - مرجح^٢ للتقدير
الاول في " و اذ^٣ " من جعله ' اذكر ' و تغييره^٤ في التعبير بها لسياق
ما تقدم و ما تأخر لتنيه العرب على اتباعه لما لهم به من الخصوصية^٥
﴿ عليهم ﴾ أى على هؤلاء المغتربين بالاثوئان ، المنكرين لرسالة البشر
﴿ نبا ابراهيم^٦ ﴾ أى خبره العظيم في مثل ذلك ﴿ اذ ﴾ أى حين
﴿ قال لايه و قومه ﴾ منها لهم على صلاحهم ، لا مستعلما^٧ لانه كان عالما
بحقيقة حالهم : ﴿ ما ﴾ [أى - ^٨ أى شئ] و صور لهم حالهم
تنديها لهم على قباحتها فعبّر بالمضارع فقال - ^٩ [: ﴿ تعبدون^{١٠} ﴾ أى ١٠
تواظبون على عبادته ﴾ قالوا ﴾ منتهجين^{١١} بسؤاله ، مظهرين الافتخار^{١٢} في
جوابهم باطالة الكلام : ﴿ نعبدا اصناما فنظل ﴾ أى فيتسبب عن عبادتنا
لها أنا نوفي حق العبادة بأن ندوم ﴿ لها عكفين^{١٣} ﴾ أى مطيفين بها على
سبيل المواظبة متراكين بعضنا^{١٤} خلف بعض حاسبين^{١٥} أنفسنا تعظيما

- (١) سقط من ظ (٢) في ظ : رجع (٣) في ظ : اذا (٤) من ظ و مد ، وفي
الأصل : تعبيره (٥) من مد ، وفي الأصل وظ : مستعملا (٦) زيد من مد .
(٧) زيد من ظ و مد (٨) من ظ ، وفي الأصل : منتهجين ، وفي مد :
منتهجين - كذا (٩) من ظ و مد ، وفي الأصل : للاختار (١٠) من ظ
و مد ، وفي الأصل : بعضهم (١١) من ظ و مد ، وفي الأصل : خاسين .

لها، فخرجوا على منوال مؤلاء في [داء - ١] التقليد الناشق عن الجهل
 بنفس العباد [و - ١] بظنهم مع ذلك أنهم على طائل كبير، وأمر
 عظيم، ظفروا به، مع غفلة الخلق عنه - كما دل عليه خطابهم^٢ في هذا
 الكلام الذي كان يغنى عنه كلمة واحدة، وهذا [هو - ٢] الذي أوجب
 تفسير الظلول بمطلق الدوام وإن كان معناه الدوام بقيد النهار، وكأنهم
 قصدوا بما يدل على النهار - الذي هو موضع الاشتغال و السهرة^٣ - الدلالة
 على الليل من باب الأولى، مع شيوع استعماله أيضا مطلقا نحو "فلت
 اعناقهم لها خاضعين"، [وزاد قوم إبراهيم عليه السلام أن استمروا
 على ضلالهم وأبوه معهم فكانوا حطب النار، ولم يتمكن من إقادهم من
 ذلك، ولم تكن لهم حيلة إلا دعاؤهم، فهو أجدر بشديد الحزن ويخج
 نفسه عليهم وهو موضع التسلية - ١] .

ولما فهم عنهم هذه الرغبة، أخذ يزهدم فيها بطريق الاستفهام
 الذي لا أنصف منه عن أوصاف يلجئهم السؤال إلى الاعتراف بسلبها^٤
 عنهم، مع علم كل عاقل إذا تعقل أنه لا تصح رتبة الإلهية مع فقد
 واحدة منها، فكيف مع فقدھا كلها؟ فقال تعالى / مخبرا عنه: (قال)
 معبرا عنها إصافا بما^٥ يعبر به عن العقلاء لتزليلهم إياها منزلتهم:

(١) زيد من ظ ومد (٢) من ظ ومد، وفي الأصل: خطابتهم - كذا .
 (٣) في ظ ومد: الشهرة (٤) من مد، وفي الأصل وظ: الدانة (٥) من ظ
 ومد، وفي الأصل: سلبها (٦) من ظ ومد، وفي الأصل: لا .

(هل يسمعونكم) أى دعاءكم مجرد سماع؛ ثم صور لهم حالهم ليمنعوا^١ الفكر فيه، فقال معبرا بظرف ماض وفعل مضارع تنديها على استحضار جميع^٢ الزمان ليكون ذلك أبلغ في التبكيت: (اذ تدعون^٣) أى استحضروا أحوالكم معهم من أول عبادتكم لهم وإلى الآن: هل سمعكم وقتا ما؟ ليكون ذلك مرجيا^٤ لكم لحصول نفع منهم في وقت ما.

و لما كان الإنسان قد يعكف على الشيء - وهو غير سامع - لكن لنفعه له في نفسه أو ضره لعدوه كالتار مثلا، وكان محط حال العابد والداعي بالقصد الأول وبالذات تجلب النفع، قال: (أو ينفعونكم) أى على العبادة^٥ كما ينفع أقل شيء تقتنونه (أو يضرون^٦) - إلى الترك (قالوا): لا والله ليس عندهم شيء من ذلك (بل وجدنا آباءنا كذلك)^٧ ١٠ أى مثل فعلنا هذا^٨ العالى الشأن؛ ثم صوروا حالة آباؤهم في قوسهم تعظيما لامرهم فقالوا: (يفعلون^٩) أى فحن فعل كما فعلوا لأنهم حقيقون^{١٠} منا بأن لا نخالفهم، مع سبقهم لنا إلى الوجود، فهم أرصن منا عقولا، وأعظم تجربة، فلو لا أنهم رأوا ذلك حسنا، ما واطبوا عليه،

(١) سقط من ظ و مد (٢) من ظ و مد، وفي الأصل: ليمنعوا - كذا.

(٣) من ظ و مد، وفي الأصل: رجوع (٤) من ظ و مد، وفي الأصل:

موجبا (٥) زيد في الأصل: أى، ولم تكن الزيادة في ظ و مد لحذفها.

(٦) زيد في الأصل: ما، ولم تكن الزيادة في ظ و مد لحذفها (٧) زيد في

الأصل: الفعل، ولم تكن الزيادة في ظ و مد لحذفها (٨) من ظ و مد،

وفي الأصل: حقيقون.

[هذا - ١] مع أنهم لو سلكوا طريقا حسية^١ حصل لهم منها ضرر حسي^٢ ما سلكوها قط ، ولكن^٣ هذا الدين^٤ يهون على الناس فيه التقليد بالباطل قديما وحديثا .

ولا وصلوا إلى التقليد^٥ المحض الخالي عن أدنى نظر كما تفعل البهائم والطير في تبعها^٦ لاولها^٧ (قال) معرضا عن جواب كلامهم بنقص ، إشارة إلى أنه ساقط لا يرتضيه من شم^٨ رائحة الرجولية : (افهمتم) أى قسب عن قولكم هذا أنى أقول لكم : رأيتم ، أى إن لم تكونوا رأيتموه^٩ رؤية موجبة لتحقيق أمرهم فانظروهم نظرا شافيا (ما كنتم) أى كونا هو كاجللة لكم (تبدون لا) مواظبين على عبادتهم (انتم) .

ولا أجابوه بالتقليد ، قال لهم^{١٠} ما معناه ، رفقوا تقليدكم هذا إلى أقصى غاياته ، فإن التقدم والاولوية لا تكون برهانا على الصحة ، والباطل لا ينقلب حقا بالتقدم ، وذلك مراده من^{١١} قوله : (و اباؤكم الاقدمون ربه) أى الذين هم أقدم ما يكونون : هل لهم وصف غير ما أقررتم به

(١) زيد من ظ ومد (٢) في ظ : حسنة (٣) من ظ ومد ، وفي الأصل : حتى .
(٤ - ٤) من ظ ومد ، وفي الأصل : هكذا الذى (٥) من ظ ومد ، وفي الأصل : النقلة (٦) من ظ ومد ، وفي الأصل : نظرها اتبعها - كذا (٧) من ظ ومد ، وفي الأصل : ثم (٨) من ظ ومد ، وفي الأصل : راجعوه (٩) زيد في الأصل : كلا ، ولم تكن الزيادة في ظ ومد لحذفها (١٠) من ظ ومد ، وفي الأصل : في (١١) زبدت الواو في الأصل ، ولم تكن في ظ ومد لحذفها .

من عدم السماع و النفع و الضر ؟ (فانهم) أى قسب عن رؤيتكم
و وصفكم لهم بما ذكرتم أنى أخبركم إخباراً مؤكداً أنهم .

ولما كانت صيغة 'فعل للبالغة، أغنت 'فى العدو' و الصديق عن

صيغة الجمع و لا سيما و هى شبيهة بالمصادر كالقبول و الصهيل ، قال مجبرا

عن ضمير الجمع : (عدو لى) أى أناصفهم بالسوء و أعاملهم فى إبطالهم

و محققهم معاملة الأعداء و كل من عديم كما قال فى الآية الأخرى

"لقد كنتم أنتم و أهلؤكم فى ضلل مبين" ، " أف لكم و لما تعبدون من

دون الله " و " تالله لا كيدن أصنامكم " .

ولما كانوا هم مشركين^١ ، و كان فى آباتهم الأقدمين من عبد الله

وحده . قال : (الارب العلين) أى مدبر هذه الأكوان كلها ١٠

- كما قال موسى عليه السلام - لأن ذلك أشهر الأوصاف و أظهرها ،

فانه ليس بعدوى ، بل هو ولى و معبودى ؛ ثم شرع يصفه بما [م - ٩]

به / عالمون من أنه على الضد الأقصى من كل ما عليه أصنامهم فقال : ٧٣٢ /

(الذى) و لما لم يكن أحد يدعى الخلق لم يحتج إلى ما يبدل على

الاختصاص فقال : (خلقى) أى أوجدنى على هيئة التقدير و التصوير ١٥

(١) فى ظ : صفة (٢ - ٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : التصرف (٣) من ظ

و مد ، وفى الأصل : شبهته (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : أعاصيهم (٥) من ظ

و مد ، وفى الأصل : أعاطيهم (٦) راجع من سورة الأنبياء آية ٤٤ و ٦٧

و ٧٥ (٧) فى ظ : كانت (٨) من مد ، وفى الأصل : مشتركين ، وفى ظ :

مشركون (٩) زيد من ظ و مد .

نظم الدرر (سورة الشعراء: ٢٦ - ٧٨ - ٨٢) ج - ١٤

(فهو) أى قسب عن تفرد به بخلق^١ أنه هو لا غيره (يهدين^٢) أى^٣
إلى الرشاد، ولأنه لا يعلم باطن المخلوق و يقدر على كمال التصرف فيه
غير خالقه، [ولا يكون خالقه إلا سمياً بصيراً ضاراً نافعا، له الكمال كله،
ولا شك أن الخلق للجسد، والهداية للروح، وبالخلق والهداية يحصل
٥ جميع المنافع، والإنسان له قلب من عالم الخلق، وقلب^٤ من عالم الأمر،
وتركيب القلب مقدم -^٥] كما ظهر بهذه الآية، [وقوله "فاذا سويته
ونفخت فيه من روحي" وأمثال ذلك، وذكر الخلق بالماضى لأنه
لا يتجدد فى الدنيا، والهداية بالمضارع لتجدها وتكررها دينا ودنيا -^٦
(والذى هو) أى لا غيره (يطعمنى ويسقنى^٧) ولو أراد لأعدم
١٠ ما آكل وما أشرب^٨ أو أصابنى بأفة لا أستطيع معها أكل ولا شربا .
ولما كان المرض ضررا، نزهه عن نسبه إليه أدبا وإن كانت
نسبة الكل إليه سبحانه معلومة، بقوله: (وإذا مرضت) باستيلاء
بعض الأخلاط على بعض لما بينها^٩ من التنافر الطبيعى (فهو) أى وحده
(يشفين^{١٠} لره) بسبب تعديل المزاج بتعديل^{١١} الأخلاط وقصرها على
١٥ الاجتماع والاعتدال، لا طيب^{١٢} ولا غيره وإن تسببت أنا فى أمراض
نفسى يبرد أو حر أو طعام أتناوله أو غير ذلك لأنه قادر على ما يريد .

(١) فى ظ و مد : بخلقه (٢) سقط من ظ (٣) من ظ، وفى الأصل و مد : قلب .
(٤) زيد ما بين الحاذرين من ظ و مد (٥) فى ظ : شرب (٦) من مد، وفى
الأصل و ظ : بينها (٧) من ظ و مد، وفى الأصل : تسبب عن تعديل .
(٨) من ظ و مد، وفى الأصل : طيب .

ولما كان الإنسان مطبوعاً على الاجتهاد في حفظ حياته وبقاء مهجته،
نسب^١ فعل الموت إليه إعظاماً^٢ للقدرة فقال: ﴿والذي يميتني﴾ أى
حساً وإن اجتهدت في دفع الموت، أو معنى وإن اجتهدت في دفع الجهل^٣.
ولما كان الإحياء حساً بالروح ومعنى بالهداية عظيماً، أتى بأداة
الترأخي لذلك ولطول المكث في البرزخ فقال: ﴿ثم يحييني﴾ للجازاة هـ
في الآخرة كما شفائي من^٤ المرض وإن وصلت إلى حد لا أرجى فيه،
ولم^٥ يأت هنا بما يدل على الحصر لأنه [لا - لا^٦] مدعى للإحياء والإماتة
إلا^٧ ما ذكره سبحانه عن نمرود في سورة البقرة^٨، وأن إبراهيم عليه
السلام أبهته ببيان عجزه في إظهار صورة من مكان^٩ من الأمكنة بلا شرط
من روح ولا غيرها، وإذا عجز عن ذلك كان عجزه عن إيجاد صورة ١٠
أبين، فكيف إذا انضم إلى ذلك إفادتها روحاً أو سلبها منها، فعد ادعاؤه
لذلك - مع القاطع المحسوس الذي أبهته^{١١} - عدماً، والله أعلم.

ولما ذكر البعث، ذكر ما يترتب عليه فقال: ﴿والذي اطمع﴾
هضاً لنفسه^{١٢} واطراحاً لأعماله وإشارة إلى أنها بالنسبة إلى الحضرة
الاعظمية غير قادرة لما حق قدرها، فان الطمع كما قال الحرالي في البقرة ١٥

- (١) من ظ ومد، وفي الأصل: نسب (٢) من ظ ومد، وفي الأصل: اعظا.
(٣-٢) ما بين الرقين بياض في الأصل، ملأناه من ظ ومد (٤) في ظ: في.
(٥) في ظ: لما (٦) زيد من ظ ومد (٧) في ظ: ان (٨) آية ٢٥٨ (٩) من ظ
ومد، وفي الأصل: المكان (١٠) زيد في الأصل: وبهت غيره، ولم تكن
الزيادة في ظ ومد لحذفها (١١) في ظ: الى نفسه.

'تعلق البال' بالشئ من غير تقدم سبب - انتهى . فذلك لم يعدله عملاً (ان يغفر) أى يمحو ويستتر .

و لما كان الله سبحانه منزها عن الغرض ، فكانت المغفرة لحظ العبد ليس غير ، قال : (لى) [و أسند الخطيئة إليه هضمًا لنفسه و تواضعًا]
 ه [لربه فقال -^٢]: (خطيئتي) أى تقصيرى عن أن أقدره حق قدره ،
 فان الضعيف العاجز لا يبلغ كل ما ينبغي من خدمة العلى الكبير ، و ما فعله فهو باقداره سبحانه فلا صنع له فى الحقيقة أصلاً (يوم الدين^٣)
 أى^٢ / الجزء .

/ ٧٣٣

و لما أتى [على -^٢] الله تعالى بما [هو -^٢] أهله ، و ختم بذكر
 ١٠ هذا اليوم العظيم ، دعا بما ينجى من هوله ، فدل صنيعه على أن تقديم
 الشاء على السؤال أمر مهم ، و له فى الإجابة أثر عظيم ، فقال ملتفتاً إلى
 مقام المشاهدة إشارة* إلى أن الأمر مهول ، و أنه لا ينقذ من خطره
 إلا عظيم القدرة ، لما طبعت عليه النفس من القائص : (رب) أى^٦
 [أياها -^٢] المحسن إلى (هب لى حكماً) أى عملاً متقناً بالعلم ، و أصله
 ١٥ بناء الشئ على ما توجه الحكمة . و لما كان الاعتماد إنما هو على محض
 الكرم ، فان من نوقش الحساب عذب ، قال : (و الحقنى بالصالحين لا)
 أى الذين جعلتهم أئمة للتقين فى الدنيا و الآخرة ، و هم من كان قوله

(١-١) من ظ و مد ، وفى الأصل : فعلق الباب (٢) زيد من ظ و مد (٣) زيد
 فى الأصل : يوم الدين يوم ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد لحذفها (٤) فى ظ :
 الرسول - كذا (ه) فى ظ : فاشار (٦) سقط من ظ .

و فعله صافيا^١ عن شوب فساد .

ولما كان الصالح قد لا^٢ يظهر عمله ، وكان إظهار^٣ الله له مجلبة للدعاء^٤ ،
و زيادة في الأجر ، قال : ﴿ واجعل لى لسان صدق ﴾ أى ذكرا^٥ جميلا ،
وقبولا عاما ، وثناء حسنا ، بما أظهرت منى من خصال الخير ﴿ فى الآخرين لا ﴾
أى الناس الذين يوجدون بعدى إلى يوم الدين ، لا كون للتقنين إماما ،
فيكون لى مثل أجورهم ، فإن من سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر
من عمل بها إلى يوم القيامة ، وقد كان ذلك إجابة من الله تعالى لدعائه ،
ومن أعظمه أن^٦ جعله الله شجرة مباركة فرع منها الانبياء الذين أحى بهم
عليهم الصلاة والسلام^٧ ذكره الذى^٨ من أعظمه ما كان على لسان
أعظمهم النبى الأمى صلى الله عليه وسلم من قوله «صل على محمد كما صليت ١٠
على إبراهيم» إلى آخره .

ولما طلب سعادة الدنيا ، وكانت لا نفع لها^٩ إلا باتصالها بسعادة
الآخرة التى هى الجنة ، وكانت الجنة لا تنال إلا بعبته^{١٠} ، لا بشئ من ذلك ،
ولذلك شبه إدخالها بالإرث^{١١} الذى يحصل بغير اكتساب من الوارث
وهو أقوى أسباب الملك ، قال : « ﴿ واجعلنى ﴾ أى مع ذلك كله ١٥

- (١) من ظ ومد ، وفى الأصل : مصافيا (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : اظهر .
(٤) فى ظ : بالدعاء (٥) فى مد : ذكر (٦) من ظ ومد ، وفى الأصل : اى .
(٧-٧) من ظ ومد ، وفى الأصل : كثرة الدين (٨) من ظ ومد ، وفى
الأصل : بها (٩) زيدت الواو فى الأصل ، ولم تكن فى ظ ومد فذقتها .
(١٠) من ظ ومد ، وفى الأصل : بالارض (١١) فى ظ : فقال .

بفضلك ورحمتك (من ورثة جنة النعيم^١).

ولما دعا لنفسه، تى بأحق الخلق^٢ يره فقال: (واغفر لابی) ثم علل دعاءه بقوله: (انه كان) في أيام حياته (من الصالحين^٣) والظاهر أن هذا كان قبل معرفته بتأييد شقائه^٤، ولذلك قال: (ولا تخزنى) أى تنهى بموته على ما يوجب دخوله النار^٥ ولا بغير ذلك (يوم يمشون^٦) أى هؤلاء المنكرون للبعث، وكأن هذا الدعاء كان بمحذورهم في الإنكار عليهم في عبادة الأصنام، والظاهر أن تخصيص الدعاء بأبيه لأن أمه كانت آمنت كما ورد عن ١٠٠٠ فقد صح أنه يقول يوم القيامة: يا رب اإنك^٧ وعدتني ألا تخزنى، أى خزى^٨ أخزى من أبى ١٠. الأبعد، فيدل الله صورة أبيه صورة ذبح ثم يلقي به في النار - كما رواه البخارى في غير موضع^٩ عن أبى هريرة رضى الله عنه، وأن الله تعالى يقول له: إني حرمت الجنة على الكافرين. ولو كانت أمه كافرة لسأله^{١٠} فيها.

ولما / نبه على أن المقصود هو الآخرة، صرح بالتزهد في الدنيا / ٧٣٤

١٥ بتحفير^١ أجل ما فيها فقال: (يوم لا ينفع) أى أحدا (مال) أى

(١) من ظ و مد، وفي الأصل: الحق (٢) من ظ و مد، وفي الأصل: شقاوته (٣) في ظ: للنار (٤) بياض في الأصول يساوى عشر كلمات (٥) في ظ و مد: قد (٦) من ظ و مد، وفي الأصل: تخزى - كذا (٧) راجع مثلا باب قول الله عز وجل "واتخذ الله إبراهيم خليلا" من كتاب الأنبياء (٨) من ظ و مد، وفي الأصل: لسأل (٩) من ظ و مد، وفي الأصل: تحفير.

يفتدى [به - '] أو يذله لشافع أو ناصر مقاهر (ولا بنون^١)
 يتصر بهم أو يعتضد فكيف بغيرهم (إلا من أتى الله) أى الملك الأعظم
 الذى له الغنى المطلق فى هذا الوطن (بقلب سليم^٢) أى عن مرض
 غيره عن الفطرة الأولى^٣ التى فطره^٤ الله عليها ، وهى الإسلام الذى
 رأسه التوحيد ، والاستقامة على فعل الخير ، وحفظ طريق السنة كما
 نتج البهيمة بهيمة جمعاء ليس فيها من جدعاء فان " المال و البنون " ^٥
 ينفعانه بما تصرف^٦ فيها من خير ،^٧ والاستثناء^٨ مفرغ ، والظاهر أن
 قوله - (وازلفت) أى قربت بأيسر [وجه - '] - حال من واد
 " يعثون " (الجنة للتقين^٩) وعرف أهل الموقف أنها لهم خاصة تعجيلا
 لسرورهم وزيادة فى شرفهم (وبرزت) أى كشفت كشفا عظيما سهلا
 (الجحيم) أى النار الشديدة التأجج ، وأصلها نار عظيمة فى مهواة بعضها
 فوق بعض (للغوين^{١٠}) أى الضالين الهالكين بحيث عرف أهل الموقف
 أنها لهم (وقيل لهم) تبكيئا وتنديما وتويخا ، وأبهم القائل ليصلح
 لكل أحد ، تحقيرا لهم ، ولأن المنكى^{١١} نفس القول لا كونه من معين :
 (اينما كنتم) بتسلك^{١٢} الأخلاق التى هى كالجلبات^{١٣} (تعبدون^{١٤}) أى ١٥

(١) زيد من ظ و مد (٢) من مد ، وفى الأصل وظ : أى (٣) موضعه نقاط
 فى ظ (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : فطر (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل :
 يصرف (٦-٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : فالاستثناء (٧) من ظ و مد ،
 وفى الأصل : بتلك (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : كالجلهات - كذا .

نظم الدرر (سورة الشعراء: ٢٦-٩٢ - ١٠١) ج - ١٤

في الدنيا على سبيل التجديد والاستمرار .^١ وحرر معبوداتهم بقوله :
(من دون) [أى من أدنى رتبة من رتب -^٢] (الله^٣) أى الملك
الذى لا كفوء له ، وكنتم تزعمون أنهم يشفعون لكم ويقونكم شر هذا
اليوم (هل ينصرونكم) فيمنعون عنكم ما برز لكم (أو ينصرون^٤)
أى هم بالدفع عن أنفسهم .

ولما تسبب عن هذا التبريز والقول إظهار قدرته تعالى [و-^٥]
عجزهم بقضهم فيها قال : (فككبوا) أى الأصنام ونحوها ، قلبوا وصرخوا
ورموا ، قلبا عظيما مكررا سريعا [من كل من أمره الله بقلبيهم -^٦]
بعد هذا السؤال ، إظهارا لعجزهم بالفعل حتى عن الجواب قبل الجواب
١٠ (فيها) أى فى مهواة^٧ الجحيم قلبا عنيفا مضاعفا كثيرا بعضهم فى أثر
بعض (م) أى الأصنام وما شابهها^٨ مما عبد من الشياطين ونحوهم
(والفأون^٩) أى الذى ضلوا بهم (وجنود ابليس) من شياطين الإنس
والجن (اجمعون^{١٠}) .

ولما علم بهذا أنهم لم يتمكنوا من قول فى جواب استفهامهم
١٥ توبيخا ، وكان من المعلوم أن الإنسان مطبوع على أن يقول فى كل شيء
ينوبه ما يثيره له إدراكه مما يرى أنه يرد من غلته ، وينفع من علته ،
تشوف السامع [إلى معرفة -^{١١}] قولهم بعد الكلبة ، فأشير إلى ذلك

(١-١) ما بين الرقيين باض فى الأصل ، ملأناه من ظ ومد (٢) زيد من ظ ومد .
(٣) من ظ ومد ، وفى الأصل : سهوات (٤) من ظ ومد ، وفى الأصل :
شاهبا - كذا .

بقوله : ﴿ قالوا ﴾ أى العبدۃ ﴿ و هم فيها ﴾ أى الجحيم ﴿ يختصمون لا ﴾
 أى مع 'المعبودات : ﴿ تالله ﴾ أى الذى له جميع الكمال ﴿ ان كنا لفي ضلل مبينۃ ﴾
 أى ظاهرا جدا لمن كان له قلب ﴿ اذ ﴾ أى حين ﴿ نسويكم ﴾ فى '
 الرتبة ﴿ رب العلينۃ ﴾ أى الذين فطرم و دبرهم حتى عبدناكم
 ﴿ و ما اضلنا ﴾ أى ذلك الضلال المبين عن الطريق البين ﴿ الا المجرمونۃ ۝

٧٣٥ / / أى المريقون فى صفة الإجرام ، المقتضى لقطع كل ما ينبغى أن يوصل
 ﴿ فإ ﴾ أى قسب عن ذلك أنه ما ﴿ لنا ﴾ اليوم ؛ و زادوا فى تعميم
 التنى بزيادة الجار فقالوا : ﴿ من شافعين لا ﴾ يكونون سببا لإدخالنا الجنة ،
 لأننا صرفنا ما كان يجب علينا لذى الأمر إلى من لا أمر له ؛ ولعله
 لم يفرد الشافع لأنهم دخلوا فى الشفاعة العظمى .

١٠ . و لما كان الصديق قد لا يكون أهلا لأن يشفع ، قالوا تأسفا
 على أقل ما يمكن : ﴿ و لا صديق ﴾ أى يصدق فى ودنا ليفعل ما ينفعنا .
 و لما كان أصدق الصداقة ما كان من ' القريب قال : ﴿ حميمۃ ﴾ أى
 قريب ، و أصله المصافى الذى يحرقه ما يحرقك ، لأننا قاطعنا بذلك كل
 من له أمر فى هذا اليوم ؛ و أفرد تعميما للتنى وإشارة إلى قلته فى ١٥
 حد ذاته أو عدمه .

(١) سقط من ظ (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : أى (٣) من ظ و مد ،
 وفى الأصل : الذى (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : تلك (٥) سقط من ظ
 و مد (٦) من مد ، وفى الأصل و ظ : الذى (٧) من ظ و مد ، وفى الأصل :
 ينفع (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : فى (٩) فى ظ : الصافى .

نظم الدرر (سورة الشعراء ٢٦: ١٠٢ - ١٠٦) ج - ١٤

ولما وقعوا في هذا الهلاك، واتقى عنهم الخلاص، تسبب عنه
تمنيهم المحال فقالوا: ﴿فلو ان لنا كرة﴾ أى رجعة إلى الدنيا
﴿فكون من المؤمنين﴾ أى الذين صار الإيمان لهم وصفا لا زما،
فأزلت لهم الجنة.

ولما كان في هذه القصة أعظم زاجر^١ عن الشرك، وأمر بالإيمان،
نبه على ذلك بقوله: ﴿ان في ذلك﴾ أى هذا الأمر العظيم الذى قصصه
من قول إبراهيم عليه السلام في إقامة البرهان على إبطال الأوثان، ونصب
الدليل على أنه لا حق إلا الملك^٢ الجليل الديان، وترغيه وترهيه
وإرشاده^٣ إلى التزود في أيام المهلة^٤ ﴿لأية^٥﴾ أى عظمة على بطلان
الباطل وحقوق الحق ﴿وما﴾ أى والحال أنه ما ﴿كان أكثرهم﴾
أى الذين شهدوا منه هذا الأمر العظيم والذين سمعوه عنه ﴿مؤمنين﴾
أى بحيث صار الإيمان صفة لهم ثابتة، وفي ذلك أعظم تسلية للنبي
صلى الله عليه وسلم بأعظم آياته عليهم الصلاة والسلام ﴿وان ربك﴾
أى المحسن إليك بارسالك وهداية الأمة بك^٦ ﴿لهو العزيز﴾ أى القادر
على إيقاع النعمة بكل من خالفه حين يخالفه ﴿الرحيم﴾ أى الفاعل
فعل الراحم في إمهاله العصاة مع إدرار النعم، ودفع النقم، وإرسال
الرسل، ونصب الشرائع، لبيان ما يرضاه ليتبع، وما يسخطه ليتجنب،
(١) من ظ و مد، وفي الأصل: زاجرا (٢) في ظ: لالك (٣) زیدت انواو
بعده في الأصل، ولم تكن في ظ و مد فحذفناها (٤ - ٥) من ظ و مد، وفي
الأصل: الايام المهلة (٥) سقط من ظ.

فلا يهلك إلا بعد إقامة الحجة بإيضاح المحجة .

و لما أتم سبحانه قصة الأب الأعظم الأقرب ، أتبعها - دلالة على وصفى العزة و الرحمة - قصة الأب الثانى ، مقدما لها على غيرها ، لما له من القدم فى الزمان ، إعلاما بأن البلاء قديم ، و لأنها أدل على صفى الرحمة و النعمة التى هى أثر العزة بطول الإملاء لهم على طول مدتهم ، ثم تعميم النعمة مع كونهم جميع أهل الارض فقال : ﴿ كذبت ﴾ باثبات التاء اختيارا للتأنيث - و إن كان تذكير القوم أشهر - للتنبيه على أن فعلهم أخس الأفعال ، [أو إلى أنهم مع عتوهم و كثرتهم كانوا عليه سبحانه أهون شيء و أضعفه بحيث جعلهم هباء منثورا و كذا من بعدهم -^٢] ﴿ قوم نوح ﴾ و هم أهل الارض كلهم من الآدميين قبل اختلاف الأمم ١٠ بتفرق اللغات ﴿ المرسلين ﴾ أى بتكذيبهم نوحا عليه السلام ، لأنه أقام الدليل على نبوته بالمعجزة ، و من كذب بمعجزة^٣ / واحدة فقد كذب بجميع المعجزات لتساوى أقدامها فى الدلالة على صدق الرسول ، و قد سئل الحسن البصرى رحمه الله تعالى عن ذلك فقال : من كذب واحدا من الرسل فقد كذب الكل لأن الآخر جاء بما جاء به الأول - حكاه ١٥ عنه البغوى^٤ . و لقصد التسلية عبر بالتكذيب فى كل قصة ﴿ اذ ﴾ أى حين ﴿ قال لهم ﴾ لم يتأنوا بطلب دليل ، و لا ابتغاء وجه جميل ؛ و أشار إلى نسبه^٥ فيهم بقوله : ﴿ اخوهم ﴾ زيادة فى تسلية هذا النبى الكريم

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : فى (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى ظ : معجزة .

(٤) راجع المعالم على هامش الباب ١٠٠/٥ (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : نسبة .

نظم الدرر (سورة الشعراء ٢٦: ١٠٦ - ١١١) ج - ١٤

(نوح) و أشار إلى حسن أدبه، و استجلاهم برقه و لينه، بقوله :
 (الأتقون ٤) أى ' تكون لكم تقوى، و هى ' خوف يحملكم على أن
 تعملوا [ينكم - ٢] و بين بخطه وقاية بطاعته بالتوحيد و ترك الالتفات
 إلى غيره ؛ ثم علل أهليته للأمر عليهم بقوله : (انى لكم) [أى - ٢]
 ٥ مع كونى أخاكم يسوءنى ما يسوءكم و يسرنى ما يسركم (رسول)
 أى من عند خالقكم، فلا مندوحة لى عن إبلاغ ما أمرت به (امين لا)
 أى لا غش عندى كما تعلمون ذلك منى على طول خبرتكم بى، و لا خيانة
 فى شيء من الأمانة، فلذلك لا بد لى من 'إبلاغ جميع' الرسالة .

و لما عرض عليهم التقوى بالرفق، و علل ذلك بما ثبت به أمرها،
 ١٠ تسبب عنه الجزم بالأمر ' فقال : (فاتقوا الله) أى أوجدوا الخوف
 و الحذر و التحرز ' من الذى ' اختص بالجلال و الجمال، مبادرين إلى
 ذلك بتوحيده لتحرزوا أصل السعادة فتكونوا من أهل الجنة (واطيعون ٤)
 أى فى كل ما آمركم لتحرزوا ' رتبة الكمال فى ذلك، فلا يمسكم عذاب .
 و لما أثبت أماته^٥، نفى تهمة فقال : (و ما استلکم علیه) أى
 ١٥ على هذا الحال الذى أتيتكم به ؛ و أشار إلى الإعراق فى النفى بقوله :
 (من اجرع) [أى - ٢] ليظن ظان^٦ أنى جعلت الدعاء سبباً له ؛ ثم

(١) زيد فى الأصل : ان ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٢) من ظ
 و مد ، و فى الأصل : هو (٣) زيد من ظ و مد (٤-٤) من ظ و مد ، و فى
 الأصل : جميع بليغ - كذا (٥) سقط من ظ (٦-٦) فى ظ و مد ؛ للذى .
 (٧) فى ظ : لتحوزوا (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : امامته (٩) سقط
 من ظ و مد .

- أكد هذا النفي بقوله : ﴿ ان ﴾ أى ما ﴿ اجرى ﴾ أى فى دعائى لكم ﴿ الا على رب العالمين ﴾ أى الذى دبر جميع الخلائق و رباهم .
- و لما انتفت التهمة ، تسبب عن انتفائها أيضا ما قدمه ، فأعاده إعلاما بالاهتمام بذلك زيادة فى الشفقة عليهم [و تأكيدا له فى قلوبهم تنبيها على أن الأمر فى غاية العظمة لما يعلم من قلوبهم من شدة الجلافة - ١] ه
- فقال : ﴿ فاتقوا الله ﴾ أى الذى حاز جميع صفات العظمة ﴿ و اطيعوه ﴾ .
- و لما قام الدليل على نصحه و أماته ، أجابوا بما ينظر^٢ إلى محض الدنيا كما أجاب من قال من أشرف العرب " ما لهذا الرسول " الآيات ، و قال : لو طردت هؤلاء الضعفاء لرجونا أن تتبعك حتى نزل فى ذلك
- " و لا تطرد الذين يدعون ربهم " و نحوها من الآيات ، بأن ﴿ قالوا ﴾ ١٠
- أى قومه ، منكبرين لاتباعه استنادا^٣ إلى داء الكبر الذى ينشأ منه بطر الحق و غمط الناس - أى احتقارهم : ﴿ اتؤمن لك ﴾ أى لأجل قواك هذا و ما أثبتته من أوصافك ﴿ و ﴾ الحال أنه قد ﴿ اتبعك الارذلون ﴾ أى المؤخرون فى الحال و المآل ، و الأحوال و الأفعال ،
- فيكون إيماننا بك سببا لاستوائنا معهم ، فلو^٤ طردتهم لم يكن لنا ١٥
- عذر فى التخلف عنك ، و لا مانع من اتباعك ، فكان ما متعوا به من العرض الفانى^٥ مانعا لهم عن السعادة الباقية ، و أما الضعفاء فانكسار قلوبهم و خلوها عن شاغل موجب لإقبالها على الخير
-
- (١) زيد من ظ و مد (٢) فى ظ : شطر (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : اسنادا .
- (٤) زبدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (هـ) من ظ و مد ، و فى الأصل : و لو (٦) سقط من ظ .

و قبولها له ، لأن الله تعالى عند المنكسرة قلوبهم ، وهكذا قالت قريش
 في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، 'وما زالت أتباع الرسل كذلك
 حتى صارت / من سماتهم وأماراتهم كما قال هرقل' في سؤاله عن / ٧٣٧
 أتباع النبي صلى الله عليه وسلم ، فكان مثال المستكبرين مثال شخص كان
 ٥ آخر دونه بدرجة ، فأصبح فوقه بدرجة ، فأنف من أن يرتقى إلى درجته
 ثلثا يساريه ، ورضى لنفسه أن يكون دونه ، فما أضعف عقله ! وما أكثر
 جهله ! فلا شيء أبين ، من هذا في أن التقدم* في الأمور الدنيوية داء
 لا دواء له إلا إماتة النفس بالتبرؤ منه والبعد عنه .

ولما كانت الجواهر متساوية في أنها مخلوقات الله ، وإنما تتشرف
 ١٠ بآثارها ، فالأدنى إنما يشرف أو يزدل^٦ بحاله من قاله وفعاله ،
 أشار إلى أنه إنما يعتبر ما^٧ هم عليه الآن من الأحوال الرفيعة ، والأوصاف
 البديعة ، فلذلك ﴿ قال ﴾ نافيًا لعلمه بما قالوه^٨ في صورة استفهام إنكارى :
 ﴿ وما ﴾ أى و أى شيء ﴿ على بما كانوا يعملون ﴾ أى قبل أن
 يتبعونى ، أى وما لى وللبحث عن ذلك ، 'إنما لى' ظاهرهم الآن وهو

(١) العبارة من هنا إلى « عليه وسلم » ساقطة من ظ (٢) راجع من صحيح
 البخارى بابه الأول (٣) من مد ، وفى الأصل وظ : استخف (٤) موضعه
 بياض فى الأصل ، ملأناه من ظ ومد (٥) من ظ ومد ، وفى الأصل : التقديم .
 (٦) من مد ، وفى الأصل : يرذك ، وفى ظ : يزول (٧) من ظ ومد ، وفى
 الأصل : بما (٨) فى ظ ومد : قالوا (٩-٩) فى ظ : اغانى .

خير ظاهر، فهم^١ الأشرفون وإن كانوا أفقر الناس وأخسهم نسياً، فإن
الغنى غنى الدين، والنسب نسب التقوى؛ ثم أكد أنه لا يبحث عن بواطنهم
بقوله: ﴿ان﴾ أى ما ﴿حسابهم﴾ أى فى الماضى والآتى ﴿الاعلى ربى﴾
المحسن إلى باتباعهم لى [لىكون لى - ٢] مثل أجرهم، المخفف غنى أن
يكفى بحسابهم وتعرف بواطنهم، لأنه المختص بضبط جميع الأعمال ه
والحساب عليها^٢ ﴿لو تشعرون﴾ أى لو كان لكم نوع شعور لعلمتم
ذلك فلم تقولوا ما قلتم بما هو دائر على أمور الدنيا فقط، ولا نظره
إلى يوم الحساب .

ولما أفهم قوله رد ما أفهمه قولهم من طردهم، صرح به فى قوله:
﴿وما﴾ أى ولست ﴿انا بطارد المؤمنين﴾ أى الذين صار الإيمان لهم ١٠
وصفا راسخا فلم يرتدوا عنه للطمع فى إيمانكم ولا لغيره من اتباع
شهواتكم؛ ثم علل ذلك بقوله: ﴿ان﴾ أى ما ﴿انا الانذير﴾ أى
محذر، لا وكيل مناقش على البواطن . ولا متعنت على الاتباع ﴿مبين﴾
أوضح ما أرسلت به فلا أدع فيه لبسا .

ولما أيأسهم بما أرادوا من طرد أتباعه لما أوهموا من اتباعه ١٥
لو طردهم خداعا، أقبلوا على التهديد، فاستأنف سبحانه الإخبار عن ذلك
بقوله: ﴿قالوا لئن لم تنته﴾ ثم سموه باسمه جفاء وقلة أدب فقالوا:

- (١) من ظ و مد، وفى الأصل: فيهم الاشراف (٢) زيد من ظ و مد .
(٣) من ظ و مد، وفى الأصل: عليهما (٤) من ظ و مد، وفى الأصل: عن .
(٥) فى ظ: فلا اضع (٦) من ظ و مد، وفى الأصل: اى .

نظم الدرر (سورة الشعراء: ٢٦-١١٦ - ١٢٢) ج - ١٤

﴿يُنوح لتكونن من المرجومين^١﴾ أى المقتولين، ولا ينفعك أتباعك هؤلاء الضعفاء.

ولما أيس منهم^١ بما سمع من المبالغة بالتأكيد في قولهم، و رأى بما يصدق من فعلهم، قال تعالى مخبرا عنه^١ [جوابا لسؤال من يريد تعرف
 ٥ حاله بعد ذلك - ٢]: ﴿قال﴾ شاكيا إلى الله تعالى ما هو أعلم^٢ به منه توطئة للدعاء عليهم وإلهابا إليه وتهيجا، معرضا عن تهديدهم له صبرا واحتسابا، لأنه [من - ٢] لازم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، [واكتفاء عنه بسببه - ٢]: ﴿رب﴾ أى أيها المحسن إلى.
 ولما كان الحال مقتضيا لأن يصدقوه لما له في نفسه [من الأمانة،
 ١٠ وبهم من القرابة، ولما أقام على ما دعاهم إليه من الأدلة مع ما له في نفسه - ٢] من الوضوح، أكد الإخبار بتكذيبهم، إعلاما بوجوده، وبأنه تحققه منهم من غير شك فقال: ﴿ان قومى كذبون^٣﴾ أى فلا نية لهم في اتباعي ﴿فافتح﴾ أى احكم ﴿ببنى وبينهم فتحا﴾ أى حكما يكون لى / فيه فرج، وبه من الضيق مخرج^٤، فأهلك المبطلين وأنجز
 ١٥ حتفهم ﴿ونجنى ومن معى﴾ أى فى الدين ﴿من المؤمنين^٥﴾ بما تعذب به الكافرين.

(١ - ١) وقع ما بين الرقنين في الأصل بعد « المنكر » س ٨ ، و الترتيب من ظ و مد إلا أن « بما سمع » ليس فيها (٢) زيد من ظ و مد (٣) سقط من ظ .
 (٤) في مد : ما (٥) في ظ : الاختيار (٦) من ظ و مد ، وفي الأصل : مخرجا .
 (٧) زيد في الأصل : اى ، ولم تكن الزيادة في ظ و مد لحذفناها .

و لما كان في إهلاكهم وإنجائهم من بديع الصنع ما يحل عن الوصف ،
أبرزه في مظهر العظمة فقال : ﴿ فأنجينه و من معه ﴾ أى بمن لا يخالفه
في الدين على ضعفهم و قلاتهم ﴿ في الفلك ﴾ و لما كانت سلامة المملوء
جدا أغرب قال : ﴿ المشحون ﴾ أى المملوء بمن حمل فيه من الناس
و الطير و سائر الحيوان ، و ما حمل من زادهم و ما يصلحهم . ٥

و لما كان إغراقهم كلهم من الغرائب عظمه بأداة البعد [و مظهر
العظمة - ٢] فقال : ﴿ ثم اغرقنا بعد ﴾ أى بعد حملة الذى هو سبب
إنجائهم ﴿ البقين ﴾ أى من بقى على الأرض و لم يركب معه فى السفينة
على قوتهم و كثرتهم ، [و كان ذلك - ٢] علينا يسيرا .

[و لما - ٢] كان ذلك أمرا باهرا ، عظمه بقوله : ﴿ ان فى ذلك ﴾ ١٠
أى الامر العظيم من الدعاء و الإمهال ثم الإنجاء و الإهلاك ﴿ لأية ﴾
أى عظمة لمن شاهد ذلك أو سمع به ، على أنا ننتقم من عصانا ، و ننجى
من أطاعنا ، و أنه [لا - ٢] أمر لأحد معنا فيهديه إلى الإيمان ، و يحمله
على الاستسلام و الإذعان ﴿ و ما ﴾ أى و الحال أنه ما ﴿ كان أكثرهم ﴾
أى أكثر العالمين بذلك ﴿ مؤمنين ﴾ و قد كان ينبغي لهم إذ فاتهم الإيمان ١٥
لمحض الدليل أن يبادروا إليه و يركبوا معه حين رأوا أوائل العذاب أو بعد
أن ألجمهم الفرق ﴿ و ان ربك ﴾ المحسن إليك بارسالك ، و تكثير أتباعك ،

(١) فى ظ : ما (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : حمل .
(٤) زيد فى الأصل : و لما كان ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فخذفناها .
(٥) فى ظ : فتهديه (٦) فى ظ : نخمله .

نظم الدرر (سورة الشعراء ٢٦: ١٢٢ - ١٢٨) ج - ١٤

و تعظيم أشياعك ﴿ لهو العزيز ﴾ أى القادر بعزته على كل من قسرم
على الطاعة ، وإهلاكهم فى أول أوقات المعصية ﴿ الرحيم ٥ ﴾ أى
الذى 'ينخص من يشاء' من عباده بخالص وداده ٢ ، ويرسل إلى الضالين
عن حجة العقل القويمة الرسل لبيان ما يجب وما يكره ، فلا يهلك إلا بعد
البيان الشافى ، والإبلاغ الوافى .

ولما كان كأنه قيل : إن هذا لأمر هائل ، فى مثله موعظة ،
فما فعل من جاء بعدهم ؟ هل انتظ ؟ أجيب بقوله دلالة على الوصفين معا :
﴿ كذبت عاد ﴾ أى تلك القبيلة التى مكن الله لها فى الأرض بعد قوم
نوح ﴿ المرسلين ١٠ ﴾ بالإعراض عن معجزة هود عليه الصلاة والسلام ؛
١٥ ثم سلى هذا النبى الكريم صلى الله عليه وسلم بقوله : ﴿ اذ ﴾ [أى حين - °]
﴿ قال لهم اخوهم هود ﴾ لم يتوقفوا فى تكذيبه ولم يتأخروا عن وقت
دعائه لتأمل ولا غيره ، وقد عرفوا صدق إخوانه ، وعظيم نصحه ووفائه
﴿ الا ﴾ بصيغة العرض تأديبا معهم وتلطفا بهم ولينا لهم ﴿ تتقون ١١ ﴾ أى
تكون منكم تقوى لربكم الذى خلقكم فتعبدوه وحده ولا تشركوا به ما
١٥ لا يضركم ولا ينفع ؛ ثم علل بقوله : ﴿ انى لكم رسول ﴾ أى فهو الذى
حملنى على أن أقول لكم ذلك ﴿ امين ١٢ ﴾ أى لا أكتم عنكم شيئا مما أمرت
به ولا أخالف شيئا منه ﴿ فاتقوا ﴾ أى فتسبب عن ذلك أنى أقول لكم :
اتقوا ﴿ الله ﴾ الذى هو أعظم ٦ من كل شيء ﴿ واطيعون ١٣ ﴾ أى فى

(١) سقط من ظ (٢-٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : خص من شاء (٣) من
ظ و مد ، وفى الأصل : وداه (٤) فى ظ و مد : عظة (٥) زيد من ظ و مد .
(٦) فى ظ : اعلم .

كل ما أمركم به من دوام تعظيمه (وما) أى أنا رسول داع والحال
أنى ما (استلکم علیہ) أى الدعاء (من اجر^١) فتهمونى به (ان)
أى ما (اجرى الا على رب العالمين) .

ولما فرغ من الدعاء إلى الأصل، وهو الإيمان بالرسول والمرسل،
أتبعه إنكار بعض ما هم عليه مما أرجه الكفر، / وأوجب الاشتغال به هـ / ٧٣٩
الثبات على النقي، واعظا لهم [بما - ^١] كان لمن^٢ قبلهم من الهلاك،
مقدمة على زيادة التأكيد في التقوى والطاعة لأن^٣ حالهم حال الناس
لذلك الطوفان، الذى أهلك^٤ الحيوان، وهدم^٥ البنيان فقال:
(اتبنون بكل ريع) أى مكان مرتفع؛ قال أبو حيان^٦: وقال أبو عبيدة:
الريع^٧ الطريق. وقال مجاهد^٨: الفج بين الجبلين^٩، وقيل: السيل سلك^{١٠}.
أم لم يسلك. وأصله في اللغة الزيادة (اية) أى علامة على شدتكم
لأنه لو كان لهداية أو نحوها لكفى بعض الأرباع دون كلها.

ولما كان إقامة الدليل على قوتهم بمثل ذلك قليل الجدوى عند
التأمل، قال: (تعبثون^{١١}) والعامل ينبغى له^{١٢} أن يصون أوقاته النفيسة

(١) زيد من ظ و مد (٢) زيد في الأصل: كان، ولم تكن الزيادة في ظ
و مد لخصفها (٣) من ظ و مد، وفي الأصل: وان (٤) من ظ و مد، وفي
الأصل: اهل (٥) من ظ و مد، وفي الأصل: هدد (٦) راجع البحر المحيط
٢٩ / ٧ (٧) زيد في ظ و مد: أيضا (٨) راجع روح المعاني ٦ / ٢١٨ (٩) في
ظ و مد: جبلين (١٠) من ظ و مد، وفي الأصل: يسلك (١١) في ظ:
مثل (١٢) سقط من ظ.

نظم الدرر (سورة الشعراء: ٢٦ : ١٢٩ - ١٣٦) ج - ١٤

عن العبث الذي لا يكون سبب نجاته، وكيف يليق ذلك بمن الموت
من ورائه..

ولما كان من يموت لا ينبغي له إنكار الموت بفعل ولا قول قال :
(وتتخذون مصانع) أى أشياء [بأخذ الماء، أو قصورا مشيدة
و حصونا -^١] تصنعونها، هى فى إحكامها بحيث تأكل الدهر قوة وثباتا،
فلا بينها إلا من حاله حال الراجى للخلود، ولذلك قال :
(لعلكم تتخلدون) وهو معنى ما فى البخارى^٢ عن ابن عباس رضى الله
عنها من تفسيرها بكنائكم .

ولما بين أن عملهم عمل من لا يخاف الموت، أتبعه ما يدل على
١٠ أنهم لا يظنون الجزاء فقال : (وإذا بطشتم) [أى -^١] بأحد، أخذتموه
أخذ سطوة فى عقوبة (بطشتم جبارين) أى غير مبالين بشئ من
قتل أو غيره؛ قال البغوى^٣ : والجبار الذى يضرب و يقتل على الغضب .
ولما خوفهم لهذا الإنكار عقاب الجبار، تسبب عنه [أن -^١]
قال : (فاتقوا الله) أى الذى له جميع صفات الجلال والإكرام
١٥ (واطيعون) .

ولما كان إدكار الإحسان موجبا للاذعان، قال مرغبا فى الزيادة
و مرهبا من الحرمان : (واتقوا الذى أمدكم) أى جعل لكم مددا^٤،

(١) زيد من ظ ومد (٢) من ظ ومد، وفى الأصل : هى (٣) راجع كتاب
التفسير ٧٠٣/٢ (٤) فى ظ : بما (٥) راجع معالم التنزيل بهامش الباب ٥/١٠٢ .
(٦-٦) من مد، وفى الأصل و ظ : صفات جميع (٧) فى ظ : مدادا .

وهو اتباع الشيء بما^١ يقويه على الانتظام^٢ (بما تعلون^٣) أى ليس فيه نوع خفاء حتى تعذروا فى الغفلة عن تقييده بالشكر .

ولما أجل ، فصل ليكون أكمل ، قال : (امدكم بانعام) أى تعينكم على الأعمال وتأكلون منها وتبعون^٤ . ولما قدم ما يقيم الأود ، أتبعه قوله : (وبنن^٥) أى يعينونكم^٦ على ما تريدون عند العجز . ثم أتبعه ما يحصل كالعيش فقال : (وجنت) أى بسايتين ملففة الأشجار بحيث تستر داخلها ، وأشار إلى دوام الرى^٧ بقوله : (وعيون^٨) . ولما كانوا فى إعراضهم كأنهم يقولون : ما الذى تبقيه منه ؟ قال : (انى أخاف عليكم) أى لأنكم قومي يسومنى ما يسوءكم - إن تماديتم على المعصية (عذاب يوم عظيم^٩) وتعظيم اليوم أبلغ من تعظيم العذاب . ١٠ (قالوا) راضين بما عندهم من داء الإعجاب ، الموقع فى كل ما عاب : (سواء علينا أوعظت^{١٠}) أى خوفت و حذرت^{١١} وكنت علامة زمانك فى ذلك بأن تقول منه ما لم يقدر أحد على مثله ، دل على ذلك قوله : (ام لم تكن من الواعظين^{١٢}) أى متأهلا لشيء من رتبة الراشخين فى الوعظ ، [معدودا فى عدادهم ، مذكورا فيما بينهم ، فهو أبلغ من أم ١٥ لم تعظ ، أو لم تكن واعظا -^{١٣}] ، والوعظ^{١٤} كما قال البغوى^{١٥} - : كلام

(١) فى مد : ما (٢) فى ظ و مد : انتظام (٣) يياض فى الأصل ، ملائاة من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : تبعون (٥) فى ظ و مد : يعينونكم (٦) فى ظ : الرأى (٧-٧) فى ظ : حذرت و خوفت (٨) زيد من ظ و مد (٩) من ظ و مد ، وفى الأصل : هو (١٠) راجع المعالم بهامش الباب ١٠٢/٥ .

نظم الدرر (سورة الشعراء ٢٦: ١٣٧ - ١٤٥) ج - ١٤

/٧٤٠

يلين القلب / بذكر^١ الوعد و الوعيد . و المعنى أن الأمر مستوي في الحالتين
في أنا^٢ لا نطيعك في شيء ؛ ثم طلبوا ذلك بقولهم : (أن) أى ما
(هذا) أى الذى جئنا به (إلا خلق) بفتح الخاء و إسكان اللام
في قراءة ابن كثير و أبى عمرو و الكسائى^٣ (الأولين^٤) أى كذهم ،
هـ أو ما هذا الذى نحن فيه إلا عادة الأولين في حياة ناس و موت
آخرين ، و عافية قوم و بلاء آخرين ، و عليه تدل قراءة الباقيين بضم
الخاء و اللام (و ما نحن بمعذنين^٥) لأننا أهل قوة و شجاعة و نجدة و براعة .
و لما تضمن هذا التكذيب ، سبب عنه قوله : (فكذبوه) ثم
سبب عنه قوله : (فاهلكنهم^٦) أى بالريح بما لنا من العظمة التى لا تذكر
١٠ عندها عظمتهم ، و القوة التى بها كانت قوتهم (أن في ذلك) أى الإهلاك
في كل قرن للعاصين و الإنجاء للطائعين (لأية^٧) أى عظمة لمن بعدم
على أنه سبحانه فاعل ذلك وحده بسبب أنه يحق الحق و يبطل الباطل ،
و أنه مع أوليائه و من كان معه لا يذل ، و على أعدائه و من كان
عليه لا يعز (و ما كان أكثرهم^٨) أى أكثر من كان بعدم (مؤمنين^٩)
١٥ فلا تحزن أنت على من أعرض عن الإيمان (و ان ربك) أى المحسن
إليك بارسالك و غيره من النعم (لهو العزيز) في انتقامه (الرحيم^{١٠})
في إنعامه و إكرامه و إحسانه ، مع عصيانه و كفرانه ، و إرسال المنذرين
(١) من ظ و مد و المعالم ، و في الأصل : مذكر (٢) في ظ : ان (٣) راجع
نثر المرجان ٤٩ / ٥ (٤) تقدم في الأصل على « بفتح الخاء » و الترتيب من ظ
و مد (٥) في ظ : فوت (٦) سقط من ظ .

و تأييدهم

(١٨)

٧٢

وَتَأْيِيدُهُم بِالآيَاتِ الْمَعْجُزَةِ لِيَانِ الطَّرِيقِ الْآقُومِ ، وَ الْمَنْهَجِ الْأَسْمِ ، فَلَا يَهْلِكُ إِلَّا بَعْدَ الْإِعْذَارِ بِأَبْلَغِ الْإِنْدَارِ ؛ ثُمَّ دَلَّ عَلَى ذَلِكَ لِمَنْ قَدْ يَنْسَى إِذْ كَانَ الْإِنْسَانُ مَجْبُولًا عَلَى النِّسْيَانِ بِقَوْلِهِ : ﴿ كَذَبْتَ ثُمُودَ ﴾ وَ هُمْ أَهْلُ الْحِجْرِ ﴿ الْمُرْسَلِينَ عَلَيْهِ ﴾ وَ أَشَارَ إِلَى زِيَادَةِ التَّسْلِيَةِ بِمُفَاجَأَتِهِمْ بِالتَّكْذِيبِ مِنْ غَيْرِ تَأَمُّلٍ وَ لَا تَوَقُّفٍ بِقَوْلِهِ : ﴿ إِذْ ﴾ أَى حِينَ ﴿ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ ﴾ أَى هَ النَّبِىِّ يَعْرِفُونَ صَدَقَهُ وَ أَمَانَتَهُ ، وَ شَفَقَتَهُ وَ ضِيَاتِهِ ﴿ ضَلَحَ ﴾ وَ أَشَارَ إِلَى تَلَطُّفِهِ بِهِمْ بِقَوْلِهِ عَلَى سَبِيلِ الْعَرَضِ : ﴿ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ ثُمَّ عَلَّلَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ : ﴿ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ ﴾ أَى مِنْ اللَّهِ ، فَلِذَلِكَ عَرَضْتُ عَلَيْكُمْ هَذَا لِأَنِّى مَأْمُورٌ بِذَلِكَ ، وَ إِلَّا لَمْ أَعْرِضْهُ عَلَيْكُمْ ﴿ آمِينَ ﴾ لِأَشْيءٍ مِنَ الْحَيَاةِ عِنْدِى ، بَلْ أَصَحُّ لَكُمْ فِى إِبْلَاغِ جَمِيعِ مَا أُرْسَلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ مِنْ خَالِقِكُمْ ، الَّذِى ١٠ لَا أَحَدٌ أَرْحَمُ بِكُمْ مِنْهُ .

وَلَمَّا قَدَّمَ ذِكْرَ الرِّسَالَةِ فَضَّارَ لَهُ عَذْرٌ فِى الْمُوَاجَهَةِ بِالْأَمْرِ ، سَبَبُ عَنْهُ قَوْلُهُ : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ أَى الْمَلِكُ الْأَعْلَى الَّذِى لَهُ الْغَنَى الْمَطْلُوقُ . وَ لَمَّا ذَكَرَ الْأَمَانَةَ قَالَ ٢ : ﴿ وَاطِيعُونَ ﴾ .

وَلَمَّا أَثْبَتَ مَا يُوْجِبُ الْإِقْبَالَ عَلَيْهِ ، نَقَى مَا يَسْتَلْزِمُ عَادَةَ الْإِدْبَارِ ١٥ عَنْهُ فَقَالَ : ﴿ وَمَا ﴾ أَى إِنِّى [لَكُمْ - ٢] كَذَّاءٌ وَ الْحَالُ أَنِّى مَا ﴿ اسْتَلْكَم عَلَيْهِ ﴾ وَ أَعْرَقَ 'فِى النَّبِىِّ' بِقَوْلِهِ : ﴿ مِنْ أَجْرِ ٣ ﴾ . ٢- ثُمَّ زَادَ فِى تَأْكِيدِ هَذَا

(١) فِى ظ : إِذَا (٢) فِى ظ : قَالَ (٣) زَيْدٌ مِنْ ظ وَ مَد (٤ - ٥) فِى ظ : عَلَيْهِ بِالنَّبِىِّ - كَذَّاءٌ (٥ - ٥) تَقْدِمْ مَا بَيْنَ الرَّقِيقَيْنِ فِى الْأَصْلِ عَلَى 'وَاعْرَقَ' ، وَ التَّرْتِيبُ مِنْ ظ وَ مَد .

النبي بقوله [(ان) أى ما (اجرى) على أحد (الاعلى رب العالمين)]
أى المحسن إليهم أجمعين، منه أطلب أن يعطينى كما أعظم .

ولما ثبتت الامانة، و اتنى موجب الحياة، شرع ينكر عليهم أكل

خيريه و عبادة غيره، فقال مخوفاً لهم من سطواته، و مرغبا / فى المزيد / ٧٤١

من خيراته . منكرأ عليهم إخلادهم إلى شهوة البطن، و استنادهم إلى

الرفاهية و الرضى بالقانى : (اتركون) [أى - ٢] من أيدى النواب

التي لا يقدر عليها إلا الله (فى ما ههنا) أى فى بلادكم هذه من النعم

حال كونكم (أمنين) أى و أنتم تبارزون الملك القهار^١ بالعظام .

ولما كان للتفسير بعد الإجمال شأن . بين ما أجمل بقوله مذكرا لهم

١٠ بنعمة الله ليشكروها : (فى جنت) أى بساتين تستر الداخل فيها و تخفيه

لكثرة أشجارها (و عيون) تسقيها مع ما لها^٢ من البهجة و غير ذلك

من المنافع (و زروع) و أشار إلى عظم النخل و لاسيما ما كان

عندهم بتخصيصها بالذكر بعد دخولها فى الجنات بقوله : (و نخل طلعمها)

أى ما يطلع منها من الثمر ؛ قال الزمخشري^٣ : كنصل السيف فى جوفه

١٥ شماريح القنو ، و القنو اسم للخارج من الجذع كما هو بمرجونه و شماريجه .

(هضم) أى جواد كريم من قولهم : يد هضوم - إذا كانت تجود بما

لديها، و تفسيره^٤ بذلك يجمع أقوال العلماء، و إليه يرجع ما قال أبو عبد الله

(١) من مد، و فى الأصل و ظ : اثبتت (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى ظ

و مد، القاهر (٤) من ظ و مد، و فى الأصل : لهم (٥) من ظ و مد،

و فى الأصل : عظيم (٦) راجع الكشاف ٢ / ١٠٠٤ (٧) فى ظ : تفسيرها .

القزاز معناه أنه قد هضم - أى ضغط - بعضه بعضا لتراكمه^١، فانه لا يكون كذلك إلا^٢ وهو كثير متقارب التضد^٣، لا فرج بينه، ولطيف لين هش طيب الرائحة، من الهضم بالتحريك، وهو يخص البطن ولطف^٤ الكشح؛ و الهاضم وهو ما فيه رخاوة، و الهضم: البخور، و المهضومة: طيب يخلط بالمسك و اللبان؛ قال الرازي في اللوامع: أو يانع نصيج لين^٥ رخو و متهم متفتت إذا مس، أو يهضم الطعام، و كل هذا يرجع إلى لطافته .

و لما ذكر اللطيف من أحوالهم^٦، أتبعه الكثيف من أفعالهم، [فقال -^٧ عطفًا على "أتركون" أو مبيّنًا لحال^٨ الفاعل في "أمنين": (وتحتون) أى و الحال أنكم تحتون إظهارًا للقدرة (من الجبال يوتا فرهين^٩) ١٠ أى مظهرين النشاط والقوة، تعظا بذلك و بطرا، لا لحاجتكم إلى شىء من ذلك (فاتقوا) أى قدسب عن ذلك أى أقول لكم: اتقوا (الله) الذى له جميع العظمة بأن تجعلوا بينكم و بين عذابه و قاية باتباع أوامره، و اجتناب زواجره (واطيعون^{١١}) أى فى كل ما آمركم به^{١٢} و أنهاركم^{١٣} عنه. فاقى لا آمركم إلا بما يصلحكم فيكون سببا لحفظ ما أنتم فيه و تزدادون^{١٤} ١٥ (ولا تطيعوا^{١٥}) .

(١) من ظ و مد، وفى الأصل: لتراكمه (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و مد، وفى الأصل: القصد (٤) من ظ و مد. وفى الأصل: لطيف (٥) فى ظ: أحوالكم (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و مد، وفى الأصل: كحال . (٨-٩) سقط ما بين الرقيين من ظ و مد (٩) فى مد: تزدادون .

نظم الدرر (سورة الشعراء ٢٦: ١٥١ - ١٥٥) ج ١٤ - ١٤

ولما كان الانقياد للأمر إنما هو بواسطة ما ظهر من أمره قال:
(امر السرفين ١) أى المتجاوزين للحدود الذين صار لهم ذلك خلقاً؛
ثم وصفهم بما بين إسرافهم، وهو ارتكاب الفساد الخالص المصمت
الذى لا صلاح معه فقال: (الذين يفسدون فى الارض) أى يعملون
ما يؤدى إلى الفساد لكونه غير محكم باستناده إلى الله .

ولما كان ربما ادعى فى بعض الفساد أن فيه صلاحاً، نقي ذلك
بقوله: (ولا يصلحون هـ) أى لأنهم أسوا أمرهم على الشرك فصاروا
بحيث لا يصلح لهم عمل وإن ترائى غير ذلك، أو أن المعنى أن السرف
من كان عريقاً فى الإسراف يجمع هذين الأمرين .

ولما دعا إلى الله تعالى بما لا خلل فيه، فعلوا أنهم عاجزون عن
الطعن فى شيء منه، عدلوا إلى التخييل على عقول الضعفاء بأن (قالوا
إنما أنت من المسحرين ٤) أى الذين بولغ فى محرم مرة بعد مرة
مع كونهم آدميين ذوى سمور، وهى الرئات، فأثر فىك السحر حتى غلب
عليك؛ ونقل البغوى^٦ عن ابن عباس رضى الله عنهما أن معناه: من^٧
المخلوقين الملعولين بالطعام والشراب، يقال: سحره أى علاه بالطعام
والشراب . ويؤيده تفسيره بقولهم إشارة إلى أنه لا يصلح للرسالة:

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل: الذى (٢ - ٢) فى ظ و مد: ذلك لهم .
(٣) فى ظ: باستناده (٤) فى ظ و مد و هـ (هـ) من ظ و مد، وفى الأصل:
بجميع (٦) فى معالم التنزيل - راجع لباب التأويل ١٠٢/٥ (٧) من ظ و مد
و العالم، وفى الأصل: ما .

(مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا) أى فواجه خصوصيتك عما بالرسالة، وهل يكون الرسول من البشر، وإتباعهم [الوصف - ١] الوصف من غير عطف يدل على أنهم غير جازمين بتكذيبه. فالوصفان عديم بمنزلة شيء واحد كما إذا قيل: الزمان حلو حامض، أى مر، و يؤيد كونهم فى رتبة الشك لم يتجاوزوها إلى الجزم أو الظن بالتكذيب قولهم: هـ (فَاثْبَاتْ بَيِّنَاتٍ) أى علامة تدلنا على صدقك (ن كُنْتَ) أى كونا هو فى غاية الرسوخ (من الصدقين هـ) أى العريقين فى الصدق بخلاف ما يأتى قريبا فى قصة شعيب عليه السلام .

ولما أسرع الله تعالى فى إجابته حين دعاه أن يعطيهم ما اقترحوا، أشار، إلى ذلك بقوله: (قَالَ) أى جوابا لاقتراحهم: تعالوا انظروا ١٠ ما آتاكم به آية على صدقي، فأتوا فأخرج الله له من الصخرة ناقة عشراء كما اقترحوا. فقال مشيرا إليها بأداة القرب إشارة إلى سهولة إخراجها وسرعته: (هَذِهِ نَاقَةٌ) أى أخرجها ربى من الصخرة كما اقترحتم؛ ثم أشار إلى أن فى هذه الآية آية أخرى بكونها^١ تشرب ماء البئر كله فى يوم وردها^٢ وتكف عنه فى اليوم الثانى لأجلهم، بقوله: (لَهَا شَرْبٌ) ١٥ أى نصيب من الماء فى يوم معلوم (وَلَكُمْ شَرْبٌ يَوْمَ) أى نصيب

(١) ريد من ظ و مد (٢) من ظ و مد. وفى الأصل: تر (٣) من ظ و مد، وفى الأصل: عامة (٤) من ظ و مد، وفى الأصل: إشارة (هـ) من ظ و مد، وفى الأصل: آتاكم (٦) من ظ و مد، وفى الأصل: لكونها (٧) من مد، وفى الأصل: وظ: ورودها.

من الماء في يوم ﴿معلوم﴾ لا زحام بينكم و بينها في شيء من ذلك .
 و لما أرشد السياق 'إرشادا بينا' إلى أن المعنى : فخذوا شربكم
 و أتركوا لها شربها، عطف عليه قوله : ﴿ و لا تمسوها بسوء ﴾ أي كاتنا
 ما كان و إن قل ، لأن ما كان من عند الله يجب إكرامه ، و رعايته
 و احترامه ؛ ثم خوفهم بما يقسب^٢ عن عصيانهم فقال : ﴿ فياخذكم ﴾
 أي يهلككم ﴿ عذاب يوم عظيم ٥ ﴾ بسبب ما حل فيه من العذاب ، فهو
 أبلغ من وصف العذاب بالعظم^٢ ، و أشار إلى سرعة عصيانهم بقاء التعقيب
 في قوله : ﴿ فعقروها ﴾ [أي قتلوها بضرب عاقها بالسيف -^١] .

و لما تسبب عن عقرها^٢ حلول مخايل العذاب ، أخبر عن ندمهم
 ١٠ على قتلها من حيث أنه يفضى^٣ إلى الهلاك ، لا من حيث أنه معصية لله
 و رسوله . فقال : ﴿ فاصبحوا ندمين ٦ ﴾ أي على عقرها لتحقيق العذاب ؛
 و أشار إلى أن ذلك الندم لا على وجه التوبة / أو^٤ أنه عند رؤية البأس
 فلم ينفع ، أو^٥ أن ذلك كناية عن أن^٦ حالهم صار حال النادم ، لا أنه
 وجد منهم " ندم على شيء ما ، فانه نقل عنهم أنه أتاهم العذاب و هم

/٧٤٣

- (١ - ١) من ظ و مد ، وفي الأصل : اشار مييا - كذا (٢) من ظ و مد ،
 وفي الأصل : تسبب (٣) من ظ و مد ، وفي الأصل : العظيم ، و العبارة من
 " فهو أبلغ " إلى هنا تأخرت في الأصل عن " فعقروها " و ترتيب من ظ و مد .
 (٤) زيدا من ظ و مد (٥) زيد في الأصل : لتحقيق العذاب ، ولم تكن الزيادة
 في ظ و مد فخذناها (٦) في ظ ؛ عن (٧) من ظ و مد ، وفي الأصل : يفيض .
 (٨) في ظ " و " (٩) من ظ و مد ، وفي الأصل : أي (١٠) سقط من ظ .
 (١١) من ظ و مد ، وفي الأصل : عنهم .

يحاولون أن^١ يقتلوا صالحا عليه السلام، بقوله: ﴿ فاخذم العذاب^٢ ﴾
أى التوعد^٣ به .

ولما كان فى الناقة وفى حلول الخايل كما تقدم أعظم دليل على
صدق الرسول الداعى إلى الله قال: ﴿ ان فى ذلك لآية^٤ ﴾ أى دلالة
عظيمة على صحة ما أمروا به عن الله، ﴿ وما ﴾ أى و الحال أنه مع هـ
ذلك ما ﴿ كان اكثرهم مؤمنين هـ ﴾ .

و لما كان ربما توم أنه سبحانه غير متصف بالعزة لعدم قسرم على
الإيمان، أو بالرحمة لإهلاكهم، قال: ﴿ وان ربك هو العزيز ﴾ أى
فلا يخرج شىء عن قبضته وإرادته، وهو الذى أراد لهم الكفر
﴿ الرحيم ء ﴾ فى كونه لم يهلك أحدا حتى أرسل إليهم رسولا فبين لهم ١٠
ما يرضاه سبحانه وما يسخطه، وأبلغ فى إنذارهم حتى أقام الحجة بذلك،
ثم هو سبحانه يضل من يشاء لما تعلم من طبعه على ما يقتضى الشقاوة،
و يوفق من علم منه الخير لما يرضيه، فيتسبب عن ذلك سعادته، وفى تكبره
سبحانه هذه الآية آخر كل قصة على وجه التأكيد وإتباعها ما دلت
عليه من كفر من أى بعد أصحابها، من غير اتعاط بجاههم، ولانكوب ١٥
عن مثل ضلالهم، خوفا من نظير نكالهم، أعظم تسلية لهذا النبى الكريم،
وتخويف لكل عليم حليم^١، واستعطاف لكل ذى قلب سليم، ولذلك^٢
(١) فى ظ : انهم (٢) من ظ و مد، وفى الأصل : التوعد (٣) من ظ و مد،
وفى الأصل : لهم (٤) من ظ و مد، وفى الأصل : علم (هـ) سقط ما بين الرقين
من ظ و مد (٦ - ٦) ما بين الرقين بياض فى مد (٧) من ظ و مد،
وفى الأصل : كذلك .

نظم الدرر (سورة الشعراء: ٢٦ - ١٦٠ - ١٦٦) ج - ١٤

قال واصلاً بالقصة: ﴿كذبت﴾ أى دأب من تقدم كانهم تواصلوا
به ﴿قوم لوط والمرسلين﴾ لأن من كتب رسولا - كما مضى - فقد
كذب الكل؛ لتساوى المعجزات فى الدلالة على الصدق. وقد صرحت
هذه الآية بكفرهم بالكذب. وبين إسرائيلهم فى الضلال بقوله: ﴿اذ﴾
٥ أى حين ﴿قال لهم اخوهم﴾ أى فى السكنى فى البلد لا فى النسب لأنه
ابن أخى إبراهيم عليه السلام، وهما من بلاد الشرق من بلاد بابل.
وكانه عبر بالاخوة لاختياره لمجاورتهم، ومناسبتهم [بمصاهرتهم - ٢].
وإقامته بينهم فى مدينتهم مدة مديدة، وسنين عديدة، وإتيانه بالأولاد
من نسايتهم، مع موافقة لهم فى أنه قروى؛ ثم بينه بقوله:
١٠ ﴿لوط الا تقون﴾ أى تخافون الله فاجعلوا بينكم وبين سخطه وقاية.
ولما كان مضمون هذا الدعاء لهم والإنكار عليهم فى عدم التقوى،
علل ذلك بقوله: ﴿انى لكم﴾ أى خاصة ﴿رسول امين﴾ أى لا
شئ من غش ولا خيانة عندى، ولذلك سبب عنه قوله: ﴿فاتقوا الله﴾
[أى - ٢] لقدرته على إهلاك من يريد وتعالیه فى عظمته ﴿واطيعون﴾
١٥ أى لأن طاعنى سبب نجاتكم، لأنى لا آمركم إلا بما يرضيه، ولا أنهاركم
إلا عما يفضيه.

(١) من ظ و مد، وفى الأصل: وادفا (٢) سقط من ظ و مد (٣) زيد من
ظ و مد (٤) فى ظ: نائه (هـ - هـ) من ظ و مد، وفى الأصل: بمصاهرتهم.
(٦) زيد فى الأصل: على، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٧) من ظ
و مد، وفى الأصل: لا.

ولما أثبت الداعي إلى طاعته، تنقى الناهي عنها فقال: ﴿وَمَا اسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾
 أى الدعاء إلى الله ﴿(من أجره)﴾ أى فتهمونى بسية؛ وتنقى سؤاله لغيرهم
 من الخلائق / بتخصيصه بالخلاق فقال: ﴿(إن)﴾ أى ما
 ﴿(أجرى إلا على رب العالمين)﴾ أى المحسن إليهم بإيجادهم ثم تربيتهم .
 فلما وجدوا مقتضى لاتباعه واتبى المانع، أنكر عليهم ما يوجب
 عذابهم [من إثارتهم شهوة الفرج المخرج لهم إلى ما صاروا به سبة في
 الخلق - °] ، فقال موجها مقرا يانا لتفاحش فعلهم وعظمه: ﴿(أتأتون)
 [أى - °] إتيان المعصية (الذكران)﴾ وعلهم كانوا يفعلون بالذكر
 من غير الآدميين توغلا في الشر وتجاوزا بالتهتك لقوله: ﴿(من العلين)﴾
 أى كلهم^١، أو يكون المعنى: من بين الخلائق، أى أنكم اختصاصتم^{١٠}
 بإتيان الذكران، لم يفعل هذا الفعل غيركم [من الناكحين - °] من الخلق
 ﴿(وتذرون)﴾ أى تتركون لهذا الغرض ﴿(ما خلق لكم)﴾ أى للنكاح^١
 ﴿(ربكم)﴾ المحسن إليكم ﴿(من أزواجكم)﴾ أى وهن^١ الإناث، على أن
 'من' للبيان، ويجوز أن تكون مبعضة، ويكون المخلوق كذلك^١
 هو القبل .

١٥

ولما كانوا كأهمهم "قالوا: نحن لم نترك أزواجنا، حملا لقوله على"

(١) سقط من ظ (٢) في ظ ثم (٣) من ظ ومد، وفي الأصل: وجد .
 (٤) في ظ: وجب (٥) زيد من ظ ومد (٦) في ظ: كلمكم (٧) زيد في
 الأصل: لكم، ولم تكن الزيادة في ظ ومد فحذفنا (٨) من ظ ومد
 وفي الأصل: النكاح (٩) من ظ ومد، وفي الأصل: عنى (١٠) من ظ
 ومد، وفي الأصل: لذلك (١١) سقط ما بين الرقنين من ظ ومد .

نظم الدرر (سورة الشعراء: ٢٦ - ١٦٦ - ١٧١) ج - ١٤

الترك أصلا و رأسا و إن كانوا^١ قد فهموا أن مراده تركهن حال الفعل في الذكور ، قال مضربا عن مقامهم^٢ هذا المعلوم تقديره لما أراووه به^٣ ، حيدة عن الحق ، و تماذيا في الفجور : (بل أنتم قوم عدون^٤) أي تركتم الأزواج بتعدى الفعل بهن و تجاوزوه إلى الفعل بالذكران ، و ليس ذلك يدع من أمركم ، فإن العدوان - الذي هو مجاوزة الحد في الشر - وصف لكم أنتم عريقون فيه ، فلذلك لا تقفون^٥ عند حد حده الله تعالى .

فلما اتضح الحق ، و عرف المراد ، و كان غريبا عندهم ، و تشوف السامع إلى جوابهم ، استوفت الإخبار عنه ، قيل إعلاما بانقطاعهم و أنهم عارفون أنه لا وجه لهم في ذلك أصلا لعدولهم^٦ إلى الفحش : (قالوا) ١٠ مقسمين : (لئن لم تنته^٧) [و سموه باسمه جفاء و غلظة فقالوا -^٨] : (يلوط) عن مثل إنكارك هذا علينا .

و لما كان لما له من العظمة^٩ بالنبوة و الأفعال الشريفة التي توجب إجلاله و إنكار كل من يسمعهم أن يخرج مثله ، زادوا في التأكيد فقالوا : (لتكونن من المخرجين^{١٠}) أي [من -^{١١}] أخرجناه من بلدنا [على وجه ١٥ فظيع تصير مشهورا به بينهم -^{١٢}] . إشارة إلى أنه غريب عندهم ، و أن عادتهم المستمرة نقي من اعتراض عليهم ، و كان قصدهم بذلك أن يكونوا هم

- (١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و في الأصل : فاهلهم (٣) سقط من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و في الأصل : لا تقفون . (٥) من ظ و مد ، و في الأصل لعدولهم (٦) زيد من ظ و مد . (٧) سقط من ظ .

المتولين لإخراجه إهانة له للاستراحة^١ منه ، فكان إخراجه ، لكن إخراج
إكرام للاستراحة منهم و النجاة من عذابهم بتولى الملائكة الكرام
(قال) أي جواباً لهم : (أني) مؤكداً لمضمون ما يأتي به (لعمركم)
و لم يقل : قال ، بل زاد في التأكيد بقوله : (من القائين^٢) أي المشهورين
ببغض هذا العمل الفاحش ، العريقين في هذا الوصف ، المذكورين^٣ بين
الناس بمنازعة من يفعله ، لا يردني عن إنكاره تهديدكم لي بإخراجه و لا غيره ،
و القلاء : بغض شديد كأنه يقتل الفؤاد .

و لما بادأهم بمثل هذا الذي من شأنه الإفضاء إلى الشر ، أقبل على
من يفعل ذلك لأجله ، و هو القادر على كل شيء ، العالم بكل شيء ،
فقال : (رب نجني واهلي مما) أي من الجزاء الذي يلحقهم لما (يعملون^٤) . ١٠
و لما قبل سبحانه و تعالى دعاءه ، أشار إلى ذلك بقوله :

(فجئته واهله) مما عذبناهم به بإخراجنا له من بلدهم / حين استخفافهم^٥ ٧٤٥ /
له ، و لم يؤخره عنهم إلى حين خروجه إلا لأجله ، و عين سبحانه
المراد مبينا أن أهله كثير بقوله : (اجمعين^٦) أي أهل بيته و المتبعين^٧ له
على دينه (الاعجوزا) و هي امرأته ، كأنه (في) حكم (الفيرين^٨) ١٥
أي الماكثين الذي تلحقهم العبرة بما يكون من الداهية فاتنا [لم - ٦]
نتجها لقضائنا بذلك في الأزل ، لكونها لم تتابعه في الدين ، و كان هواها
مع قومها .

(١) من ظ و مد ، و في الأصل : الاستراحة (٢) سقط من ظ (٣) و في ظ :
المذكور (٤) في ظ : استحقاقهم (٥) من ظ و مد ، و في الأصل : المتقين .
(٦) زيد من ظ و مد .

نظم الدرر (سورة الشعراء: ٢٦-١٧٢-١٧٧) ج - ١٤

ولما ذكر نجاة المفهمة لهلاكهم، صرح به على وجه هوله بأداة التراخي لما علم غير مرة أنه كان عقب خروجه، لم يتخلل بينهما مهلة^١ فقال: ﴿ثم دمرنا﴾ أى أهلكنا ملاكاً بقية [صلباً أصم في غاية النكد^٢]، وما أحسن التعبير عنهم بلفظ ﴿الآخرين﴾ لإفهام تأخرهم من كل وجه.

ولما كان معنى "دمرنا": حكنا بدميرهم^٣، عطف عليه قوله: ﴿وامطرا﴾ ودل على العذاب بتعديته^٤ به على، فقال: ﴿عليهم مطرا﴾ أى وأتى مطراً ولذلك سبب عنه قوله: ﴿فساء مطر المنذرين﴾ أى ما أسوأ مطر الذين خوفهم لوط عليه السلام بما أشار إليه إنكاره وتعييره بالتقوى والعدوان.

ولما كان في جرى المكذبين والمصدقين على نظام واحد من الهلاك والنجاة أعظم عبرة وأكبر موعظة، أشار إلى ذلك بقوله: ﴿ان في ذلك لآية﴾ أى دلالة عظيمة على صدق الرسل في جميع ترغيبهم وترهيبهم وتبشيرهم وتحذيرهم.

ولما كان من أتى بعد هذه الأمم كقريش ومن تقدمهم قد علموا أخبارهم، وضموا إلى بعض الأخبار نظر الديار، والتوهم^٥ في الآثار.

(١) زيد في الأصل: من، ولم تكن الزيادة في ظ ومد لحدوثها (٢) من ظ ومد، وفي الأصل: ملة (٣) زيد من ظ ومد (٤) من ظ ومد، وفي الأصل: بتميرهم - كذا (٥) في ظ: وكل - كذا (٦) من ظ ومد، وفي الأصل: بتعذيه (٧) في ظ: التوهم.

قال معجبا من حالهم في ضلالهم : ﴿ وما ﴾ أى والحال أنه ما^١
﴿ كان أكثرهم مؤمنين ﴾ .

ولما كان في ذلك إشارة إلى الإنذار بمثل ما حل بهم^٢ من الدمار ،
أتبعه التصريح بالتخويف والإطاع فقال : ﴿ وان ربك لهو ﴾ أى
وحده ﴿ العزيز ﴾ [أى -^٣] في بطشه بأعدائه ﴿ الرحيم ﴾ في لطفه ه
بأوليائه ، و رقه بأعدائه ، بارسال الرسل ، و بيان كل مشكل ؛ ثم وصل
بذلك دليله ، فقال مذكرا الفعل لشدة كفرهم بدليل ما يأتى من إثبات
الوار في " وما انت الا بشر مثنا " : ﴿ كذب اصحب نبيك ﴾ أى
الغيضة ذات الارض الجيدة التى تبتلع^٤ الماء . فثبت الشجر الكثير الملتف
﴿ المرسلين ﴾ لتكذيبهم شعبيا عليه السلام فيما أتى به من المعجزة المساوية ١٠
- في خرق العادة و عجز المتحدّين بها عن مقاومتها - لبقية المعجزات
الآتى بها الانبياء عليهم الصلاة و السلام ﴿ اذ قال لهم ﴾ .

ولما كانوا أهل بدو^٥ و كان هو^٦ عليه السلام قرويا ، قال : ﴿ شعيب ﴾
[ولم يقل : أخوم ، إشارة -^٧] إلى أنه لم يرسل نبيا إلا من أهل القرى ،
تشريفا لهم لأن البركة و الحكمة في الاجتماع ، و لذلك نهى النبي صلى الله ١٥

(١) سقط من ظ (٢) من ظ و مد ، وفي الأصل : لهم (٣) تأخر في الأصل
عن « وحده » ، و الترتيب من ظ و مد (٤) زيد من ظ و مد (٥) سقط من ظ
و مد (٦) من ظ و مد ، وفي الأصل : تبتلع - كذا (٧) من ظ و مد ، وفي
الأصل : بدر (٨) من ظ و مد ، وفي الأصل : هود (٩) من ظ و مد ،
وفي الأصل : الحسا - كذا .

نظم الدرر (سورة الشعراء: ٢٦ - ١٨٣) ج - ١٤

عليه وسلم عن التعرب بعد الهجرة، وقال: من يرد الله به خيرا ينقله
من البادية إلى الحاضرة^١. (الا تفقون^٢) أى تكونون^٣. من أهل التقوى،
وهي المحاجة من الله سبحانه وتعالى.

ولما كان / كأنه قيل: ما لك ولهذا؟ قال: (انى) وأشار / ٧٤٦

٥ إلى تبشيرهم إن أطاعوه بقوله: (لكم رسول) أى من الله، فهو أمرنى
أن أقول لكم ذلك (امين^٤) أى لا غش عندى ولا خداع ولا خيانة،
فلذلك أبلغ جميع ما أرسلت به، ولذلك سبب عنه قوله: (فاتقوا الله)
أى المستحق لجميع العظمة، وهو المحسن إليكم بهذه الفيضة وغيرها
(واطيعون^٥) [أى - ٢] لما ثبت من نصحي.

١٠ ولما قدم ما هو المقصود بالذات. عطف على خبر "ان" قوله:

(وما استلکم عليه من اجر^٦) قيا لما ينفر عنه؛ ثم زاد في البراءة مما
يوكس من الطمع في أحد من الخلق فقال: (ان) أى ما
(اجرى الا على رب العالمين^٧) [أى - ٣] المحسن إلى الخلاق كلهم، فأنا
لا أرجو أبدا أحدا يحتاج إلى الإحسان إليه، وإنما أعلق أملى بالمحسن
١٥ الذى لا يحتاج إلى أحد، وكل أحد سائل من رفته، وأخذ من عنده،
ولقد اتضح أن الرسل متطابقون في الدعوة في الأمر بالتقوى والطاعة
والإخلاص في العبادة، مع النصيح والعفة، والامانة والخشية والمحسبة.
ولما كان كأنه قيل: ما الذى تنهى فيه؟ قال [ميتا أن داهم

(١) وقدم الحديث في سورة يوسف عليه السلام (٢) من ظ و مد، وفي
الأصل: تكونوا (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد، وفي الأصل: ساير.

حب المال ، المفضى بهم إلى سوء الحال - [١] : (اوفوا الكيل) أى
 آمنوه إتماماً لا شبهة فيه إذا كلمتم كما توفونه إذا اكتمتم لانفسكم .
 ولما أمرهم بالإيفاء نهام عن النقص على وجه أعم فقال : (ولا تكونوا)
 أى كونا هو كالجلة ، ولعله إشارة إلى ما يعرض من نحو ذلك من
 الخواطر أو الهيئات التى يغلب الإنسان فيها الطبع ثم يرجع عنها رجوعاً
 يحوها ، ولذلك قال : (من المحسرين) أى الذين يخسرون - أى
 ينقصون - أنفسهم أديانها باخسار الناس دينهم بنقص الكيل أو غيره
 من أنواع النقص من كل ما يوجب الفتن ، فتكونوا مشهورين بذلك
 بين من يفعله .

ولما أمر بوفاء الكيل ، أتبعه بمثل ذلك فى الوزن ، ولم يجمعها ١٠
 لما للتفريق من التعريف بمزيد الاهتمام فقال : (وزنوا) أى لانفسكم وغيركم
 (بالقسطاس) أى الميزان الآقوم ؛ وأكد معناه بقوله : (المستقيم) .
 ولما أمر بالوفاء فى الوزن ، أتبعه نهياً عن تركه عاماً كما فعل فى
 الكيل [ليكون أكد فقال : (ولا تبخسوا) أى تنقصوا (الناس أشياءهم)

(١) زيد من ظ ومد (٢) من ظ ومد ، وفى الأصل : تماماً (٣) سقط من ظ
 ومد (٤) من ظ ومد ، وفى الأصل : امر (٥) زيد فى الأصل : لكم ، ولم تكن
 الزيادة فى ظ ومد لحذفها (٦) زيد فى الأصل : العوارض ، ولم تكن الزيادة
 فى ظ ومد لحذفها (٧) من ظ ومد ، وفى الأصل : و (٨) زيد فى
 الأصل : من ، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد لحذفها (٩) من ظ ومد ، وفى
 الأصل : غيرهم .

نظم الدرر (سورة الشعراء ٢٦ : ١٨٣ - ١٨٦) ج - ١٤

أى فى كىل - ١ [أو وزن أو غيرهما قصا يكون كالىبغة لافائدة فيه^٢. ثم أتبع ذلك بما هو أعم منه فقال: (ولا تعثوا) أى تصرفوا (فى الارض) عن^٣ غير تأمل 'حال كونكم' (مفسدين^٤) أى فى المال أو غيره، قاصدين بذلك الإفساد - كما تقدم بيانه فى سورة هود^٥ عليه السلام .

ولما وعظهم فأبلغ فى وعظهم بما ختمه بالهى عن الفساد، خوفهم من سطوات الله تعالى ما^٦ أحـل بمن^٧ هو أعظم منهم فقال: (واتقوا الذى خلقكم) أى قاعداكم أهون شئ^٨ عليه، وأشار إلى ضعفهم وقوة من كان قبلهم بقوله: (والجبل) أى الجماعة والامة (الاولين^٩) الذين كانوا على خلقه وطبيعة عظيمة كأنها الجبال قوة وصلابة لاسيما قوم هود عليه السلام الذين هم عرب مثلكم، وقد / بلغت بهم الشدة فى أبدانهم، والصلابة فى جميع أركانهم، إلى أن قالوا "من اشد منا قوة" وقد بلغتكم ما أنزل بهم سبحانه من بأسه، لأن العرب أعلم الناس بأخبارهم .

/٧٤٧

١٥ ولما كان حاصل ما مضى الإعلام بالرسالة، والتحذير "من المخالفة"^{١٠}،

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ ومد (٢) من ظ ومد، وفى الأصل: له .
(٣) من ظ ومد، وفى الأصل: من (٤ - ٤) من ظ، وفى الأصل: حالكم وكونكم، وفى مد بياض (٥) من ظ ومد، وفى الأصل: و (٦) راجع آية ٨ (٧) سقط من ظ (٨) من مد، وفى الأصل و ظ: بما (٩) سقط من ظ ومد (١٠ - ١٠) من ظ ومد، وفى الأصل: بالمخالفة .

لأنها

(٢٢)

٨٨

لأنها تؤدي إلى الضلالة، إلى أن ختم ذلك بالإشارة بالتعبير بالجبلية إلى أن عذابه تعالى عظيم، لا يستصغى عليه صغير ولا كبير، أجاوبه بالقدح في الرسالة أولا، وباستصغار الوعيد ثانيا، بأن^١ ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ^٢﴾ أى الذين كرر محرم مرة بعد أخرى حتى اختلوا، فصار كلامهم [على^٣] غير نظام، أو من المعلنين بالطعام والشراب كما مضى في صالح عليه السلام، هـ
أى فانت بعيد من الصلاحية للرسالة؛ ثم أشاروا إلى عدم صلاحية البشر مطلقا لها ولو كانوا أعقل الناس وأبعدهم عن الآفة بقولهم، عاطفين بالواو إشارة إلى عراقته فيما وصفوه به من جهة السحر والسحر، وأنه لا فرق بينه وبينهم^٤ : ﴿وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ [أى^٥ - فلا وجه لتخصيصك عنا بذلك، والدليل على أن عطف ذلك أبلغ من إتياعه ١٠ من غير عطف جزمهم بظن كذبه^٦ في قولهم : ﴿وَإِنْ﴾ أى وإنا ﴿نظنك لمن الكذابين﴾ أى العريقين في الكذب - هذا مذهب البصريين فى أن "ان" مخففة من الثقلية^٧، والذي يقتضيه السياق ترجيح مذهب الكوفيين هنا فى أن "ان"^٨ نافية، فانهم أرادوا بإثبات الواو [فى^٩ - "وما" المبالغة فى نفى إرساله بتعداد ما يتأفاه، فيكون مرادهم أنه ليس ١٥ لناظرا يتوجه إلى غير الكذب، وهو أبلغ من إثبات الظن به، ويؤيده

(١) من ظ ومد، وفى الأصل : ان (٢) زيد من ظ ومد (٣) فى ظ : الامة .

(٤ - ٥) من ظ ومد، وفى الأصل : بينهم وبينه - كذا (هـ) من ظ ومد،

وفى الأصل : كذبهم - (٦) فى ظ : الثقل (٧) من ظ ومد،

وفى الأصل : ما .

تسيبهم عنه^١ سؤاله استهزاء به وتعجيزا له إزال العذاب بخلاف ما
تقدم عن قوم صالح عليه السلام، فقالوا: ﴿فأسقط علينا كسفا﴾
باسكان^٢ السين على قراءة الجماعة وفتحها في رواية حفص^٣، وكلاهما
جمع كسفة، أى قطعا ﴿من السماء﴾ أى السحاب، أو الحقيقة، وهذا
الطلب لتصميمهم على التكذيب^٤، ولو كان فيهم أدنى ميل إلى التصديق
لما أخطروه بأنهم [فضلا عن طلبه ولا سيما كونه على وجه التهمك،
ولذلك قالوا -^٥]: ﴿إن كنت﴾ أى كونا هو لك^٦ كالجبة
﴿من الصدقين^٧﴾ أى القريقين فى الصدق، المشهورين فيما بين أهله،
[لتصدقك -^٨] فيما لزم من أمرك لنا باتخاذ الوقاية من العذاب من
١٠ التهديد بالعذاب، وما أحسن نظره إلى تهديده لهم^٩ بما لله عليهم من
القدرة فى خلقهم وخلق من كانوا أشد منهم قوة وإهلاكهم بأواع
العذاب لما عصوه بتكذيب رسله .

ولما كان عذاب العاصي يتوقف على العلم المحيط بأعماله، والقدرة
على نكاله، استأنف تعالى الحكاية^{١٠} عنه فى تنبيههم على ذلك بقوله :
١٥ ﴿قال﴾^{١١} مشيرا إلى أنه لا شئ من ذلك إلا^{١٢} إلى من^{١٣} أرسله، وهو

(١) من ظ و مد، وفى الأصل: عن (٢) من ظ و مد، وفى الأصل:
باسقاط (٣) راجع نثر المرجان ٦٢/٥ (٤) من ظ و مد، وفى الأصل: و .
(٥) فى ظ: الكذب (٦) فى ظ و مد: ما (٧) زيد من ظ و مد (٨) من ظ
و مد، وفى الأصل: له (٩) سقط من ظ (١٠) من ظ و مد، وفى الأصل:
بدا - كذا (١١) من ظ و مد، وفى الأصل: المكانة (١٢) زيد فى الأصل:
أى، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فخذناها (١٣-١٢) فى ظ: لمن .

٧٤٨/

متصف بكل الوصفين ، وأما هو فانه وإن كان عالما فهو قاصر العلم
 فهو غير قادر : (ربى اعلم) أى منى (بما تعملون^٥) لانه يحيط العلم
 فهو شامل القدرة ، فهو يعلم استحقاقكم للعذاب^١ ، ومقدار ما / تستحقون
 [منه -^٢] ووقت إزاله^٣ ، فان شاء عذبكم ، وأما أنا فليس على إلا البلاغ
 و أنا مأمور به ، فلم أخوفكم من نفسى ولا ادعيت قدرة على عذابكم ، فطلبكم
 ذلك منى ظلم منكم مضموم إلى ظلمكم بالتكذيب .

ولما كان محط كلامهم كله على تكذيبهم^٤ له من غير قدح في
 قدرة الخالق ، سبب العذاب عن تكذيبهم فقال : (فكذبوه) أى استمروا
 على تكذيبه (فاخذم) أى أخذ ملاك (عذاب يوم الظلة^٥) وهى
 صحابة على نحو ما طلبوا من قطع السماء ، أتهم بعد حر شديد نالهم حتى ١٠
 من الأسراب فى داخل الأرض أشد مما نالهم من خارجها ليعلم أن
 لا فاعل إلا الله ، وأنه يتصرف كيف شاء^٦ على مقتضى العادة وغير
 مقتضاها فوجدوا من تلك الظلة نسيا باردا ، وروحا طيبا ، فاجتمعوا
 تحتها استرواحا [إليها -^٧] واستظللا بها ، فأمطرت عليهم نارا فاحترقوا
 بنحو مما^٨ اقترحوا وأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا ، فنفذت فيهم سهام ١٥
 القدرة ، ولم يجدوا من دينها وقاية ولا ستره من غير أن تدعو حاجة
 إلى سقوط شئ من جرم السماء ، ولا بما دونها من السماء^٩ .

(١) فى ظ : العذاب (٢) زيد من ظ و مد (٣-٣) سقط ما بين الرقين من ظ
 و مد (٤) فى ظ : تكذيبه (٥) من ظ و مد و فى الأصل : يشاء (٦) فى ظ :
 بما (٧) أى السحاب المرتفع أو الكثيف المطر . .

ولما كان الحال موجبا للسؤال عن يوم الظلة ، قال تعالى مهولا
 لامره و' معظما لقدره: ﴿ انه كان ﴾ فأكد بـ وإن ، [وعظم بـ
 و كان - '] ﴿ عذاب يوم عظيم ﴾ وزاده عظما بنسبه إلى اليوم ،
 فصار له من الهول ، يديع هذا القول ، ما تجب له القلوب و تعظم
 . الكروب ٢ .

ولما كان لثوال^١ الإخبار باهلاك هذه القرون ، وإبادة من ذكره
 من تلك الأمم ، من الرعب ما لا يبلغ وصفه ، ولا يمكن لغيره سبحانه
 شرحه ، قال تعالى مشيرا إليه تحذيرا من مثله: ﴿ ان في ذلك ﴾ أى
 الأمر العظيم من الإنجاء المطرد لكل رسول و من أطاعه ، و الأخذ المطرد
 ١٠ لمن عصاه في كل عصر بكل قطر ، بحيث لا يشذ من الفريقين إنسان ،
 قاص ولا دان ﴿ لآية ﴾ أى لدلالة واضحة عظيمة على صدق الرسل
 و أن يكونوا جديرين بتصديق العباد لهم^٢ في جميع ما قالوا من البشائر
 و النذائر بأن الله تعالى يهلك من عصاه ، وينجي من والاه ، لأنه الفاعل
 المختار ، لا مانع له ، ولا سيما أنت و أنت أعظمهم منزلة ، و أكرمهم رتبة ،
 ١٥ و لاسيما وقد أتيت قومك بما لا يكون معه شك لو لم يكن لهم بك
 معرفة قبل ذلك ، فكيف^٣ و هم^٤ عارفون بأنك كنت قبل الرسالة أصدقهم

(١) سقط من مد (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ ، وفي الأصل : الكروم ،
 و الكلمة مطبوعة في مد (٤) في ظ و لتعالى (٥) زيد في الأصل : من هذه
 القرون ، و لم تكن الزيادة في ظ و مد لحذفها (٦) سقط من ظ (٧-٧) من
 ظ و مد ، وفي الأصل : فهم .

لهجة ، و أعظمهم أمانة ، و أغزرم عقلا ، و أوضحهم نبلا ، و أعلام همة ،
و أبعدم عن كل دنس - و إن قل - ساحة ؛ ثم عجب من توقفهم في
الإيمان مع ما عرفوا من صدق نبيهم و طهارة أخلاقه ، و وفور شفقتهم
عليهم ، و لم يخافوا من مثل ما تحققوه من إهلاك هذه الأمم فقال :
(و ما كان أكثرهم) أى أكثر قومك كما كان من قبلهم مع رؤية ه
هذه الآيات ، و إحلال المثلثات حتى لكانهم^٢ تواصلوا بذلك (مؤمنين ه)

/ أى عريقين في الإيمان ، بل ما يؤمنون إلا بهم^٣ مشركون . ٧٤٩/

و لما كان هذا كله تأسية للداعى صلى الله عليه و سلم ، و تهديدا
لمن تمادى على تكذيبه ، و ترجية لمن رجع^٤ عن ذنوبه ، أشار إلى ذلك
بقوله : (و إن ربك) أى المحسن إليك بكل ما يعلى شأنك ، و يوضح ١٠
برهانك (لهو العزيز) فلا يعجزه أحد ، و لا ينسب في إهمال عاص إلى
إهمال و لا يعجز (الرحيم ع) فلا يأخذ إلا بعد تجاوز الحد ، و اليأس عن^٥
الرد ، مع البيان الشافي ، في الإبلاغ الوافي ، و التلطف الكافي ، و كرر
الختام بهذا الكلام في هذه السورة ثمانى مرات فلمل من أسرار الإشارة
إلى سبق الرحمة للغضب ، لأن^٦ من السورة - المفتحة بالكتاب القيم و العبد ١٥
الكامل بالإضافة إلى الملك الأعظم اللذين هما^٧ رحمة الخالق للخلق ،
و ذكر فيها [مع تقديمها في الترهيب -^٨] أهل الرحمة من أهل الكهف

(١) في ظ : لم يخافوه (٢) من ظ ومد ، وفي الأصل : يقال (٣) في ظ : كانهم .

(٤) من ظ ومد ، وفي الأصل : أكثرهم (ه) من ظ ومد ، وفي الأصل : يرجع .

(٦) من ظ ومد ، وفي الأصل : من (٧) في ظ : لا (٨) من ظ ومد ،

وفي الأصل : هم (٩) زيد من ظ ومد .

نظم الدرر (سورة الشعراء ٢٦ : ١٩١ و ١٩٢) ج - ١٤

الذين قالوا "هب لنا من لدنك رحمة" [وموسى والخضر عليهما السلام
اللذين آتى كلا منهما من لدنه رحمة - ١] ، وذا القرنين الذى آتاه من
كل شيء سيبا^٢ فأتبع سيبا^٣ وقال "هذا رحمة من ربى" - إلى سورة
الرحمة بانزال الفرقان على عبده المضاف إليه للانذار المؤذن بصفة العزة
٥ - ممانى سور ، فكل منهما ثمانية الأخرى ، وافتتحت السورة الوالية للفرقان
تفصيلا لما فى أول الكهف بقوله "لعلك باخع نفسك" و يذكر ما على
الأرض من زينة "الم يروا إلى الأرض كم ابتغافها من كل زوج كريم"
كل ذلك تذكيرا بما فى تلك من الكتاب الجامع بالرحمة ، وتحذيرا بما
فى القرآن من الإنذار الفارق بالعزة ، فلما كان ذلك كررت صفتا العزة
١٠ التى أذنت بها الفرقان ، و الرحمة التى صرحت بها الكهف ممانى مرات
بحسب ذلك العدد ، تذكيرا بهذا المعنى البديع ، وترغيا وترهيبا و تذكيرا
بأبواب الرحمة الثمانية مع ما لحتم القصص بذلك من الروعة فى النفس ،
و الهية فى القلب ، و الأنس البالغ للروح ، [و قدمت هنا صفة العزة
الناظرة للانذار بالفرقان على طريق النشر المشوش مع ما اقتضى ذلك
١٥ من المحال هنا - ١] و جعلت القصص سبعا تحذيرا من أبواب النعمة
السبعة - إلى غير ذلك من الأسرار التى لاتسعها الأفكار .

و لما كانت آثار هذه القصص آيات مرئيات ، و الإخبار بها آيات

(١) زيد من ظ و مد (٢) زيد فى ظ : الله (٣-٢) سقط ما بين الرقين من ظ
و مد (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : بانه - كذا (٥) من ظ و مد ، وفى
الأصل : بما .

مسموعات، وكان في اطراد إهلاك العاصي و إنجاء الطائع في كل منهما،
 على تباعد الأعصار، و تنامي الاقطار، و اختلاف الديار، أعظم دليل
 على صدق الرسل، و تقرير الرسالات لتوافقهم في الدعوة إلى الله،
 و تواردهم على التوحيد، و العدل مع العزوف عن الدنيا التي هي شر
 محض، و الإقبال على الآخرة التي هي خير صرف، و التحلي بما أطبق
 العباد على أنه معالي الاخلاق، و محاسن الاعمال، و التخلي^١ عن جميع الدنایا،
 و التنزه عن كل قصص، عطف على قوله أول السورة ” و ما يأتهم من
 ذكر “ - الآية الإخبار^٢ رسالة محمد صلى الله عليه و سلم، إشارة إلى ما في
 الإخبار عن آثار هذه القصص بالآيات المسموعات من عظيم الدلالات
 على رسالته صلى الله عليه و سلم بما فيها^٣ من الإعجاز من جهة التركيب ١٠
 و الترتيب و غير ذلك من عجيب الأساليب الذي^٤ [لم - ١] توته / أمة^٥ / ٧٥٠
 من الأمم السالقات، و من جهة أن الآتي بتلك القصص الغريبة،
 و الأنباء البديعة العجيبة، أمي لم يخالط عالما [مع شدة ملازمة القرآن
 لخصوص ما في قصة شعيب عليه السلام من العدل في الكيل و الوزن
 الذي هو مدار القرآن، و من أنه الظلة الجامعة للخير، و القسطاط الدافع ١٥
 لكل ضير - ١]، فقال ردا للقطع على المطلع : (و انه) أى الذكر
 (١) من ظ و مد، و في الأصل : المتحالي (٢) من ظ و مد، و في الأصل :
 الاخبار (٣) من ظ و مد، و في الأصل : عدة (٤) من ظ و مد، و في
 الأصل : فيه (٥) في ظ : التي (٦) زيد من ظ و مد (٧) تكرر في
 الأصل فقط .

نظم الدرر (سورة الشعراء: ٢٦: ١٩٢ - ١٩٥) ج - ٩٤

الذى أتاهم بهذه الأخبار وهم عنه معرضون وله تاركون
(لتنزيل رب العالمين) أى الذى ربههم بشمول علمه، وعظيم قدرته،
بما يعجز عن أقل شئ منه غيره لكونه أتاهم بالحق منها على لسان
من لم يخالط عالما قط^١، ومع أنه سبحانه غدام بنعمته، ودبرهم بحكمته،
ه فاقضت حكمته أن يكون هذا الذكر جامعا لكونه خاتما، وأن يكون
معجزا لكونه تآمما، ونزله على حسب التدرج شيئا فشيئا. مكررا فيه
ذكر القصص سابقا فى كل سورة منها ما يناسب المقصود من تلك
السورة، معبرا عما يسوقه منها^٢ بما يلائم^٣ الغرض من ذلك السياق مع
مراعاة الواقع، ومطابقة الكائن.

١٠ ولما كان الحال مقتضيا لأن^٤ يقال: من أتى بهذا^٥ المقال، عن
ذى الجلال؟ قال: (نزل به) أى مجوما على سبيل التدرج من^٦
الأفق الأعلى الذى هو محل البركات، وعبر عن جبرئيل عليه السلام
بقوله: (الروح) دلالة على أنه مادة خير، وأن الأرواح نجى^٧ بما
ينزله^٨ من الهدى، وقال: (الامين^٩) إشارة إلى كونه معصوما من
١٥ كل دنس، فلا يمكن منه خيانة (على قلبك) أى يا محمد الذى هو
أشرف القلوب وأعلاما، وأضبطها وأوعاها، فلا زيغ فيه ولا عوج،

(١) من ظ و مد، وفى الأصل: قط (٢ - ٢) فى ظ: بلام (٣) من ظ
و مد، وفى الأصل: كان (٤) من: ظ و مد، وفى الأصل: بهذه (٥) من
ظ و مد، وفى الأصل: عن (٦) سقط من ظ (٧ - ٧) من ظ و مد، وفى
الأصل: بما تنزله - كذا.

حتى صار خلقا له ، وفي إسقاط الواسطة إشارة إلى أنه - لشدة إلقائه السمع وإحضاره الحس - يصير في تمكنه^١ منه بحيث يحفظه فلا يفنى ، وفي فهمه حق فهمه فلا يخفى ، فدخله^٢ إلى القلب في غاية السهولة حتى كأنه وصل إليه بغير واسطة السمع عكس ما يأتي عن المجرمين ، وهكذا كل من وعى شيئا غاية الوعي حفظه كل الحفظ ، انظر إلى قوله تعالى " ولا تعجله بالقرآن من قبل أن يلقى إليك وحيه وقل رب زدني علما " ، " لا تحرك به لسانك لتعجل به " - الآية^٣ .

ولما كان السياق في هذه السورة التحذير ، قال معللا للجملة التي قبله^٤ : (لتكون من المنذرين^٥) أي المخوفين المحذرين لمن أءض عن الإيمان ، وفعل ما نهى^٦ عنه من^٧ العصيان .
ولما كان القصد^٨ من السورة التسلية عن^٩ عدم إيمانهم بأنه لسفول شأنهم ، لاخلل^{١٠} في يانه ، ولا لنقص في شأنه ، قال تعالى [موضعا لتمكنه من قلبه - "] : (بلسان عربي) . ولما كان في العربي ما هو حوشى لفظا أو تركيبا ، مشكل على كثير من العرب ، قال : (مبين^{١١}) أي بين في نفسه كاشف لما يراد منه غير تارك لبسا^{١٢} عند من تدبره^{١٣} ١٥

(١) من ظ و مد ، وفي الأصل : تمكينه (٢) في ظ : بدخله (٣) سورة ٢٠

آية ١١٤ (٤) - سورة ٧٥ آية ١٦ (٥) بياض في الأصل ، ملأناه من ظ و مد .

(٦ - ٦) من ظ و مد ، وفي الأصل : عن (٧) في ظ : المقصود (٨) من ظ

و مد ، وفي الأصل : على (٩) في ظ : بخل (١٠) زيد من ظ و مد (١١) في

ظ : شيئا ، والكلمة متكررة في الأصل .

حق تدبره على ما يتعارفه العرب في مخاطباتها، من سائر لغاتها، بحقائقها
و مجازاتها، على اتساع إراداتها، و تباعد مراميها في محاوراتها، و حسن
مقاصدها في كنيائاتها و استعاراتها، و من يحيط / بذلك حق الإحاطة غير
العليم الحكيم الخبير البصير، و إنما كانت عريته و إباته موضحة لسبقه
ه قلبه، لأن من تكلم^٢ بلغته - فكيف بالبين^٣ منها - تسبق^٤ المعاني
الألفاظ إلى قلبه، فلو كان أعجميا لكان نازلا على السمع، لأنه يسمع
أجراس حروف لا يفهم معانيها؛ قال الكشاف^٥: و قد يكون الرجل
عارفا بعبدة لغات، فاذا كلم^٦ بلغته التي لقنها أولا^٧ و نشأ عليها و تطبع بها
لم يكن قلبه إلا إلى^٨ المعاني،^٩ و لا يكاد^{١٠} يفطن للألفاظ^{١١}، و إن كلم بغيرها
١٠ و إن كان ماهرا فيها كان نظره أولا في ألفاظها ثم في معانيها - انتهى .
ففيه تقرع عظيم لمن يعرف لسان العرب و لا يؤمن به^{١٢} .

/٧٥١

و لما كان الاستكثار من الأدلة مما يسكن النفوس، و تطمئن به

(١-١) ما بين الرقین فی الأصل بیاض، ملأناه من ظ و مد (٢) فی ظ: کلم.
(٣) من ظ و مد، و فی الأصل: و الیمین (٤) من ظ و مد، و فی الأصل:
تسبق (٥) من ظ و مد، و فی الأصل: «الکسانی»، و المراد: صاحب الکشاف،
راجع منه ٢ / ١٠٠٨ (٦) من الکشاف، و فی الأصل: تکلم، و فی ظ
و مد: کلمته (٧) من ظ و مد و الکشاف، و فی الأصل: الا (٨) بیاض فی
الأصل، ملأناه من ظ و مد و الکشاف (٩-٩) من ظ و مد و الکشاف،
و فی الأصل: فلا یکاد (١٠) زید فی ظ: الی قلبه، و زید فی الکشاف:
کیف جرت (١١) من ظ و مد، و فی الأصل: بها .

القلوب، قال تعالى: ﴿ وانه ﴾ أى هذا القرآن أصوله وكثير من قصصه وأمهات فروعه ﴿ لنى زبر ﴾ أى كتب ﴿ الاولين ٥ ﴾ المضبوطة الظاهرة فى كونها أتت من السماء إلى أهلها الذين سيكنت النفوس إلى أنه أتتهم رسل، و شرعت لهم شرائع نزلت عليهم بها كتب من غير أن يخالط هذا الذى جاء به أحدا منهم أو من غيرهم فى علم ما، وكان ذلك دليلا ٥ قاطعا على ٢ أنه ما ٣ أتاه به إلا الله تعالى .

ولما كان التقدير: ألم يكن لهم أمانة على صدق ذلك أن يطلبوا تلك الزبر فينظروها فيذوقوا ذلك منها ليصلوا إلى حق اليقين؟ عطف عليه قوله: ﴿ اولم يكن لهم ﴾ .

[ولما كان هذا أسلوب الاستدلال، اقضى تقديم الخبر على الاسم ١٠ فى قراءة الجمهور بالتذكير والنصب، فقال بعد تقديم لما اقتضاه من الحال - ٢]: ﴿ اية ﴾ أى علامة على النسبة إلينا؛ ثم أتبع ذلك الاسم محلولا إلى 'أن' والفعل لأنه أخص [وأعرف - ٢] وأوضح من ذكر المصدر، فقال: ﴿ ان يعلم ﴾ أى هذا الذى أتى به نبينا من عندنا؛ 'وأنث ابن عامر الفعل ورفع "اية" اسما وأخبر عنها بأن والفعل ١٥ ﴿ علموا بنى اسرائيل ٥ ﴾ [فيقروا به - ٢] ولا ينكروه، ليؤمنوا به ولا يهجره، فان قريشا كانوا كثيرا ما يرجعون إليهم ويقولون * فى (١) من ظ ومد، وفى الأصل: امتهم (٢ - ٢) سقط من ظ ومد (٣) زيد من ظ ومد (٤ - ٤) بياض فى الأصل، ملأه من ظ ومد (٥) من مد، وفى الأصل و ظ : يقولون .

نظم الدرر (سورة الشعراء ٢٦: ١٩٨ - ٢٠٠) ج - ١٤

الآخبار الإلهية عليهم، فإن كثيرا منهم أسلم^١ و ذكر تصديق التوراة والإنجيل [و الزبور و غيرها من أسفار الأنبياء عليهم السلام -^٢] للقرآن في صفة النبي صلى الله عليه وسلم، وفي^٣ ذلك ما يؤيد صدقه، ويحقق أمره، وقد عرت الكتب المذكورة بعد ذلك، وأخرج منها علماء الإسلام كثيرا [عما -^٤] أهملوه حجة عليهم، ولا فرق في ذلك بين من أسلم منهم وبين غيرهم، فإنها حين نزول القرآن كان التبديل قد وقع فيها بأخبار الله تعالى، [و -^٥] عن ابن عباس^٦ رضى الله عنهما أن أهل مكة بعثوا إلى اليهود يسألونهم عن محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا: هذا زمانه، وإنا^٧ لنجد في التوراة صفته. فكان ذلك ملزما لهم بأخبار الله تعالى، وكذلك كل ما استخرج من الكتب يكون حجة على أهلها.

ولما كان التقدير: لم يروا شيئا من ذلك آية ولا آمنوا، عطف عليه أو^٨ على قوله تعالى أول السورة^٩ "فقد كذبوا" الآية: (ولو نزلناه) أى على ما هو عليه من الحكمة والإعجاز بما لنا من العظمة (على بعض الأعجمين^{١٠}) الذين لا يعرفون شيئا / من لسان العرب من

/٧٥٢

- (١) سقطت الواو من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣) زيد في الأصل: غير.
- ولم تكن الزيادة في ظ و مد لحذفها (٤) من ظ و مد، وفي الأصل: التغيير.
- (٥) زيد من مد؛ والعبارة من بعده إلى «لهم بأخبار الله تعالى» ساقطة من ظ.
- (٦) راجع الباب ٥ / ١٠٤ (٧) من مد والباب، وفي الأصل: اما - كذا.
- (٨) في ظ و، (٩) سقط من ظ.

البهائم أو الآدميين، جمع أعجم، وهو من لا يفصح وفي لسانه عجمة،
والأعجمي مثله بزيادة تأكيد لزيادة [ياء - ١] النسبة (فقرأ عليهم)
أى^٢. ذلك الذى^٣ نزلناه عليه على ما هو عليه من الفصاحة والإعجاز
مع علمهم القطعى أنه لا يعرف شيئا من اللسان (ما كانوا به مؤمنين^٤)
أى راضين ولتمحلوا الكفر عذرا في تسميته سحرا أو غير ذلك من ه
تعتهم "وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون" من فرط عنادهم،
وتهوؤهم للشر واستعدادهم له، بل لا يسمعون حق السماع، ولا يعونه حق
الوعى، بل سماعا وفهما على غير وجهه .

ولما كان [ذلك - ١] محل عجب، وكان ربما ظن له أن الأمر
على غير حقيقته، قرر مضمونه وحققه بقوله: (كذلك) أى مثل ١٠
هذا السلك^٥ العجيب - الذى^٦ هو سماع وفهم ظاهرى - في صعوبة مدخله
و ضيق مدرجه .

ولما لم يكن السياق مقتضيا لما اقتضاه سياق الحجر^٧ من التأكيد،
اكتفى بمجرد الحدوث فقال: (سلكته) أى كلامنا والحق الذى
أرسلنا به رسلنا [بما لنا من العظمة، في قلوبهم - هكذا كان الأصل، ١٥
ولكنه علق الحكم بالوصف، وعم كل زمن وكل من اتصف به فقال - ١]:
(في قلوب المجرمين^٨) أى الذين طبعناهم على الإجرام، وهو القطيعة
(١) زيد من ظ و مد (٢) سقط من ظ و مد (٣) سقط من ظ (٤) من ظ
و مد، وفي الأصل: لا يعرفه (ه - ه) ما بين الرقين بياض في الأصل، ملأناه
من ظ و مد (٦) في ظ: السالك (٧) بياض في الأصل، ملأناه من ظ و مد .

نظم الدرر (سورة الشعراء ٢٦: ٢٠١-٢٠٧) ج - ١٤

لما ينبغي وصله ، كما ينظم السهم إذا رمى به ، أو الرمح إذا طعن به
في القلب ، لا يتسع له ، ولا يشرح به ، بل تراه ضيقا حرجا .

و لما كان هذا المعنى خفيا ، بينه بقوله : ﴿ لا يؤمنون به ﴾ أي من
أجل ما جبلوا عليه من الإجرام ، وجعل على قلوبهم من الطبع و الحتام
ه ﴿ حتى يروا العذاب الاليم ﴾ فحينئذ يؤمنون حيث لا يفهم الإيمان
و يطلبون الأمان [حيث لا أمان - ١] .

و لما كان إتيان الشر فجأة أشد . وكان أخذه لهم عقب رؤيتهم
له من غير مهلة يحصل فيها نوع استعداد أصلا ، دل على ذلك مصورا
لحالته بقوله دالا بالفاء على الأشدية و التعقيب : ﴿ فيأتيهم بغتة ﴾ .
١٠ و لما كان البغت الإتيان على غفلة ، حقق ذلك نافيا للتجاوز بقوله :
﴿ وهم لا يشعرون ﴾ و دل على تطاوله في محالهم ، وجوسه لحلالهم ،
و رده في حلالهم ، بقوله دالا على ما هو أشد عليهم من المفاجأة
بالإهلاك : ﴿ فيقولوا ﴾ أي تأسفا و استسلاما و تلهفا في تلك الحالة
لعلهم بأنه لا طاقة به بوجه : ﴿ هل نحن منظرون ﴾ أي مفسوح لنا
١٥ في آجالنا لنسمع و نطيع .

و لما حقق أن حالهم عند الأخذ الجوار بالذل و الصغار [به - ١] ،
تسبب عنه ما يستحقون باستعجاله من الإنكار في قوله ، منبها على أن
قدره يفوق الوصف بنون العظمة : ﴿ ابعذابنا ﴾ أي وقد تبين لهم
(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، وفي الأصل : ثانيا (٣) في ظ :
مفسوخ (٤) في ظ : يستحقونه (٥) في ظ : لكم .

كيف

كيف كان أخذه للآثم الماضية، و القرون الخالية، و الأقوام العاتية
 ﴿ يستعجلون ﴾ أى بقولهم : أمطر علينا حجارة من السماء^١، أسقط السماء
 علينا كسفا، انت بالله و الملائكة قبيلا، كما قال هؤلاء الذين قصصنا / أمرهم،
 و نزلونا ذكرهم " فاسقط علينا كسفا من السماء " و نحو ذلك .

و لما تصورت حالة مآبهم، فى أخذهم بعذابهم، [و كان استعجالهم
 به يتضمن الاستخفاف و التكذيب و الوثوق بأنهم ممتعون، و تعلق آمالهم
 بأن تمتيعهم بطول زمانه، و كان من يؤذونه يتمنى لو عجل لهم^٢]،
 سبب عن ذلك سبحانه سؤال داعيهم مسليا و مؤسيا و معزيا فقال :
 ﴿ افرءيت ﴾ أى هب أن الأمر كما يعتقدون من طول عيشهم فى النعيم
 فأخبرنى ﴿ ان متعئهم ﴾ أى فى الدنيا برغد العيش و صافى الحياة . ١٠

و لما كانت حياة الكافر فى غاية الضيق^٣ و التكد و إن كان فى
 أصنى رغد، عبر بما يدل على القحط بصيغة القلة و إن كان السياق يدل
 على أنها للكثرة فقال : ﴿ سنين لا ثم جاءهم ﴾ أى بعد تلك السنين
 المتطاولة، و الدهور المتواصلة ﴿ ما كانوا يوعدون ﴾ أى بما طال إنذارك
 بإيام به و تحذيرك لهم منه على غاية التقريب لهم و التمكين فى إسماعهم، ١٥
 أخبرنى ﴿ ما ﴾ أى أى شئ. ﴿ اغنى عنهم ﴾ أى فيما أخذهم من العذاب
 ﴿ ما كانوا ﴾ أى كونا هو فى غاية المكنة و طول الزمان ﴿ يمتعون ﴾

(١-١) سقط ما بين الرقين من ظ و مد (٢) من ظ و مد (٣) من ظ و مد،
 و فى الأصل : صار فى (٤) من ظ و مد، و فى الأصل : المضيق (٥) فى ظ :
 الكثرة (٦) زيد فى ظ : بيان .

تمتيعا هو في غاية السهولة عندنا، وصوره بصورة الكائن تنديما عليه،
والمعنى أنه ما أغنى عنهم شيئا لأن عاقبه الهلاك، وزادهم بعدا^١ من الله
وعذابا بزيادة الآثام الموجبة لشديد^٢ الانتقام.

ولما كان التقدير: لم يغن عنهم شيئا لأنهم ما أخذوا إلا بعد إنذار
المنذرين، لمشافهتك إياهم به، وسماعهم لمثل ذلك عن مضى قبلهم من
الرسل، عطف عليه قوله: (وما أهلكنا) أى بعظمتنا، وأعلم بالاستغراق
بقوله: (من قرية) أى من القرى^٣ السالفة، بقلب الاستتصال
(إلا لها منذرون^٤) رسولهم ومن تبعه من أمته ومن سمعوا من الرسل
بأخبارهم مع أنهم من قبل، وأعراها من الواو لأن الحال لم يقتض
١٠ التأكيد كما في الحجر، لأن^٥ المنذرين مشاهدون. وإذا تأملت آيات
الموضعين ظهر لك ذلك؛ ثم علل الإنذار بقوله: (ذكرى^٦) أى تنبيها
عظيما على ما فيه^٧ النجاة، وتذكيرا بأشياء يعرفونها بما أدت إليه فطر
عقولهم، وقادت إليه بصائر قلوبهم، و^٨ جعل المنذرين نفس الذكرى
كما قال تعالى "قد أزل الله إليكم ذكرا رسولا^٩" وذلك إشارة إلى
١٥ إمعانهم في التذكير حتى صاروا إياه.

ولما كان التقدير: فما أهلكنا قرية منها إلا بالحق، عطف عليه

- (١) من ظ ومد، وفي الأصل: بعد (٢) من ظ ومد، وفي الأصل: لشدايد.
(٣) من ظ ومد، وفي الأصل: القرون (٤) -قط من ظ (ه) في ظ ومد:
فان (٦) زيد في ظ: من (٧) من ظ ومد، وفي الأصل: او (٨) راجع
سورة ٦٥ آية ١٠، ١١.

قوله: ﴿ وما كنا ﴾ أو الواو للحال من نون " اهلكنا " ﴿ ظلمين ٥ ﴾
 أى فى إهلاك شىء منها لأنهم كفروا نعمتنا، وعبدوا غيرنا، بعد الإعذار
 إليهم، ومتابعة الحجج^٢، ومواصلة الوعيد^٣.

ولما أخبر سبحانه أن غاية إزال هذا القرآن كونه صلى الله عليه وسلم
 من المنذرين، وأتبع ذلك ما لأمه حتى ختم بأهلك من كذب المنذرين، ٥
 عطف على قوله " نزل به الروح " قوله إعلاماً بأن العناية شديدة فى
 هذا السياق بالقرآن لتقرير أنه من عند الله ونفى اللبس عنه بقوله^٤:
 ﴿ وما تنزلت به ﴾ أى القرآن / ﴿ الشيطيين ٥ ﴾ أى ليكون سحراً أو كهانة
 أو شعراً أو أضغاث أحلام كما يقولون .

ولما كان لا يلزم من عدم التلبس بالفعل عدم الصلاحية له قال: ١٠
 ﴿ وما ينبغي لهم ﴾ أى ما يصح وما يتصور منهم النزول بشىء منه
 لأنه خير كله^٥ و بركة، وهم مادة الشر والهلكة، فبينهما تمام التباين،
 وأنت سكينة و نور، وهم زلزلة وثبور، فلا إقبال لهم عليك، ولا سبيل
 بوجه إليك .

ولما كانت عدم الاتقاء لا يلزم منه عدم القدرة قال: ١٥
 ﴿ وما يستطيعون^٦ ﴾ أى النزول به وإن اشتدت معالجتهم على تقدير
 أن يكون لهم قابلية لذلك؛ ثم علل هذا بقوله: ﴿ انهم عن السمع ﴾ أى
 (١) من مد، وفى الأصل وظ: أى (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ ومد: الوعد.
 (٤) من ظ ومد، وفى الأصل: لشيء (٥) من ظ ومد، وفى الأصل: لكم.
 (٦) فى ظ: قادة .

نظم الدرر (سورة الشعراء ٢٦ : ٢١٢ - ٢١٤) ج - ١٤

الكامل الحق، من الملاّ الأعلى (لعزولون^١) أى بما حفظت به السماء
من الشهب وبما باينوا به الملائكة فى الحقيقة لأنهم خير صرف، ونور
خالص، وهؤلاء شربحت وظلة محضة، فلا يسمعون إلا خطفا، فيصير
- بما يسبق إلى أفهامهم، ويتصور من باب الخيال فى أوهامهم - خطأ
٥ لاحقيقة لاكثره^٢، فلا وثوق بأغلبه^٣، ولا يبعد أن يكون ذلك عاما
حتى يشمل السماع من المؤمنين لما شاركوا به الملائكة من النور والخير،
انظر ما ورد فى آية الكرسي من أنها لا تقرأ فى بيت فيقر به شيطان،
وفى رواية : إلا خرج منه الشيطان، وورد نحوه فى الآيتين من آخر
سورة البقرة، وكذا ما كان من أشكال ذلك، وأعظم منه قوله عليه
١٠ الصلاة والسلام^٤ لعمرضى الله عنه : إنه يا ابن الخطاب والذى نفسى
بيده ما رآك الشيطان سالكا فجا إلا سلك فجا غير فجاك . وترك تعليل
الابتغاء^٥ لظهوره .

ولما كان تقديره أنهم إلى الطواغيت الباطلة يدعون، والقرآن
داع إلى الله الحق المبين، سبب عنه قوله : (فلا تدع) وخاطب فيه
١٥ عليه الصلاة والسلام وهو أكرم الخلق لديه، وأعزم عليه، ليكون
لطفا لغيره فيما يأتى من الإنذار، فيكون الوعيد أزجر له، ويكون هو
له أقبل (مع الله) أى الحائز لكل كمال الداعى إليه هذا القرآن الذى
(١) من ظ و مد، وفى الأصل : لكثرة (٢) سقط من ظ (٣) راجع مسند
الإمام أحمد ١ / ١٧١ وقد رواه البخارى فى غير مناسبة (٤) من مد، وفى
الأصل : الاشقاء، وفى ظ : الابتغاء - كذا .

نزل به عليك الروح الأمين، لما بينك وبينهما من تمام النسبة بالتورانية
والخير ﴿الها﴾ وتقدم في آخر الفرقان حكمة الإتيان بقوله :
﴿اخرأ فتكون﴾ أى فيتسبب عن ذلك أن تكون ﴿من المعذنين﴾ من
تقادر على ما يريد بأيسر أمر وأسهله ، وهذا الكلام لكل من سمع
القرآن في الحث على تدبر معناه ، ومقصده ومغزاه ، يعلم أنه في غاية
المباينة للشياطين و ضلالهم ، والملازمة للقربين وأحوالهم ، ولعله خاطب
به المعصوم ، زيادة في الحث على اتباع الهدى ، وتجنب الردى ، وليعطف
عليه قوله : ﴿وانذر﴾ أى بهذا القرآن ﴿عشيرتك﴾ أى قبيلتك
﴿الاقربين﴾ أى الأذنين في النسب ، ولا تحاب أحدا ، فان المقصود
الاعظم به النذارة لكف الخلائق عما يشمر الهلاك من اتباع الشياطين ١٠
الذين اجتالوم عن دينهم بعد أن كانوا حنفاء كلهم ، وإنذار الأقرين
فيهم الإنذار / لغيرهم من باب الأولى ، ويكسر من أنفة الأبعد للمواجهة
بما يكره ، لانه سلك به مسلك الأقرب ، ولقد قام صلى الله عليه وسلم
بهذه الآية حق القيام ؛ روى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما
قال : لما نزلت صعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا فجعل ينادى : ١٥
يا بنى فهر [يا بنى عدى -^أ] - لبطون قريش حتى اجتمعوا ، فجعل الرجل
(١) تقدم في الأصل على د وتقدم ، ، والترتيب من ظ و مد (٢) من ظ و مد ،
وفي الأصل : يكون (٣) في ظ : لنعطف (٤) من ظ و مد ، وفي الأصل : يقر .
(٥) في ظ : الاول (٦) من ظ و مد ، وفي الأصل : لا (٧) راجع كتاب
التفسير ٧٠٢/٢ (٨) زيد من ظ و مد والصحيح (٩) سقط من ظ .

نظم الدرر (سورة الشعراء ٢٦: ٢١٥-٢١٧) ج - ١٤

إذا لم يستطع^١ أن يخرج^٢ أرسل رسولا لينظر ما هو، لجاء أبو لهب
وقريش، فقال: أرايتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير
عليكم أكنتم^٣ مصدق^٤؟ قالوا: نعم! ما جربنا عليك إلا صدقا، قال: فاني
نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب: تب! لك سائر اليوم،
هـ لهذا^٥ جمعتا؛ فنزلت "تبت يدا أبي لهب وتب" وفي رواية: أنه
صلى الله عليه وسلم قال: يا معشر قريش! اشتروا أنفسكم، لا أغنى عنكم
من الله شيئا، يا بني عبد مناف! لا أغنى عنكم من الله شيئا! يا عباس بن
عبد المطلب! لا أغنى عنك من الله شيئا،^٦ ويا صفية عمة رسول الله!
لا أغنى عنك من الله شيئا^٧، ويا فاطمة بنت محمد! سليني ما شئت من
١٠ مالي، لا أغنى عنك من الله شيئا^٨. وروى القصة أبو يعلى^٩ عن الزبير
ابن العوام رضى الله عنه أن قريشا جاءته فخذرم و أنذرهم، فسألوه
آيات سليمان في الريح و داود في الجبال و موسى في البحر و عيسى
في إحياء الموتى^{١٠}، و أن يسير الجبال، و يفجر الأنهار، و يجعل الصخر
ذهبا، فأوحى الله^{١١} إليه و هم عنده، فلما سرى عنه أخبرهم أنه أعطى ما
١٥ سألوه، ولكنه^{١٢} إن أراهم فكفروا عوجلوا^{١٣}. فاختار صلى الله عليه وسلم

(١-١) سقط ما بين الرقين من ظ (٢) من ظ و مد والصحيح، وفي الأصل:
كنتم (٣) من ظ و مد والصحيح، وفي الأصل: لهذا (٤) راجع كتاب التفسير
٧/٢٠٢ (٥-٥) سقط ما بين الرقين من ظ و مد (٦) راجع مجمع الزوائد ٨٥/٧٠
(٧-٧) من ظ و مد، وفي الأصل: الإحياء (٨) سقط من ظ و مد (٩) في
ظ: لكنهم (١٠) من ظ و مد، وفي الأصل: عجلوا.

[الصبر - ١] عليهم ليدخلهم الله باب الرحمة .

و لما كانت النذارة إنما هي للتولين ، أمر بضدهما لأضدادهم فقال :

(و اخفض جناحك) أى لن غاية اللين ، وذلك لأن الطائر إذا أراد

أن يرتفع رفع جناحه ، فإذا أراد أن ينحط كسرهما و خفضهما ، فجعل

ذلك مثلاً فى التواضع (لمن اتبعك) ولعله احترز بالتعبير بصيغة الافعال •

عن مثل أبى طالب ممن لم يؤمن أو آمن ظاهراً وكان مناقلاً أو ضعيفاً

فى الإيمان فاسقاً ؛ و حقق المراد بقوله : (من المؤمنين) أى الذين صار

الإيمان لهم صفة راسخة سواء كانوا من الأقربين أو الأبعدين .

و لما أفهم ذلك أن هذا الحكم عام فى جميع أحوالهم ، فصل بقوله :

(فان عصوك) أى هم فغيرهم [من باب الأولى - ١] (قتل) أى ١٠

تاركاً لما كنت تعاملهم به حال الإيمان من اللين : (انى برىء) أى منفصل

غاية الانفصال (بما تعملون) أى من العصيان الذى أئذر منه القرآن ،

و خص المؤمنين إعلاء لمقامهم ، بالزيادة فى إكرامهم ، ليؤذن ذلك المزلزل

بالعلم بحاله فيحذره ذلك على اللحاق بهم .

و لما أعلت هذه الآية بمناذرة من عصى كائناً من كان ولو ١٥

كان ممن ظهر منه الرسوخ فى الإيمان ، لما يرى منه عظيم الإذعان ،

أتبعه قوله : (و توكل) [أى - ١] فى عصمتك و نجاتك و الإقبال

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : ان (٣) من ظ و مد ،

وفى الأصل " و " (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : و غيرهم (ه - ه) من ظ

و مد ، وفى الأصل : فما (٦) فى ظ : لما (٧) من ظ و مد . وفى الأصل : فيه .

بالمندرين إلى الطاعة، و قراءة / أهل المدينة والشام^١ بالفاء السبية أدل
 على ذلك ﴿على العزيز﴾ أى القادر على الدفع عنكم و الاتقام منهم
 ﴿الرحيم﴾ أى المرجو لإكرام^٢ الجميع برفع المخالفة و الشحنة، و الإسعاد
 بالاستعمال فيما يرضيه^٣، ثم أتبع الأمر بالتوكل الوصف بما يقتضى
 الكفاية فى كل ما ينوب من دفع الضر^٤ و جلب النفع، و ذلك هو
 العلم المحيط المقضى لجميع أوصاف الكمال، قال: ﴿الذى برنك﴾ أى
 بصرا و علما ﴿حين تقوم﴾ من نومك من فرشك^٥ تاركا لحبك، لأجل
 [رضا - °] ربك ﴿و﴾ يرى ﴿تقلبك﴾ فى الصلاة ساجدا و قائما
 ﴿فى السجدين﴾ أى المصلين من أتباعك المؤمنين، لكم دوى بالقرآن
 ١٠ كدوى النحل، و تضرع من خوف الله، و دعاء و زفرات تصاعد و بكاء،
 [أى - ٦] فهو جدير لإقبالكم عليه، و خضوعكم بين يديه، بأن يحبوكم
 بكل ما يسركم.

ولما كانت هذه الأحوال مشتملة على الأقوال، و كان قد قدم
 الرؤية المتضمنة للعلم، علل ذلك بالتصريح به مقرونا بالسمع فقال:
 ١٥ ﴿انه هو﴾ أى وحده ﴿السميع﴾ أى لجميع أقوالكم ﴿العليم﴾ أى
 بجميع ما تسرونه و تعلنونه من أعمالكم. و قد تقدم غير مرة أن شمول العلم
 (١) راجع ثمر المرجان ٥/ ٧١ (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: الاكرام.
 (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: الضرر (٤) زيدت الواو بعده فى الأصل و لم
 تكن فى ظ و مد فحذفناها (٥) زيد من ظ، و الكلمة مطموسة فى مد (٦) زيد
 من ظ و مد.

يستلزم تمام القدرة ، فصار كأنه قال : إنه السميع العليم البصير القدير ،
ثبينا للتركول عليه .

ولما بين سبحانه أن القرآن منافٍ لأقوال الشياطين ، وبين أن
حال النبي صلى الله عليه وسلم وحال أتباعه منافية لأحوالهم وأحوال
من يأتونه من الكهان بما ذكره سبحانه من فعله صلى الله عليه وسلم ه
وفعل أشياعه رضى الله عنهم من الإقبال على الله ، والإعراض عما سواه ،
فعلم أن بينهم وبينهم^٢ بونا بعيدا ، وفرقا كبيرا شديدا ، وأن حال النبي
صلى الله عليه وسلم موافق لحال الروح الأمين ، النازل عليه بالذكر
الحكيم ، تشوفت النفس إلى معرفة أحوال^٣ إخوان الشياطين ، فقال محركا
لمن يريد ذلك ، متما^٤ لدفع اللبس عن كون القرآن من عند الله ، وفرق ١٠
بين الآيات المتكفلة^٥ بذلك نظرية لذكرها وتنبئها على تأكيد أمرها :
(هل انبشكم) أى أخبركم خبرا جليلا^٦ نافعا فى الدين ، عظيم الجدوى
فى الفرقان [بين - ٧] أولياء الرحمن وإخوان الشيطان (على من نزل)
وتردد^٨ (الشيطيين^٩) حين تسرق السمع على^{١٠} ضرب من الخفاء بما
آذن به حذف^{١١} التاء ، ودخل حرف الجر على الاسم المتضمن للاستفهام ، ١٥

(١) فى ظ : لا (٢) فى ظ : بينه (٣) سقط من ظ (٤ - ٤) من ظ و مد ، وفى
الأصل : مجيبا لمن أراد ذلك متبها (٥) من مد ، وفى الأصل : المتكفلة ، وفى
ظ : المتكفلة (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : جليلا (٧) زيد من ظ و مد .
(٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : تردد (٩) زيد فى الأصل : كل ، ولم تكن
الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (١٠) من ظ و مد ، وفى الأصل : حرف .

لأن معنى التضمن أنه كان أصله: آمن، فحذفت منه الهمزة حذفاً مستمراً
كما فعل في 'هل' لأن أصله 'أهل' كما قال:

سائل فوارس يربوع بشـدتنا أهل رأونا بسفح القاع ذى الآم
فلاستفهام مقدر قبل الجار - أفاده الزمخشري .

و لما كان كأنه قيل : نعم أنبتنا قال : (تنزل) على سبيل

التدرج و الردد (على كل أفاك) أى صراف - على جهة الكثرة

و المبالغة - للأمر عن وجوها بالكذب والبهتان، و الحداق و العدوان،

من جملة الكهان و أخذان الجان (ائيم) فعال للآثام بغاية جهده،

/ و هؤلاء الأئمة (يلقون السمع) إلى الشياطين، و يصفون إليهم غاية

١٠ الإصغاء، لما بينهما من التعاشق بجامع إلقاء الكذب من غير أكثر

و لا تحاش، أو يلقي الشياطين ما يسمعون مما يسترقون استماعه من

الملائكة إلى أوليائهم، فهم بما سمعوا منهم يحدثون، و بما زينت لهم

نفوسهم يخلطون (و أكثرهم) أى الفريقين (كذبون) فيما ينقلونه

عما يسمعون من الإخبار بما حصل فيما وصل إليهم من التخليط، و ما

١٥ زادوه من الاقتراف و التخليط انهما كاذبان في شهوة علم المغيبات، الموقع

(١) راجع الكشف ١٠١٣/٢ (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: جهة (٣) من

ظ و مد، و فى الأصل: فقال (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: لائمة .

(٥) من ظ و مد، و فى الأصل: التفاسق (٦-٦) من ظ و مد، و فى الأصل:

التراب و لا تحاش - كذا (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: الشيطان (٨) فى

ظ و مد: يسمعون (٩-٩) من ظ و مد، و فى الأصل: الاختلاط و التفريق

في الإفك والضلالات^١؛ قال الرازي في اللوامع ما معناه أنه حيثما كان استقامة^٢ في حال الخيال - أي القوة المتخيلة - كانت منزلة الملائكة، وحيثما كان اعوجاج في حال الخيال كان منزل الشياطين، فمن ناسب الروحانيين من الملائكة كان مهبطهم عليه، و ظهورهم له، وتأثيرهم فيه، وتمثلهم [به -^٣]، حتى إذا ظهوروا عليه تكلم بكلامهم و تكلموا بلسانه، ه و رأى بأبصارهم وأبصروا بعينه^٤، فهم ملائكة يمشون في الأرض مطمئنين "ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تنزل عليهم الملائكة" ومن ناسب الشياطين من الآبالسة كان مهبطهم عليه، و ظهورهم له، [و تأثيرهم فيه -^٥]، وتمثلهم به، [حتى إذا ظهوروا عليه تكلم بكلامهم و تكلموا بلسانه، و رأى بأبصارهم وأبصروا -^٦] بعينه، هم شياطين ١٠ الإنس يمشون في الأرض مفسدين - انتهى .

و لما بطل - بابعاده عن دركات الشياطين، و إصعاده إلى درجات الروحانيين، من الملائكة المقربين، الآتين عن رب العالمين - كونه سحرا، و كونه أضغاثا و مفترى، نفى سبحانه كونه شعرا بقوله: ﴿و الشعراء يتبعهم﴾ أي بغاية الجهد، [في -^٧] قراءة غير نافع بالتشديد^٨، لاستحسان مقالهم ١٥ و فعالهم، فيتعلون منهم و ينقلون عنهم ﴿الغافلون﴾ أي الضالون المائلون عن السنن الآقوم إلى الزنا و الفحش و كل فساد يجر إلى الهلاك، و هم كما ترى بعيدون من أتباع

(١) من ظ و مد، وفي الأصل: الضلال (٢) من ظ و مد، وفي الأصل:

استفهامه (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد، وفي الأصل: بعينه .

(٥) راجع ثر المرجان ٧٣/٥ .

محمد صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم الساجدين الباكين الزاهدين :
ولما قرر حال أتباعهم، فلم منه أنهم هم أغوى منهم، لتهتكهم^١
في شهوة اللقطة باللسان، حتى حسن لهم الزور والبهتان، [دل - ٢]
على ذلك بقوله: ﴿الم تر أنهم﴾ أى الشعراء. ومثل حالهم بقوله:
هـ ﴿فى كل واد﴾ أى من أودية القول من المدح والهجو والنسب والرتاء
والخاسة والمجون^٢ وغير ذلك ﴿يهمون﴾ أى يسرون سير الهائم^٣
حائرين، وعن طريق الحق جائرين، كيفما جرم القول انجروا من القدح^٤
فى الانساب، والتشبيب بالحرم، والهجو. ومدح من لا يستحق المدح
ونحو ذلك، ولهذا قال: ﴿وانهم يقولون ما لا يفعلون﴾ أى لأنهم
لم يقصدوه. وإنما الجأهم^٥ إليه الفن الذى سلكوه^٦ فأكثر أقوالهم لاحقائق
لها، انظر إلى مقامات الحربرى وما اصطنع فيها من الحكايات، وابتدع^٧
بها من الأمور المعجبات، التى لاحقائق لها، وقد جعلها / أهل الاتحاد
أصلاً لبدعتهم الكافرة، وقاعدة لصفقتهم الخاسرة، فما أظهر حالهم،
وأوضح ضلالهم! وهذا بخلاف القرآن فإنه معان جليلة محققة، فى ألفاظ
د متينة^٨ جميلة منسقة، وأساليب معجزة مفحمة، ونظوم معجبة محكمة،

/ ٧٥٨

(١) من ظ و مد. وفى الأصل: لتهتكهم (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ
و مد. وفى الأصل: المجون (٤) من ظ و مد، وفى الأصل: البهائم.
(٥) من ظ و مد، وفى الأصل: الفتوح (٦) فى ظ: الجاه (٧) من ظ و مد،
وفى الأصل: يسلكوه (٨) فى الأصل: ابتدى، وفى ظ: أبدى، والفعل
مطموس فى مد (٩) من ظ و مد، وفى الأصل: مثبتة.

لا كلفة في شيء منها، فلا رغبة لذى طبع سليم عنها، فأتيج ذلك أنه لا يتبعهم على أمرهم إلا غاؤ مثلهم، ولا يزهد في [هذا - ١] القرآن إلا من طبعه جاف، وقلبه مظلّم مدلم.

و لما كان من الشعر - كما قال النبي صلى الله عليه وسلم - حكمة، وكان - كما قالت عائشة رضي الله تعالى عنها - بمنزلة الكلام منه حسن ه ومنه قبيح، وكان من الشعراء من يمدح الإسلام والمسلمين، ويهجو الشرك والمشركين، ويزهد في الدنيا ويرغب في الآخرة، و'يحث على' مكارم الأخلاق، ويفر عن مساوئها، وكان الفيصل بين قبلي^١ حسنة وقبيحة كثرة ذكر^٢ الله، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أى بالله ورسوله ﴿وَعَمِلُوا﴾ أى تصديقا لإيمانهم ﴿الصَّالِحِينَ﴾ أى التى شرعها ١٠ الله ورسوله لهم ﴿وَذَكَرُوا اللَّهَ﴾ مستحضرين ماله من الكمال ﴿كثيرا﴾ لم يشغلهم الشعر عن الذكر، بل بنوا شعرهم على أمر الدين والانتصار للشرع^٣، فصار لذلك كله^٤ ذكر الله، ويكنى مثالا لذلك قصيدة عزبت لأبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وجوابها لابن الزهرى، وكان إذ ذاك على شركه، وذلك في أول سرية كانت في الإسلام. وهى سرية ١٥ عبيدة بن الحارث [بن المطلب بن عبد مناف - ٩] رضي الله تعالى عنه،

(١) زيد من ظ و مد (٢) فى ظ : زهد (٣) فى ظ : رغب (٤ - ٥) من ظ و مد، وفى الأصل : بعث على (٥) من ظ و مد، وفى الأصل : قبلى (٦) من ظ و مد، وفى الأصل : على (٧) من ظ و مد، وفى الأصل : للشيوخ . (٨) سقط من ظ (٩) زيد من ظ و مد والإصابة فى معرفة الصحابة .

آيل

فان قصيدة أبى بكر رضى الله تعالى عنه ليس فيها بيت إلا وفيه ذكر الله
إما صريحا وإما بذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أو شيء من دينه ،
وما ليس فيه شيء من ذلك فهو آئل إليه لبنائه عليه ، وأما نقيضتها
فلا شيء في ذلك فيها ؛ قال ابن إسحاق : قال أبو بكر رضى الله تعالى
عنه في غزوة عبيدة بن الحارث رضى الله تعالى عنه :

أمن طيف سلمى بالطاح الدماث أرقى وأمر في العشرة حادث
ترى من لوى فرقة لا يصدىها عن الكفر تذكير ولا يثبت باعث
رسول أنام صادق فكذبوا عليه وقالوا لست فينا بما كـ
إذا ما دعوناهم إلى الحق أدبروا وهروا هرب المجرات اللواث
١٠ فكم قد متنا فيهم بقرابة وترك التقي شيء لهم غير كارث
فان يرجعوا عن كفرهم وتقوقهم فما طيات الحـل مثل الحباث
وإن يركبوا طغيانهم وضلالهم فليس عذاب الله عنهم بلائـ
ونحن أناس من ذؤابة غالب لنا العز منها في الفروع الأناث
فأولى رب الراقصات عشية حراجيح تحدى في السريح الرناث
١٥ كأدم ظباء حول مكة عكف^١ يردن حياض البر^٢ ذات النبات^٣
/ / ٧٥٩ / /
لئن لم يفيقوا عاجلا عن ضلالهم و لست إذا آليت قولاً بجائـ

(١) من ظ و مد ، وفي الأصل : فيها (٢) سقط من ظ و مد (٣) من ظ و مد ،
وفي الأصل : آيد (٤) راجع سيرة ابن هشام ٢ / ٣ (٥ - ٥) من ظ و مد
والسيرة ، وفي الأصل : المبيشة حارث (٦) في ظ : عاكف (٧ - ٧) من ظ
و مد والسيرة ، وفي الأصل : نات النهايت - كذا .

لتبتدرنهم غارة ذات مصدق تحرم أطهار النساء الطوامث
تقادر^١ قتل تعصب الطير حولهم ولا ترأف الكفار رأف ابن حارث
فأبلغ^٢ بنى سهم لديك رسالة وكل كفور يتغنى الشر باحث
فان تشعثوا عرضي على سوء رأيكم فاني^٣ من أعراضكم غير شاعث
فأجابه ابن الزعري^٤ فقال :

أمن رسم دار أقفرت بالعناث بكيت بعين دمعها غير لاث
ومن عجب الايام والدمر كله له عجب من سابقات وحادث
لجيش^٥ أنا ذى عرام يقوده عبيدة يدعى في الهياج ابن حارث
[لترك أصناما بمكة عكفا مواريث موروث كريم لوارث-^٦]
فلما لقينام بسر ردينة وجر دعتاق في العجاج لواث^٧
ويض كأن الملح فوق متونها بأيدي كاة كالليوث العواث
تقيم بها أصعار ما كان ماثلا ونشفي الذحول^٨ عاجلا غير لاث
فكفوا على^٩ خوف شديد وهية وأعجبهم^{١٠} "أمر لهم" أمر راث

(١) من ظ ومد و السيرة ، وفي الأصل : تقار (٢) من ظ ومد و السيرة ،
وفي الأصل : فبلغ (٣) من ظ ومد و السيرة ، وفي الأصل : فاني (٤) العبارة
من هنا إلى وقال : ساقطة من ظ ومد (٥) في الأصل : الزعري - خطأ .
(٦) من ظ ومد و السيرة ، وفي الأصل : بلنس - كذا (٧) زيد البيت من ظ
ومد و السيرة (٨) من السيرة ، وفي الأصول : الدخول (٩) من ظ ومد
و السيرة ، وفي الأصل : عن (١٠ - ١٠) من ظ ومد و السيرة . وفي
الأصل : اموالهم .

ولو أنهم لم يفعلوا فاح نوسة أيامي لهم من بين نساء وطامث
وقد غودرت قتلى^٢ يخبر عنهم حتى بهم أو غافل غير باحث
فأبلغ أبا بكر لديك رسالة فما أنت عن أعراض فهر^٣ بما كثر
ولما نجب مني يمين غليظة تجدد حربا حلفه غير جاث
ه وروى البغوي^٤ بسنده من طريق عبد الرزاق من حديث كعب بن مالك
رضي الله تعالى عنه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم: إن الله قد أنزل
في الشعراء ما أنزل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إن المؤمن يجاهد
بسيفه^٥ ولسانه، والذي نفسي بيده! لكأنما ترمونهم به نضع النبل.
وقد كان ابن عباس^٦ رضي الله عنهما ينشد الشعر ويستنشد^٧ في المسجد،
١٠ وروى الإمام أحمد^٨ حديث كعب هذا، وروى النسائي^٩ "رجال احتج"
بهم مسلم عن أنس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:
جاهدوا^{١٠} المشركين بأموالكم وأنفسكم وأستكم. قال البغوي^{١١}: وروى
أنه - أي ابن عباس رضي الله عنهما - دعا عمر بن أبي ربيعة المخزومي

(١) من ظ و مد و السيرة، وفي الأصول: إياس (٢ - ٢) من ظ و مد
و السيرة، وفي الأصل: غودت فلي (٣) من مد و السيرة، وفي الأصل وظ:
فهو (٤) راجع المعالم بهامش الباب ٥ / ١٠٨ (٥) من المعالم، وفي الأصول:
الشعراء (٦) من المعالم، وفي الأصول: بنفسه (٧) راجع المعالم بهامش الباب
٥ / ١٠٩ (٨) في ظ: ينشده (٩) سقطت الواو من ظ (١٠) راجع مسنده ٦ / ٣٨٧.
(١١) راجع من سنده أول كتاب الجهاد ص ٤٨٢ (١٢) من ظ و مد، وفي
الأصل: يحتج (١٣) من ظ و مد و السنن، وفي الأصل: جاهد.

فاستشده القصيدة التي قالها^١ :

أمن آل نعمى أنت غاد فبكر غداة^٢ غد أم^٣ رائح فهجير
وهي قريب من تسعين^٤ بيتا، فلما فرغها أعادها ابن عباس وكان
حفظها بمرّة واحدة، ويكنى الشاعر في القصص^٥ عن ذم هذه الآية له
أن لا يغلب عليه الشعر فيشغله^٦ عن الذكر حتى يكون من الغابرين، وليس هـ
من شرطه أن لا يكون في شعره هزل أصلا، فقد كان حسان رضي الله
تعالى عنه ينشد النبي صلى الله عليه وسلم مثل قوله في قصيدة^٧ / طويلة
مدحه صلى الله عليه وسلم فيها :

كأن سبيته من بيت رأس يكون مزاجها غسل و ماء^٨
إذا ما الأشربات ذكرن^٩ يوما فهن^{١٠} لطيب الراح القداء
نوليها الملامة إن أنسا إذا ما كان مغث أو لحاء
و نشرها فتركنا ملوكا وأسدا ما يتهنها اللقاء^{١١}

(١) من ظ و مد و المعالم، وفي الأصل : قال فيها (٢) من ظ و مد و المعالم،
وفي الأصل : غدا (٣) زيد في الأصل : انت، ولم تكن الزيادة في ظ و مد
و المعالم لحذفها (٤) من المعالم، وفي الأصول : سبعين (٥) من مد، وفي
الأصل و ظ : النقص (٦) من ظ و مد. وفي الأصل : فيشغله (٧) راجع
شرح ديوانه المطبوع بمصر ص ٣ (٨) زيد في الديوان :

على أنيابها أو طعم غص من التفاح هصره الجناه

(٩) من ظ و مد و الديوان، وفي الأصل : لكون - كذا (١٠) في الأصل
بياض، ملأناه من ظ و مد و الديوان (١١) من ظ و مد و الديوان، وفي
الأصل : القاء .

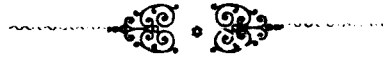
وقد كان تحريم الخمر سنة ثلاث من الهجرة أو سنة أربع، وهذه القصيدة قالها حسان رضى الله تعالى عنه في الفتح سنة ثمان أو في عمرة القضاء سنة سبع، فهي مما يقول الشاعر ما لا يفعل .

ولما عرف سبحانه بحال المستثنين في الذكر الذي هو أساس كل أمر، أنبه ما حملهم على الشعر من الظلم الذي رجاء النصر فقال :
(واتصروا) أى كفوا أنفسهم أسباب النصر بشعرهم فيمن آدام
(من بعد ما ظلموا) أى وقع ظلم الظالم لهم بهجو ونحوه .

ولما أباح سبحانه الاتصار من الظالم، وكان البادئ - إذا اقتصر الجيب على جوابه - أظلم، وكان - إذا تجاوز - جديرا بأن يعتدى فيندم،
١٠ حذر الله الاثنين مؤكدا للوعيد بالدين في قوله الذى كان السلف الصالح يتواظون به^١ لأنك لا تجد أهيب منه، ولا أهول ولا أوجع لقلوب المتأملين^٢، ولا أصدع لا كباء المتدبرين^٣ : (وسيعلم) وبالتعميم في قوله : (الذين ظلموا) أى كلهم من كانوا، [و -] بالتهويل بالإيهام في قوله : (أى منقلب) أى فى الدنيا والآخرة (ينقلبون) وقد
١٥ انعطف آخرها - كما ترى بوصف الكتاب المبين بما^٤ وصف به من

(١) من مد، وفى الأصل : ما، وفى ظ : بما (٢) فى ظ : بما (٣) زيد فى الأصل : هو، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد لحذفها (٤) فى ظ : الشعر .
(٥) من ظ و مد، وفى الأصل : الاثنين (٦ - ٧) فى ظ : لأنه لا يجد (٧) من ظ و مد، وفى الأصل : المتألمين (٨) فى ظ : المنذرين (٩) زيد من ظ و مد .
(١٠) فى ظ : كما .

الجلالة و العظم بأنه من [عند -^١] الله منزلاً به خير ما ليكته^٢ ، على
 أشرف خليقته^٣ ، مزيلاً لكل لبس ، منقياً^٤ عنه كل باطل ، وبالختام بالوعد
 على الظلم^٥ - على أولها في تعظيم الكتاب المين ، و تسلية النبي الكريم ،
 صلى الله عليه وسلم ، و وعيد الكافرين الذين هم أظلم الظالمين ، و اتصل
 بعدها في وصف القرآن المين ، و بشرى^٦ المؤمنين و وعيد الكافرين^٧ ، ه
 فسبحان من أنزله على النبي الأمي الأمين ، هدى للعالمين ، و آية بيته بعجازه
 للخلائق أجمعين ، باقية إلى يوم الدين^٨ .



(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، وفي الأصل : ملائكته (٣) من ظ
 و مد ، وفي الأصل : خلقه (٤) في ظ : متفها (٥) في ظ : الظالم (٦ - ٧) من
 مد ، وفي الأصل : للمؤمنين و وعيد للكافرين ، و سقط ما بين الرقنين من ظ .
 (٧) زيد في الأصل : جعلنا اسن الناجين ، ولم تكن الزيادة في ظ و مد لحذفناها .

سورة النمل

مقصودها وصف هذا الكتاب بالكفاية لهداية الخلق أجمعين ، بالفصل
بين الصراط المستقيم ، وطريق الخائبين ، و الجمع لأصول الدين ، لإحاطة
علم منزله بالحق والمبين ، وبشارة المؤمنين ، ونذارة الكافرين ، يوم اجتماع
الأولين و الآخرين ، وكل ذلك يرجع إلى العلم / المستلزم للحكمة ، فالمقصود
٥ / ٧٦١
الاعظم منها إظهار العلم و الحكمة [كما - ٢] كان مقصود التي قبلها إظهار
البطش و النعمة ، و أدل ما فيها على هذا المقصود ما للنمل من حسن التدبير ،
و سداد المذاهب في العيش ، و لاسيما ما ذكر عنها سبحانه من صحة القصد
في السياسة ، و حسن التعبير عن ذلك القصد ، و بلاغة التادية ﴿ سم الله ﴾
الذي كمل عليه فبهرت حكمته ﴿ الرحمن ﴾ الذي عم بالهداية بأوضح البيان^١
﴿ الرحيم ه ﴾ الذي منّ بحنان النعم . على من ألزمه الصراط المستقيم
﴿ طس قف ﴾ يشير إلى طهارة الطور [و ذى طوى منه - ٢] و طيب طيبه ،
و سعد بيت المقدس الذي بناه سليمان عليه الصلاة و السلام [التي انتشر
منها الناهي عن الظلم ، و إلى أنه - ٢] لما طهر سبحانه نبي إسرائيل ، و طيبهم
١٥ بالابتلاء فصبروا^٢ ، خلصهم من فرعون و جنوده بمسموع موسى عليه الصلاة
و السلام للوحي^٣ المخالف لشعر الشعراء ، و إفك الآثمين و زلته^٤ من الطور ،

(١) السابعة و العشرون من سور القرآن الكريم ، مكية ، و عدد آياتها خمس
و تسعون آية حجازي و أربع بصرى و شامى و ثلاث كوفى - راجع روح
المعاني ٢٥٢/٦ (٢) في ظ : يوم (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و في
الأصل : بيان (٥) زيدت الواو في الأصل ، و لم تكن في ظ و مد فحذفناها .
(٦) من ظ و مد ، و في الأصل : الوسى (٧) من ظ و مد ، و في الأصل : رسالته .

ولم يذكر تمام أمرهم باغراق فرعون ، لأن مقصودها إظهار العلم والحكمة دون البطش والنقمة ، فلم يقتض الحال ذكر الميم .

ولما ختم^٢ التي قبلها بتحقيق أمر القرآن ، وأنه من عند الله ، ونفي الشبه عنه وتزييف ما كانوا يتكلفونه من تفريق القول فيه بالنسبة إلى السحر

والأضغاث والافتراء والشعر ، الناشئ كل ذلك عن أحوال الشياطين ، هـ
وابتدا هذه بالإشارة إلى [أنه من الكلام القديم - ٢] المسموع المطهر عن

وصحة تلحقه من شيء من ذلك ، تلاه بوصفه بأنه كما أنه منظوم بمجموع لفظا ومعنى لا فصم فيه ولا خلل ، ولا وصم^٣ ولا زلل ، فهو جامع لأصول

الدين ناشر لفروعه ، بما أشار إليه من الكون من المسلمين فقال : ﴿ تلك ﴾

[أى - ٢] الآيات العالية المقام ، البعيدة المرام ، البديعة النظام ﴿ آيت القرآن ﴾ ١٠

أى التكامل فى قرآنيته الجامع للأصول ، الناشر للفروع ، الذى لا خلل فيه ولا فصم ، ولا صدع ولا وصم ﴿ و ﴾ آيات ﴿ كتب ﴾ أى و أى

كتاب هو مع كونه جامعا لجميع ما يصلح المعاش والمعاد ، قاطع فى أحكامه ، غالب فى أحكامه ، فى كل من نقضه وإبرامه ، وعطفه دون إتياعه

للدلالة على أنه^٤ كامل فى كل من قرآنيته وكتايبته ﴿ مبين ﴾ أى بين ١٥

فى نفسه أنه من عند الله [كاشف - ٢] لكل مشكل ، موضح لكل ملبس بما كان وما هو كائن^٥ من الأحكام والدلائل فى الأصول والفروع ،

والنكت والإشارات والمعارف ، فباله من جامع فارق واصل فاصل .

(١-١) من ظ و مد ، وفى الأصل : نفتص (٢) فى ظ و مد : ختمت (٣) زيد

من ظ و مد (٤) فى ظ : وهم (٥) سقط من ظ (٦) زيد فى الأصل : كان ،

ولم تكن الزيادة فى ظ و مد لحذفها (٧) زيدت الواو فى ظ .

و لما كانت العناية في هذه السورة بال نشر - الذى هو من لوازم الجمع
في مادة 'قرا' كما مضى بيانه أول الحجر - أكثر، قدم القرآن، يدل على
ذلك انتشار أمر موسى عليه الصلاة والسلام في أكثر قصته بتفريقه من
أمه، و خروجه من وطنه إلى مدين، و رجوعه بما صار إليه إلى ما كان فيه،
و التماسه^١ لأمله الهدى / و الصلى و اضطراب العصي و بث الخوف منها،
و آية اليد و جميع الآيات التسع، و اختيار التعبير بالقوم الذى أصل معناه
القيام، و إحصاء الآيات، و انتشار الهدى، و إخراج الحبا الذى منه تعليم
منطق الطير، و تكليم الدابة للناس، و انتشار المرأة [و - ٢] قومها و عرشها
بعد تردد الرسل^٢ بينها و بين سليمان عليه الصلاة والسلام، و كشف
١٠ الساق، و افتراق ثمود إلى فريقين، مع الاختصاص المشتق، و انتقام قوم
لوط عليه السلام إلى ما [لا - ٢] يحل، و تفريق الرياح نشرا، و تقسيم
الرزق بين السماء و الأرض، و مرور الجبال، و نشر الريح لنفخ الصور
الناشئ عنه فزع الخلائق المبعثر للقبور، إلى غير ذلك مما إذا تدبرت السورة
انفتح لك بابه، و انكشف عنه حجاب، و هذا بخلاف ما في الحجر على ما مضى -
١٥ و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: لما أوضح في سورة الشعراء
عظيم رحمته بالكتاب، و بيان ما تضمنه مما فضح به الأعداء، و رحم
به الأولياء، و براءته من أن تقسور الشياطين عليه، و باهر آياته الداعية
من اهتدى بها إليه، فتميز^٣ بعظيم آياته كونه فرقانا قاطعا، و نورا
ساطعا، أتبع سبحانه ذلك مدحة و ثناء، و ذكر من شملته رحمته به تخصيصا
له و اعتناء، فقال "تلك آيت القرآن" أى الحاصل عنها مجموع تلك الأنوار

(١) سقط من ظ (٢) في ظ : انقسامه (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد،
و في الأصل : المرسل (٥) من ظ و مد، و في الأصل : انتشار (٦) من ظ
و مد، و في الأصل : نشور (٧) من ظ و مد، و في الأصل : فيتميز.

آيات القرآن "وكتب مبين هدى وشرى للمؤمنين" ثم وصفهم ليحصل للتابع قسطه من بركة التبّع، وليتقوى رجاؤه في النجاة بما أشار إليه "وسيعلم الذين ظلموا" من عظيم ذلك المطلاع؛ ثم اتبع ذلك بالتنبية على صفة الآملين لما تقدم من القول والافراء تنزيها لعباده المتقين، وأوليائه المخلصين، عن دنس الشكوك والامتراء فقال "ان الذين لا يؤمنون هـ بالأخرة زينا لهم اعمالهم فهم يعمهون" أى يتحiron فلا يفرقون بين النور والإظلام، لارتباك الخواطر والافهام؛ ثم اتبع ذلك بتسليته عليه الصلاة والسلام بالقصص الواقعة بعد تنشيط له وتعريفه بعلى^٦ منصبه، وإطلاعا له على عظيم^٧ صنعه تعالى فيمن تقدم، ثم ختمت^٨ السورة بذكر أهل القيامة وبعض ما بين يديها، والإشارة إلى الجزاء ونجاة المؤمنين، وتهديد^{١٠} من تنكب^٩ عن سبيله عليه الصلاة والسلام - انتهى .

و لما عظم سبحانه آيات الكتاب بما فيها من^{١١} الجمع من النشر مع الإبانة، ذكر حاله فقال : (هدى) و لما كان الشيء قد يهدى إلى مقصود يكدر حال قاصده . قال نافيا لذلك، و عطف [عليه -^{١٢}] بالواو دلالة على الكمال فى كل من الوصفين : (و بشرى) [أى -^{١٣}] عظيمة . ١٥ فلما تشوفت النفوس^{١٤}، و ارتاحت القلوب . فطم من ليس بأهل عن عظيم هذه الثمرة فقال : (للمؤمنين^{١٥}) أى الذين صار ذلك لهم

(١) فى ظ : تبّع (٢) فى ظ : بعلو (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : عجيب . (٤) فى ظ : ختم (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : نكب (٦) فى ظ : مع (٧) زيد من ظ (٨) زيد من ظ و مد (٩) من ظ و مد ، وفى الأصل : النفس .

وصفاً لازماً بما كان لهم قبل دعاء الداعي / من طهارة الأخلاق، و طيب الأعراق، و في التصريح بهذا الحال تلويح بأنه فتنة و إنذار للكافرين "يضل به كثيراً و يهدى به كثيراً فاما الذين في قلوبهم زيغ" - الآية، "قل هو للذين آمنوا هدى و شفاء"، "و الذين لا يؤمنون في أذانهم وقره هو عليهم عمي" - إلى غير ذلك من الآيات .

و لما كان وصف الإيمان خفياً، و صفتهم بما يصدق من الأمور الظاهرة فقال : ﴿الذين يقيمون الصلوة﴾ أى بجميع حدودها الظاهرة و الباطنة من المواقيت و الطهارات^٢ و الشروط و الأركان و الخشوع و الخضوع و المراقبة و الإحسان إصلاحاً لما بينهم و بين الخالق .

١٠ و لما كان المقصود الأعظم من الزكاة إنما هو التوسعة على الفقراء قال : ﴿و يؤتون الزكاة﴾ أى إحساناً فيما بينهم و بين الخلاق . و لما كان الإيمان بالبعث هو الجامع لذلك و لغيره من سائر الطاعات، ذكره معظماً لتأكيده، فقال معلماً بجعله حالاً [إلا - ٣] أنه شرط لما قبله : ﴿و هم﴾ أى و الحال أنهم .

١٥ و لما كان الإيمان بالبعث هو السبب الأعظم للسعادة و هو محط للحكمة، عبر فيه بما يقتضى الاختصاص، لا للاختصاص بل للدلالة على غاية الرسوخ في الإيمان به، فقال : ﴿بالآخرة هم﴾ أى المختصون بأنهم ﴿يوقنون﴾ أى يوجدون الإيقان حق الإيجاد و يجدونه في كل حين

(١) في ظ : وصف (٢) في ظ و مد : الطهارة (٣) زيد من ظ و مد .
(٤ - ٤) من ظ و مد، و في الأصل : الاتخاذ و يجدونه (هـ) من ظ و مد، و في الأصل : حال .

بما يوجد منهم من الإقدام على الطاعة ، والإحجام^١ عن المعصية .
 ولما أفهم التخصيص أن فَم من يكذب^٢ بها وكان أمرها مركزا
 في الطباع ، لما عليها من الأدلة الباهرة في العقل و السماع ، تشوفت نفس^٣
 السامع على سبيل التعجب^٤ إلى حالهم ، فقال مجيا له مؤكدا تعجبا^٥ من
 ينكر ذلك : (ان الذين لا يؤمنون) أى يوجدون الإيمان و يحددونه ه
 (بالآخرة زينا) أى بعظمتنا اتى لا يمكن دفاعها (لهم اعمالهم) أى
 القبيحة ، حتى أعرضوا عن الخوف من عاقبتها مع ظهور قباحتها ، و الإسناد
 إليه سبحانه حقيقى عند أهل السنة لأنه الموجد الحقيقى ، و إلى الشيطان
 مجاز سبى (فهم) أى قسب عن ذلك أنهم (يعمهون^٦) أى يخطئون
 خبط من لا بصيرة له أصلا و يترددون فى أودية الضلال ، و يتمادون ١٠
 فى ذلك ، فهم كل لحظة فى خبط جديد ، بعمل غير سديد و لا سعيد ، فان
 العمه التحير و التردد كما هو حال الضال^٧ .

ولما خص المؤمنين بما علم منه أن لهم حسن اثواب ، و أنهم فى
 الآخرة هم الفازون ، ذكر ما يختص به هؤلاء من ضد ذلك فقال :
 (اولئك) أى البعداء البغضاء^٨ (الذين لهم) أى خاصة (سوء العذاب) ١٥
 فى الدارين : فى الدنيا بالأسر و القتل و الخوف (و هم فى الآخرة هم)

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل : الاحكام (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل :
 كذب (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : النفس (٤) من ظ و مد ، وفى
 الأصل : التمجيب (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : معجبا (٦-٧) تداخل ما
 بين الرقبن فى ظ و مد بعد « لا بصيرة له أصلا » (٧-٧) من ظ و مد ، وفى
 الأصل : البغضاء البعداء .

المختصون بأنهم ﴿الآخسرون﴾ أي أشد الناس خسارة لأنهم خسروا ما لا خسارة مثله، وهو أنفسهم التي لا يمكنهم إخراجها .

/ ٧٦٤

ولما وصف القرآن من الجمع والفرقان، بما اقتضى / بيان أهل الفوز والخسران، وكان حاصل حال الكفرة أنهم يتلقون كفرهم 'الذي هو' في غاية [السفه إما عن الشياطين الذين هم في غاية الشر، وإما عن آبائهم الذين هم في غاية - ٢] الجهل، وصف النبي صلى الله عليه وسلم بضد جاهلهم، فذكر جلاله المنزل عليه والمنزل ليكون أدعى إلى قبوله . فقال عاطفا على "ان الذين لا يؤمنون بالآخرة": ﴿وانك﴾ أي وأنت أشرف الخلق وأعلمهم وأحلمهم وأحكمهم ﴿اتلقى القرآن﴾ أي تجعل ١٠ متلقيا له من الملك، وحذف هنا الواسطة وبناه للفعل إعلاء له .

ولما كانت الأمور التي من عند الله تارة تكون على مقتضى الحكمة فتسند إلى أسبابها، وأخرى خارقة للعادة فتنسب إليه سبحانه، والخارقة [تارة - ٢] تكون في أول رتب الغرابة فيعبر عنها بعند، وتارة تكون في أعلاها فيعبر عنها ببلدن، به سبحانه على أن هذا القرآن في الذروة ١٥ من الغرابة في أنواع الخوارق فقال: ﴿من لدن﴾ .

ولما مضى في آخر الشعراء ما تقدم من الحكم الجملة في تنزيهه بهذا اللسان، وعلى قلب سيد ولد عدنان، بواسطة الروح الأمين . مبينا لأحوال الشياطين، إلى غير ذلك مما مضى إلى أن ختمت بتهديد الظالمين .

(١-١) من مد، وفي الأصل وظ: الذين هم (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد، وفي الأصل: فيتنسب (٤) من ظ و مد، وفي الأصل: الغرابة . (٥-٥) سقط ما بين الرقيين من ظ (٦) من ظ و مد، وفي الأصل: بواسطة .

وكان الظالم إلى الحكمة أحوج منه إلى [مطلق - '] العلم ، و قدم في هذه أنه هدى ، وكان الهادى لا يقتدى به ولا يوثق بهدائه إلا إن كان في علمه حكيمًا ، اقتضى السياق تقديم وصف الحكمة ، واقتضى الحال التكسير لمزيد التعظيم فقال : (حكيم) أى بالغ الحكمة ، ' فلا شيء ' من أفعاله إلا وهو في غاية الإتيان (عليم) أى عظيم العلم واسعه تامه ه شيامه ، فهو بعيد جدا عما ادعوه فيه من أنه كلام الخلق الذى لا علم لهم ولا حكمة إلا ما آتاهم الله ، ومصدق ذلك عجز جميع الخلق عن الإتيان بشيء من مثله ، وإدراك شيء من مغايزه حق إدراكه .

ولما وصفه بنهاج الحكمة وشمول العلم ، دل على كل من الوصفين . وعلى إبانة القرآن وما له من العظمة التى أشار إليها أول السورة بما ١٠ . يأتى فى السورة من القصص وغيرها ، واقتصر فى هذه السورة على هذه القصص لما بينها من عظيم تناسب [المناسب - '] لمقصود السورة ، فابتدئ بقصة أطبق فيها الأبعاد على الكفران فأهلكوا ، والاقارب على الإيمان . فأنجوا ، وثى بقصة أجمع فيها الأبعاد على الإيمان ، لم يتخلف منهم إنسان ، وثالث بأخرى حصل بين الاقارب فيها الفرقان ، باقسام الكفر والإيمان ، ١٥ . وختم بقصة تمالا الأبعاد فيها على العصيان . وأمرؤا على الكفران ،

(١) زيد من ظ و مد (٢-٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : قامسى (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : إياته (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : ما (٥) زيد فى الأصل : فابتدى بقصة ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد لخذفنا (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : الكفر .

فابتلعنهم الأرض ثم غطوا بالماء كما بلع^١ الأولين الماء فكان فيه النواه .

ولما كان تعلق "اذ" باذكر من الوضوح^٢ في حد لا يخفى على

أحد ، قال دالا على حكمته وعلته : (اذ) طاريا لمعلقه لوضوح أمره

فصار كأنه (قال) : اذكر حكمته وعلته حين قال (موسى لاهله)

٧٦٥ / ٥ [أي زوجه - ٢] وهو راجع من مدين إلى مصر . قيل : و لم / يكن

معه غيرها : (اتي - انست) أي أبصرت إبصارا حصل لى الأنس ،

و أزال غنى الوحشة و التوس (ناراً) فلم بما في هذه القصة من

الأفعال المحكمة المنبئة عن تمام العلم اتصافه بالوصفين علما مشاهدا ، وقدم

[ما - ٢] الحكمة فيه أظهر لاقتضاء الحال التأمين من نقض ما يؤمر

١٠ به من الأفعال .

ولما كان كأنه قيل : فما ذا تصنع^٣ ؟ قال آتيا بضمير المذكر المجموع

للتعبير عن^٤ الزوجة المذكورة بلفظ "الاهل" الصالح للمذكر و الجمع

صيانة لها و سترًا ، جازما بالوعد للتعبير بالخير الشامل للهدى و غيره ،

فكان^٥ تعلق الرجاء به أقوى من تعلقه بخصوص^٦ كونه هدى ، و لأن^٧

١٥ مقصود السورة يرجع إلى العلم ، فكان الأليق به الجزم ، و لذا عبر بالشهاب

الهادى لأولى الالباب : (سأتاكم) أي بوعد صادق و إن أبطأت

(١) في ظ : ابلغ (٢) زيدت الواو بعده في الأصل ، و لم تكن في ظ و مد فخذفها .

(٣) زيد من ظ و مد (٤) في ظ : تفعل ، و هو في مد مطموس (٥) من ظ

و مد ، و في الأصل : على (٦) في ظ : و كان (٧) في ظ : بخصوصه (٨) من

ظ و مد ، و في الأصل : لا .

(منها نجبر) أى و لعل بعضه يكون مما نهى به فى هذا الظلام إلى الطريق ، و كان قد ضلها (او اتاكم بشهاب) أى شعلة من نار ساطعة (قبس) أى عود جاف مأخوذ من معظم النار فهو بحيث قد استحسنت فيه النار فلا ينطفئ ؛ و قال البغوى^١ : و قال بعضهم : الشهاب شئ ذو نور مثل العمود ، و العرب تسمى كل أبيض ذى نور شهابا ، و القبس : هـ القطعة من النار . فقراءة الكوفيين بالتونين على البدل أو الوصف ، و قراءة غيرهم بالإضافة^٢ ، لأن القبس أخص . و علل إتيانه بذلك إيهاما لأنها ليلة باردة بقوله : (لعلكم تصطلون هـ) أى لتكونوا فى حال من يرجى أن يستدفئ بذلك أى يجدد به الدفء لوصوله معى فيه النار ، و آذن بقرب وصوله فقال : (فلما جاءها) أى تلك التى ظنها نارا . ١٠

و لما كان البيان بعد الإيهام أعظم ، لما فيه من التشويق ، و التهيت للفهم ، بنى للفعول قوله : (نودى) أى من قبل الله تعالى . و لما أبهم المنادى فتشوقت النفوس إلى يانه ، و كان البيان بالإشارة أعظم . لما فيه من توجه النفس إلى الاستدلال ، نه [سبحانه - ٦] عليه يجعل الكلام على طريقة كلام القادرين ، إعلاما بأنه الملك الأعلى فقال ١٠ : بانبا للفعول ، [آتيا - ٦] بأداة التفسير ، لأن النداء^٧ بمعنى القول^٨ :

(١) راجع معالم التزليل بهامش لباب التأويل ١١٠/٥ (٢) من ظ و مد و المعالم ، و فى الأصل : ذى (٣) راجع نثر المرجان ٧٩/٥ (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : التشريق (٥) سقط من ظ و مد (٦) زيد من ظ و مد . (٧-٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : لمعنى القول .

{ ان يورك } أى ثبت تثبتا يحصل منه من النماء و الطهارة و جميع
 الخيرات ما لا يوصف { من في النار } أى بقعتها، أو طلبها و هو
 طلب^١ بمعنى الدعاء، و العبارة تدل على أن الشجرة كانت كبيرة و أنها
 لما دنا منها بعدت منه النار إلى بعض جوانبها [فبقعها، فلما توسطت الدرجة
 ه أحاط به النور -^٢]، و سمي النور نارا على ما كان في ظن موسى عليه
 الصلاة و السلام، [وقال سعيد بن جبير^٣ : بل كانت نارا كما رأى
 موسى عليه السلام -^٤]، و النار من حجب الله كما في الحديث : حجاب
 النار لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه .
 { و من حولها } من جميع الملائكة عليهم السلام و تلك الاراضى المقدسة
 ١٠ / ٧٦٦ [على ما أراد الله في ذلك الوقت و في غيره -^٥] / و حق 'تلك الاراضى'
 أن تكون كذلك لأنها مبعث الانبياء عليهم الصلاة و السلام و مهبط
 الوحي عليهم^٦ و كفاتهم أحياء و أمواتا .

ولما أتاه النداء - كما ورد - من^٧ جميع الجهات، فسمعه^٨ بجميع
 الحواس، أمر بالتنزيه، تحقيقا لأمر من أمره سبحانه، و تثيقا له، قال
 ١٥ عاطفا على ما^٩ أرشد السياق إلى تقديره من مثل : فأبشر بهذه البشرى
 العظيمة : { و سبحن الله } أى ونزه الملك الذى له الكمال المطلق تنزيها^{١٠}

(١-١) من ظ و مد، وفي الأصل : و مر موسى وهو خير (٢) زيد من ظ و مد .
 (٣) راجع معالم التنزيل بهامش الباب ١١١/٥ (٤ - ٤) من ظ و مد، وفي
 الأصل : الاراضى (٥) من ظ و مد، وفي الأصل : اليهم (٦) سقط من ظ
 و مد (٧) في ظ : يسمعه (٨) من ظ و مد، وفي الأصل : من (٩) من ظ
 و مد، وفي الأصل : بما .

يليق بجلاله ، أو يجوز أن يكون خبرا معطوفا على " بورك " [أى - ٢]
و تنزه الله سبحانه تنزها^٢ يليق بجلاله عن أن يكون في موضع النداء
أو غيره من الأماكن .

ولما كان تعليق ذلك بالاسم العلم دالا^٣ على أنه يستحق ذلك لمجرد
ذاته المستجمع لجميع صفات الكمال ، من الجلال والجمال ، وصفه بما^٤ ه
يعرف أنه يستحقه أيضا لأفعاله بكل مخلوق التى منها ما يريد أن يربى^٥
به موسى عليه الصلاة والسلام كبيرا بعد ما رباه به^٦ صغيرا ، فقال :
(رب العالين) .

ولما تشوفت النفس إلى تحقق الأمر تصريحاً ، قال معظاله تمهيدا
لما أراد سبحانه إظهاره^٧ على يده من المعجزات الباهرات : (بموسى أنه) ١٠
أى الشأن العظيم الجليل الذى لا يبلغ وصفه (انا الله) أى البالغ من
ال عظمة ما تقصر عنه الأوهام ، وتضاد دونه نوافذ الأفهام^٨ ، ثم أفهمه
عما تضمن ذلك وصفين يدلانه على أفعاله معه^٩ فقال : (العزيز) [أى - ١٠]
الذى يصل إلى جميع ما يريد ولا يوصل إلى شيء مما عنده من غير الطريق
التي يريد (الحكيم)^{١٠} أى^{١١} الذى ينقض كل ما يفعله غيره إذا أراد ، ١٥

- (١) العبارة من هنا إلى « يليق بجلاله » ساقطة من ظ (٢) زيد من مد .
(٣) من مد . وفى الأصل : تنزها (٤) من ظ ومد ، وفى الأصل : لا (٥) زيد
فى ظ : أيضا لأفعاله بكل مخلوق (٦) فى ظ : ما (٧) من ظ ومد ، وفى الأصل :
يرى (٨) سقط من ظ (٩ - ٩) سقط ما بين الرقيين من ظ ومد .
(١٠) زيد من ظ ومد .

و لا يقدر غيره أن ينقض شيئا من فعله .

و لما كان التقدير : فافعل جميع ما أمرك به فانه لا بد منه ، و لا تخف من شيء فانه لا يوصل إليك بسوء لانه متقن بقانون الحكمة ، محروس بسور العزة ، دل عليه بالعطف في قوله : ﴿ و التي عصاك ﴾ أى لتعلم
 ه علما شهوديا عزتى و حكمتى - "أو هو معطوف على "ان بورك" - "فألقاها كما أمر ، فصارت^٢ في الحال - بما أذنت به الفاء - حية عظيمة جدا ، هى - مع كونها في غاية العظم - في نهاية الخفة و السرعة في اضطرابها عند محاولتها ما يريد ﴿ فلما رآها تهتز ﴾ أى تضطرب [في تحركها - °] مع كونها في غاية الكبر ﴿ كأنها جآن ﴾ أى حية صغيرة في خفتها ١٠ و سرعتها ، و لا ينافى ذلك كبر جثتها ﴿ ولى ﴾ أى موسى عليه الصلاة و السلام .

و لما كانت التولية مشتركة بين معان ، بين المراد بقوله : ﴿ مدبرا ﴾ أى التفت هاربا منها مسرعا جدا لقوله : ﴿ و لم يعقب ﴾ أى لم يرجع على عقبه ، و لم يتردد في الجد في الحرب ، و لم يلتفت إلى ما وراه ١٥ بعد توليته ، يقال : عقب عليه تعقيا ، أى كر . و عقب في الامر تعقيا : تردد^٦ في طلبه مجدا - هذا في ترتيب المحكم . و في القاموس : التعقيب :

(١) في ظ : عا (٢ - ٢) سقط ما بين الرقين من ظ و مد (٣ - ٣) تأخر ما بين الرقين في ظ و مد عن " به الفاء " (٤) من ظ و مد ، و في الأصل : اى . (٥) زيد من ظ و مد (٦) سقط من ظ (٧) من ظ و مد ، و في الأصل : ترد .

الالتفات . و قال القزاز في ديوانه : عقب ^١ - إذا انصرف راجعا
نحو ^٢ معقب .

٧١٧ /

ولما تشوفت النفس إلى ما قيل له عند هذه الحالة ، أجيبت بأنه
قيل له ؛ (يئوسى لا تخف) ثم علل هذا التهيى بقوله ، مبشرا بالامن
و الرسالة : (انى لا يخاف لى) أى [فى - ^٣] الموضع الذى هو من هـ
غرائب نواقض العادات ، وهى وقت الوحي و مكانه (المرسلون ^٤) أى
لأنهم معصومون من الظلم ، ولا يخاف من الملك العدل إلا ظلم .
ولما دل أول الكلام و آخره على أن التقدير ما ذكرته ، و علم
منه أن من ظلم خاف ، و كان المرسلون بل الأنبياء معصومين عن صدور
ظلم ، و لكنهم لعلو مقامهم ، و عظيم شأنهم ، يعد عليهم خلاف الأولى ، ١٠
بل بعض المباحات المستوية ، بل أخص من ذلك ، كما قالوا : حسنة
الابرار سيئات المقربين ، استدرك سبحانه من ذلك بأداة الاستثناء
ما يرغب المرهين من عواقب الظلم آخر تلك فى التوبة ، و بينه موسى عليه
السلام على غفران ^٥ و كزة القبطى له ، و أنه لا خوف عليه بسية و إن
كان قتله مباحا لكونه خطأ مع أنه كافر ، لكن علو المقام يوجب التوقف ١٥
عن الإقدام إلا باذن خاص ، و لذلك سماه هو ظلما فقال [رب - ^٦]
انى ظلمت نفسى فاغفر لى ، و هو من ^٧ التعريضات التى يلفظ مأخذها

- (١) فى ظ : اعقب (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل :
صدود (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : غفرانه (٥) زيد من ظ و مد
و أقرأت الكريم آية ٤٤ من الجمل (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : فى .
(٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : ما .

.. فقال: ﴿الا﴾ 'أو المعنى': لكن ﴿من ظلم﴾ كاتنا من كان، بفعل
 سوء^١ ﴿ثم بدل﴾ بتوبته ﴿حسنا بعد سوء﴾ وهو الظلم الذي كان
 عمله^٢، أى جعل الحسن بدل سوء كالسحرة الذين آمنوا بعد ذلك بموسى
 عليه الصلاة والسلام فأنى أغفر له بحيث يكون كأنه لم يعمل أصلا،
 ٥ و أرحمه بما أسبغ عليه من^٣ ملابس الكرامة المقارنة للآمن والعز^٤
 وإن أصابه قبل ذلك نوع خوف. ثم علل ذلك بأن المغفرة والرحمة
 صفتان له ثابتتان، فقال: ﴿فانى﴾ [أى أرحمه بسبب أنى-^٥] ﴿غفور﴾
 أى من شأنى أنى^٦ أحمو الذنوب محوا يزيل جميع آثارها ﴿رحيم﴾
 أعامل التائب منها معاملة الراحم البليغ الرحمة بما يقتضيه حاله^٧ من
 ١٠ الكرامة، فازيل أثر ما كان وقع فيه من موجب^٨ الخوف وهو الظلم.
 ولما أراه سبحانه [هذه الحارقة فيما كان فى يده بقلب جوهرها
 إلى جوهر شئ آخر حيوانى، أراه-^٩] آية أخرى فى يده نفسها بقلب
 عرضها الذى كانت عليه إلى عرض آخر نورانى، فقال:
 ﴿وادخل يدك فى جيبك﴾ أى فتحة ثوبك، وهو ما قطع منه ليخيط
 ١٥ بعتقك ﴿تخرج﴾ أى إذا أخرجتها ﴿بيضاء﴾ أى يابضا عظيما نيرا

(١ - ١) من ظ و مد، وفى الأصل: اى (٢) من ظ و مد، وفى الأصل:
 موسى (٣) من ظ و مد، وفى الأصل: عليه (٤) من ظ و مد، وفى الأصل:
 بعد (٥) من ظ و مد، وفى الأصل: منى (٦) من ظ و مد، وفى الأصل:
 الغفور (٧) زيد من ظ و مد (٨) سقط من ظ (٩) من ظ و مد، وفى الأصل:
 حله (١٠) من ظ و مد، وفى الأصل: موجبة.

جدا ، له شعاع كشعاع الشمس .

و لما كان ربما وقع في وهم أن هذا لآفة ، قال : (من غير سوء هـ)
 أى برص ولا غيره من الآفات ، آفة أخرى كآفة (فى) جملة (تسع آيات)
 كما تقدم شرحها في سورة الإسراء وغيرها ، متتمة على يدك برسالتى لك
 (الى فرعون وقومه) أى الذين هم أشد 'أهل هذا' الزمان قياما فى هـ
 الجبروت و المدوان ؛ ثم علل إرساله إليهم بالخوارق بقوله :
 (انهم كانوا) أى كونا كأنه 'جملة لهم' (قوما فسقين هـ) أى خارجين
 عنهم طاعتنا / لتردهم إلينا .

٨٦٨ /

و لما كان التقدير : فاتاهم كما أمرناه فعاندوا أمرنا ، قال منها على ذلك ،
 دالا بالفاء على سرعة إتيانه إليهم امثالا لما أمر به : (فلما جاءهم آيتنا) ١٠
 أى على يده (مبصرة) أى سبب الإبصار لكونها منيرة ظاهرة جدا ،
 فهى هادية لهم إلى الطريق الاقوم هداية النور لمن يبصر ، فهو لا يخطئ
 شيئا ينبغى أن يتفجع به (قالوا هذا سحر) أى خيال لاحقيقة له
 (مبين هـ) أى واضح فى أنه خيال (وجدوا) أى أنكروا عالمين
 (بها) أى أنكروا كونها آيات موجبات لصدقه مع علمهم بابطالهم ١٥
 لأن الجحود الإنكار مع العلم .

و لما كان الجحد معناه إنكار الشيء مع العلم به ، حقق ذلك بقوله :
 (واستيقنتها) أى و الحال أنهم قد طلبوا الوقوف على حقائق أمرها

(١ - ١) من ظ و مد ، وفى الأصل : ذلك (٢) سقط من ظ (٣) سقط من
 ظ و مد .

حتى تيقنتها في كونها حقا ' (انفسهم) وتخلل عليها صميم عظامهم ،
فكانت ألسنتهم مخالفة لما في قلوبهم ، ولذلك آمنوا الاستيقان إلى النفس .
ثم ظل جحدم و وصفهم لها بخلاف وصفها فقال : (ظلما و علوا)
أي إرادة وضع الشيء في غير حقه ، والتكبر على الآتي به ، ' تلبسا '
هـ على عباد الله .

ولما كان التقدير : فأغرقناهم أجمعين أيسر سعى و أهون أمر
ظم ييق منهم غير تطرف ، ولم يرجع منهم مخبر ، على كثرتهم و عظمتهم
وقوتهم ، عطف عليه تذكيرا به مسيا عنه قوله : (فانظر) و نه على
أن خبرهم ' عما تتوفر ' الدواعي على السؤال عنه : لعظمته ، فقال معبرا
١٠ بأداة الاستفهام : (كيف كان) وكان الأصل : عاقبتهم ، أي آخر
أمرم ، ولكنه أظهر فقال : (عاقبة المفسدين) ليدل [على :]
الوصف الذي كان سببا لأخذهم تهديدا لكل من ارتكب مثله :
ولما تم بهذه القصة الدليل على حكمته ، توقع السامع الدلالة على
عليه سبحانه ، فقال مبتدئا بحرف ' التوقع مشيرا إلى أنه لا تكبر في
١٥ فضل الآخر على الأول عاطفا على ما تقديره : فلقد آتينا موسى و أخاه
هارون عليهما السلام حكمة و هدى و علما و نصرا على من

(١) من ظ و مد ، وفي الأصل : حق (٢) في ظ : تلبسا (٣) من ظ و مد ،
وفي الأصل : عين (٤-٤) من ظ و مد . وفي الأصل : يتوفد - كذا (هـ) من
ظ و مد ، وفي الأصل : عليه (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و مد ، وفي
الأصل : برفع (٨) من ظ و مد ، وفي الأصل : اختار .

خالفها وعزا: (ولقد آتينا) أى بما لنا من العظمة (داود وسليمن) أى ابن داود، وهما من أتباع موسى عليهم السلام وبعده بأزمان متطاولة (علماء) أى جزء من العلم عظيمًا من منطق الطير والدواب وغير ذلك لم نؤته^٢ لأحد قبلها.

ولما كان التقدير: فعلًا بمقتضاه، عطف عليه قوله: (وقالاً) هـ شكرًا عليه^٣، دلالة على شرف العلم وتبنيها لأهله على التواضع: (المجد) أى الإحاطة بجميع أوصاف الكمال (لله) أى الذى لا مثل له وله الجلال والجمال (الذى فضلنا) أى بما آتانا من ذلك (على كثير من عباده المؤمنين) أى الذين صار الإيمان لهم^٤ خلقًا.

ولما كان كل منهما عليها السلام قد أوتي ما ذكر، أشار إلى ١٠ فضل سليمان عليه السلام بأنه جمع إلى ما آتاه ما كان منح به أباه فقال: (ورث سليمان داود) أى أباه / عليها السلام دون إخوته ٧٦٩ / فى النبوة والعلم والملك الذى كان قد خصه الله دون قومه بجمعه له إلى النبوة، فشكر الله على ما أنعم به^٥ عليه أولاً وثانياً (وقال) أى سليمان عليه السلام محدثًا بنعمة ربه ومنبها على ما شرفه الله به، ليكون ١٥ أجدر فى قبول الناس ما يدعوهم إليه من الخير: (يتأبها الناس).

(١) وقع فى الأصل بعد «ولقد آتينا» والترتيب من ظ و مد (٢) من ظ و مد، وفى الأصل: لم توجه (٣) زبدت الواو فى الأصل، ولم تكن فى ظ و مد لمخفئها (٤) فى ظ: الأوصاف (هـ) من ظ و مد، وفى الأصل: الذى. (٦-٧) من ظ و مد، وفى الأصل: لهم الإيمان (٧) سقط من ظ.

ولما كان من المعلوم أنه 'لا معلم له' إلا الله، فانه لا يقدر على ذلك غيره، قال بانيا للفعول: ﴿علنا﴾ أى أنا وأبى [بأيسر أمر وأسهله من لا يقدر على ما علنا سواء ولو كان المقصود هو وحده لم يكن من التعاضد فى شيء، بل هو كلام الواحد المطاع، تنبيها على تعظيم الله بما عظمه به بما يختص بالقدرة عليه أو بالأمر به كما كان النبى صلى الله عليه وسلم يفعل إذا كان هناك حال يحوج إليه كما قال فى الزكاة: إنا آخذوها وشطر ماله^١ عزمة من عزمات ربنا عز وجل، وكما كان يكتب لبعض الجبابرة -^٢ ﴿منطق الطير﴾ أى فهم ما يريد كل طائر إذا صوت، والمنطق ما يصوت^٣ به من المفرد والمؤلف المفيد وغير المفيد، ولا بدع فى أن الذى آتى كل نفس هداها وعلها^٤ تميز منافعها ومضارها يؤتيها قوة تدرك بها مخاطبها بينها يتفاهم كل نوع منها به فيما يريد، ويكون ذلك قاصرا عن^٥ إدراك الإنسان لخصوصه بالجزئيات الناشئة عن الحسيات ﴿واوتينا﴾ بمن له العظمة بأيسر أمر من أمره ﴿من كل شيء^٦﴾ أى يكمل به ذلك من أسباب الملك والنبوة وغيرهما^٧، وعبر باداة^٨ الاستغراق تعظيما للنعمة كما يقال لمن يكثر تردد الناس إليه: فلان^٩ يقصده كل أحد.

- (١-١) من ظ و مد، وفى الأصل: يعلم (٢) وفى مسند الإمام ٢/٥: إليه .
 (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٤) من ظ و مد، وفى الأصل: بتصوت (٥) فى ظ: علنا (٦) من ظ و مد، وفى الأصل: على (٧) من ظ و مد، وفى الأصل: غيرها (٨) من ظ و مد، وفى الأصل: فلا .

ولما كان هذا أمرا بامرا، دل عليه بقوله مؤكدا بأنواع التأكيد
'و شاكرًا' حاثا نفسه على مزيد الشكر وهازا لها إليه: ﴿ان هذا﴾ أى
الذى أوتيناه ﴿هو الفضل المبين﴾ أى البين فى نفسه لكل من ينظره،
الموضح لعلو قدر صاحبه و وحدانية مفيضه و مؤتيه .

ولما كان هذا مجرد خبر^٢، أتبعه ما يصدقه فقال: ﴿و حشر﴾ أى ه
جمع جمعا حتما بقهر و سطوة و إكراه بأيسر سعى ﴿لسليمن جنوده﴾ .
ولما دل ذلك على عظمه، زاد فى الدلالة عليه بقوله: ﴿من الجن﴾
بدأ بهم لمر جمعهم^٣ ﴿والانس﴾ تى بهم لشرفهم و مشاركتهم لهم فى
ذلك من حيث تباعد أغراضهم و تنهى قصودهم .

ولما ذكر ما يعقل و بدأ به لشرفه، أتبعه ما لا يعقل فقال: ١٠
﴿و الطير﴾ و لما كان الحشر معناه الجمع بكره، فكان لا يخلو عن انتشار،
وكان التقدير: و سار بهم فى بعض الغزوات، سبب عنه قوله تعظيما
للجيش و صاحبه: ﴿فهم يوزعون﴾ أى يكفون بجيش أولهم على
آخرهم بأدنى أمر و أسهله ليتلاحقوا، فيكون ذلك أجدر بالهية،
و أعون على النصرة . و أقرب إلى السلامة: عن قتادة* أنه كان على كل^٤ ١٥
صنف من جنوده وزعة ترد أولاهها على أخراها لئلا يتقدموا فى السير،
قال: و الوازع: الحابس و هو النقيب . و أصل الوزع^٥ الكف و المنع^٦ .

(١-١) من ظ و مد، وفى الأصل: شاكرًا و (٢) من ظ و مد، وفى الأصل:
خيره (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ و مد: تباعدهم (ه) راجع معالم التنزيل
بهامش الباب ١١٤/٥ (٦-٦) من ظ و مد، وفى الأصل: و اللانع .

ولما كان التقدير: فساروا، لأن الوزع لا يكون إلا عن سير، غياه
بقوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اتَوْا﴾ أى أشرفوا. ولما كان على بساطه فوق متن
الريح بين السماء والأرض، عبر بأداة الاستعلاء فقال: ﴿عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ﴾^١
وهو واد بالطائف - كما نقله الفيض^٢، عن كعب، وهو الذى تميل إليه
النفس فإنه معروف إلى الآن عندهم بهذا الاسم ويسمى أيضا نخب^٣
وزن بكتف، وقد رأيت لما قصدت تلك الديار لرؤية مشاعدها، والتطواف^٤
في معابدها ومعاهدها. والتبرك بآثار الهادى، في الانتهاء والمبادئ،
ورقت بمسجد فيه قرب سدره تسمى الصادرة مشهور^٥ عندهم أن النبي
صلى الله عليه وسلم صلى به، وهذه السدره مذكورة في غزوة الطائف
١٠ من السيرة الهاشمية^٦ واقتصر في تسمية الوادى على نخب، وأنشدت
فيه يوم وقوفى بياحه، وتضرعى في أعتابه^٧:

مررت بوادى النمل يا صاح بكرة فصحت وأجريت الدموع على خدى
وتيممت منه موقف الهاشمى الذى ملأ الأرض توحيدا يزيد على العدد
وكم موقف أفرشته حرجهتى وأبديت فى أرجائه ذلة العبد^٨

- (٢) من ظ و مد، وفي الأصل: من (٢) في المعالم بهامش الباب ١١٤/٥.
(٣) راجع معجم البلدان ٨/ ٢٧٢ (٤) من ظ و مد، وفي الأصل: الطواف.
(٥) من مد، وفي الأصل وظ: مشهورة (٦) زيد في الأصل: مشهورة، ولم
تكن الزيادة في ظ و مد لحذفها (٧) في ظ: الهاشمية - خطأ - راجع منها
٢٤/٣ (٨) زيد في ظ: قال (٩) من ظ و مد، وفي الأصل: ما (١٠) من ظ
و مد، وفي الأصل: الصدى.

- في قصيدة طويلة .

ولما كانوا في أمر يهول منظره، ويوهى القوى مخاطبته و مخبره،
فكان التقدير : فبذت طلائعهم، و زارت راياتهم و لهمامهم، و أحالهم
مضائهم^١، [نظم به قوله -^٢] : (قالت نملة) أى من النمل الذى يذلك
الوادي : (يأتيا النمل) و لما حكى عنهم سبحانه ما هو من شأن العقلاء، ه
عبر بضائرهم فقال : (ادخلوا) أى قبل وصول ما أرى من الجيش
(مسكنكم) ثم عللت أمرها بعينه لصاحبه إذا كانت أماراته لا تخفى
فقال جوابا للأمر^٣ أو بدلا منه : (لا يحطمنكم) أى يكسرنكم و يهشمنكم
أى لا تبرزوا فيحطمنكم . فهو نهى لهم عن البروز في صورة نهية و هو
أبلغ من التصريح بنهيهم لأن من نهى كثيرا عن شيء كان لغيره أشد
نهيًا (سليمان و جنوده) أى قائمهم لكثرتهم إذا صاروا في هذا الوادي
استعلوا عليه فطوقوه فلم يدعوا منه موضع شبر خاليا (و هم) أى
سليمان عليه السلام و جنوده (لا يشعرون) أى يحطهم لكم^٤ لا اشتغالهم
بما هم فيه من أحوال السير، و تعاظم مصالحه، مع صغر أجسامكم،
و خفائكم^٥ على السائر^٦ في حال اضطرابكم و مقامكم، و قولها هذا يدل على^٧ ١٥

(١) من ظ و مد، وفي الأصل : عنايتهم (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ
و مد، وفي الأصل : في (٤) في ظ : إذا (ه-ه) من ظ و مد، وفي الأصل :
استينافا أو بدلا من ادخلوا - مع اليأض في البداية (٦) - سقط من ظ ه
(٧-٧) من ظ و مد، وفي الأصل : لا اشتغالهم بما هو (٨-٨) من ظ و مد،
و في الأصل : عن السائر (٩-٩) سقط ه بين الرقيين من ظ و مد .

اعلمها بأنهم لو شعروا بهم ما آذوهم لأنهم أتباع نبي فهم رحما^١ .
 و لما كان هذا أمرا معجبا لما فيه من جزالة الالفاظ و جلالة المعاني ،
 تسبب عنه قوله : (فتبسم) و لما دل ذلك على الضحك ، و كان ذلك قد
 يكون^٢ للفضب ، أكده و حقق^٣ معناه بقوله : (ضاحكا من قولها)
 ه أي لما أوتيته من الفصاحة و البيان ، و سرورا بما وصفته به من العدل
 في أنه و جنوده لا يؤذون أحدا و هم يعلمون (وقال) متذكرا ما أولاه^٤
 ربه سبحانه بحسن تربيته من فهم كلامها إلى ما أنعم عليه من غير ذلك :
 (رب) أي أيها المحسن إلى (اوزعني^٥ أن) أي اجعلني مطيقا لأن
 (اشكر نعمتك) أي وازعما له كافا مرتبطلا حتى لا يغلبني . و لا يتفلت
 ١٧١ / ١٠ / مني ، و لا يشذ عني وقتاما .

و لما أفهم ذلك تعلق النعمة [به -^٦] ، حققه بقوله : (التي أنعمت علي^٧)
 و ربما أفهم قوله^٨ : (و علي والدي) أن أمه كانت [أيضا -^٩]
 تعرف منطق الطير . و تحقيق معنى هذه العبارة أن مادة " وزع " -
 بأي ترتيب كان - يدور على المنعوز - لخرقه بالية^{١٠} يلف بها الصبي ،
 ١٥ و يلزمها التمييز ، فان الملفوف بها يتميز عن غيره ، و منه الازواع^{١١} .

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ و مد (٢-٢) من ظ و مد ، و في الأصل ؛
 ربما (٣) من ظ و مد ، و في الأصل : حققه (٤) في ظ و مد : آناه (ه) ليس
 في الأصل فقط (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و مد ، و في الأصل : بقوله -
 (٨) من ظ و مد ، و في الأصل : قاله - كذا (٩) من القاموس ، و في
 الأصل : الازاع ، و في ظ و مد : الازاعي .

و هم الجماعات المتفرقة، و يلزمها أيضا الإطاعة فان أكثر الناس يجدها،
 و منه العزون - لعصب من الناس^١، فانهم يطيقون ما يريدون و يطيقهم
 من يريد^٢، 'و منه الوزع' و هو كف ما يراد كفه، و الولوع^٣ بما
 يراد، و منه الإياعز - للتقدم بالأمر و النهي، و الزوع لل جذب، و يلزمها
 أيضا الحاجة فانه لا يرضى بها دون الجديد إلا محتاج، فعنى الآية: اجملنى^٤
 وازعا - أى مطيقا - أن أشكرها كما يطيق^٥ الوزع كف ما يريد^٦ كفه،
 و يمكن أن يكون مدار المادة الحاجة لأن الأوزاع - و هم الجماعات -
 يحتاجون إلى الاجتماع جملة، و الكاف محتاج إلى امتثال ما يكفه لأمره،
 و الجاذب محتاج إلى الزوع أى الجذب، و المولع بالشئ فقير إليه، و الموعز
 محتاج إلى قبول وصيته، فالعنى^٧: اجملنى وازعا أى فقيرا إلى الشكر، أى ١٠
 ملازما له مولما به، لأن كل فقير^٨ إلى شئ يجتهد فى تحصيله، و يلزم على
 هذا التخرج احتقار العمل، فيكون سببا للأمن من الإعجاب، [و فى الآية
 تنبيه على بر الوالدين فى سؤال القيام عنهم بما لم يبلغاه من الشكر - ١٠] -
 والله الموفق . و الشكر فى اللغة فعل ينبئ عن تعظيم المنعم لكونه منما
 كالثناء على المنعم بما يدل على أن الشاكر قد عرف نعمته و اعترف له ١٥
 بها و حسن موقعها عنده، و خضع قلبه له لذلك، و حاصله أنه اسم
 لمعرفة النعمة لأنها السبيل إلى معرفة المنعم فانه إذا عرفها تسبب فى

- (١) فى مد: نجدها (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: الباس (٣) فى ظ: يردهم،
 و فى مد: يردوهم (٤-٤) سقط ما بين الرقيين من ظ و مد (٥) من ظ
 و مد، و فى الأصل: الوزع (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: يطلق (٧) فى
 ظ: يراد (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: فان المعنى (٩) زيد فى ظ: محتاج .
 (١٠) زيد من ظ و مد (١١) من ظ و مد، و فى الأصل: عن .

التعرف إليه ، فبذلك طريق التعرف وجد في الطلب ، ومن جدد وجد ،
ويروى عن داود عليه الصلاة والسلام أنه قال : يارب كيف أشكرك
والتفكر نعمة أخرى منك أحتاج عليها إلى شكر آخر ؟ فأوحى الله تعالى
إليه : يا داود إذا علمت أن ما بك من نعمة فني فقد شكرتني . والشكر
ثلاثة أشياء : الأول معرفة النعمة بمعنى إحضارها في الخاطر بحيث يتميز
[عندك - ٢] أنها نعمة ، قرب جاهل يحسن إليه و ينعم عليه وهو
لا يدري ، فلا جرم أنه لا يصح منه الشكر . والثاني : قبول النعمة بتلقيها
من المنعم باظهار الفقر والفاقة ، فان ذلك شاهد بقبولها حقيقة ، والثالث :
الثناء بها بأن تصف المنعم بالجود والكرم ونحوه مما يدل على حسن
تفليك لها واعترافك بنزول مقامك في الرتبة عن مقامه ، فان اليد العليا
خير من اليد السفلى ، وهو على ثلاث درجات : الأولى الشكر على المحاب
أى الأشياء المحبوبة ، وهذا شكر تشارك فيه الميثبون المسلمون واليهود
والنصارى والمجوس ، فان الكل يعتقدون ان الإحسان الواصل من الرحمن
واجب معرفته على الإنسان ، ومن سعة بر البارئ سبحانه وتعالى أن عده
شكرا مع كونه واجبا على الشاكر ، ووعده عليه الزيادة ، وأوجب فيه المثوبة
إحسانا واطقا . الثانية : الشكر في المكاره ، وهو إما من رجل لا يميز بين
الحالات ، بل يستوى عنده المكروه والمحبوب ، فاذا نزل به المكروه شكر الله
عليه بمعنى أنه أظهر الرضا بنزوله به ، وهذا مقام الرضا . وإما من رجل

/ ٧٧٢

(١) من ظ و مد ، وفي الأصل : اليها (٢) زيد من ظ و مد (٣) زيد في الأصل :
عندك ، ولم تكن الزيادة في ظ و مد لخصاها (٤) من ظ و مد ، وفي الأصل :
الاحسان - كذا (٥) من ظ و مد ، وفي الأصل : الاحسان (٦) سقط من ظ .

يميز بين الأجوال فهو لا يحب المكروه ولا يرضى بنزوله ، فإن نزل به مكروه
فشكره عليه إنما هو كظم الغيظ وستر الشكوى وإن كان باطنه شاكياً ،
والكظم إنما هو لرعاية الأدب بالسلوك في مهلك العلم ، فإنه بأمر العبد
بالشكر في السراء والضراء . الثالثة : أن لا يشهد العبد إلا النعم باشتغاله
بالاستغراق في مشاهدته عن مشاهدة النعمة ، وهذا الشهود على ثلاثة أقسام : هـ
أحدها أن يستغرق فيه عبودة ، فيكون مشاهداً له مشاهدة العبد للسيد
بأدب العبد إذا حضروا بين يدي سيدهم ، فإنهم ينسون ما هم فيه من الجاه
والقرب الذي ما حصل لغيرهم ، باستغراقهم في الأدب ، وملاحظتهم
لسيدهم خوفاً من أن يسير إليهم في أمر فيجدهم غافلين ، وهذا أمر
معروف عند من صحب الملوك . فصاحب هذا الحال إذا أنعم عليه سيده ١٠
في هذه الحالة ، مع قيامه في حقيقة العبودة ، استعظم الإحسان ، لأن
العبودة^٢ توجب عليه أن يستصغر نفسه . ثانيها أن يشهد سيده
شهود محبة غالباً ، فهو يسبب هذا الاستغراق فيه ، يستحلي منه الشدة ،
وقد قال بعض عشاق حسن الصورة لا صورة الحسن فأحسن :

من لم يذق ظلم الحبيب كظلمه حلوا فقد جهل المحبة ادعى . ١٥

ثالثها أن يشهد شهود تفريد يرفع الثنوية ويفنى^٣ الرسم ويذهب الغيرية^٤ ،

(١) من ظ و مد ، وفي الأصل : باطنا (٢) في ظ : النكاطم (٣) في ظ : الثالث .

(٤) من ظ و مد ، وفي الأصل : يشير (٥) سقط من ظ (٦) في ظ و مد :

العبودية (٧) في ظ : العبودية (٨) من ظ و مد ، وفي الأصل : يستشهد .

(٩) من ظ و مد ، وفي الأصل : يستحل (١٠) من ظ و مد ، وفي الأصل :

نفى (١١) في ظ : العبرة .

فإذا وزدت عليه النعمة أو الشدة كان مستغرقا في الفتاة فلم يحس
بشيء منهما .

ولما علم من هذا كله أن الشاكر هو المستغرق في الثناء على المنعم
بما يجب عليه من العمل من فناء أو غيره بحسب ما يقدر عليه ، وكان
ذلك العمل بما يجوز أن يكون زين لذلك العبد كونه حسنا وهو ليس
كذلك ، قال صلى الله عليه وسلم مشيرا إلى هذا المعنى : (وإن أعمل صالحا)
أي في نفس الأمر . ولما كان العمل الصالح قد لا يرضى المنعم لنقص
في العامل كما قيل ' في معنى ذلك ' :

/ إذا كان المحب قليل حظ فما حسناته إلا ذنوب

/ ٧٧٣

١٠ قال : { ترضنه } .

ولما كان العمل الصالح المرضي قد لا يعلى^٢ إلى درجة المرضي^٣
عنهم ، لكون العامل منظورا إليه بعين السخط ، لكونه ممن سبق عليه
الكتاب بالشقاء ، لأن الملك المنعم تام الملك عظيم الملك فهو بحيث
لا يسأل عما يفعل ، قال معرضا عن عمله معترفا بعجزه ، معلما بأن المنعم
١٥ غنى عن العمل وعن غيره ، لا تضره معصية ولا ينفعه طاعة :
{ وادخلني برحمتك } أي لا بعمل^٤ { في عبادك الصالحين } أي [لما -^١]
أردتهم له من تمام النعمة بالقرب والنظر إليهم بعين العفو

(١) من ظ ومد ، وفي الأصل : (٢-٢) سقط ما بين الرقين من ظ ومد .
(٢) في ظ : على (٤) من ظ ومد ، وفي الأصل : المرض (٥) من ظ ومد ،
وفي الأصل : بعمل (٦) زيد من ظ ومد .

و الرحمة

(٣٧)

١٤٨

و الرحمة و الرضا .

و لما كان التقدير: فوصل إلى المنزل الذى قصده فنزله و تفقد
أحوال جنوده كما يقتضيه العناية بأمور الملك ، أى تجنب تقديم بأن تعرف
من هو منهم موجود و من هو منهم مفقود^١ ، الذى يلزمه أن لا يغيب
أحد منهم: (و تفقد الطير) إذ^٢ كانت أحد أركان جنده فققد الهدد^٣ ه
(فقال مالى) أى أى شئ حصل لى حال كونى (لأارى الهدد^٤)
أى أهو^٥ حاضر، و ستره غنى سار، و قوله: (ام كان من الغائبين ه)
كما أنه يدل على ما^٦ قدرته يدل على أنه فقد جماعة من الجند، فتحقق
غيبتهم و شك فى غيبته، و ذكره له دونهم يدل على عظيم منزلة الهدد^٧
فيما له عنده من النفع، [و أن غيبة غيره كانت بأمره عليه السلام . ثم ١٠
قال على سبيل الاستئناف إقامة لسياسة الملك ما يدل أيضا على عظمت^٨ -]،
قالوا: إنه يرى الماء فى الأرض كما يرى الإنسان^٩ الماء من داخل^{١٠} الزجاج
فينقر الأرض فتأتى الشياطين فتستخرجه: (لا عذبه) أى بسبب غيبته
فيما لم آذن فيه (عذابا شديدا) أى مع إبقاء روحه تأديبا له و ردعا
لأمثاله (او لا أذبحه) أى تأديبا لغيره (او لياتينى) أى ليكون^{١١} ١٥
أحد هذه الثلاثة الأشياء، أو تكون "أو" الثانية بمعنى 'إلا أن'

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ: اذا (٣-٢) من ظ و مد، وفى الأصل: هو .

(٤) سقط من ظ و مد (٥) زيد من ظ و مد (٦) من ظ و مد، وفى الأصل:

الأرض (٧) من ظ و مد، وفى الأصل: دخل (٨) فى ظ: ليكون .

فيكون المعنى: ليكونن^١ أحد الامرين^٢: التعذيب أو الذبح، إلا أن يأتي^٣
 (بسلطن مبين^٤) أي حجة واضحة في عذره، فكأنه قال: والله ليقيم
 عذره أو لأفعلن معه أحد الامرين^٥ (فكث) أي قرتب على ذلك
 أنه مكث^٦ بعد الحلف^٧ بالتهديد زمانا^٨ قريبا (غير بعيد) من زمان
 التهديد، و أتى خوفا من هية سليمان عليه السلام، و قايما بما يجب عليه
 من الخدمة^٩، [قرأه عاصم و روح عن يعقوب بفتح الكاف على الاغلب في
 الافعال الماضية، و ضمه الجماعة إشارة إلى شدة الغية عن سليمان عليه السلام
 ليوافق إفهام حركة الكلمة ما أفهمه تركيب الكلام-^{١٠}] (فقال) (عقب
 إتيانه مفخما للشأن و معظما لرتبة العلم و دافعا لما علم أنه أضمر من عقوبته-^{١١}):
 ١٠ (احطت) أي علما (بما لم تحط به) أي أنت من اتساع علمك و امتداده
 ملكك، و الإحاطة: العلم بالشئ من جميع جهاته، و في هذه المكافحة التنبيه
 على أن أضعف الخلق قد يؤتى ما لا يصل إليه أقوام تتحاور إلى العلماء علومهم
 و يردوا العلم في كل شئ إلى الله، و فيه إبطال لقول^{١٢} الرافضة: إن الإمام
 لا يخفى عليه شئ، و لا يكون في زمانه من هو أعلم منه .

١٥ و لما أبهمه تشويقا^{١٣}، و أخذ بمجامع القلب إلى تعرفه، فني بمدح

(١) في ظ: ليكون (٢) زيدت الواو بعده في الأصل، و لم تكن في ظ و مد
 فخذناها (٣) من ظ و مد، و في الأصل: اتاني (٤) زيد في الأصل: قريبا،
 و لم تكن الزيادة في ظ و مد فخذناها (٥) زيد في ظ: اي (٦-٧) في ظ:
 و التهديد زمنا - كذا (٧) زيد في الأصل: من جميع الجهات، و لم تكن
 الزيادة في ظ و مد فخذناها (٨) زيد من ظ و مد (٩) من ظ و مد، و في
 الأصل: القول (١٠) من ظ و مد، و في الأصل: تشريفا .

٧٧٤ /

الخبر مجلياً بعض إبهامه، هذا للنفس إلى طلب إتمامه، فقال: ﴿و جشك﴾
 أي الآن ﴿من سبا﴾ قيل: إنه اسم رجل صار علماً لقبيلة، وقيل: أرض
 في بلاد اليمن، وحكمة تسكين قبل له بنية الوقف الإشارة^٢ إلى تحفير أمرهم
 بالنسبة إلى نبي الله سليمان عليه السلام بأنهم ليست لهم معه حركة أصلاً على
 ما هم فيه من الفخامة والعز والبأس الشديد ﴿نبأ﴾ أي خبر عظيم ﴿يقين﴾^٥
 وهو من أبدع الكلام موازنة في اللفظ ومجانسة^٦ في الخط مع ما له من
 الانطباع والرواق، فكأنه قيل: ما هو؟ فقال: ﴿اني وجدت امرأة﴾
 وهي بلقيس بنت شراحيل ﴿تملكهم﴾ [أي أهل سبا -^٧].

ولما كانت قد أوتيت من كل ما يحتاج إليه الملوك أمراً كبيراً قال:
 ﴿واوتيت﴾ في الفعل للفعل^١ إقراراً بأنها^٢ مسخ ملكها مربوبة^٣
 ﴿من كل شيء﴾ تهويلاً لما رأى من أمرها.

ولما كان عرشها - أي السرير الذي تجلس عليه للحكم - زائداً في
 العظمة، خصه بقوله: ﴿ولها عرش﴾ أي سرير تجلس عليه للحكم ﴿عظيم﴾
 أي لم أر لأحد مثله.

ولما كان في خدمة أقرب أهل ذلك الزمان إلى الله فحصل له^{١٥}
 من النورانية ما هاله لأجله إعراضهم عن الله، قال مستأنفا تعجيباً:

(١) سقط من ظ (٢) من ظ و مد و نثر المرجان ٥ / ٩١، وفي الأصل: مل
 - كذا (٣) من ظ و مد، وفي الأصل: للإشارة (٤) من ظ و مد، وفي
 الأصل: بمجانسة (٥) زيد من ظ و مد (٦ - ٦) من ظ و مد، وفي الأصل:
 اقرار مع أنها هي.

نظم الدرر (سورة النمل ٢٧: ٢٤ و ٢٥) ج - ١٤

{ وجدتها وقومها } أى كلهم على ضلال كبير ، وذلك أنهم
{ يسجدون للشمس } مبتدئين ذلك { من دون الله } أى [من - ']
أدنى رتبة من رتب الملك الأعظم الذى لا مثل له ، وهى رتبة الأفعال
لأنها مصنوع من مصنوعات تعالى سواء كان ذلك مع الاستقلال^٢
هـ أو الشرك { وزين لهم الشيطان أعمالهم } أى هذه القبيحة حتى صاروا
يظنونها حسنة .

ولما تسبب عن ذلك أنه أعماهم عن طريق الحق قال :
{ فصدم عن السيل } أى الذى لا سبيل إلى الله غيره ، وهو الذى بعث
به^٢ أنبياءه ورسله عليهم الصلاة والسلام .

١٠ ولما تسبب عن ذلك ضلالهم ، قال : { فهم } أى بحيث { لا يهتدون^٣ }
أى لا يوجد لهم هدى ، بل هم فى ضلال صرف ، وعمى^٤ محض .

ولما كان هذا الضلال عجبا فى نفسه فضلا عن أن يكون من قوم
يجمعهم جامع ملك مبناه السياسة^٥ التى محطها^٥ العقل الذى هو نور الهداية ،
ودواء الغواية ، علله بانتفاء أعظم مقرب إلى الله : السجود ، تعظيما له
١٥ و تنويها به فقال : { إلا } [أى لئن لا - '] { يسجدوا } أى حصل لهم
هذا العمى العظيم الذى استولى به^٦ عليهم الشيطان لاتنفاء سجودهم ، ويجوز

(١) زيد من ظ و مد (٢ - ٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : بالاستقلال .
(٣) سقط من ظ و مد (٤) زيد فى الأصل : صرف ، ولم تكن الزيادة فى ظ
و مد لحذفها (هـ - هـ) زيد من ظ و مد ، وفى الأصل : الذى محطها (٦) سقط
من ظ .

أن

(٢٨)

١٥٢

أن يتعلق بالزينين ، أى زين لهم لثلا يسجدوا ﴿ لله ﴾ أى يعبدوا الذى له الكمال كله بالسجود الذى هو محل الانس ، و محط القرب ، و دارة المناجاة ، و آية المعافاة ، فانهم لو سجدوا له سبحانه لاهتدوا ، فان الصلاة تنهى عن الفحشاء و المنكر ، فقات الشيطان ما يقصده منهم من الضلال ، و على قراءة الكسائى و أبى جعفر^١ بالتخفيف^٢ و إشباع فتحة الياء^٣ هـ
 يكون استئنافا ، بدئى بأداة الاستفتاح تنديها لهم على عظم المقام لثلا / يهوت
 الوعظ أحدا منهم بمصادفته غافلا ، ثم نادى لثل ذلك و حذف المذاوى
 إيدانا بالاكتفاء بالإشارة لضيق الحال ، خوفا من المبادرة بالنكال عن
 استيفاء العبارة التى كان حقها : ألا يا هؤلاء اسجدوا لله ، أى لتخلصوا من
 أسر^٤ الشيطان ، فان السجود مرضاة للرحمن ، و مجلدة للعرفان ، و مجناة^٥ ١٠
 لتمام الهدى و الإيمان .

و لما كانت [القصة - ٦] فى بيان علمه سبحانه السابق لعلم الخلائق المستلزم للحكمة ، وصفه بما يقتضى ذلك فقال : ﴿ الذى يخرج الحب^٦ ﴾ وهو الشيء المنجوء^٧ بالفعل الخفى فى غيره ، وهو ما وجد و غيب عن الخلق كالماء الذى فى بطن^٨ الأرض ، أو بالقوة وهو ما لم يوجد أصلا ، ١٥
 و خصه بقوله : ﴿ فى السموات و الأرض ﴾ لأن ذلك منتهى مشاهدتنا ،
 (١) راجع ثر المرجان ٩٣/٥ (٢-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ و مد (٣) فى ظ : امر (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : مجرة (٥) العبارة من هنا إلى ذلك فقال « ساقطة من ظ (٦) زيد من مد (٧) من ظ و مد ، وفى الأصل : الحبا (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : بعض .

فَنظَرُ مَا 'يَتَكُونُ فِيهَا' بَعْدَ أَنْ لَمْ [يَكُنْ - ٢] مِنْ سَحَابٍ وَمَطَرٍ وَنَبَاتٍ وَتَوَابِعِ ذَلِكَ مِنَ الرِّعْدِ وَالْبَرْقِ وَغَيْرِهِمَا، وَمَا يَشْرِقُ مِنَ الْكَوَاكِبِ وَيَغْرِبُ - إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الرِّيحِ، وَالْبَرْدِ وَالْحَرِّ، وَالْحَرَكَةِ وَالسَّكُونِ، وَالنَّطْقِ وَالسَّكُوتِ ٢، وَمَا [لَا - ٣] يَحْصِيهِ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى، وَالْمَعْنَى أَنَّهُ ٥. يَخْرِجُ مَا هُوَ فِي عَالَمِ الْغَيْبِ فَيَجْعَلُهُ فِي عَالَمِ الشَّهَادَةِ .

وَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ قَدْ [يَخْصُ بِمَا لَمْ يَضْمُرْ فِي الْقُلُوبِ كَلِمَاءَ الَّذِي كَانَ يَخْرِجُهُ الْهَدْمُ وَكَانَ ذَلِكَ قَدْ - ٢] يَعْرِفُ بِأَمَارَاتٍ، وَكَانَ مَا تَضْمَرُهُ الْقُلُوبُ أَخْفَى، قَالَ: ﴿وَيَعْلَمُ مَا يُخْفُونَ﴾ ١. وَلَمَّا كَانَ هَذَا مُسْتَلْزِمًا لِعِلْمِ الْجَهْرِ، وَكَانَ لِلتَّصْرِيحِ مَا لَيْسَ لغيرِهِ مِنَ الْمَكْنَةِ وَالطَّمَأْنِينَةِ، مَعَ ١. أَنْ الْإِعْلَانِ رُبَّمَا كَانَ فِيهِ مِنَ اللَّغْظِ ٢ وَاخْتِلَاطِ ٣ الْأَصْوَاتِ مَا يَمْنَعُ ٨. الْمُسْتَمْعَ مِنَ الْعِلْمِ ٤، قَالَ: ﴿وَمَا يَعْلَنُونَ ٥﴾ أَيْ يَظْهَرُونَ .

وَلَمَّا كَانَ هَذَا الْوَصْفُ مُوجِبًا لِأَنْ يَعْبُدَ سُبْحَانَهُ وَحْدَهُ، صَرَحَ بِمَا يَقْتَضِيهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿اللَّهُ﴾ أَيْ الْمَلِكُ الْأَعْظَمُ الَّذِي لَا كُفُوءَ لَهُ؛ [وَلَمَّا كَانَ هَذَا إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُ لَا سَمِيَّ لَهُ، أَتْبَعَهُ التَّصْرِيحَ بِأَنَّهُ لَا كُفُوءَ لَهُ - ٢] ١٥. قَالَ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ وَلَمَّا [كَانَ - ٢] وَصَفَ عَرْشَهَا بِعَظَمِ مَا، قَالَ: ﴿رَبِّ﴾ أَيْ مَبْدَعٍ وَمُدَبِّرٍ ﴿الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ٥﴾ أَيْ الْكَامِلِ فِي

(١ - ١) مِنْ ظَ وَمَد، وَفِي الْأَصْلِ: تَكُونُ بِهَا (٢) زَيْدٌ مِنْ ظَ وَمَد.
(٢) سَقَطَ مِنْ ظَ (٤) مِنْ ظَ وَمَد، وَفِي الْأَصْلِ: الظُّنُونُ (٥) قَرَأَ الْكَسَائِيُّ وَحَفْصٌ بِالتَّاءِ الْفَوْقَانِيَّةِ - رَاجِعٌ نَثْرُ الْمَرْجَانِ ٥/ ٩٤ (٦) مِنْ ظَ وَمَد، وَفِي الْأَصْلِ: بِمَا (٧ - ٧) سَقَطَ مَا بَيْنَ الرَّقِيمَيْنِ مِنْ ظَ (٨ - ٨) مِنْ ظَ وَمَد، وَفِي الْأَصْلِ: الْمُسْتَمْعَ لِلْعِلْمِ .

العظم الذى لا عظيم^١ يدانيه، و هو محتو على جميع الاكوان، [وقد ثبت أن صاحبه أعظم منه و من كل عظيم بآية الكرسي و غيرها، فقطع ذلك لسان التعت عند ذكره مع مزيد اقتضاء السياق له لانه للافراد بالالهية المقضية للقهر و الكبر بخلاف آية^٢ المؤمنين -^٣]، و هذه آية مجدة على كل^٤ القراءتين، لأن مواضع السجود إما مدح^٥ لمن آتى بها، أو ذم^٥ لمن تركها، كقراءة التشديد، أو أمر بالسجود كقراءة التخفيف، [و الكل ناظر إلى العظمة -^٢] .

ولما صح قوله في كون هذا عظيمًا، و خطبا جسيما، حصل التشوف إلى جوابه فقيل: ﴿ قال ﴾ أى سليمان عليه السلام للهدد: ﴿ سننظر ﴾ أى نختبر ما قلته ﴿ اصدقت ﴾ أى فيه فعمدك . ولما ١٠ كان الكذب بين يديه - لما أرتيه من العظمة بالنبوة و الملك الذى لم يكن لاحد بعده - يدل على رسوخ القدم فيه، قال: ﴿ ام كنت ﴾ أى كونا هو كالجلبة^٦ ﴿ من الكذابين ﴾ - أى معروفا بالانحراف في سلكهم، [فانه لا يجترئ على الكذب عندى إلا من كان عريقا في الكذب -^٢] دون " أم كذبت " لأن هذا يصدق بمرة واحدة . ١٥ ثم شرع فيما يحتج به، فكتب له كتابا على الفور في غاية الوجازة قصدا للاسراع في إزالة المنكر على تقدير / صدق الهدد بحسب الاستطاعة، و دل على إسرعه في كتابته بقوله جوابا له: ﴿ اذهب بكتبي هذا ﴾^٧ قول من

(١) من ظ و مد، وفي الأصل: عظم (٢) ٨٦ (٣) زيد من ظ و مد (٤) سقط من ظ (٥-٥) من ظ و مد، وفي الأصل: لوافى (٦) من ظ و مد، وفي الأصل: بالجلبة (٧) زيد في الأصل: أى هذا، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها .

كان مهيباً عنده و دفعه إليه .

و لما كان عليه السلام قد زاد قلقه بسجودهم لغير الله ، أمره بغاية الإسراع ، و كأنه كان ' أسرع الطير طيرانا و أمدته الله زيادة على ذلك بمعوته منه إكراما لنيبه صلى الله عليه وسلم فصار كأنه البرق ، فأشار إلى ذلك بالفاء في قوله : ﴿ قاله ﴾ و لما [لم - ٢] يخصها^٢ في الكتاب دونهم بكلام^٣ لتصغر إليهم أنفسهم بخطابه مع^٤ ما يدلهم على عظمت^٥ ، جمع فقال : ﴿ إليهم ﴾ أى الذين^٦ ذكرت أنهم يعبدون الشمس ، وذلك للاهتمام بأمر الدين .

و لما كان لو تأخر عنهم بعد إلقائه إلى موضع يأمن فيه على نفسه على ١٠ ما هو فيه من السرعة لداخلهم شك فى أنه هو الملقى له ، أمره بأن يمكث بعد إلقائه يرفرف على رؤسهم حتى يتحققوا أمره ، فأشار سبحانه إلى ذلك بأداة التراخى بقوله : ﴿ ثم ﴾ أى بعد و صوالك و إلقاءك ﴿ تول ﴾ أى تنح ﴿ عنهم ﴾ إلى مكان تسمع فيه كلامهم و لا يصلون معه إليك ﴿ فانظر ﴾ عقب توليك^٧ ﴿ ما ذا يرجعون ه ﴾ أى من القول من بعضهم ١٥ إلى بعض بسبب الكتاب .

و لما كان العلم واقعاً بأنه يفعل ما أمر به لا محالة ، وأنه لا يدفعه

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى ظ : يصنها (٤) فى ظ : و كلام (٥) فى ظ : على (٦) فى ظ : عظمتهم (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : الذى (٨) زيد فى الأصل : سواء ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .

إلا إلى الملكة^١ التي بالغ في^٢ وصفها، تشرفت النفس إلى قولها عند ذلك، فكان كأنه قيل: فأخذ الكتاب وذهب به، فلما ألقاه إليها^٣ قرأته، وكانت قارئة كاتبة من قوم تبع^٤ (قالت) لقومها بعد أن جمعهم معظمة لهم، أو لاشرافهم فقط: (يأيها الملؤأ) أي الأشراف.

ولما كان من شأن الملوك أن لا يصل إليهم أحد بكتاب ولا غيره^٥ إلا على أيدي جماعتهم، عظمت^٦ هذا الكتاب بأنه وصل إليها على غير ذلك المنهاج فبنت^٧ للفعول قولها: (أني ألقى إلى) أي بالقاء ملق على وجه غريب (كتب) أي صحيفة مكتوب فيها كلام وجيز جامع.

ولما كان الكريم^٨ كما تقدم في الرد - من ستر مساوئ الأخلاق

بإظهار معاليها لآله ضدا للثيم، وكان هذا الكتاب قد حوى من الشرف ١٠ أمرا باهرا لم يعهد مثله من جهة المرسل والرسول والافتتاح بالاسم الأعظم إلى ما له من وجازة اللفظ وبلوغ المعنى، قالت^٩: (كريم^{١٠}) ثم بنت كرمه أو استأنفت جوابا لمن يقول: ممن هو وما هو؟ فقالت: (انه) أي الكتاب (من سليمان) وفيه [دلالة - ١١] على أن الابتداء باسم صاحب الكتاب لا يقدح في الابتداء بالحمد (وانه) أي ١٥ المكتوب فيه (بسم الله الرحمن الرحيم^{١٢}) فحمد المستحق للحمد وهو الملك الأعلى المحيط عظمه بدأرتقى الجلال والإكرام، العام الرحمة^{١٣}

(١) في ظ: اللانكة (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ومد، وفي الأصل: بعد.
(٤) من ظ ومد، وفي الأصل: عظمت (٥) من ظ ومد، وفي الأصل: فبنت (٦) من ظ ومد، وفي الأصل: قال (٧) زيد من ظ ومد (٨) من ظ ومد، وفي الأصل: الرحمن رحمة.

بكل نعمة ، فملك^١ الملوك من فائض ما له من الإنعام الذى يخص به
العموم من يشاء بما يشاء بما ترضاه ألوهيته من إنعامه العام ، بعد التعريف
باسمه / إشارة^٢ إلى أنه المدعو إليه للعبادة بما وجب له لذاته وما استحقه
بصفاته ، و ذلك كله بعد التعريف بصاحب الكتاب ليكون^٣ ذلك أجدر
ه بقوله ، لأن أكثر الخلق إنما يعرف الحق بالرجال ، ولما فى كتابه من
الدلالة على نبوته ، فسر مراده^٤ بأمر قاهر فقال^٥ : ﴿ الا تعالوا على ﴾
أى لا تمتنعوا^٦ من الإجابة لى ، والإذعان لأمرى ، كما يفعل الملوك ،
بل اتركوا علومهم^٧ ، لكونى داعيا إلى الله الذى أعلمت فى بابه البسمة بأنه
لا تكون حركة ولا سكون إلا به ، فيجب الخضوع له لكونه رب كل
١٠ شئ. ﴿ واتوني مسلمين ﴾^٨ أى متقادين خاضعين بما رأيتم من معجزتى
فى أمر الكتاب .

ولما تشوفت النفس إلى جوابهم ، أعلم^٩ سبحانه بأنهم بهتوا فقال :
﴿ قالت يا أيها الملأ ﴾ ثم بينت ما داخلها^{١٠} من الرعب من صاحب هذا
الكتاب بقولها : ﴿ اقتونى ﴾ أى تكرموا على^{١١} بالإبانة عما أفعله ﴿ فى امرى ﴾
١٥ هذا الذى أجيب^{١٢} به عن هذا الكتاب ، جعلت المشورة فتوى توسعا ،
لأن الفتوى الجواب فى الحادثة ، والحكم بما هو صواب^{١٣} ، مستعار من

- (١) من ظ ومد ، وفى الأصل : ملك (٢) فى ظ : فشافر (م) فى ظ : فيكون .
(٤) من ظ ومد ، وفى الأصل : يراده (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : لا تمتنعوا .
(٧) من ظ ومد ، وفى الأصل : علومكم (٨) زيد فى ظ : انه (٩) من ظ ومد ،
وفى الأصل : داخلا - كذا (١٠) من ظ ومد ، وفى الأصل : اجبت .
(١١) من ظ ومد ، وفى الأصل : صوابه .

القتاء في السن الذي هو صفوة العمر؛ ثم عللت أمرها لهم^١ بذلك بأنها^٢ شأنها دائماً مشاركتهم في كل جليل وحقير، فكيف بهذا الأمر الخطير، وفي ذلك استعطافهم بتعظيمهم، وإجلالهم وتكريمهم، فقالت: ﴿ ما كنت ﴾ أى كونا ما ﴿ قاطعة امرا ﴾ أى فاعلته و فاصلته غير مترددة فيه ﴿ حتى تشهدون ﴾ وقد دل هذا على غزارة عقلها وحسن أدبها، ولذلك جنت ثمرة أمثال ذلك طاعتهم لها في المنشط والمكروه، فاستأنف تعالى الإخبار عن جوابهم بقوله: ﴿ قالوا ﴾ أى الملائكة مائلين إلى الحرب: ﴿ نحن اولوا قوة ﴾ أى بالمال والرجال ﴿ واولوا باس ﴾ أى عزم في الحرب ﴿ شديد ﴾ الأمر ﴿ راجع [و-] موكول ﴾ اليك ﴿ أى كل من المسألة والمصادمة ﴾ فانظري ﴿ بسبب أنه لا نزاع معك ١٠ ﴾ ما ذا تامرین ﴾ أى به فانه مسموع .

ولما علمت أن^١ من سخر له الطير على هذا الوجه لا يهجزه شيء يريد، ولا أحد يكيد، مالت إلى^٢ المسألة، فاستأنف سبحانه وتعالى الإخبار عنها بقوله: ﴿ قالت ﴾ جواباً لما أحست في جوابهم من ميلهم إلى الحرب أن^٣ الصواب من غير ارتياب أن نحتال في عدم قصد ١٥ هذا الملك المطاع؛ ثم عللت هذا الذي أفهمه سياق كلامها بقولها:

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ومد، وفي الأصل: بان (٣) زيد من ظ ومد .
(٤) زيد في الأصل: أى ، ولم تكن الزيادة في ظ ومد فخذناها (٥) من ظ ومد، وفي الأصل: يدع (٦) من ظ ومد، وفي الأصل: انه (٧-٧) من ظ ومد، وفي الأصل: سالت أى (٨) من ظ ومد، وفي الأصل: الى .

(ان الملوك) أى مطلقا، فكيف بهذا النافذ الأمر، العظيم القدر
 (اذا دخلوا قرية) أى عنوة بالقهر 'والغلبة' (افسدوها) أى
 'بالنهب والتخريب' (وجعلوا أعزة أهلها أذلة ج) أى بما يرونهم من
 البأس، ويحلون بهم من السطوة. ثم أكدت هذا المعنى بقولها:
 (وكذلك) أى ومثل هذا الفعل العظيم الشأن، الوعر المسلك
 / البعيد الشاؤ^٢ (يفعلونه) دائما، هو خلق لهم مستمر جميعهم على
 هذا، فكيف بمن تطيعه الطيور، ذوات الكور، فيما يريده من الأمور.
 ولما يفت ما فى المصادمة من الخطر، أتبعته ما عزمت عليه من
 المسألة، فقالت: (وانى مرسله) وأشار سبحانه إلى عظيم ما ترسل
 ١٠ به بالجمع فى قولها: (اليهم) أى إليه وإلى جنوده (بهدي) أى تقع
 منهم موقعا. قال البغوى: وهى العطية على طريق الملاطفة. (قنطرة)
 عقب ذلك وبسيه (بسم) أى بأى شئ (يرجع المرسلون) بتلك
 الهدية عنه من المقال^٣ أو الحال، فنعمل بعد ذلك على حسب ما نراه
 من أمره، فنكون قد سلطنا من خطر الإقدام على ما لم نعرف عاقبته،
 ١٥ ولم يضربنا ما فعلنا شيئا.

ولما كان^٤ التقدير: فأرسلت بالهدية، وهى فيما يقال خمسمائة

(١-١) من ظ ومد، وفى الأصل: بالغلبة (٢-٢) فى ظ: بالهرب والتخويف -
 كذا (٣) من مد، وفى الأصل: المشار، وفى ظ: التناول - كذا (٤) راجع
 معالم التنزيل بهامش الباب ١٢٠/٥ (٥) من ظ، وفى الأصل: المال، والكلمة
 ساقطة من مد (٦) فى ظ: كانت.

غلام مرد، زيتهم بزى الجوارى، و امرتهم بتأنيث الكلام، و خمسة
جارية فى زى الغلمان، و أمرهم بتغليظ الكلام. و جزعة معوجة الثقب،
و درة غير مثقوبة - [و غير ذلك -^١]، و سألته^٢ أن يعير بين الغلمان
و الجوارى، و أن يثقب الدرة، و أن يدخل فى الجزعة^٣ خيطا، فأمرهم
بغسل الوجوه و الأيدي، فكانت الجارية تأخذ الماء باحدى يديها ثم ه
تنقله إلى الأخرى ثم تضرب الوجه و تصب الماء على باطن ساعدها
صبا، و كان الغلام كما يأخذ الماء^٤ يضرب به وجهه و يصب الماء على
ظهر الساعد و يحدره على يديه حدرا، و أمر الأرضة فثقت الدرة،
و الدودة فأدخلت السلك فى الثقب المعوج، رتب عليه قوله مشيرا
بالفاء إلى سرعة^٥ الإرسال: ﴿ فلما جاء ﴾ أى الرسول الذى بعثه ١٠
و أرسلته^٦، و المراد به الجنس؛ قال أبو حيان^٧: و هو يقع على الجمع
و المفرد و المذكر و المؤنث. ﴿ سليمان ﴾ فدفع إليه ذلك ﴿ قال ﴾ أى
سليمان عليه السلام للرسول و لمن فى خدمته استصغارا لما^٨ معه:
﴿ انمدونى ﴾ أى أنت و من معك و من أرسلك ﴿ بمال ﴾ [و إنما
قصدى لكم لأجل الدين -^٩]، تحقيرا لأمر الدنيا و إعلاما بأنه لا التفات ١٥

(١) زيد من مد (٢) زيد فى الأصل: انه، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد لحذفناها.
(٣) من ظ و مد، و فى الأصل: الحديد (٤) زيد فى الأصل: لما، و لم تكن
الزيادة فى ظ و مد لحذفناها (٥) زيد فى ظ: الى (٦ - ٧) سقط ما بين الرقيين
من ظ و مد (٧) راجع البحر المحيط ٧ / ٧٤ (٨) فى ظ: لمن (٩) زيد
من ظ و مد.

له نحوها بوجه، ولا يرضيه شيء دون طاعة الله. ثم سبب عنه ما أوجب له
 'استصغار ما معه' فقال: ﴿فَأَنْتَ نَزَّيْنَاهُ﴾ أى الملك الأعظم الذى له جميع
 الكمال من المال والجلال بالنبوة والملك والقرب منه سبحانه، وهو الذى
 يغنى مطيعه عن كل ما سواه، فهما سأله أعطاه، وذلك أنه صف الشياطين
 ه و الإنس والسباع والوحش والطير والموام صفوا فراسخ عدة،
 وبسط^٢ المكان كله بلبن الذهب إلى غير ذلك مما يليق به ﴿خير مما أنتمكم﴾
 أى من [الملك - ٢] الذى لا نبوة فيه، ولا تأييد^٣ من الله.

ولما كان التقدير: ولكنكم^٤ لاتعلمون أن هديتكم مما يزهد فيه
 لتقيدكم بظاهر [من - ٢] الحياة الدنيا، نسق عليه قوله: ﴿بل أنتم﴾
 ١٠ أى يجعلكم لذلك تستعظمون ما أنتم فيه، فأنتم ﴿بهديتكم تفرحون﴾

بتجوزكم أن الدنيا تردنى عنكم / لأنها غاية قصدى، ويجوز أن يراد
 أنكم تفرحون بما يهدى إليكم فتكون من كنتم تريدون غزوه لأجل ما
 آتاكم [منه - ٢] من الدنيا، فخالى خلاف حالكم، فانه لا يرضينى إلا الدين.

ثم أفرد الرسول إرادة لكبيرهم بقوله: ﴿ارجع﴾ وجمع فى قوله: ﴿اليهم﴾
 ١٥ إكراما لنفسه، وصيانة لاسمها عن التصريح بضميرها، وتعميما لكل من
 يهتم بأمرها ويطيعها ﴿فلنأتينهم بجنود لا قبل﴾ أى طاقة ﴿لهم بها﴾
 أى بمقابلتها لمقاومتها وقلبها عن قصدها، أى لا يقدررون أن يقابلوها

(١ - ١) فى ظ و مد: استصغاره (٢) زيد فى الأصل: فى، ولم تكن الزيادة
 فى ظ و مد لحذفها (٣) زيد من ظ و مد (٤ - ٤) سقط ما بين الرقین من ظ.
 (٥) من ظ و مد، وفى الأصل: لكنهم.

(ولنخرجهم منها) أى من بلادهم (اذلة) .

ولما كان الذل قد يكون لمجرد الانقياد ، لا على سبيل الهوان ،
حقق المراد بقوله : (وهم صاغرون) أى لا يملكون شيئا من المنعة
إن لم يقرؤا بالإسلام .

ولما ذهب الرسل ، وعلم صلى الله عليه وسلم بما رأى من ه
تصاغرم لما رأوا من هيئته وجلاله الذى جاء به ربه وعظمته أنهم
يأتون بها مذعنة (قال) لجماعته تحقيقا لقوله " و اوتينا من كل شيء " ^٥
لإعلامه بأنها استوثقت من عرشها : (يا أيها الملأ) أى الأشراف
(ايتكم ياتيني بعرشها) لترى بعض ما آتاني الله من الخوارق ، فيكون
أعون على متابعتها فى الدين ، ولأخذه قبل أن يحرم أخذه بإسلامها ، ١٠
وأختبر به عقلها (قبل ان ياتونى) [أى - °] هى وجماعتها ^١
(مسلمين) أى منقادين لسلطاني ، تاركين لعز سلطانهم ، منخلعين من
عظيم شأنهم ، ليكون ذلك أمكن فى إقامة الحجة عليها فى نبوتى
وأعون على رسوخ الإيمان فى قلبها وإخلاصها فيه (قال عفريت) .
ولما كان هذا اللفظ يطلق على الأسد ، وعلى المارد القوى ، ١٥
وعلى الرجل النافذ فى الأمر المبالغ فيه مع دهاء وقوة - وقال الرازى :

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل : بقولهم (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و مد ،
وفى الأصل : النعمة (٤) فى ظ : الرجل (٥) زيد من مد (٦ - ٧) سقط ما بين
الرقين من ظ و مد (٧) فى ظ : فيكون .

مع خبث و مكر - و على غيره^١، بينه بأن قال : ﴿ من الجن انا ﴾^٢ الداهية الغليظ الشديد^٣ ﴿ اتيك به ﴾ و لما علم أن غرضه الإسراع قال : ﴿ قبل ان تقوم من مقامك ج ﴾ أى مجلسك هذا ، ثم أوثق الامر و أكده بقوله : ﴿ و انى عليه ﴾ أى الإتيان به سالما ﴿ لقوى ﴾ لا يخشى عجزى عنه ﴿ امين ه ﴾ لا يخاف انتقاض^٤ شيئا منه .

و لما كانت القصة لإظهار فضل العلم المستلزم للحكمة ، دلالة على أنه تعالى حكيم عليم ، ترغيبا فى القرآن ، و حثا على ما أفاده من البيان ، قال حاكيا^٥ لذلك استئنافا جوابا لاستشرافه^٦ صلى الله عليه وسلم لأقرب من ذلك : ﴿ قال الذى عنده ﴾ .

١٠ و لما كان لكتب الله من العظمة ما لا يحيطه إلا الله ، أشار إلى ذلك بتمكيد ما لهذا الذى يفعل مثل^٧ هذا الخارق العظيم من ذلك فقال : ﴿ علم ﴾ [تنبيها على أنه اقتدر على ذلك بقوة العلم ليفيد ذلك تعظيم العلم و الحث على تعلمه ، و بين أن هذا الفضل إنما هو للعلم الشرعى فقال - ٧] : ﴿ من الكتب ﴾ أى الذى [لا كتاب فى الحقيقة ١٥ غيره ، و هو المنسوب إلينا ، و كأنه الذى - ٧] كان شهيرا فى ذلك الزمان ، و لعله التوراة و الزبور ، إشارة إلى أن من خدم كتابا حق الخدمة

(١) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناهما (٢-٢) تقدم ما بين الرقين فى الأصل على « و على الرجل » ص ١٦٣ س ١٦ و الترتيب من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : انتقاص (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : جالبا (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : انه - مع بياض قبله (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : بمثل (٧) زيد من ظ و مد .

كان الله - تعالى كما ورد في شرعنا - سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، أى أنه يفعل / له ما يشاء ، وقيل^١ فى تعيينه إنه آصف بن برخيا وكان صديقا عالما : ﴿ انا انيك به ﴾ وهذا أظهر فى كونه اسم فاعل لأن الفعل قارب الكلام^٢ ؛ وبين فضله على العفريت بقوله : هـ (قبل ان يرتد) [أى يرجع -^٣] ﴿ اليك طرفك ﴾ أى بهرك إذا طرفت بأجفانك فأرسلته إلى منتهاه^٤ ثم رددته ؛ قال القزاز : طرف العين : امتداد بصرها حيث أدرك ، ولذلك يقولون : لا أفعل ذلك^٥ ما ارتد إلى طرفي ، أى ما دمت أبصر ، ويقال : طرف^٦ الرجل يطرف - إذا حرك جفونه ، وقيل : الطرف اسم لجامع البصر لا يثنى ولا يجمع . وبين ١٠ تصديق فعله لقوله أنه استولى عليه قبل أن يتحكم منه العفريت فبادر الطرف إحضاره كما أشار إليه قوله تعالى : ﴿ فلما راه ﴾ أى العرش . ولما كانت الرؤية قد تكون عن بعد و مجازية ، وكذلك العندية ، بين أنها حقيقة^٧ باظهار العامل فى الظرف ومن حقه فى غير هذا السياق الحذف فقال : ﴿ مستقرا عنده ﴾ أى ثابتا ثابتا لا مرية فيه ، ما هو ١٥ بسحر^٨ ولا منام ولا مثال ؛ قال الإمام جمال الدين ابن هشام^٩ فى الباب

(١) راجع معالم التنزيل بهامش الباب ٥ / ١٢٣ (٢-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ و مد (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : منتهاه . (٥) زيدت الواو فى الأصل ، ولم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : طرق (٧) فى ظ : حقيقة (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : مسحر (٩) هو أبو محمد عبد الله بن يوسف المعروف بابن هشام النحوى المتوفى سنة ٤٧٢ هـ واسم كتابه « مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب » - راجع =

الثالث من كتابه المغنى : زعم ابن عطية أن "مستقرا" هو المتعلق الذى
يقدر فى أمثاله قد ظهر ، والصواب ما قاله أبو البقاء وغيره من أن
هذا الاستقرار معناه عدم التحرك^٢ لا مطلق الوجود^٣ والحصول ، فهو
كون خاص^٤ . (قال) أى سليمان عليه السلام شكرا لما آتاه الله من
هذه الخوارق : (هذا) أى الإتيان المحقق (من فضل ربى قف) أى
المحسن إلى ، لا بعمل^٥ أستحق به شيئا ، فانه أحسن إلى باخراجى^٦ من العدم
وتطويق للعمل^٧ ، فكل عمل نعمة منه يستوجب على به الشكر ، ولذلك
قال (ليلونى) أى يفعل معى فعل المبلى الناظر (ء اشكر) فأعترف
بكونه فضلا (ام اكفر) بظن أنى أوتيته باستحقاق . ثم زاد فى
١٠ حث نفسه على الشكر بقوله : (ومن شكر) أى أوقع الشكر لربه
(فانما يشكر لنفسه) فان نفعه لها ، وأما^٨ الله تعالى فهو أعلى من أن
يكون له فى شىء نفع أو عليه فيه ضرر (ومن كفر فان ربى) أى
المحسن إلى بتوفيق لما آتاه فيه من الشكر (غنى) أى عن شكر ، لا يضره
تركه شيئا (كريم) يفعل معه بادرار النعم عليه فعل من أظهر محاسنه
١٥ و ستر مساوته ، [ثم هو جدير بأن يقطع إحسانه إن استمر على إجرامه كما

= كشف الظنون ٤٧٣/٢ .

(١) سقط من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : الترك (٣-٣) سقط
ما بين الرقين من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : بدل (٥) من ظ
و مد ، وفى الأصل : باخراج حى (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : العمل .
(٧) من مد ، وفى الأصل : آنا ، والكلمة ساقطة من ظ .

يفعل

يفعل الغنى بمن أصر على كفر إحسانه فاذا هو قد هلك - [١] .

ولما قدم - كما هو دأب الصالحين - الشكر، و علم أنه يفعل في

العرش ما لا لاجله أحضره، تشرفت النفس إليه فأجبت^٢ بقوله: (قال)

[أى - ١] سليمان عليه السلام: ((نكروا لها عرشها)) أى بتغيير بعض

معاملة وهيئته اختباراً لعقلها كما اختبرتنا هي بالوصفاء والوصائف هـ

والدرة وغير ذلك، وإليه الإشارة بقوله: ((نظر اهتدى)) أى إلى

معرفة فيكون ذلك سبباً لهدايتها في^٣ الدين ((أم تكون من الذين))

شأنهم أنهم ((لا يهتدون ه)) أى بل هم في غاية الغباوة، لا يتجدد لهم اهتداء،

/ بل لو هدوا لوقفوا عند الشبه، وجادلوا بالباطل وما حلوا. وأشار

٧٨١ /

إلى سرعة مجيئها إشارة إلى خضوعها بالتعبير بالقاء في قوله: ((فلما جاءت)) ١٠

وكان مجيئها - على ما قيل - في اثني عشر ألف قيل من وجوه اليمن،

تحت يد كل قيل ألوف كثيرة، وكانت قد وضعت^٤ عرشها داخل

بيت منيع، وكلت به حراساً أشداء ((قيل)) أى لها وقد رأت عرشها

بعد تنكيره بتقليب^٥ نصبه وتغييره،^٦ من قائل لا يقدر على السكوت عن

جوابه لما نالها من الهيبة وخالطها من الرعب من عظيم ما رأت^٧، فقرعها ١٥

بكلمة تشمل على أربع كلمات: هاء التنبيه، وكاف التشبيه، واسم الإشارة،

(١) زيد من ظ ومد (٢) من ظ ومد، وفي الأصل: فاجيب (٣) من ظ

ومد، وفي الأصل: الى (٤) من ظ ومد، وفي الأصل: للغبابة (هـ) من

ظ ومد، وفي الأصل: وصفت (٦) من ظ ومد، وفي الأصل: وتقليب.

(٧-٧) تأخر ما بين الرقين ومد في الأصل عن «أهكذا» والترتيب من ظ ومد.

مصدرة بهمزة الاستفهام، أى تنهى ('اهكذا) أمثل ذا العرش
('عرشك ' قالت) عادلة عن حق 'الجواب من 'نعم' أو 'لا' إشارة إلى
أنها غلب على ظنها أنه هو بعينه كما قالوا فى "كأن زيدا قائم": ('كأنه هوج)
وذلك يدل على ثبات كبير، وفكر ثاقب، ونظر ثابت^٢، وطبع منقاد، لتجوز
المعجزات والإذعان لها مع دهشة القდوم، واشتغال الفكر بما دهمها
من هيته وعظيم أمره، فلم سليمان عليه السلام [رجاحة عقلها و بطلان
ما قال الشياطين من نقصه خوفا من أن يتزوجها فتفشى عليه أسرار الجن
لأن أمها كانت جنية -^٣] - على ما قيل^٤، وقالوا: إن رجلها كخافر الحمار،
وإنها كثيرة الشعر جدا .

١٠. ولما كانت مع ذلك قد شبه عليها ولم تصل إلى حاق الانكشاف
مع أنها غلبت على عرشها مع الاحتفاظ^٥ عليه، استحضر صلى الله عليه
وسلم^٦ ما خصه الله به من العلم زيادة فى حته على الشكر، فقال عاطفا
على ما تقديره: فأوتيت من أمر عرشها علما، ولكنه يخالجه^٧ شك.
فدل^٨ على أنها فى الجملة من^٩ "أهل العلم" المهيئ للهداية، أو^{١٠} يكون التقدير

(١) العبارة من هنا إلى « زيدا قائم » ساقطة من ظ (٢) فى مد: سياق (٣) من
مد، وفى الأصل: باهت، وفى ظ: فابت - كذا (٤) زيد من ظ و مد .
(٥) راجع العالم بهامش الباب ١٢٤/٥ (٦) من ظ و مد، وفى الأصل: احتفاظ .
(٧) زيد فى الأصل: فضل، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فخذفناها (٨) من
ظ و مد، وفى الأصل: يخالطه (٩) من ظ و مد . وفى الأصل: فدخل .
(١٠) من ظ و مد، وفى الأصل: ممن (١١) من ظ و مد . وفى الأصل:
لعله (١٢) فى ظ « و » .

بما دل عليه ما يلزم من قولها "كانه": فجعلت^١ أمر عرشها على كثرة ملابتها له: ﴿ و اوتينا ﴾ معبرا بنون الواحد المطاع، لاسيما والمؤن سبب لعظمة شرعية، وهو العلم الذي لا يقدر على إتيائه^٢ غير الله، ولذلك نبى الفعل^٣ للفعل لأن فاعله معلوم ﴿ العلم ﴾ أى بجميع ما آتانا الله علمه، ومنه أنه يخفى عليها ﴿ من قبلها ﴾ أى من قبل إتيانها، بأن عرشها ه يشبه عليها، أو من قبل علمها بما ظنت من أمر عرشها، أو أنا وأسلافي من قبل وجودها، فنحن عريقون في العلم، فلذلك نحن على حقيقة من جميع أمورنا، وإنما قال "نظر انتهدي" بالنسبة إلى جنوده. ثم ذكر السبب في وجود العلم واتساعه وثباته فقال: ﴿ وكنا ﴾ أى مع العلم الذى هيأنا الله له بما جعل في غرائزنا من^٤ النورانية ﴿ مسلمين ﴾ أى خاضعين ١٠ لله تعالى عريقين في ذلك مقبلين على جميع أوامره بالفعل على حسب أمره كما أشار إليه قوله تعالى^٥ "واقفوا الله ويعلمكم الله"، "يهدىهم ربهم بالإيمانهم"^٦.

ولما كان المعنى: وأما^٧ هي فانها وإن أوتيت علما فلم يكن ثابتا، ولا كان معه دين، ترجمه بقوله: ﴿ و صدها ﴾ / أى هي عن كمال العلم ١٥ / ٧٨٢

- (١) من ظ و مد، وفي الأصل: فحملت - كذا (٢) من ظ و مد، وفي الأصل: اعطايه (٣) من ظ و مد، وفي الأصل: فعله (٤) سقط من ظ . (٥) العبارة من هنا إلى « أو أنا » تكررت في الأصل فقط (٦) في ظ والعبارة المتكررة: أى (٧) من ظ و مد، وفي الأصل: عن (٨) راجع سورة ٢ آية ٢٨٢ (٩) سورة ١٠ آية ٩ (١٠) في ظ: إنما .

كما صدها عن الدين ﴿ ما ﴾ أى المعبود الذى ﴿ كانت ﴾ أى 'كوتا
ثابتا' فى الزمن الماضى ﴿ تعبد ﴾ أى عبادة مبتدئة ﴿ من دون الله ﴾
أى غير الملك الاعلى الذى له الكمال كله أو أدنى رتبة من رتبته، وهى
عبادة الشمس ليظهر الفرق بين حزب الله الحكيم العليم و^٢حزب إبليس
السفیه الجهول^٣. ثم علل ذلك إشارة إلى عظيم نعمة الله عليه بالنعمة على
أسلافه بقوله : ﴿ انها ﴾ و قرئ^٤ بالفتح على الدل من فاعل "صد"
﴿ كانت من قوم ﴾ أى ذوى بطش و قیام ﴿ کفرین ﴾ أى فكان ذلك
سیا - وإن كانت فى غاية من وفور العقل و صفاء الذهن و قبول العلم
كما دل عليه ظنها فى عرشها ، ما يهتدى له إلا من عنده قابلية الهدى - فى
١٠ اقتفائها لآثارهم فى الدين ، فصديت مرآة فكرها و نبت صوارم عقلها .

و لما تم ذلك ، كان كأنه قيل : هل كان بعد ذلك اختبارا ؟ فقيل :
نعم ! ﴿ قيل لها ﴾ [أى -^٥] من قاتل من جنود سليمان عليه السلام ،
فلم تمكنها المخالفة لما هناك من الهيبة بالملك و النبوة و الدين : ﴿ ادخلی الصرح ﴾
[و هو قصر -^٦] بناء قبل قدومها ، و جلس فى صدره ، و جعل صحنه
١٥ من الزجاج الأبيض الصافى ، و أجرى تحته الماء ، و جعل فيه دباب البحر ،
و أصله - كما قال فى الجمع بين العباب و المحكم : بيت واحد يبنى منفردا

(١ - ١) سقط ما بين الرقین من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل :
الذين (٣ - ٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : علم السفينة الجهوك - كذا (٤) من
ظ و مد ، و فى الأصل : اسلامه (٥) راجع نثر الرجان ١١٠ / ٥ (٦) من ظ و مد ،
و فى الأصل : اختبارا (٧) زيد من ظ و مد .

ضخما طويلا في السماء، قال : وقيل : كل بناء متسع مرتفع، وقيل : هو القصر، وقيل : كل بناء عال مرتفع، والصرح : الأرض المملسة، وصرحة الدار صاحبها . ودل على مبادرتها لامثال الامر [وصرعة دخولها - ^١] بالفاء فقال : ﴿ فلما رآته ﴾ وعبر بما هو من الحسبان دلالة على أن عقلها وإن كان ^٢ في غاية الرجاجة ^٣ ناقص لعبادتها لغير الله فقال : هـ ﴿ حسبته ﴾ أى لشدة صفاء الزجاج واتصال الماء بسطحه الأسفل ﴿ لجة ﴾ أى غمرة ^٤ عظيمة من ماء، فعزمت على خوضها ^٥ إظهارا لتمام الاستسلام ﴿ وكشفت عن ساقها ﴾ أى لثلاث تبتل ثيابها فتحتاج إلى تغييرها قبل الوصول إلى سليمان عليه السلام، فأراها أحسن الناس ساقا وقدما غير أنها شعراء .

١٠

ولما حصل مراده، استوقف الإخبار عن أمره بعده فقيل : ﴿ قال ﴾ أى مبينا لعظم ^٦ عقله وعلوه، وحكمته وقدرته، مؤكدا لأنه لشدة اشتباهه ^٧ بجودة المادة ^٨ وتناهى حسن الصنعة ^٩ وإحكامها لا يكاد يصدق أنه حائل دون الماء : ﴿ انه ﴾ أى هذا الذى ظننته ماء ﴿ صرح ﴾ أى قصر ﴿ بمرد ﴾ أى بملس، وأصل المرودة ^{١٠} : الملازمة والاستواء ١٥

(١) زيد من ظ و مد (٢) في ظ : كانت (٣) من ظ و مد، وفي الأصل : الزجاج (٤) من ظ و مد، وفي الأصل : بغير (٥) من ظ و مد، وفي الأصل : من شدة (٦) من ظ و مد، وفي الأصل : كونها (٧) من ظ و مد، وفي الأصل : لعظيم (٨-٨) من ظ و مد، وفي الأصل : جودة الماء (٩) من ظ و مدة وفي الأصل : الصفة (١٠) من ظ و مد، وفي الأصل : المروود .

نظم الدور (سورة النمل ٢٧ : ٤٤ و ٤٥) ج - ١٤

(من) أى كائن من (قوارير^١) أى زجاج ليتصف بشفوق الماء فيظن أنه لا حائل دونه، فلما رأت ما فضله الله به من العلم، المؤيد بالحكمة، المكمل بالوقار والسكينة، انتمم بالحوارِق، بادرت إلى طاعته علما بأنه رسول الله، فاستأنف تعالى الإخبار عن ذلك^٢ بقوله : (قالت) متبلة^٣ على من^٤ آتاه، للاستمطار من فضله، والاستجداء من عظيم وبه : (رب) أى أيها المحسن إلى (انى ظلمت نفسى) أى بما كنت فيه^٥ من العمى بعبادة غيرك عن^٦ عبادتك (واسلمت) أى ليظهر على ثمرات^٧ الإسلام .

و لما / ذكرت هذا الأساس الذى لا يصح بناء^٨ طاعة إلا عليه، / ٧٨٣
١٠ أتبعته الداعي^٩ الذى لا تتم ثمرات الأعمال المؤسسة عليه إلا بجه، والإذعان له، والانقياد والاعتراف بالفضل، وهدايته إلى ما يصلح منها وما لا يصلح على^{١٠} الوجوه التى لا تقوم إلا بها من الكميات والكيفيات . فقالت^{١١} : (مع سليمان) .

و لما ذكرت صفة الربوبية الموجبة للعبادة بالإحسان، ذكرت الاسم الأعظم الدال على الذات المستجمع للصفات الموجبة للالهية [للذات -^{١٢}]

(١) من ظ ومد، وفى الأصل : دايه - كذا (٢-٣) فى ظ : لن (٣) سقط من ظ ومد (٤) فى ظ : من (٥) زيد فى الأصل : الايمان و، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد لخذلتها (٦) زيد فى الأصل : على، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد لخذلتها (٧) سقط من ظ (٨) فى ظ : عن (٩) من ظ ومد، وفى الأصل : قال (١٠) زيد من ظ ومد .

قالت

(٤٣)

١٧٢

قالت : ﴿ لله ﴾ أى مقرة له بالآلوهية^١ والربوبية على سبيل الوحداية .
ثم رجعت [إشارة - ٢] إلى العجز عن معرفة الذات حق المعرفة إلى
الأفعال التى هى بحر المعرفة فقالت : ﴿ رب الغلدين ﴾ فعمت بعد أن
خصت إشارة إلى الترقى من حضيض دركات العمى إلى أوج درجات
الهدى ، فله درها ما أعلها ، وأطيب أعراقها ، وأكرمها ، ويقال : إن هـ
سليمان عليه السلام تزوجها واصطنع الحمام - وهو أول من اتخذها -
وأذهب شعرها بالنورة .

ولما أتم سبحانه هذه القصة المؤسسة على العلم المشيد بالحكمة المنبئة^٣
عن أن المدعوبين فيها أطبقوا على الاستسلام للدخول فى الإسلام ، مع
أبالة الملك و رئاسة العز ، والقهر على يد غريب عنهم بعيد منهم ، أتبعها ١٠
قصة انقسم أهلها مع " الذل والفقر " فرهقن مع أن الداعى منهم لا يزول
باتباعه شئ من العز عنهم ، مع ما فيها من الحكمة ، وإظهار دقيق العلم
بإبطال المكر ، بعد طول الأناة والحلم ، فقال تعالى مفتحا بحرف التوقع
و التحقيق لمن ظن أن هذا شأن كل رسول مع من " بدعوم ، عاطفا
على " " ولقد اتينا داود " : ﴿ ولقد أرسلنا ﴾ أى بما لنا من العظمة ١٥
﴿ الى نوح ﴾ ثم أشار إلى العجب من توقفهم بقوله : ﴿ اخام صلحا ﴾
لجمع إلى حسن الفعل حسن الاسم وقرب النسب . ثم ذكر المقصود
من الرسالة بما لا أعدل منه ولا أحسن ، وهو الاعتراف بالحق لأهله ،

- (١) من ظ و مد ، وفى الأصل : بالاثنية (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى ظ
و مد : اخذه (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : المنبئة (هـ - هـ) فى ظ و مد :
الفقر والذل (٦) فى ظ و مد : طويل (٧) من ظ و مد ، وفى الأصل : ما .
(٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : بما .

قَالَ : (ان اعبدوا الله) أى الملك الأعظم [الذى لا كفوء له -^١]
 وحده^٢ ، ولا تشركوا به شيئاً ولا شيئاً لا يضر بوجهه ولا ينفع ،
 يانا لأن الرسل عليهم الصلاة والسلام متفقون على ذلك عربهم وعجمهم .
 ثم زاد فى التعجب منهم بما أشارت إليه الفاء وأداة المفاجأة من المبادرة
 ه إلى الافراق بما يدعوا إلى الاجتماع فقال : (فاذا هم) أى ثمود
 (فريقتن) ثم بين بقوله : (يختصمون) أنها فرقة افتراق بكفر
 وإيمان ، لافرقه اجتماع فى هدى وعرفان ، فبعضهم صدق صالحاً واتبه
 - كما مضى فى الأعراف . وتأتى هنا الإشارة [إليه -^١] بقوله "وبمن"
 ملك^٣ - وبعضهم استمر على شركه وكذبه ، وكل فريق يقول : أنا على

١٠ / ٧٨٤ الحق وخصمى على الباطل . ثم استأنف بما / أشار إليه حرف التوقع

من شدة التشوف قائلاً : (قال) أى صالح مستعظفاً فى هدايته :
 (يقوم) أى يا أولاد عمى ومن فيهم كفاية للقيام بالمصالح
 (لم تستعجلون)^٤ أى تطلبون العجلة [بالإتيان -^٥] (بالسيئة)
 أى الحالة التى مساهاها ثابتة^٦ وهى العقوبة التى أنذرت بها من كفر
 ١٥ (قبل) الحالة (الحسنة) من الخيرات التى أبشركم بها فى الدنيا
 و الآخرة إن آمنتم ،^٨ والاستعجال : طلب الإتيان بالأمر قبل الوقت

(١) زيد من ظ ومد (٢) زيد فى ظ : لا شريك له (٣) سقط من ظ (٤) من
 ظ ومد وانقرأت الكريم ، وفى الأصل : من (٥) العبارة من هنا إلى
 « من كفر » ساقطة من ظ (٦) زيد من مد (٧) بياض فى الأصل ملأناه من
 مد (٨) العبارة من هنا إلى « المضروب له » ص ١٧٥ س ١ وقعت فى الأصل قبل
 « بالسيئة » ، والترتيب من ظ ومد .

المضروب له، واستعجالهم لذلك' للاصرار على سببه وقولهم استهزاء " اتنا بما تعدنا " ﴿لولا﴾ أى هلا ولم لا ﴿تستغفرون الله﴾ أى تطلبون غفران الذى له صفات الكمال لذنوبكم السالفة بالرجوع إليه بالتوبة باخلاص' العبادة له ﴿لعلكم ترحمون﴾ أى لتكونوا على رجاء من أن تعاملوا [من كل من فيه خير -^١] معاملة المرحوم "بإعطاء الخير والحماية من الشر"، ثم استأنف حكاية جوابهم فقال: ﴿قالوا﴾ فظاظة وغلظة مشيرين بالإدغام إلى أن ما يقولونه إنما يفهمه الخذاق بمعرفة الزجر [وإن كان الظاهر خلافه بما أتاهم به من الناقة التى كان فى وجودها من البركة أمر عظيم -^٢]: ﴿اطيرنا﴾ أى تشاءمنا ﴿بك وبمن معك﴾ أى وهم الذين آمنوا بك، فانه وقع بيننا بسبيكم الخلاف، وكثر القول^٣ والقليل^{١٠} والإرجاف، وحصلت لنا شذائد^٤ واعتساف، لانا جعلناكم مثل الطائر الذى يمر من جهة الشمال - على ما يأتى فى الصافات ﴿قال طئركم﴾ أى ما تيمنون به فيشمر ما يسركم، أو تشاءمون به^٥ فينشا عنه ما يسوءكم^٦، وهو عملكم من الخير أو الشر ﴿عند الله﴾ أى الملك الأعظم المحيط بكل شيء علما وقدره، وليس شيء منه يد غيرء ولا ينسب إليه، [فان ١٥ شاء جعلنا سبيه وإن شاء جعل غيرنا -^٧].

(١) من ظ و مد، وفى الأصل: بذلك (٢) من ظ و مد، وفى الأصل: باخلاصكم (٣) فى ظ: الرجاء (٤) زيد من ظ و مد (ه-ه) وقع ما بين الرقين فى الأصل بعد "قال"، والترتيب من ظ و مد (٦) من ظ و مد، وفى الأصل: المقال (٧) فى ظ: شديدا (٨) سقط من ظ و مد (٩) من ظ و مد، وفى الأصل: يسركم (١٠) من ظ و مد، وفى الأصل: "و".

ولما كان [معنى - '] نسبه إلى الله أن هذا الذي بكم الآن من الشر ليس منا، قال : ﴿ هل اتم قوم تفتونہ ﴾ أى تجتبرون من الملك الأعلى^٢ بما ينسبونه إلى الطير من الخير والشر، أى^٣ تعاملون به^٤ معاملة الاختبار هل تصلحون للخير^٥ بالرجوع عن الذنب فيخفف عنكم^٦ أو لا تمحنوا .

ولما أخبر عن عامة هذا الفريق بالشر، أخبر عن شرهم بقوله : ﴿ و كان فى المدينة ﴾ أى مدينتهم الحجر من عطاء القرية وأعيانها ﴿ تسعة رهط ﴾ أى رجال، مقابلة لآيات موسى التسع . ولما كان الرهط بمعنى القوم والرجال، أضيف التسعة إليه، ١٠ فكانه قيل : تسعة رجال، وإن كان لقوم^٧ ورجال مخصوصين، وهم ما بين الثلاثة أو السبعة [إلى العشرة - ']، وما دون التسعة فنفر، وقال فى التماموس : إن نفر ما دون العشرة^٨ غير أنه يفهم التفرق، والرهط يفهم العظمة والشدة والاجتماع ﴿ يفسدون ﴾ وقال : ﴿ فى الارض ﴾ إشارة إلى عموم فسادهم ودوامه .

١٥ ولما كان الكفرة كلهم مفسدين^٩ بالكفر، و كان بعضهم ربما كان يصلح فى بعض أفعاله، بين أن هؤلاء ليسوا كذلك، بل هم شر

(١) زيد من ظ ومد (٢) بياض فى الأصل، ملائناه من ظ ومد (٣-٣) من ظ ومد، وفى الأصل : تعاملونه (٤) من ظ ومد، وفى الأصل : الخير (٥) فى ظ : القوم (٦) فى ظ ومد : التسعة (٧) من ظ ومد، وفى الأصل : مفسدون .

محض / لحقق خلوصهم للفساد بقوله مصرحا بما أفهمته صيغة المضارع :
 (ولا يصلحون) .

ولما اقتضى السياق السؤال عن بيان بعض حالهم ، أجاب بقوله :
 (قالوا تقاسموا) أمر بما^١ منه القسم ، أى أوقعوا المقاسمة والمخالفة
 بينكم^٢ (بالله) أى الذى لا سعى له لما شاع من عظمته ، وشموله
 إحاطته فى علمه وقدرته^٣ ، فليقل كل منكم عن نفسه ومن معه إشارة
 إلى أنكم كالجسد الواحد : (لتينته) أى صالحا (واهله) أى
 لنهلكن الجميع ليلا ، فان اليات مباغة^٤ العدو ليلا .

ولما كانت^٥ العادة جارية بأن الميتين لا بد أن يبقى بعضهم ،
 قالوا : (ثم نقولن لوليّه) أى الطالب بدمه^٦ إن بقى منهم أحد : ١٠
 (ما شهدنا) أى حضرنا حضورا تاما (مهلك) أى هلاك^٧
 (اهله) أى أهل ذلك الولي فضلا عن أن نكون بأشرنا ، أو أهل
 صالح عليه السلام فضلا عن أن نكون شهدنا مهلك صالح أو بأشرنا
 قتله ولا موضع إهلاكهم . ولما كانت الفجعة من وليه بهلاكه
 - عليه السلام - أكثر من الفجعة بهلاك أهله وأعظم ، كان فى السياق ١٥
 بالإسناد إلى الولي - على تقدير كون الضمير لصالح عليه السلام -

- (١) فى ظ : بما (٢) من ظ ومد ، وفى الأصل : بينهم (٣) سقط من ظ .
 (٤) من مد ، وفى الأصل : مباينة ، وفى ظ : باعة - كذا (٥) من ظ ومد ،
 وفى الأصل : كان (٦) من مد ، وفى الأصل : سه ، والكلمة ساقطة من ظ .
 (٧) من ظ ومد ، وفى الأصل : اهلاكا .

أثم إرشاد إلى أن التقدير : ولا مهلكة .

ولما كانوا قد صمموا على هذا الأمر ، وظنوا أنفسهم على المبالغة في الحلف والاجترأ على الكذب فقالوا : ﴿ وانا ﴾ أى و نقول فى جملة القسم تأكيذا للقسم^٢ ، إيهاما لتحقيق الصدق : وإنا ﴿ لصدقون ﴾ .
 • فبالعجب من قوم إذا عقدوا اليمين فزعوا إلى الله العظيم ، ثم نفروا عنه نفور الظلم ، إلى أن كان أنفع منها الهشيم^٣ .

ولما كان هذا^٤ منهم عمل من لا يظن أن الله عالم به ، قال تعالى عذرا أمثالهم عن أمثال ذلك : ﴿ ومكروا مكرا ﴾ أى [ستروا -^١] سترا عظيما أرادوا به الشر [بهذه المسامرة على المقاسمة ، فكان مكرم الذى اجتهدوا فى ستره لدينا مكشوفاً وفى حضرتنا معروفاً وموصوفاً ، فسترنا بل علنا به فأبطلناه -^١] ﴿ ومكرنا مكرا ﴾ [أى و جزيناهم على فعلهم بما لنا من العظمة شيئاً -^١]^٢ هو المكر فى الحقيقة فإنه لا يملك أحد من الخليفة ، ولذلك قال^٢ : ﴿ وهم ﴾ مع اعتنائهم بالفحص عن الأمور ، والتحرز من عظام المقدور ﴿ لا يشعرون ﴾ أى لا يتجدد لهم شعور بما قدرناه عليهم بوجه ما ، فكيف بغيرهم ، وذلك أنا جعلنا تدميرهم فى تدميرهم ، فلم يقدروا على إبطاله ، فأدخلناهم فى خبر كان ، لم يفلت منهم إنسان ، وأهلكنا جميع الكفرة من قومهم فى أماكنهم

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل : صموا (٢) زيد فى الأصل : أنهم فى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : القسم (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : هنا (٦) زيد من ظ و مد (٧-٧) ورد ما بين الرقيين فى الأصل قبل ه ومكرنا ه والترتيب من ظ و مد .

مساكنهم

مساكنهم أو^١ غير مساكنهم، وأما مكرم فكانوا على اجتهدهم في إيقانه^٢،
وإحكام شأنه، قد جوزوا فيه سلامة بعض من يقصدونه بالإهلاك،
فستان بين المكرين، وهيئات هيئات لما بين الأمرين، وقد ظهر^٣ أن
الآية إما احتباك أو شبهة به: عدم الشعور دال على حذف عدم^٤،
الإبطال من الثاني، وعلى حذف الشعور والإبطال الذي هو نتيجه هـ
من الأول.

ولما علم من هذا الإيهام تهويل^٥ الأمر، سبب عنه ضيقه زيادة
في تهويله قوله: (فانظر) وزاده عظمة بالإشارة بأداة الاستفهام
إلى أنه أهل لأن يسأل عنه فقال: (كيف / كان عاقبة مكرم لا)
فان ذلك ستتنا في أمثالهم، ثم استأنف لزيادة التهويل قوله يانا لما أبهم: ١٠
(أنا) أي^٦ بما لنا من العظمة، ومن فتح فهو عنده بدل من "عاقبة"
(دمرنهم) أي أهلكتنا، أي التسعة المتقاسمين، بعظمتنا التي لا مثل
لها^٧ (وقومهم اجمعين) لم يقل^٨ منهم مخبر، ولا كان في ذلك
تفاوت بين مقبل ومدبر، وأين يذهب أحد منهم أو من غيرهم من
قبضتنا^٩ أو يفر من مملكتنا.

١٥

ولما كان يتسبب عن دمارهم زيادة الهول والرعب بالإشارة إلى

(١) من ظ ومد، وفي الأصل «و» (٢) من ظ ومد، وفي الأصل: إيقانه.
(٣) في ظ: ظنوا (٤-٥) من ظ ومد، وفي الأصل: عدم حذف (هـ) في ظ:
بتهويل (٦) سقط من ظ (٧) في ظ: الذي (٨) من ظ ومد، وفي الأصل:
فعلت (٩) من ظ ومد، وفي الأصل: قضيتنا.

ديارهم ، لاستحضار أحوالهم ، واستعظامهم بعظيم أعمالهم ، قال :
 ﴿ فذلك ﴾ أى المعبدة بالغضب على أهلها ﴿ يوتهم ﴾ أى نمود كلهم
 ﴿ خاوية ﴾ أى خالية ، متهدمة بالية ، مع شدة أركانها ، وإحكام بنيانها ،
 فسبحان الفعال لما يريد ، القادر على الضيف كقدرته على الشديد .
 • ولما ذكر الهلاك ، أتبعه سيئه فى قوله : ﴿ بما ظلموا ﴾ أى أوقعوا
 من الأمور فى غير مواقعها فعل الماشى فى الظلام ، كما عبدوا من الأوثان ،
 ما يستحق الهوان ، ولا يستحق شيئاً من التعظيم بوجه ، معرضين عن
 لا عظيم عندهم^١ غيره عند الإنسام ، والشدائد والاهتمام ، وخراب
 البيوت - كما قال أبو حيان^٢ - وخلوها من أهلها حتى لا يبق منهم أحد
 ١٠ عما يعاقب به الظلمة . ثم زاد فى التهويل بقوله : ﴿ ان فى ذلك ﴾ أى
 الأمر الباهر للعقول الذى فعل بشمود ﴿ لآية ﴾ أى عظيمة ، ولكنها
 ﴿ لقوم يعلمون ﴾ أى لهم علم . وأما من لا يتفحص بها نادى على نفسه
 بأنه فى عداد البهائم .

ولما كان ذلك ربما أوهم أن الهلاك عم الفريقين قال : ﴿ وانجيناه ﴾
 ١٥ بمظمتنا ﴿ الذين آمنوا ﴾ أى وهم [الفريق -^٤] الذين كانوا مع صالح
 عليه السلام كلهم ﴿ وكانوا يتقون ﴾ أى متصفين بالتقوى اتصافاً
 كأنهم^٥ مجبولون عليه ، فيجعلون بينهم وبين ما يسخط ربهم وقاية

(١) من ظ ومد ، وفى الأصل : مواضعها (٢) من ظ ومد ، وفى الأصل :
 عنده (٣) راجع البحر المحيط ٨٦/٧ (٤) زيد من ظ ومد (٥) من ظ ومد ،
 وفى الأصل : فانهم .

من الاعمال الصالحة ، و المتاجر الراجعة . و كذلك ^١ تفعل بكل من فعل فعلهم ، قيل : كانوا أربعة آلاف ، ذهب بهم صالح عليه السلام [إلى - ^٢] حضرموت ، فلما دخلوها مات صالح عليه السلام ، فسميت بذلك . و لما فرغ [من] قصة القريب [الذى - ^٢] دعا قومه فاذا هم قسبان ، بعد القريب الذى لم يختلف عليه عن ^٢ دعاهم اثنان ، اتبعها ^٢ بغريب لم يتبعه ^٥ عن ^٢ دعاهم إنسان ، فقال دالا على أنه له سبحانه الاختيار ، فتارة يجرى الأمور على القياس ، و أخرى على خلاف الأساس ، الذى تقتضيه عقول الناس ، فقال : (و لو طأ) أى و لقد أرسلناه ؛ و أشار إلى سرعة إبلاغه بقوله : (اذ) أى حين (قال لقومة) أى الذين كان سكن^٥ فيهم لما فارق عمه [إبراهيم - ^٢] الخليل عليه السلام و صاهرهم . و كانوا ١٠ يأتون الأحداث ، منكرا موبخا : (اتاتون) و لما كان للابهام ثم التعيين من هز النفس و تزويجها ما ليس للتعين من أول الأمر [قال - ^٢] : (الفاحشة) أى الفعلة المتناهية فى القبح (و انتم تبصرون ^٥) / أى لكم عقول تعرفون بها المحاسن و المقابح^٢ ، و ربما كان بعضهم يفعلها ٧٨٧ / بحضرة بعض كما قال ” و تاتون فى نادىكم المنكر “ فىكون حيثن ١٥ من البصر و البصيرة ؛ ثم أتبع [هذا - ^٢] الإنكار إنكارا آخر لمضمون جملة مؤكدة أتم تأكيدا ، إشارة إلى أن فعلتهم هذه مما يعيب الواصف ،

(١) فى ظ و مد : كذا (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى ظ : من (٤) فى ظ : اتبعه (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : تسكن (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : القبايح .

ولا يبلغ كنه قبجها ولا يصدق ذو عقل أن أحدا يفعلها، قال معينا
 لما أيهم: ﴿انكم لتأتون﴾ وقال: ﴿الرجال﴾ تنيها على بعدم عما
 يأتونه إليهم، ثم علله بقوله: ﴿شهوة﴾ إنزالا لهم إلى رتبة البهائم التي
 ليس فيها قصد ولد ولا عفاف؛ وقال: ﴿من دون﴾ أي إتيانا
 مبتدئا من غير، أو أدنى رتبة من رتبة ﴿النساء﴾ إشارة إلى أنهم
 أساموا من الطرفين في الفعل والترك.

ولما كان قوله "شهوة" ربما أوهم أنهم لا غنى بهم عن إتيانهم
 للشهوة الغالبة لكون النساء لا تكفيهم، لذلك نفى هذا بقوله: ﴿بل﴾
 أي أنكم لا تأتونهم لشهوة محوجة بل ﴿اتم قوم﴾ ولما كان مقصود
 ١٠ السورة إظهار العلم والحكمة، وكانوا قد خالفوا ذلك إما بالفعل وإما
 لكونهم يفعلون من الإسراف وغيره عمل الجهلة، قال: ﴿تجهلون﴾
 أي تفعلون ذلك إظهارا للذين بالشهوات فعل المبالغين في الجهل الذين
 ليس لهم نوع علم، في التجاهر بالقبايح خبثا وتغليا لآخلاق البهائم،
 مع ما رزقكم الله من العقول التي أهملتموها حتى غلبت عليها الشهوة،
 ١٥ وأشار إلى تغاليهم في الجهل واقتخارهم به بما سبوا عن ذلك بقوله:
 ﴿فما كان جواب قومه﴾ أي لهذا الكلام الحسن لما لم يكن لهم
 حجة في دفعه بل ولا شبهة ﴿الآن﴾ صدقوه في نسبته لهم إلى

(١) من ظ و مد، وفي الأصل: بكونهم (٢-٣) من ظ و مد، وفي الأصل:
 في الأشراف وغيرهم (٣) من ظ و مد، وفي الأصل: فالقبايح (٤) من ظ
 و مد، وفي الأصل: يعني (٥) من ظ و مد، وفي الأصل: نسبة.

الجهل بأن (قالوا) عدولا إلى المغالبة وتماديا في الخبث
 (اخرجوا آل لوط) فأظهر ما أضمره في الاعراف لأن الإظهار أليق
 بسورة العلم والحكمة وإظهار الخبث؛ وقالوا: (من قرئكم) منّا
 عليه بإسكانه عندهم؛ وعللوا ذلك بقولهم: (انهم) وعللهم عبروا بقولهم:
 (اناس) مع صحة المعنى بدونه تهكما عليه لما فهموا من أنه أنزلهم
 إلى رتبة البهائم (يتطهرون) أى يعدون أفعالنا نجسة فيقترهون عنها -
 فلما وصلوا في الخبث إلى هذا الحد، سبب سبحانه عن قولهم
 وفضلهم [قوله - ٢]: (فانجينه واهله) أى كلهم، [أى - ٢] من
 أن يصلوا إليه بأذى أو يلحقه شيء من عذابنا (الا امراته) فكأنه
 قيل: فما كان من أمرها؟ فقيل: (قدرئها) أى جعلناها بعظمتنا ١٠
 وقدرتنا في الحكم وإن كانت خرجت معه (من الغبرين) أى الباقين
 في القرية في لحوق الغبرة وجوههم والداهية الدهياء أنفسهم وديارهم
 حتى كانوا كأمس الدابر (وامطرا) وأشار إلى أنه إمطار عذاب
 بالحجارة [مع تعديته بالهمزة وهو معدى بدونها فصارت كأنها لإزالة
 الإغاثة بالإتيان بضدها - ٢] بقوله: (عليهم) وأشار إلى سوء الأثر ١٥
 لاستلزامه سوء الفعل الذى نشأ عنه وغرابته، / بقوله: (مطراج)
 أى و^١ أي مطر^٢؛ ولذلك سبب عنه قوله: (فباء مطر المنذرين)
 (١) في ظ: عدلا (٢) سقط من ظ ومد (٣) زيد من ظ ومد (٤) من ظ
 ومد، وفي الأصل: تقابل (٥) من ظ ومد، وفي الأصل: اعرابه -
 كذا (٦-٦) من ظ ومد، وفي الأصل: امطرتنا .

أى الذين وقع إندارنا لهم الإنذار^١ الذى هو الإنذار .

ولما تم هذه القصص استنتاج ما أراد^٢ سبحانه من الدليل على

حكيمته وعلوه ومبايسته للأصنام فى قدرته وحله، أمر نبيه صلى الله

عليه وسلم بأن يحمده شكرا على ما علم ويقرهم^٣ بعجز أصنامهم ردا لهم

٥ عن الجهل بأوضح طريق وأقرب متناول فقال : ﴿ قل ﴾ ما أتجبه

ما تقدم^٤ فى هذه السورة، وهو ﴿ الحمد ﴾ أى الإحاطة بأوصاف الكمال

﴿ لله ﴾ أى مختص بالمستجمع^٥ للأسماء الحسنى، والصفات العلى،

عند الإعدام كما كان عند الإيجاد ﴿ وسلم ﴾ أى سلامة وعافية وبقاء

فى هذا الحين وكل حين، كما كان قبل هذا فى غابر^٦ السنين، وأشار

١٠ بأنه لا وصول للعطب إليهم بأداة الاستعلاء فى قوله : ﴿ على ﴾ وأشار

إلى شرفهم بقوله : ﴿ عباده ﴾ باضافتهم إليه^٧، وأكد ذلك بقوله :

﴿ الذين اصطفى^٨ ﴾ أى فى كل عصر وحين كما أن الحمد لعبودهم أزلا

وأبدا لا يذبن، وعطب و غضب على من عصى، وخالف الرسل وأبى،

كما ترى فى أصحاب هذه الأنبا، والمعنى أن هذا الحكم المستمر بنجاة

١٥ الرسل وأتباعهم، وملاك الكافرين وأشياعهم، دليل قطعى على أن

الإحاطة لله فى كل أمر^٩؛ قال أبو حيان^{١٠} : وكان هذا صدر خطبة لما

(١) من ظ و مد، وفى الأصل : للإنذار (٢) من ظ و مد، وفى الأصل :

أرا - كذا (٣) من ظ و مد، وفى الأصل : تقرر (٤) من ظ و مد، وفى

الأصل : قدمه (٥) من ظ و مد، وفى الأصل : المستجمع (٦) من ظ و مد،

والأصل : تمام (٧) راجع البحر المحيط ٨٨/٧ .

يلقى من البراهين الدالة على الوجدانية و العلم و القدرة، و بما يتنبه له أنه لم^٢ يرد في قصة لوط عليه السلام أكثر من نهيه لهم عن هذه^٣ الفاحشة، فلا يخلو حالهم من أمرين: إما أنهم كانوا لا يشركون بالله تعالى شيئاً، و لكنهم لما ابتكروا هذه المعصية و جاهرُوا بها مصرين عليها، أخذوا بالعذاب لذلك و لكفرهم بتكذيبهم رسولهم، كما صرحت به آية ٥ الشعراء، و إما أنهم كانوا مشركين، و لكنه عليه السلام لما رآهم قد سفلوا إلى رتبة البهيمية^٤، رتب دعاءهم منها إلى رتبة الإنسانية، ثم إلى رتبة الوجدانية، و يدل على هذا التقدير الثاني قوله مشيراً إلى أن الله تعالى أهلكهم و جميع من كفر من قبلهم، و لم تغن عنهم معبوداتهم شيئاً، بقوله: (الله) أى الذى له الجلال و الإكرام (خير) أى ١٠ لعباده الذين اصطفاهم فأنجاهم (أما تشركون^٥) يا معاشر العرب من الأصنام و غيرها لعابديها و محبيها فانهم لا يغنون عنكم شيئاً كما لم يغنوا عن عبدكم من هؤلاء الذين أهلكناهم شيئاً^٦، و لا تفرعون^٧ عند شدائدكم إلا إلى الله وحده، هذا على قراءة الخطاب للجماعة^٨، و التقدير على قراءة الغيب للبصريين و عاصم: أما^٩ يشرك الكفار عامة قديماً^{١٠} و حديثاً لمن ١٥ أشركوا بهم، فلم يقدروا على تفهمهم عند إحلال البأس بهم، و أفعَل

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: يفبه (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: ان. (٣) سقط من ظ (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: انكروا (٥) فى ظ: البهائم. (٦) فى ظ و مد: لا تفرعون (٧) راجع نثر المرجان ١٢٠/٥ (٨) فى ظ و مد: ام ما - كذا بانفك (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: قديمة.

/ التفضيل لإلزام الخصم و التنبيه على ظهور خطائه المقرط ، و جهله المورط
إلى حد لا يحتاج فيه ^١ إلى كشف لأعلى بابها .
ولما كان مع هذا البيان من الأمر الواضح أن التقدير زيادة في
توبيخ المشركين و تقرير المنكرين : من فعل هذه الأفعال البالغة في الحكمة
المتناهية في العلم . أم من سيمتوه إليها ، ولا أثر له أصلاً ، عادله بقوله :
(^٢ آمن) و كان الأصل : أم هو ، ولكنه عبر باسم موصول أصل
وضعه لدى العلم ، و وصله بما لا يضح أن ^٣ يكون لغيره ليكون كالدعوى
المقرونة بالدليل فقال : (خلق السموات و الأرض) تنبيهاً بالقدرة على
بده الخلق على القدرة على إعادته ^٤ ، بل من باب الأولى ، دلالة على الإيمان
١ . بالآخرة تخلفاً بأخلاق المؤمنين الذين ^٥ مضى أول السورة أن هذا القرآن
المبين بشرى لهم .

ولما كان ^٦ الإنبات ، من أدل ^٧ الآيات ، على إحياء الأموات ، قال :
(و أنزل) و زاد في تقريرهم و تبكيثهم و توبيخهم بقوله : (لكم)
أي لأجلكم خاصة و أنتم تكفرون به و تنسبون ما تفرد به من ذلك
١٥ لغيره : (من السماء . ماء . ج) هو للأرض كالماء الدافق للأرحام
^٨ كالماء الذي ^٩ ينزل آخر الدهور على القبور .

- (١) سقط من ظ (٢) يبتدئ من هنا الجزء العشرون من القرآن الكريم .
(٣) من ظ و مد ، وفي الأصل : او (٤) من ظ و مد ، وفي الأصل : اعادتهم .
(٥) من ظ و مد ، وفي الأصل : الذي (٦ - ٧) من ظ و مد ، وفي الأصل :
الامان من اول (٧ - ٧) من ظ و مد ، وفي الأصل : كالذي .

فى وجوده وقدرته واختياره لفعل المتباينات فى الطعم واللون والريح والطبع والشكل بماء واحد فى أرض واحدة واختصاصه بفعل ذلك من غير مشاركة شىء له فى شىء منه أصلاً، وهو آيته العظمى على أمر البعث، عدل إلى التكلم [و- ٢] على وجه العظمة فقال: ﴿فانبتا﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿به حدائق﴾ أى بساتين محدقة - أى محيطة - بها أشجارها ٥ وجدرانها، والظاهر أن المراد كل ما كان هكذا، فانه فى قوة أن يدار عليه الجدار وإن لم يكن له جدار، وعن الفراء أن البستان إن لم يكن عليه حائط فليس بحديقة .

ولما كان الأولى بجمع الكثرة لما لا يعقل الوصف بالمفرد قال مفيداً أنها كالشئ الواحد فى ذلك الوصف: ﴿ذات بهجة ج﴾ أى بهاء ١٠ وحسن ورونق، وبشر بها وسرور على تقارب أصولها مع اختلاف أنواعها، وتباين طعومها وأشكالها، ومقاديرها وأوانها .

ولما أثبت الإنبات له، نقاه عن غيره على وجه التأكيد تبييناً على تأكد اختصاصه بفعله، وعلى أنه إن أسند إلى غيره فهو مجاز عن التسبب ٦ وأن الحقيقة ليست إلا له فقال: ﴿ما كان﴾ أى ما صح ١٥ وما تصور بوجهه من الوجوه ﴿لكم﴾ وأنتم أحياء فضلاً عن شركائكم الذين هم أموات بل أموات ﴿ان تنبتوا شجرها﴾ أى شجر (١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد، وفى الأصل: يدرا (٤) راجع معالم التنزيل على هامش الباب ١٢٧/٥ (٥) زيدت الواو فى ظ (٦-٧) من ظ و مد، وفى الأصل: دون .

تلك الحقائق .

ولما ثبت أنه المتفرد^١ بالالوهية، حسن موقع الإنكار والتقرير^٢ في قوله : ﴿ ءاله ﴾ أى كائن ﴿ مع الله ﴾ أى الملك الاعلى الذى لا مثل له .

٧٩٠ / هـ / ولما كان الجواب عند كل عاقل : لا وعزته^٣ قال معرضا عنهم للايذان بالغضب : ﴿ بل هم ﴾ أى فى دعائهم معه سبحانه شريكا ﴿ قوم يعدلون^٤ ﴾ أى عن الحق الذى لا مرية فيه إلى غيره ، مع العلم بالحق ، فيعدلون بالله غيره .

ولما فرغ من آية اشترك فيها الخافقان ، ذكر ما تفرد به الأرض ،
١٠ لأنها أقرب إليهم وهم بحقيقتها وما لابسوه من أحوالها أعلم منهم بالأمور السماوية ، تعديدا للبراهين الدالة على تفرده بالفعل الدال على تفرده بالإلهية ، فقال مبدا^٥ من " امن " خلق^٦ : ﴿ آمن ﴾ أى أم^٧ فعل ذلك الذى ﴿ جعل الارض قرارا ﴾ أى مستقرة فى نفسها ليقرب عليها غيرها ، وكان القياس يقتضى^٨ أن تكون هاوية أو مضطربة كما
١٥ يضطرب ما هو معلق^٩ فى الهواء^{١٠} .

ولما ذكر قرارها ، أتبعه دليله فى معرض الامتتان فقال :

(١-١) تكرر من مد (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : التقدير (٣-٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : محب (٤) سقط من ظ (٥) سقط من ظ و مد .
(٦-٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : بالهوى .

{ وجعل خللها } أى فى الأماكن المنفرجة بين جبالها { انهر } أى جارية على حالة واحدة، فلو اضطربت الأرض أدنى اضطراب، لتغيرت مجارى المياه بلا ارتياب .

ولما ذكر الدليل، ذكر^١ سبب القرار فقال: { وجعل لها رواسى } أى كرامى السفن، كانت^٢ أسبابا فى ثباتها على ميزان دبره سبحانه فى ه مواضع من أرجائها بحيث اعتدلت^٣ جميع جوانبها قامتعت من الاضطراب .

ولما أثبت^٤ القرار وسيله، وكان قد جعل سبحانه للأنهار طرقا تصرف [فيها - °] ولو حبسها عن الجرى شيء لآوشك أن تستبحر، فيصير أكثر الأرض لا ينتفع به فى سير ولا نبات، أو أن تحرق ذلك ١٠ الحابس بما لها من قوة الجرى وشدة النفوذ بطلاقة السريان، لأن من عادة المياه التخلل بين^٥ أطباق التراب والتغلغل بما لها من اللطافة والرقه، والثقل^٦ فى الأعماق ولو قليلا قليلا، وكان سبحانه قد سد ما بين البحرين: الرومى والفارسى، وكان ما بينهما من الأرض إنما هو يسير جدا فى بعض المواضع، وكان بعض مياه الأرض عذبا، وبعضه^٧ ملحا. مع ١٥

(١-١) سقط ما بين الرقين من ظ (٢) من ظ و مد، وفى الأصل: كان .
(٢) فى ظ: اعتدل (٤) من ظ و مد، وفى الأصل: ثبت (٥) زيد من ظ و مد.
(٦) من ظ و مد، وفى الأصل: اثبات (٧) سقط من ظ و مد (٨) من ظ و مد، وفى الأصل: انتقل (٩) كذا، والأوفق: بعضها (١٠) تأخر فى الأصل عن ذلك العذب، ص ١٩٠ س ١، والترتيب من ظ و مد .

القرب جدا من ذلك العذب ، سألهم - تنبيها لهم على عظيم القدرة - عن
الممسك لعدوان أحدهما على الآخر ، واعدوان كل من خليجي الملح على
ما بينهما لثلاثي بقره فبصله فقال : ﴿ وجعل بين البحرين حاجزا ﴾ أى
يمنع أحدهما أن يصل إلى الآخر .

و لما كان من المعلوم أنه الله وحده . ليس عند عاقل شك فى ذلك .
كرر الإنكار فى قوله : ﴿ ربنا الله مع الله ﴾ أى المحيط علما و قدرة . و لما
كان الجواب ' الحق قطعا : لا ، وكان قد أثبت لهم فى الإضراب الأول
علما من حيث الحكم على المجموع ، وكان كل منهم يدعى رجحان العقل ،
وصفاء الفكر ، ورسوخ القدم فى العلم بما يدعيه [العرب - ١] ، قال :
١٠ ﴿ بل أكثرهم ﴾ أى الخلق الذين يتفنون بهذه المنافع ﴿ لا يعلمون ﴾
أى ليس لهم نوع من العلم ، بل هم كالبهائم لإعراضهم عن هذا الدليل
الواضح .

و لما دلهم بآيات الآفاق ، و كانت كلها من أحوال / السراء ، و كانت
بمعرض الغفلة عن الإله ، ذكرهم بما فى أنفسهم مما يوجب تغير الأحوال
١٥ الدالة بمجردا على الإله ، و يقتضى لكل عاقل [صدق - ١] التوجه إليه ،

(١) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و مد فحذفها (٢) من ظ
و مد ، و فى الأصل : الاضطراب (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : صف .
(٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : المدين (٦) سقط
من ظ .

و إخلاص النية لديه ، و الإقبال عليه ، على ذلك ركزت الطباع ، و انعقد الإجماع ، فلم يقع فيه نزاع . فقال : ﴿ امن يحيب المضطر ﴾ أى جنس الملجأ إلى ما لا قبل له به ، الصادق على القليل و الكثير إذا أراد إجابته كما تشاهدون ، و عبر فيه و فيما بعده بالمضارع لأنه مما يتجدد ، بخلاف ماضى من خلق السماوات و ما بعده ﴿ اذا دعاه ﴾ أى حين ينسبكم الضر شركاءكم ، و يلجئكم إلى من خلقكم و يذهل المعطل عن مذهبه و يقفله عن سوء أدبه عظيم إقباله على قضاء أربه .

ولما كانت الإجابة ذات شقين ، جلب السرور ، و دفع الشرور ، و كان النظر إلى الثان أشد ، خصه بادئاً به فقال : ﴿ و يكشف السوء ﴾ ثم أتبعه الأول على وجه أعم ، فقال مشيراً إلى عظيم المنّة عليهم بجعلهم مسالمين ١٠ عالين على جميع من فى الأرض و ما فى الأرض مشرفين بخلاقته سبحانه ، و لذلك أقبل عليهم . ﴿ و يجعلكم خلفاء الأرض ﴾ أى فيما يخلف بعضكم بعضاً ، لا يزال يحدد ذلك بأهلاك قرن و إنشاء آخر إلى قيام الساعة . و لما كان هذا أبين ، كرر الإنكار فيه مبكتاً لهم بالنسيان فقال : ﴿ ءاله ﴾ أى كائن أو موجود ﴿ مع الله ﴾ أى الملك الأعظم الذى لا كفوء له ١٥ .

- (١) من مد ، و فى الأصل : ذكرت . و فى ظ : و كرت - كذا (٢) فى ظ : يتجدد (٣-٣) من ظ و مد . و فى الأصل : خلقهم و يذهب (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : يعقل (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : رخصه (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : مسلمين (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : فيها . (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : بعضهم (٩-٩) سقط ما بين الرقين من ظ .

ثم استأنف التبكيت تفضيلاً له وواجهها به في قراءة الجماعة لما يؤذن به كشف هذه الأزمات^١ من القرب المقتضى للخطاب، ولذلك أكد بزيادة^٢ 'ما' فقال: (قليلًا ما تذكرون^٣) أى بأن من أنجائكم^٤ من ذلك^٥ وحده حين أخلصتم له التوجه عند اشتداد الأمر هو المالك لجميع أموركم في الرخاء كما كان مالكا له في الشدة، وأن الأصنام لا تملك شيئا بشفاعته ولا غيرها كما لم تملك شيئا^٦ في اعتقادكم عند الأزمات، واشتداد الكربات، في الأمور المهمات، فإن هذا قياس ظاهر^٧، ودليل باهر، ولكن من^٨ طبع الإنسان نسيان ما كان فيه من الضير، عند مجيء الخير، ومن قرأ بالتحانية^٩ وهم أبو عمرو وهشام وروح، فلا يذنان ١٠. بالغضب الأليق بالكفران، مع عظيم الإحسان.

ولما ذكر آيات الأرض، وختم بالمضطر، وكان المضطر قد لا يهتدى لوجه حيلة، أتبعها آيات السماء ذاكرة ما هو [من -^٩] أعظم صور الاضطرار فقال: (امن يهديكم^{١٠}) أى^{١١} إذا سافرتم بما رسم لكم من المعالم العلوية والسفلية (في ظلمات البر) أى بالنجوم والجبال ١٥ والرياح، وهى وإن كانت أضعفها فقد يضطر إليها [حيث -^{١٢}] لا يبدو

- (١) من ظ و مد، وفي الأصل: تعظيما (٢) من ظ و مد، وفي الأصل: الازمان (٣-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ (٤) من ظ و مد، وفي الأصل: لا (٥) زيد في الأصل: من ذلك، ولم تكن الزيادة في ظ و مد لحذفها. (٦) سقط من ظ (٧) من ظ و مد، وفي الأصل: مع (٨) راجع نثر المرجان ١٢٥/٥ حول اختلاف القراءة (٩) زيد من ظ و مد.

شيء من ذينك (والبحر) بالنجوم و الرياح .

ولما كانت الرياح^١ كما كانت من أدلة السير ، كان بعضها من

أدلة المطر ، قال : (ومن يرسل الريح) أى التى هى من دلائل

السير (نشر^٢) أى نشر السحاب / وتجمعها (بين يدي رحمة^٣) ٧٩٢ /

أى^٤ التى هى المطر تسمية للسبب باسم السبب ؛ و الرياح^٥ التى يهتدى بها

فى المقاصد أربع : الصبا ، و الديور ، و الشمال ، و الجنوب ، وهى أضعف

الدلائل ؛^٦ قال الإمام أبو هلال الحسن بن عبدالله العسكرى^٧ فى كتاب

أسماء الأشياء وصفاتها : الرياح أربع : الشمال ، وهى التى تهب عن

يمينك إذا استقبلت قبة العراق - يعنى : وذلك ما بين مطلع الشمس

الصفيفة و بنات نعل ، وهى فى الصيف حارة ، واسمها البارح ، و الجنوب ١٠

تقابلها^٨ ، [و الصبا من مطلع الشمس وهى القبول ، و الديور تقابلها -^٩] ،

و يقال للجنوب : النعاعى و الأرنب - انتهى . و هذه العبارة آيين العبارات

فى تعيين هذه الرياح . و قال الإمام أبو العباس أحمد بن أبى أحمد بن القاص

(١) سقط من ظ (٢) و قراءة حفص بالياء (٣) سقط من مد (٤) كتب بهامش

الأصل : مطلب مادة الرياح : قيل : كل ما كان فى القرآن من ذكر الرياح بزيادة

ألف بعد الياء يكون رحمة ، و كل ما كان بغير ألف فهو عذاب - انتهى . و كان

عليه السلام إذا رأى الرياح جثا على ركبته و قال : اللهم اجعلها رياحا و لا تجعلها

ريحا (٥) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و مد فحذفها (٦) راجع

ترجمته فى الأعلام ٢١١٢ و ٢١٢ (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : يقابلها .

(٨) زيد من ظ و مد .

الطبرى الشافى^١ فى كتابه أدلة القبلة : إن قبلة العراقيين إلى باب الكعبة كله إلى الركن الشامى الذى عند الحجر . وقال : وقد اختلف أهل العلم بهذا الشأن - أى^٢ فى التعبير^٣ عن موطن^٤ الرياح - اختلافا متباينا ، وأقرب^٥ ذلك - على ما جربته وتعاهدته بمكة - أن الصبا تهب ما بين مطالع الشمس فى الشتاء إلى مطلع^٦ سهيل ، وسهيل يمان مسقطه فى رأى العين على ظهر الكعبة إذا ارتفع ، وقال^٧ صاحب القاموس^٨ : والصبا ريح مهبها من مطلع الثريا إلى بنات نعش ، وقال^٩ : والقبول كصبور^{١٠} : ريح الصبا ، لأنها تقابل^{١١} الدبور ، أو لأنها تقابل باب الكعبة ، أو لأن النفس قبلها . وقال الإمام أبو عبد الله القزاز : الصبا : ١٠ [الريح - "] التى " تهب من مطلع الشمس ، والقبول : الريح التى تهب من مطلع الشمس . وذلك لأنها تستقبل الدبور ، وقيل : لأنها تستقبل باب الكعبة وهى الصبا ، فقد^{١٢} اتفقت أقوالهم كما ترى على خلاف ابن القاص ، وقال ابن القاص^{١٣} : وهى - أى^{١٤} الصبا - ريح معها روح وخفة ، ونسيم تهب مما بين مشرق الشتاء ومطلع سهيل ،

(١) قدمر التعليق عليه فيما مضى (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : ان (٣) زيد فى ظ : بهذا (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : بواطن (٥-هـ) سقط ما بين الرقيقين من ظ (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : كان (٧) راجع مادة [صبو] (٨) راجع مادة [قبل] (٩) فى ظ : كصفور (١٠) من ظ و مد وانقاموس ، وفى الأصل : يقال (١١) زيد من ظ و مد (١٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : الذى (١٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : وقد (١٤) سقط من ظ .

ولها برد يقرص أشد من هبوبها. وتلقح الأشجار، ولا تهب إلا بليل، سلطانها إذا أظلم الليل، إلى أن يسفر النهار وتطلع الشمس، وأشد ما يكون في وقت الأسحار [و-١] ما بين الفجرين، والجنوب تهب ما بين مطلع سهيل إلى مغارب الشمس في الصيف. وقال في القاموس^٢: والجنوب: ريح تخالف^٣ الشمال، مهبها من مطلع سهيل إلى مطلع الثريا، ه^٤ وعن ابن هشام اللخمي^٥ أن الجنوب هي الريح القبلية. وفي الجمع بين العباب والمحكم: والجنوب ريح تخالف الشمال تأتي عن يمين القبلية^٦، وقيل: هي^٧ من الرياح ما استقبلك عن شمالك إذا وقعت في القبلة، قال ابن الأعرابي: ومهب الجنوب من مطلع سهيل إلى مطلع الثريا، وقال الأصمعي^٨: إذا جاءت الجنوب جاء معها^٩ خير وتلقيح^{١٠}، وإذا ٧٩٣/ جاءت الشمال نشفت، ويقال للتصافين: ريحهما جنوب. وإذا تفرقا^{١١} قيل: شملت ريحهما، وعن ابن الأعرابي^{١٢}: الجنوب في كل موضع حارة

(١) زيد من ظ ومد (٢) راجع مادة [جنب] (٣) من ظ ومد والقاموس، وفي الأصل: يخالف (٤) زيد في ظ: قال الأصمعي (٥) هو محمد بن أحمد ابن هشام بن خلف اللخمي أبو عبد الله - راجع لترجمته الأعلام ٦/٢١٢ (٦) زيد في الأصل: وهي، ولم تكن الزيادة في ظ ومد فحذفناها (٧) زيدت الواو في الأصل، ولم تكن في ظ ومد فحذفناها (٨) ذكر قوله في تاج العروس (٩) من ظ ومد وتاج العروس، وفي الأصل: منها (١٠) من ظ ومد وتاج العروس، وفي الأصل: تلقح (١١) من ظ ومد وتاج العروس، وفي الأصل: تفرق (١٢) ذكر القول الآتي في تاج العروس معزوا إلى بعض العرب.

إلا بنجد فانها باردة؛ وقال ابن القاص: وإذا هبت فقوتها في العلو
والهواء أكثر لأنها موكلة بالسحاب، وتحرك الأغصان ورؤس الأشجار،
ومع ذلك فتراها تولف الغيم في السماء، فتراها متراكما مشحونا، قال:
وسمعت من يقول: [ما -^١] اشتد هبوبها إلا خيف المطر، ولا هبت
ه جنوب قط ثم يتبعها دبور إلا وقع مطر، وهي تهيج البحر وتظهر بكل
ندى كامل في الأرض، وهي من ربح الجنة . والدبور - قال في
القاموس: ربح تقابل^٢ الصبا، وقال القزاز: هي التي تأتي من دبر الكعبة
وهي التي تقابل مطلع الشمس، وقال ابن القاص: تهب ما بين مغارب
الشمس في الصيف إلى مطلع نبات نعش. وقوتها في الأرض أشد من
١٠ قوتها في الهواء، وهي إذا هبت تثير الغبار. وتكسح الأرض، وترفع
الذيول، وتضرب الأقدام، وأشد ما تثير الغبار إذا تنكبت^٣، تراها
كأنها تلعب بالتراب على وجه الأرض، وترى الأشجار في الوادي
والريمال لها دوى من ناحية الدبور، وقد اجتمع في أصلها التراب وما
يلي الجنوب عاريا مكشوبا متخفزا وقوتها في الأرض - والله أعلم،
١٥ لأن عادا أوعدت بالتدمير بالرياح. حفرت الآبار واستكنت فيها،
فبعث الله الدبور فدخلت الآبار وقذفتهم متدمرين حتى أهلكتهم .
والشمال - قال في القاموس: الريح التي تهب من قبل الحجر، والصحيح
أنه ما مهبه ما بين مطلع الشمس ونبات نعش، أو من مطلع النعش إلى

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد والقاموس، وفي الأصل: يقابل -

(٣) من ظ و مد، وفي الأصل: استكنت (٤) سقط من ظ .

مسقط النسر الطائر، ولا تكاد تهب^١ ليلاً. وقال القزاز: هي الريح التي تأتي عن شمالك إذا استقبلت مطلع الشمس، والعرب تقول: إن الجنوب قالت^٢ للشمال: إن لي عليك فضلا، أنا أسرى وأنت لا تسرين، قالت الشمال: إن الحرة لا تسرين^٣، وقال الصغاني في مجمع البحرين:

والشمال: [الريح -^٤] التي تهب من ناحية القطب، وعن أبي حنيفة: هـ هي التي تهب من جهة القطب الشمالي وهي الجرياء وهي الشامية لأنها تأتيهم من شق الشام، وفي الجمع بين العباب والمحكم، والبوارح: شدة الرياح [من الشمال في الصيف دون الشتاء كأنه جمع بارحة، وقيل: البوارح: الرياح -^٥] الشدائد التي تحمل التراب، واحداً تبارح. والجرياء:

الريح التي بين الجنوب والصبحا، وقيل: [هي -^٦] النكباء التي تجرى بين الشمال والدبور، وهي ريح تقشع^٧ السحاب، وقيل: هي الشمال، وجرياءها بردها - قاله الأصمعي، وقال الليث: هي الشمال الباردة، وقال ابن القاص: والشمال تهب ما بين مطلع [بنات نعش إلى مطلع -^٨] الشمس في الشتاء، وهي تقطع الغيم وتمحوها، ولذلك سميت الشمال المحوة، قال: وهذا بارض الحجاز، وأما أرض العراق والمشرق فربما

ساق الجنوب غيماً واستداره ولم يحلبه حتى تهب الشمال فتحلبه، والجنوب والشمال متماثلتان، لأنهما موكلتان بالسحاب، فالجنوب تطردها

(١) من ظ و مد والقاموس، وفي الأصل: تهبت (٢) من ظ و مد، وفي الأصل: قال (٣) من ظ و مد، وفي الأصل: لا تسرى (٤) زيد من ظ و مد (٥) من مد و تاج العروس [جرب]، وفي الأصل: يقشع، وفي ظ: نفسع - كذا.

نظم الدرر (سورة النمل ٢٧ : ٦٣ و ٦٤) ج - ١٤

وهي مشحونة ، والشمال زردها وتمحوها إذا أفرغت ، قال أبو عبيدة :
 الشمال عند العرب للروح ، والجنوب الأمطار والندى ، والدبور للبلاء ،
 وأهونه أن يكون غبارا عاصفا يقذى العيون ، والصبا لإلقاح الشجر ، وكل
 ريح من هذه الرياح انحرفت فوقعت بين ريحين فهي نكباء ، وسميت
 • لعدولها عن مهب^١ الأربع اللواتي وصفن قبل - انتهى . [وقال المسعودي
 في مروج الذهب^٢ في ذكر البوادي من الناس وسبب اختيار البدو : إن
 شخصا من خطباء العرب وفد على كسرى فسأله عن أشياء منها الرياح
 فقال : ما بين سهيل إلى طرف يابض الفجر جنوب ، وما بازائها مما
 يستقبلها من المغرب شمال ، وما جاء من وراء الكعبة فهي دبور ،
 ١٠ وما جاء من قبل ذلك فهي صبا - ٣] ، ونقل ابن كثير في سورة التور^٤
 عن ابن أبي حاتم وابن جرير عن عبيد بن عمير الليثي أنه قال : يبعث الله
 المثيرة فتقم الأرض قأ ، ثم يبعث الله الناشئة فتنشئ السحاب ، ثم يبعث الله
 المؤلف فتؤلف بينه ، ثم يبعث الله اللواحق فتلقح السحاب .
 ولما انكشف^٥ بما مضى من الآيات . ما كانوا في ظلامه من
 ١٥ واهي الشبهات ، واتضحت الأدلة ، ولم تبقى لأحد في شيء من ذلك علة .
 كرر سبحانه الإنكار في قوله : ﴿ ءآله مع الله ﴾ أي الذي كمل علمه
 فشملت قدرته .

(١) من ظ و مد ، وفي الأصل : مهبت (٢) راجع ٣٠٦/١ (٣) زيد من ظ
 و مد (٤) راجع تفسيره ٢٩٧/٣ (٥) من ظ و مد والتفسير ، وفي الأصل : عن .
 (٦) في الأصل : تكشفت ، وفي ظ و مد : انكشفت .

ولما ذكر حالة الاضطراب^١، و أتبعها من صورها ما^٢ منه ظلمة البحر، وكانوا في البحر يخلصون له سبحانه و يتركون شركاءهم، نبههم على أن ذلك موجب لاعتقاد كون الإخلاص [له -^٣] واجبا دائما، فأتبعه قوله على سبيل الاستعظام، معرضا عنهم باجماع العشرة إعراض من بلغ به الغضب: ﴿ تعلى الله ﴾ أى الفاعل القادر المختار الذى لا يكتفوه له ﴿ عما يشركونه ﴾، أى فان شيئا منها لا يقدر على شيء من ذلك، وأين رتبة العجز من رتبة القدرة .

ولما رتب سبحانه هذه الأدلة على هذا الوجه ترقيا من أعم إلى أخص، ومن أرض إلى سماء، ختمها بما يعمها و غيرها، إرشادا إلى قياس ما غاب منها على ما شوهد، فزوم من ذلك قطعا القدرة على ١٠ الإعادة، فساقها لذلك سياق المشاهد المسلم، و عد من أنكره فى عداد من لا يلتفت إليه [فقال -^٤] : ﴿ آمن يبدؤا الخلق ﴾ أى كله : ما علمتم منه و ما لم تعلموا . ثم بيده لأن كل شيء هالك إلا وجهه، له هذا الوصف باعترافكم يتجدد أبدا تعلقه . ولما كان من اللازم البين لهم الإقرار بالإعادة لا عترافهم بأن كل من أبدى شيئا قادر على إعادته . ١٥ لأن الإعادة أهون، قال : ﴿ تم يعيده ﴾ أى بعد ما بيده .

ولما كان الإمطار و الإنبات من أدل ما يكون على الإعادة، قال

- (١) من ظ و مد، و فى الأصل : الاضطراب (٢) من مد، و فى الأصل : من، و الكلمة ساقطة من ظ (٣) زيد من ظ و مد (٤) فى ظ : غيرهما . (٥) فى ظ : يديه - كذا .

مشيرا إليهما على وجه عم جميع ما مضى : ﴿ ومن يرزقكم من السماء ﴾
 أى بالمطر و الحر و البرد و غيرهما مما له سبب فى التكوين أو التلوين
 ﴿ و الارض ﴾ أى بالنبات و المعادن و الحيوان و غيرهما مما لا يعلمه
 إلا الله ، و عبر عنهما بالرزق لأن به تمام النعمة ﴿ ءاله مع الله ﴾ أى
 الذى له صفات الجلال و الإكرام ، كائن ، أو يفعل شيئا من ذلك .
 و لما كانت هذه كلها براهين ساطعة ، و دلائل قاطعة ، و أنوارا

لامعة ، و حججا باهرة ، و بينات ظاهرة ، و سلاطين قاهرة ، على التوحيد
 / المستلزم للقدرة على البعث و غيره من كل ممكن ، أمره صلى الله عليه

و سلم إعراضا عنهم ، إنيذانا بالغضب فى آخرها [بأمرهم -] بالإتيان
 ١٠ برهان واحد على صحة معتقدهم فقال : ﴿ قل ﴾ أى لهؤلاء المدعين للعقول
 ﴿ هاتوا برهانكم ﴾ أى على نقى شئ من ذلك عن الله تعالى ، أو على

إثبات شئ منه لغيره ، لتثبت دعوى الشركة فى الخلق فتسمع دعوى
 الشركة فى الألوهية ، و ايكن إتيانكم بذلك ناجزا من غير مهلة ، لأن من
 يدعى العقل لا يقدم على شئ إلا ببرهان حاضر ﴿ ان كنتم صدقين ﴾

١٥ أى فى أنكم على حق فى أن مع الله غيره . و أضاف البرهان إليهم إضافة
 ما كأنه عنده ، لا كلام فى وجوده و تحققه ، و إنما المراد الإتيان به
 كل ذلك تهكما بهم و تنبيها على أنهم أبعدوا فى الضلال ، و أعرقوا فى

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل : شئ . (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : أنوار .
 (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : اثباتكم (٥) من ظ
 و مد ، وفى الأصل : عيب (٦) فى ظ : ان .

المحال، حيث رضوا لأنفسهم بتدين لا يصير إليه عاقل إلا بعد تحقق القطع بصحته، ولا شبهة في أنه لا شبهة لهم على شيء منه .
ولما كانت مضمونات هذه البراهين متوقفة على علم الغيب، لأنه لا يخرج الحجب باختراع الخلق وكشف الضر وإحكام التدبير إلا به، لأنه لا قدرة أصلاً لمن لا علم له ولا تمام لقدرة من لا تمام لعلمه - كما هو مضمي يانه في نظم، وطالبهم سبحانه آخر هذه البراهين بالبرهان على الشرك، وكانوا ربما قالوا: سنأتى به، أمر أن يطلبوا أنه لا برهان لهم عليه، بل البرهان قائم على خلافه، فقال: ﴿ قل ﴾ أى لهم أو ' لكل من ' يدعى دعواهم: ﴿ لا يعلم ﴾ أحد، ولكنه عبر بأداة ' العقلاء فقال: ﴿ من ﴾ لئلا يخصها متعنت بما لا يعقل، وعبر بالظرف تنبيهاً على أن المظروف محبوب، وكل ظرف حاجب لمظروفه عن علم ما وراءه، فقال: ﴿ فى السموات و الارض الغيب ﴾ أى الكامل فى الغيبة، وهو الذى لم يخرج إلى عالم ' الشهادة أصلاً، ولا دلت عليه أمانة، ليقدر على شيء مما تقدم فى هذه الآيات ' من الأمور فيعلمه ' .

ولما كان الله تعالى منزهاً عن أن يحويه مكان. جعل الاستثناء هنا ١٥

منقطعا، ومن حق المنقطع النصب [كما قرأ به ابن أبى عملة شاذاً - *]،

لكنه رفع [باجماع العشرة - *] بدلا على لغة [نبي - *] نميم، فقبل:

(١-١) من ظ و مد، وفى الأصل: لمن (٢) فى ظ: عادة (٣) زيد فى الأصل:

الغيب و، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤-٤) وقع فى الأصل قبل

' الا فقه ص ٢٠٢ س ١١، والترتيب من ظ و مد (٥) زيد من ظ و مد .

(الا الله) أى المختص بصفات الكمال كما قيل 'فى الشعر':

وبلدة ليس بها أنيس إلا اليعافير وإلا العيس

بمعنى : إن كانت اليعافير أنيسا ففيها أنيس ، بنا للقول بخلوها من الأنيس ،

فيكون معنى الآية : إن [كان -^١] الله جل و علا من فى السماوات والارض

٥ فهم من يعلم الغيب ، يعنى أن علم أحدهم^٢ الغيب فى استحالة كاستحالة أن

يكون الله^٣ منهم ، و يصح كونه متصلا ، و الظرفية^٤ فى [حقه -^٥] سبحانه

مجاز بالنسبة إلى علمه . إن كان فيه جمع بين الحقيقة والمجاز ، وعلى هذا

فيرتفع على البدل أو الصفة ، والرفع أفصح من النصب ، لأنه من منى ،

وقد عرف بهذا سر كونه لم يقل . لا يعلم أحد الغيب إلا هو ، وهو التنبيه

١٠ على المظروفة والحاجة ، وأن الظرف حجاب ، لا يرتاب فيه مرتاب ، وجمل

'ابن مالك^٦ متعلق الظرف خاصا^٧ تقديره : يذكر ، وجمل غيره / "من"

٧٩٦ /

مفعولا والغيب بدل اشتمال ، والاستثناء مفرغا ، فالتقدير^٨ : لا يعلم غيب

المذكورين^٩ - أى ما غاب عنهم - كلهم غيره .

ولما كان الخبر - الذى لم يطلع عليه أحد من الناس - قد يخبر به

١٥ الكهان ، أو أحد من الجن ، من أجواف الأوثان ، وكانوا يسمون هذا غيا

وإن كان فى الحقيقة ليس به لسماهم له من السماء بعد ما أبرزه الله إلى عالم

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ و مد (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ

و مد ، وفى الأصل : أحد منهم (٤) سقط من ظ (٥-٥) فى ظ : بالظرفية .

(٦-٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : أن تلك (٧) فى ظ : خاصة (٨) من ظ

و مد ، وفى الأصل : لتقدير (٩) من ظ و مد ، وفى الأصل : للذكورين .

الشهادة لللائكة ومن يريد من عباده، وكانوا ربما تعتوا به عن العبادة، وكانت الساعة قد ثبت أمرها، وشاع في القرآن وعلى لسان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأصحابهم رضي الله تعالى عنهم ذكرها، بحيث صارت بمنزلة ما لا نزاع فيه، وكان علم وقتها من الغيب المحض، قال: ﴿وما يشعرون﴾ أى 'أحد ممن' فى السموات والأرض وإن اجتمعوا هـ وتعاونوا ﴿إيان﴾ [أى - ٥] أى وقت ﴿يعثون هـ﴾ فمن أعلم بشئ من ذلك على الحقيقة بأن صدقه، ومن تخرص ظهر كذبه .

ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم [قد - ٥] بعث والكفر قد عم الأرض، وكانوا قد أكثروا فى التكذيب بالساعة والقطع الإنكار [لها - ٥] 'بعضهم صريحا، وبعضهم لزوما، لضلاله عن' منهاج الرسل ١٠ 'وكان الذى ينبغى للعالم الحكيم أن لا يقطع بالشئ إلا بعد إحاطة عليه به، قال متهمًا بهم كما تقول لأجل الناس: ما أعلمك استهزاء به' مستدركا لنى شعورهم بها يانا لكذبهم 'باضطراب قولهم: ﴿بل أدرك﴾ أى بلغ وتناهى ﴿عليهم فى الآخرة﴾ أى أمرها مطلقا: علم وقتها ومقدار عظمتها فى هو لها وغير ذلك من نعتها لقطعهم بانكارها وتمازوم ١٥

- (١) من ظ و مد، وفى الأصل: على (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ: فقال .
 (٤-٤) من ظ و مد، وفى الأصل: من (٥) زيد من ظ و مد (٦) فى ظ: إن .
 (٧) زيد فى الأصل: كما يقول، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٨) زيد فى الأصل هنا: لأجل الناس ما أعلمك استهزاء به، والعبارة متكررة فحذفناها .
 (٩-٩) سقط ما بين الرقيين من ظ و مد (١٠) فى ظ: لكذبه (١١) من ظ و مد، وفى الأصل: اعلم .

عليه ، و تنويع العبارات فيه ، و تفريع القول في أمره - هذا في قراءة ابن كثير و أبي عمرو ، و كذا في قراءة الباقيين : ادرك بمعنى تدارك يعني تابع و استحكم .

و لما كانوا مع تصريحهم بالقطع في إنكارها كاذبين في قطعهم ،
 ٥ مرتبكين^١ في جهلهم ، و قد يعبرون - دليلا على أنه لاعلم من ذلك
 عندهم - بالشك ، قال تعالى : ﴿ بل هم في شك ﴾ و لما كانت لشدة
 ظهورها لقوة أدلتها كأنها موجودة ، عبر بمن ، أى مبتدئ ﴿ منهاف ﴾
 و لما [كانوا يحزمون بنفيا تارة و يترددون أخرى ، و - ٢] كانت
 حقيقة حال^٢ من ينكر الشيء تارة على سبيل القطع و أخرى وجه
 الشك الوصف بالجهل البالغ به قال : ﴿ بل هم ﴾ [و لما كان
 ١٠ الإنسان مطبوعا على نقائص موجبة لطغيانه ، و مبالغته في العلو في جميع
 شأنه ، و لا يوهن تلك النقائص منه إلا الخوف من عرضه على ديانته ،
 الموجب لجهله . و تماديه على قبح فعله ، فقال مقدا للجار - ٣] :
 ﴿ منها عمون ﴾ أى ابتداء عمائم البالغ [الثابت - ٤] من اضطرابهم في
 أمرها ، فضلوا فأعمام ضلالهم عن جميع ما ينفعهم ، فصاروا لا ينتفعون
 ١٥ بعقولهم ، بل انعكس نفعها ضرا ، و خيرها [شرا - ٥] . و نسب ما ذكر
 لجميع من في السماوات و الأرض ، لأن فعل البعض قد يستند إلى الكل
 لغرض ، و هو هنا^٣ التنبيه على عظمة هذا الأمر . و تنامي وصفه ، و أنه
 (١) راجع ثمر المرجان ١٢٧/٥ (٢) في ظ : مرتبكين (٣) زيد من ظ (٤) سقط
 من ظ (٥) زيدا ما بين الرقيين من ظ و مد .

يجب على الكل الاعتناء به ، والوقوف على حقه ، والتأمل عن باطله ،
 [أو لشك البعض وسكوت الباقي لقصد تهويله ، أو أن إدراك العلم من
 حيث التهويل بقيام الأدلة التي هي أوضح من الشمس ، فهم بها في قوة
 من أدرك عليه بالشئ ، وهو معرض عنه ، قد فوت على نفسه من الخير
 ما لا يدري كنهه ، ثم نزل درجة أخرى بالشك ثم أهلكتها بالكلية ، ه
 و أنزلها العمى عن رتبة البهائم التي لا هم لها إلا لذة البطن والفرج ، وهذا
 كمن يسمع باختلاف المذاهب وتضليل بعضهم لبعض فيضل بعضهم
 من غير نظر في قوله فيصير غابطا خبط عشواء ، ويكون أمره على
 خصمه هنا - ٢] ، أو ٢ الشك لأجل أن أعمالهم أعمال الشك ، أو أنهم
 لمدم علم الوقت بعينه كأنهم في شك بل عمى ، ولأن العقول والعلوم ١٠
 / لا تستقل بأدراك شئ من أمرها ، وإنما يؤخذ ذلك عن الله
 بواسطة رسله من الملك والبشر ، ومن أخذ شيئا من علمها عن غيرهم
 [ضل - ٢] .

٧٩٧/

ولما كان التقدير لحكاية كلامهم الذي يشعر ببلوغ العلم ، فقالوا
 مقسمين جهد أيمانهم : لا تأتينا الساعة ، عطف عليه ما يدل على الشك ١٥
 والعمى ، وكان الأصل : و قالوا ، ولكنه قال : ﴿ وقال الذين كفروا ﴾
 [أى ستروا دلائل التوحيد والآخرة التي هي أكثر من أن تحصى
 وأوضح من الضياء - ٢] ، تعليقا للحكم بالوصف ، مستفهمين استفهام
 المستبعد المنكر : ﴿ إذا كنا ترابا و أباؤنا ﴾ و كرروا الاستفهام

- (١) في ظ و مد : على (٩) زيد ما بين الرقین من ظ و مد (م) في ظ و « .
 (٤) من ظ و مد ، وفي الأصل « و » (ه) - فقط من ظ .

إشارة إلى تامة الاستبعاد والجحود، وعد ما استبعده^١ محالا، فقالوا^٢:
 (اتنا) أى نحن وآباؤنا الذين طال العهد بهم، وتمكن^٣ البلى فيهم
 (لمخرجون^٤) أى من الحالة التى صرنا إليها من الموت والبلى إلى
 ما كنا عليه قبل ذلك من^٥ الحياة والقوة، ثم أكملوا الدليل فى زعمهم
 على ذلك فقالوا تعليلا^٦ لاستبعادهم: (لقد وعدنا).

ولما كانت العناية فى هذه السورة بالإيقان بالآخرة، قدم قوله:-
 (هَذَا) أى الإخراج من القبور كما كنا^٧ أول مرة - على قوله:
 (نحن و'آباؤنا) بخلاف ما سبق فى سورة المؤمنون^٨، وقالوا:
 (من قبل لا) زيادة فى الاستبعاد، أى أنه قد مرت الدهور على هذا
 ١٠ الوعد، ولم يقع منه شيء، فذلك^٩ دليل على أنه لا حقيقة له فكأنه
 قيل: فما المراد به؟ فقالوا: (ان) أى ما (هَذَا) آساطير الاولين^{١٠}
 أى ما^{١١} سطره كذبا لآمر لا نعرف مرادهم منه. ولا حقيقة لمعناه،
 فقد [حط -^{١٢}] كلامهم هذا كما ترى على أنهم^{١٣} [تارة -^{١٤}] فى غاية
 الإنكار دأب المحيط العلم، وتارة يستبعدون دأب الشاك، المركب
 ١٥ الجهل، الجدير بالتهكم" كما مضى أنه معنى الإضرابات - والله الموفق .

(١) فى ظ و مد : استبعدوا (٢) زيد فى الأصل : تعليقا لاستبعادهم ، ولم تكن
 الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٣-٣) -قط ما بين الرقيين من ظ (٤) من ظ
 و مد ، وفى الأصل : تعليقا (٥) فى ظ : كان (٦) آية ٨٣ (٧) زيد فى الأصل :
 لان ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٨) من ظ . وفى الأصل : بما ،
 وفى مد مطموس (٩) زيد من ظ و مد (١٠) فى ظ : انه (١١) من ظ
 و مد ، وفى الأصل : بالهتك .

و لما لم يبق بعد هذا الذى أقامه من دلائل القدرة على كل شيء
عموما، وعلى البعث خصوصا، مقال^١، 'رد عن النبی' إلا التهديد بالنكال،
'وكان' كلامهم هذا موجبا للنبي صلى الله عليه وسلم من الغم والكرب
ما لا يعلمه إلا الله تعالى، قال سبحانه ملقيا له و مرشدا لهم في صورة
التهديد: ﴿قل سيروا في الارض﴾ أى أيها المعاندون أو العمي الجاهلون . هـ
و لما كان المراد الاسترشاد للاعتقاد، و الرجوع عن النبی و العناد،
لكون السياق له، لا مجرد التهديد، قال: ﴿فانظروا﴾ بالقاء المقتضية
للاسراع، و عظم الأمور بنظره بجملة أهلا للناية به، و السؤال عنه، فقال:
﴿كيف كان﴾ أى كونا [هو - ١] في غاية المكتة ﴿عاقبة المجرمين هـ﴾
أى القاطعين لما أمر الله به أن يوصل من الصلاة التى هى الوصلة^٢ بتن ١٠
الله و بين عباده، و الزكاة التى هى وصلة بين بعض العباد و بعض،
لتكذيبهم الرسل الذين هم الهداة إلى ما [لا - ١] تستقل به العقول،
فكذبوا بالآخرة التى^٣ يفتح التصديق بها كل هدى، و يورث التكذيب
بها كل عى - كما تقدمت الإشارة إليه في افتتاح السورة، فانكم إن نظرتهم
ديارهم. و تأملت أخبارهم، حق التأمل، أمرع بكم ذلك إلى التصديق ١٥
فجوتهم و إلا هلكتم^٤، فلم تضروا إلا أنفسكم، و قد تقدم لهذا مزيد بيان

(١) في ظ: مقالا (٢-٢) من ظ و مد، وفي الأصل: على النبی (٣-٣) من ظ
و مد، وفي الأصل: فكان (٤) من ظ و مد، وفي الأصل: اى (٥) من
ظ و مد، وفي الأصل: لمجرد (٦) زيد من ظ و مد (٧) في ظ: الموصلة .
(٨) زيد في الأصل: هى، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٩) من ظ
و مد، وفي الأصل: اهلكتم .

في النحل ..

و لما دهم النبي صلى الله عليه وسلم من الأسف على جلائهم في
عمامهم عن السيل، الذي هدى إليه الدليل، ما لا يعلمه إلا الله قال :
(ولا تحزن عليهم) أى فى عدم إيمانهم .

٧٩٨ / هـ و لما كانوا^١ لا يقتصرون على التكذيب، بل ينفون / للؤمنين الفوائل،
و ينصبون الحباطل، قال : (ولا تكن) مثبتا للنون لانه فى سياق الإخبار
عن عنادهم و استهزائهم مع كفايته سبحانه تعالى لمكرم بما أعد لهم من
سوء العذاب فى الدارين . فلا مقتضى للتناهى فى الإيجاز و الإبلاغ فى نفي
الضيق، [ففيهم إثبات النون الرسوخ . فلا يكون منها عما لا ينفك عنه العسر
١٠ بما أشار إليه قوله تعالى ” ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون“
و إنما ينهى عن التماذى معه فى الذكر -^٢] بخلاف ما مضى فى النحل،
فان السياق هناك^٣ للعدل فى العقوبة بما وقع من المصيبة^٤ فى غزوة أحد
المقتضى لتعظيم التسلية بالحمل على الصبر . و نفي [جميع -^٥] الضيق ليكون
ذلك وازعا عن مجاوزة الحد، بل حاملا على العفو^٦ (فى ضيق) أى
١٥ فى الصدر (مما يذكرون هـ) فان الله جاعل تدميرهم فى تدبيرهم كطفاة
قوم صالح .

(١) من مد، و فى الأصل : على، و فى ظ : من (٢) فى ظ : كان (٣) زيد
من ظ و مد (٤) من ظ و مد، و فى الأصل : هنا (٥) من ظ و مد،
و فى الأصل : المصيبة (٦) من ظ و مد، و فى الأصل : العقول .

ولما أشار إلى أنهم لم ييقوا في المبالغة في التكذيب بالساعة وجهها،
 أشار إلى أنهم بالوعيد بالساعة وغيرها من عذاب الله أشد مبالغة، فقال :
 (ويقولون) بالمضارع المؤذن بالتجديد ' كل حين للاستمرار :
 (متى هذا الوعد) وسموه وعدا إظهارا للمحبة تهكما به ، وهو العذاب
 والبعث والمجازاة (ان كنتم) أى أنت ومن تابعك ، كونا هو في ه
 غاية الرسوخ ، كما يزعمون (صدقين) فأجابهم على هذا الجواب النص
 بجواب الواسع القادر الذى لا يعتره ضيق ، ولا تنوبه عجلة ، مشيرا
 إلى الاستعداد للدفاع أو الاستسلام لذى الجلال والإكرام ، كما
 فعلت بلقيس رضى الله عنها ، فقال مخاطبا الرأس الذى لا يقدر على هذه
 التؤدة حق القدرة غيره : (قل) يا محمد (عسى) أى يمكن (ان يكون) ١٠
 و' جدير وخلق ' بأن يكون (ردف) أى تبع ردفا حتى صار
 كالرديف ولحق .

ولما قصر الفعل وضمنه معنى ما يتعدى باللام لأجل الاختصاص
 قال : (لكم) أى لأجلكم خاصة (بعض الذى تستعجلون) إتيانه
 من الوعيد ، فطلبون تعجيله قبل الوقت الذى ضربه الله له ، فعلى تقدير ١٥
 وقوعه ما ذا أعدتم لدفاعه ؟ فان العاقل من ينظر في عواقب أموره ،
 و بينها على أسوأ التقادير ، فيعد لما يتوهمه من البلاء ما يكون فيه

(١) من ظ و مد ، وفي الأصل : للتجدد (٢) من ظ و مد ، وفي الأصل :
 لمحبة (٣) من ظ و مد ، وفي الأصل : للاستيلاء - كذا (٤) في ظ و مد :
 خليق و جدير .

نظم الدرر (سورة النمل ٢٧ : ٧٣ - ٧٦) ج - ١٤

الخلاص كما فعلت بلقيس رضى الله عنها من^١ الانقياد الموجب للامان^٢
لما غلب على ظنها أن الإياه يوجب الهوان، لا كما فعل قوم صالح من
الآبار، التي^٣ أعانت على الدمار، وغيرهم من القراعة.

ولما كان التقدير قطعاً: فإن ربك لا يجعل على أهل المعاصي
بالانتقام مع القطع بتمام قدرته، عطف عليه قوله^٤: ﴿وان ربك﴾
أى المحسن إليك بالحلم عن^٥ أمتك وترك المعاجلة لهم بالعذاب على المعاصي
﴿لذو فضل﴾ أى تفضل^٦ وإنعام ﴿على الناس﴾ أى كافة
﴿ولكن أكثرهم لا يشكرون﴾ أى لا يوقعون الشكر له بما أنعم
عليهم، ويزيدون فى الجهل بالاستعجال^٧.

١٠ ولما كان الإمهال قد يكون من الجهل بذنوب الأعداء، قال نافيا
لذلك: ﴿وان ربك﴾^٨ أى والحال أنه أشار بصفة الربوبية إلى
إمهالهم إحسانا إليه وتشريفا له^٩ ﴿ليعلم﴾ أى علما لا يشبه علمكم بل
هو فى غاية الكشف لديه دقيقه وجليله ﴿ما تكن﴾ أى تضر
وتستر وتخفى ﴿صدورهم﴾ أى الناس كلهم فضلا عن قومك
١٥ ﴿وما يعلنون﴾ أى يظهرون من عداوتك فلا تخشعهم، وذكر
هذا القسم لأن التصريح أقر للنفس والمقام للطائب، على أنه ربما

(١) زيد فى ظ: ان (٢) فى ظ: للإيمان (٣) فى ظ: الذى (٤) سقط من ظ.
(٥) فى ظ و مد: على (٦) فى ظ: تفضيل (٧) زيد من ظ و مد.
(٨-٩) سقط ما بين الرقيين من ظ و مد (٩-٩) فى الأصل بياض، ملأناه من
ظ و مد.

كان في الإعلان لفظ واختلاط أصوات يكون سببا للخفاء .

٧٩٩ /

ولما كان ثبات علم الناس في الغالب / مقيدا بالكتاب، قال تقريرا
 لفهامهم : ﴿ وما من غائبة ﴾ [أى من هتة من الهات - ١] في غاية
 الغيبوبة ﴿ في السماء والارض ﴾ أى في أى موضع كان منها ٢ ، وأفردهما
 دلالة على إرادة الجنس الشامل لكل فرد ﴿ الا في كتب ﴾ كنه ٥
 قبل إيجادها لأنه لا يكون شيء إلا بعلة وتقديره ﴿ مبين ﴾ لا يخفى
 شيء فيه على من تعرف ذلك منه كيفما كان ؛ ثم دل على ذلك
 بقوله : ﴿ ان هذا القرآن ﴾ أى الآتى به هذا النبي الامى الذى لم يعرف
 قبله علما ولا خاط عالما ﴿ يقص ﴾ أى يتابع الاخبار ويتلو شيئا فشيئا
 على سبيل القطع الذى لا تردد فيه ، من غير زيادة ولا نقص ١٠
 ﴿ على بنى اسرائيل ﴾ أى الذين اخبارهم مضبوطة في كتبهم لا يعرف
 بعضها إلا قليل من حذاق اخبارهم ﴿ اكثر الذى هم ﴾ أى خاصة لكونه
 من خاص اخبارهم التى لا علم لغيرهم بها ﴿ فيه يختلفون ﴾ أى من أمر
 الدين وإن بالغوا في كتمه ، كقصه الزانى المحصن في إخفاتهم أن حده
 الرجم ، وقصة عزيز والمسيح ، وإخراج النبي صلى الله عليه وسلم ذلك ١٥
 من توراتهم ٤ ، فصح بتحقيقه على لسان من لم [يلم - ١] بلم قط أنه
 من عند الله ، وصح أن الله تعالى يعلم كل شيء إذ لا خصوصية لهذا دون
 غيره بالنسبة إلى علمه سبحانه .

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، وفي الأصل : منها (٣) سقط من
 ظ و مد (٤) من ظ و مد ، وفي الأصل : توراتهم .

ولما بان بهذا 'دليل' عليه، أتبعه 'دليل' فضله و حله، فقال :
 (وانه) أى القرآن (لهدى) أى موصل إلى المقصود لمن وفق
 (ورحمة) أى نعمة وإكرام (للمؤمنين) أى الذين طبعتهم على الإيمان،
 فهو صفة لهم راسخة كما أنه^٢ للكافرين وقر في أذانهم وعى في قلوبهم .
 • ولما ذكر دليل فضله، أتبعه دليل عدله، فقال مستأنفا لجواب من
 ظن أن فضله دائم العموم على الفريقين : (ان) وقال : (ربك)
 أى المحسن إليك بجمعه لك بين العلم والبلاغة والدين والبراعة والدنيا
 والعفة والشجاعة تسلياً للنبي صلى الله عليه وسلم (يقضى بينهم) أى
 بين جميع المختلفين (بحكمته) أى الذى هو أعدل حكم وأتقن^٣ وأفقه
 ١٠ وأحسنه مع كفرهم به^٤ واستهزائهم برسله، لا بحكم غيره ولا بنائب يستنيبه
 (وهو) أى و الحال أنه هو (العزيز) فلا يردله أمر (العليم)^٥
 فلا يخفى عليه سر ولا جهر، فلما ثبت له العلم والحكمة، والعظمة والقدرة،
 تسبب عن ذلك قوله : (فتوكل على الله) أى الذى له جميع العظمة
 بما ثبت من علمه وقدرته التى^٦ أثبت بها أنك أعظم عباده الذين اصطفى
 ١٥ فى استهزاء الأعداء وغيره من مصادمتهم ومساكتهم لتدع الأمور كلها
 إليه^٧، وتستريح من تحمل المشاق، وثوقاً بنصره، وما أحسن قول
 قيس بن الخطيم^٨ وهو جاهلى :

(١ - ١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) فى ظ : ان (٣) من ظ و مد ، و فى
 الأصل : إيقته (٤) زيد بعده فى ظ : واشهدهم (٥) فى ظ : الذى (٦) فى ظ :
 إليها (٧) راجع لمصادر ترجمته الأعلام ٦/ ٥٥ .

مضى ما^١ تقد بالباطل الحق يأبه وأن تقد الأطوار بالحق تنقد .
ثم علل ذلك حثا على التحرى فى الأعمال ، و فلما لاهل الإبطال ،
عن تمنى المحال ، فقال : (انك على الحق المبين *) أى البين فى نفسه
الموضع لغيره ، فحقك لا ييطل و وضوحه^٢ لا ينفى ، و نكوصهم ليس عن
خلل فى دعائك لهم ، و إنما الخلل فى مداركهم ، فثق باقية فى تدبيره
أمرك فيهم ، ثم علل هذا الذى أرشد السياق إلى تقديره ، أو^٣ استأنف
لمن يسأل متعجبا عن وقوفهم عن الحق الواضح بقوله : (انك لاتسمع الموتى)
أى لا توجد سمعا للذين هم كالموتى فى عدم الانتفاع بمشاعرهم التى هى
فى غاية الصحة ، و هم إذا سمعوا الآيات أعرضوا عنها .

ولما كان تشبيههم بالموتى مؤبدا ، قال مرجيا : ١٠
(ولا تسمع / الصم الدعاء) أى لاتجدد ذلك لهم ، فشبهم بما فى أصل
خلقهم بما^٤ جبلوا عليه [من - *] الشكاسة و سوء الطبع بالصم .
ولما كانوا قد ضموا إلى ذلك الإعراض و النفرة فصاروا كالأصم
المدير ، و كان الأصم إذا أقبل ربما سمع بمساعدة بصره و فهمه ، قال :
(اذا ولوا مدبرين *) فرجاه فى إيجاد الإسماع إذا حصلت لهم^٥ حالة ١٥
من الله تقبل^٦ بقلوبهم .

ولما شبهم بالصم فى كونهم لا يسمعون إلا مع الإقبال ، مثلهم

- (١) من ظ و مد ، وفى الأصل : لا (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : وضوحك .
(٣) فى ظ و « (٤) فى ظ : بما (٥) زيد من ظ و مد (٦) فى ظ : كان .
(٧) سقط من ظ (٨) فى ظ : يقلب .

بالعمى فى أنهم لا يهتدون فى غير عوج أصلا إلا براع لا تشغله عنهم
 فترة ولا ملال^٢، قال: (وما أنت بهدى) أى بموجد الهداية على
 الدوام فى قلوب (العمى) [أى فى أبصارهم وجاراتهم مزبلا لهم وفاقلا
 ومبعدا -^٣] (عن ضلتهم^٤) عن الطريق بحيث تحفظهم عن أن
 يزالوا عنها أصلا، فإن هذا لا يقدر عليه إلا الحى القيوم، والسياق كما ترى
 يشعر بتنزيل كفرهم فى ثلاث رتب: عليا ككفر أبى جهل، ووسطى
 كعتبة بن ربيعة، ودنيا كأبى طالب وبعض المناقذين، وسيأتى فى
 سورة الروم لهذا مزيد^٥ يان.

ولما كان هذا ربما أوقف^٦ عن دعائهم، رجاء فى انقيادهم وارعوائهم
 ١٠ بقوله: (ان) أى ما (تسمع) أى سماع انتفاع على وجه الكمال^٧،
 فى كل حال (الا من يؤمن) أى من علمنا أنه يصدق (بأيتنا)^٨
 بأن جعلنا فيه قابلية السمع . ثم سبب عنه قوله دليلا على إيمانه^٩:
 (فهم مسلمون^{١٠}) أى فى غاية الطوعية لك فى المنشط والمكروه، لآخرة
 لهم ولا إرادة فى شيء من الأشياء .

١٥ ولما فرغ من عظيم زجرهم بتسليته^{١١} صلى الله عليه وسلم فى أمرهم
 وختم بالإسلام، عطف عليه ذكر^{١٢} ما يوعدون مما تقدم استعجالهم له استهزاء

(١) فى ظ: من (٢) فى ظ: ملالة (٣) زيد من ظ و مد (٤) فى ظ: زيادة .
 (٥) من ظ و مسد، وفى الأصل: وقف (٦) من ظ و مد، وفى الأصل:
 كمال (٧) زيد فى ظ: اى (٨) من ظ و مد، وفى الأصل: إيمانهم (٩) من ظ
 و مد، وفى الأصل: بتسليته نبيه (١٠) من ظ و مد، وفى الأصل: قوله وذكره .

به^١، وبدأ منه بالدابة التي تميز المسلم من غيره^٢، فقال محققا بأداة
التحقيق: (وإذا وقع القول) أي حان حين وقوع الوعيد الذي هو
معنى القول، وكأنه لعظمه لا قول غيره (عليهم) بعضه بالإتيان
حقيقة وبعضه بالقرب جدا (أخرجنا) [أي -^٣] بما لنا من العظمة
(لهم) من أشرط الساعة (دابة) وأي دابة في هولها وعظمها هـ
خلقا وخلقنا (من الأرض) أي أرض مكة التي هي أم الأرض،
لأنه لم يبق بعد لإرسال أكل الخلق بأعلى الكتب إلا كشف الغطاء .
ولما كان التعبير بالدابة يفهم أنها كالحيوانات العجم لا كلام لها
قال: (تكلمهم لا) أي بكلام يفهمونه، روى البغوي^٤ من طريق مسلم
عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
عليه وسلم يقول: إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها،
وخروج الدابة على الناس ضحى، وأتتهما^٥ كانت قبل صاحبتهما فالأخرى
على أثرهما قريبا . ومن طريق ابن خزيمة عن أبي شريحة الغفاري رضي الله
عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يكون للدابة ثلاث خرجات^٦
من الدهر، فتخرج خروجا بأقصى اليمن فيفشو ذكرها بالبادية، ولا يدخل ١٥
ذكرها القرية - يعني مكة، ثم تكمن^٧ زمانا طويلا، ثم تخرج خرجة أخرى
[قريبا -^٨] من مكة فيفشو ذكرها بالبادية ويدخل ذكرها القرية^٩، ثم ينما
(١) سقط من ظ (٢) من ظ ومد، وفي الأصل: الكافر (٣) زيد من ظ
ومد (٤) راجع معالم التنزيل بهامش الباب ٥ / ١٣٠ (٥) زيد في المعالم: ما .
(٦) في ظ: خروجات (٧) في المعالم: تمكنت (٨) زيد من ظ ومد والعالم .
(٩) يعني مكة - كما زيد في المعالم .

الناس يوما في أعظم المساجد على الله عز وجل حرمة وأكرمها على الله عز وجل - يعنى المسجد الحرام^١، لم يرعهم إلا وهى فى ناحية المسجد تدنو وتدنو - كذا قال عمرو - يعنى ابن محمد العبرى أحد رواة الحديث - ما بين الركن الأسود إلى باب بنى مخزوم عن يمين الخارج فى وسط

ذلك، فافرض الناس / عنها وثبت^٢ لها عصاة عرفوا أنهم لن^٣ يعجزوا الله

غرجت عليهم تنفض رأسها من التراب، فمرت بهم فجلت^٤ عن وجوههم حتى تركتها^٥ كأنها الكواكب الدرية، ثم ولت^٦ فى الأرض لا يدركها طالب، ولا يعجزها^٧ هارب، حتى أن الرجل يقوم فيتموذ منها بالصلاة، فتأتيه من خلفه فتقول: يا فلان! الآن تصلى، فيقبل عليها بوجهه ١٠. قسمه فى وجهه، فيتجاوز الناس فى ديارهم، ويصطحبون فى أسفارهم،

ويشتركون فى الأموال، يعرف الكافر من المؤمن، فيقال للمؤمن: يا مؤمن، ويقال للكافر: يا كافر؛ ومن طريق^٨ الإمام أحمد عن

أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: تخرج الدابة ومعها عصا موسى، وخاتم سليمان عليهما السلام، فتجلو وجه

١٥ المؤمن بالعصا، وتخطم أنف الكافر بالخاتم، حتى أن أهل الخوان^٩

(١) زبدت الواو فى الأصل، ولم تكن فى ظ و مد والمعلم لحذفها (٢) فى

المعلم: تثبت (٣) من ظ و مد، وفى الأصل: لم (٤) من ظ و مد، وفى

الأصل: فجملت (٥) من ظ و مد، وفى الأصل: تركها (٦) من ظ و مد،

وفى الأصل: ولدت (٧) فى المعلم: لا يفوتها (٨) من ظ و مد، وفى الأصل:

طرق (٩) من المعلم، وفى الأصول: الجوار .

ليجتمعون^١ فيقول هذا: يا مؤمن، وهذا: يا كافر .
ثم علل سبحانه إخراجها بقوله: ﴿ ان الناس ﴾ أى بما^٢ هم
ناس لم يصلوا إلى أول أسنان الإيمان، وهو سن "الذين آمنوا" بل
هم^٣ فائسون مترددون مذبذبون تارة، وتارة ﴿ كانوا ﴾ أى [كونا-^٤]
هو لهم^٥ كالجبله ﴿بايتنا﴾ أى المراتب التى كتبناها بعظمتا فى ذوات هـ
العالم، والمسموعات المتلوات، التى أتيناها بها على السنة^٦ أكمل [الخلق-^٧]:
الانبياء والرسل، حتى ختمناهم بامامهم الذى هو أكمل العالمين، قطعنا
لحجاجهم، وردا عن لجاجهم، ولذا عممنا برسالة وأوجبنا على جميع
العقل اتباعه ﴿ لا يوقنون ﴾ من اليقين، وهو إتيان^٨ العلم بنى الشبه،
بل هم فيها مزلزلون، فلم يبق بعده صلى الله عليه وسلم إلا كشف الغطاء ١٠
عما ليس من جنس البشر بما^٩ لا تثبت له عقولهم .

ولما كان من فعل الدابة التمييز بين المؤمن والكافر بما لا يستطيعون
دفعه، تلاء بتمييز كل فريق منهما عن صاحبه بجمعهم يوم القيامة فى
ناحية، وسوقهم من غير اختلاط بالفريق الآخر، فقال عاطفا على
[العامل فى -^١] "وإذا وقع القول": ﴿ ويوم نحشر ﴾ أى نجمع - بما^{١٥}
لنا من العظمة - على وجه الإكراه: قال أبو حيان^{١٦}: الحشر: الجمع

- (١) من ظ و مد و العالم، وفى الأصل: ليجمعون (٢) من ظ و مد،
وفى الأصل: فما (٣) سقط من ظ (٤) زيد من ظ و مد (٥) ورد فى الأصل
بعد «كالجبله»، والترتيب من ظ و مد (٦) من ظ و مد، وفى الأصل: لسان.
(٧) من ظ و مد، وفى الأصل: اتباع (٨) من ظ و مد، وفى الأصل: بما.
(٩) فى ظ و مد: على ما (١٠) راجع البحر المحيط ٩٨/٧ .

على عنف . ﴿ من كل امة فوجا ﴾ أى جماعة كثيرة ﴿ من يكذب ﴾ أى [يوقع التكذيب للهداة - '] على الاستمرار ، [مستهينا - ']
 ﴿ بايتنا ﴾ أى المربة بعدم الاعتبار بها ، والمسموعة بردها والطن فيها
 على ما لها^١ من العظمة باضافتها إلينا ؛ وأشار إلى كثرتهم بقوله [متسيا
 ه عن العامل فى الظرف من نحو : يكونون فى ذل عظيم - '] :
 ﴿ فهم يوزعون ه ﴾ أى يكف بأذى إشارة [منه - '] أولهم على
 - آخرهم ، وأطرافهم على أوساطهم ، ليتلاحقوا ، ولا يشذ منهم أحد ،
 ولا يزالون كذلك ﴿ حتى إذا جاءو ﴾ أى المكان الذى أراد الله لتبكيته
 ﴿ قال ﴾ لهم ملك الملوك غير مظهر لهم الجزم بما يعلمه من أحوالهم ،
 ١٠ فى عنادهم وضلالهم ، بل سائلا لهم إظهارا للعدل بالزامهم بما يقرون
 به من أنفسهم ، وفيه إنكار وتوبيخ وتبكيث وتقريع : ﴿ اكذبتم ﴾
 أى [أيها - '] الجاهلون ﴿ بايتى ﴾ على ما لها من العظم فى أنفسها ، وبإتيانها
 إليكم على أبدي أشرف عبادى ﴿ و ﴾ الحال أنكم ﴿ لم تحيطوا بها علما ﴾ أى
 من غير فكر ولا نظر يؤدى إلى الإحاطة بها فى معانيها وما أظهرت
 ١٥ لأجله حتى تعلوها ما تستحقه ويليق بها بدليل لامية فيه ﴿ أما ذا كنتم ﴾
 أى فى تلك الأزمان بما هو لكم كالجبلات ﴿ تعملون ه ﴾ فيها هل صدقتم
 [بها - '] أو كذبتهم بعد الإحاطة بعلمها ؟ أخبروني عن ذلك كله ! ماذا كنتم ؟
 حيث لم تشتغلوا بهذا العمل المهم ؟ فان هذا - وعزى - مقام العدل

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : لنا (٣) فى ظ : عليهم .

(٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : دعاكم .

والتحرير، ولا يترك^١ فيه قطمير ولا تقير، ولا ظلم فيه على أحد في جليل ولا حقير، ولا قليل ولا كثير، والسؤال على هذا الوجه منه على الاضطرار / إلى التصديق أو^٢ الاعتراف بالإبطال، لأنهم إن قالوا: كذبنا، فإن قالوا مع عدم الإحاطة كان في غاية الوضوح في الإبطال، وإن قالوا مع الإحاطة كان أكذب الكذب .

٥

ولما كان التقدير بما أرشد إليه السياق: فأجابوا بما تبين^٣ به أنهم ظالمون، عطف عليه قوله: (ووقع القول) أى مضمون الوعيد الذى هو القول حقاً، مستعلياً (عليهم بما ظلموا) أى بسبب ما وقع منهم من الظلم من صريح التكذيب وما نشأ عنه من الضلال، فى الأقوال والأفعال (فهم لا ينطقون^٤) أى بسبب ما شغلهم من وقوع العذاب^٥ المتوعد به بما أحاط بقوام، فهد أركانهم، وما انكشف لهم من أنه لا ينجيهم شيء .

ولما ذكر الحشر، استدل [عليه -] بحشرهم كل ليلة إلى الميت، والحقم على مشاعرهم، وبعثهم من المنام، وإظهار الظلام الذى هو كالموت بعد النور، وبعث النور بعد إفنائه بالظلام، فقال: (الم يروا) بما^{١٥} يدلهم على قدرتنا على بعثهم بعد الموت وعلى كل ما أخبرناهم به (إنا جعلنا) أى بعظمتنا التى لا يهمل أحد إلى مماثلة شيء منها

(١) فى ظ: لا يقول (٢) من ظ ومد، وفى الأصل: هـ وهـ، وزيد بعده فى ظ: الى (٣) من ظ ومد، وفى الأصل: يبين (٤) من ظ ومد، وفى الأصل: بما (٥) زيد من ظ ومد .

[الدالة على قردنا وفعلنا بالاختيار -^١] (الليل) أى مظلما
 (ليسكنوا فيه) عن الانتشار (والنهار مبصرا^٢) أى بإبصار من
 يلبسه، لينتسروا فيه فى معاشهم بعد أن كانوا ماتوا الموتة الصغرى،
 وكم [من -^٣] شخص منهم بات سوبا لا قلبه^٤ به فأت، ولو شئنا
 ٥. لجعلنا الكل كذلك لم يقيم منهم أحد، وعدل عن "ليصروا"
 فيه "تتيها على كمال كونه سوبا للإبصار، وعلى أنه ليس المقصود
 كالسكون، بل [وسيلة المقصود الذى هو جلب المنافع -^٥]، فالآية من
 الاحتباك: ذكر السكون أولا دليل^٦ على الانتشار [ثانيا -^٦]، وذكر
 الإبصار ثانيا دليل^٧ على الإظلام أولا؛ ثم عظم هذه الآية حثا على
 ١٠. تأمل ما فيها من القدرة الهادية إلى سواء السبيل فقال: (ان فى ذلك)
 أى الحشر و الفشر الأصفرين مع أبى الليل والنهار (لأبنت) أى
 متعددة، بينة على التوحيد والبعث الآخر والنبوة، لأن [من -^٨]
 قلب الملوك^٩ لمنافع الناس [الدنيوية -^٨]،^٨ أرسل الرسل لمنافعهم
 فى الدارين^٩.

(١) زيد من ظ ومد (٢) زيد من ظ (٣) من مد، وفى الأصل وظ :
 غلبة (٤) من ظ ومد، وفى الأصل: ان يبصروا (٥) من ظ ومد، وفى
 الأصل: دليلا (٦) زيد من مد (٧) من ظ ومد، وفى الأصل: الماوس .
 (٨) زيد فى الأصل: ثم، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد فحذفناها (٩) زيد فى
 الأصل: ثم عظم هذه الآية حثا على تأمل ما فيها، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد
 فحذفناها، وقد مررت هذه العبارة على س ٩ .

ولما كان من مباني السورة تخصيص الهداية بالمؤمنين، خصهم بالآيات لاختصاصهم بالارتفاع بها وإن كان الكل مشتركين في كونها دلالة لهم، فقال: ﴿لقوم يؤمنون﴾ أي قضيت بأن إيمانهم لا يزال يتجدد، فهم كل يوم في علو وارتفاع^٢.

ولما ذكر هذا الحشر الخاص، والدليل على مطلق الحشر^٢ والنشر^٢، هـ ذكر الحشر العام، ثلثا بظن أنه إنما يحشر الكافر^٢، فقال مشيرا إلى عمومهم بالموت كما عمومهم بالنوم، وعمومهم بالإحياء كما عمومهم بالإيقاظ: ﴿وبوم ينفخ﴾ أي بأيسر أمر ﴿في الصور﴾ أي القرن الذي جعل صوته لإمارة الكل.

ولما كان ما ينشأ عنه من فزعهم مع كونه محققا مقطوعا^٢ به ١٠ كأنه وجد ومضى، يكون في آن واحد، أشار إلى ذلك وسرعة كونه بالتعبير بالماضى فقال: ﴿ففرع﴾ أي صقع بسبب هذا النفخ ﴿من في السموات﴾.

ولما كان الأمر مهولا، كان الإطباب أولى، فقال: ﴿ومن في الارض﴾ أي كلهم ﴿الا من شاء الله﴾ أي المحيط ١٥ علما وقدره وعزة وعظمة، أن لا يفزع^٢؛ ثم أشار إلى النفخ لإحياء الكل بقوله: ﴿وكل﴾ أي من فزع ومن لم / يفزع ﴿اتوه﴾ أي

٨٠٣/

(١) من ظ و مد، وفي الأصل: فيهم (٢) في ظ و مد: ارتقاء (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٤) في ظ: الكافرين (٥) في الأصل: مقطوع، والعبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة ساقطة في ظ و مد إلى «مضى يكون».

بعد ذلك للحساب بنفخة أخرى يقيمهم بها ، دليلا على تمام القدرة في كونه أقامهم بما به أنامهم^١ (داخرين^{هـ}) أى صاغرين منكسرين ؛ واستغنى عن التصريح به بما يعلم بالبدية من أنه لا يمكن إتيانهم في حال فزعهم الذى هو كناية عن بطلان إحساسهم ، هذا معنى ما قاله كثير من المفسرين ٥ والذى يناسب سياق الآيات الماضية - من كون الكلام في يوم القيامة الذى هو ظرف لما بين البعث ودخول الفريقين إلى داريهما - أن يكون هذا انفخ بعد البعث وبمجرد^٢ صقع هو كالغشى^٣ كما أن حشر الأفواج كذلك ، ويؤيده التعبير بالفزع ، ويكون الإتيان بعده بنفخة أخرى تكون بها الإفاقة^٤ . فهاتان النفختان حيثئذ هما المراد من قوله صلى الله عليه وسلم : يصعق الناس يوم القيامة - الحديث^٥ ، وسيأتى الكلام [عليه -^٦] إن شاء الله تعالى لفظا ومعنى ، ويحل^٧ ما فيه من إشكال في آخر سورة الزمر .

ولما ذكر دخورهم^٨ ، تلاه بدخور ما هو أعظم منهم خلقا ، وأهول أمرا ، فقال [عاطفا على ناصب الظرف بما تقديره : كانت ١٥ أمور محلولة -^٦] ، معبرا بالمضارع لأن ذلك وإن شارك الفزع في

- (١) في ظ : اتاهم (٢) من ظ ومد ، وفي الأصل : لمجرد (٣) من ظ ومد ، وفي الأصل : كالعيش (٤) من ظ ومد ، وفي الأصل : الإقامة . (٥) رواه البخارى في عدة مناسباته - راجع مثلاً أول الخصومات من الصحيح (٦) زيد من ظ ومد (٧) من ظ ومد ، وفي الأصل : حل . (٨) من ظ ومد ، وفي الأصل : دخور .

التحق قد فارقه في 'الحدوث والتجدد' شيئا فشيئا: ﴿وترى الجبال﴾
 أى عند القيام من القبور، والخطاب إما للتي صلى الله عليه وسلم ليدل
 ذلك- لكونه صلى الله عليه وسلم أفقد الناس بضرا وأنورهم بصيرة - على
 عظم الأمر، وإما لكل أحد لأن الكل صاروا بعد قيامهم أهلا للخطاب
 بعد غيبتهم في التراب ﴿تحسبها جامدة﴾ أى قائمة ثابتة في مكانها ه
 لا تتحرك، لأن كل كبير متباعد الاقطار^٢ لا يدرك مشيته^٣
 إلا تخرصا ﴿وهي تمر﴾ أى تسير حتى تكون كالعن المنفوش فيفسفها
 الله فقع حيث شاء كأنها الهباء المثور، فقتوى الأرض كلها بحيث
 لا يكون فيها عوج، وأشار إلى أن سيرها خفى وإن كان حثيثا بقوله:
 ﴿مر السحاب﴾^٤ أى مرا سريعا لا يدرك على ما هو عليه لأنه إذا طبق ١٠
 الجو لا يدرك سيره مع أنه لاشك فيه وإن لم تكشف الشمس
 'بلا لبس'، وكذا كل كبير الجرم أو كثير^٥ العد يقصر عن^٦ الإحاطة
 به لبعده ما بين أطرافه بكثرت البصر، يكون سائرا، والناظر الحاذق
 يظنه واقفا.

ولما كان ذلك^٧ أمرا هائلا، أشار إلى عظمته^٨ بقوله، مؤكدا ١٥

(١-١) من ظ، وفي الأصل: والحديث والتجدد، وفي مد: التجدد (٢) زبدت
 الواو في الأصل، ولم تكن في ظ ومد فحذفناها (٣) من ظ ومد، وفي الأصل:
 شبه (٤-٤) من ظ ومد، وفي الأصل: باللبس حيث شاء (٥) من ظ ومد، وفي
 الأصل: كبير (٦) من ظ ومد، وفي الأصل: عند (٧) في ظ: كذلك (٨) من ظ
 ومد، وفي الأصل: عظمة.

لمضمون الجملة المقدمة : ﴿ صنع الله ﴾ أى صنع الذى له الأمر كله ذلك الذى أخبر أنه كان فى ذلك اليوم صنعا ، ونحو هذا المصدر إذا جاء عقب كلام جاء كالشاهد بصرته ، والمادى على مداده ، والصارخ ببلو مقداره ، وأنه ما^١ كان يفنى أن يكون إلا هكذا ، ثم زاد فى التعظيم د بقوله دالا على تمام الإحكام فى ذلك الصنع : ﴿ الذى اتقن كل شئ ﴾ .

ولما ثبت هذا على [هذا -^٢] الوجه المتقن^٣ ، والنظام الامكن ، أتيح قطعاً قوله : ﴿ انه ﴾ أى الذى أحكم هذه الأمور كلها ﴿ خير بما يفعلون ﴾ أى لأن الإتقان نتيجة القدرة ، وهى نتيجة العلم ، فمن لم يكن شامل العلم لم يكن تام القدرة ، وعبر بالفعل الذى هو أعم ١٠ من أن يكون بعلم أولاً ، لأنه فى سياق البيان لتمام ، ونقى العلم عنهم ، وقرئ بالخطاب^٤ المؤذن بالقرب المرجى للرضا ، المرهب من الإبعاد . المقرون بالسخط ، وبالغية المؤذنة بالإعراض الموقع فى الخيبة ، وما أبدع ما لأم ذلك ولاحه ما بعده على تقدير الجواب لسؤال من كأنه قال : ما ذا يكون حال أهل الحشر مع الدخور^٥ عند الناقد البصير ؟ فقال :

٨٠٤ / ١٥ من إتيانه للأشياء أنه رتب / الجزء أحسن ترتيب ﴿ من جاء بالحسنة ﴾ أى الكاملة وهى الإيمان ﴿ فله ﴾ وهو من جملة إحكامه للأشياء ﴿ خير ﴾ أى أفضل ﴿ منها ﴾ مضاعفاً ، أقل ما يكون عشرة أضعاف إلى ما لا يعلمه إلا الله ، [وأكرمت وجوههم عن النار -^٦] ، وهؤلاء أهل القرب

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ ومد (٣) من ظ ومد ، وفى الأصل :
المتفق (٤) راجع نثر المرجان ١٤١/٥ (٥) من ظ ومد ، وفى الأصل : الدخول .
الذين (٥٦) ٢٢٤

الذين سبقت لهم الحسنی ﴿وهم من فزع يومئذ﴾ ^١ أى إذا وقعت هذه الأحوال، العظيمة الأحوال ﴿امنون﴾ أى حتى لا يحزنهم الفزع الأكبر، فانظر إلى بلاغة هذا الكلام، وحسن نظمه وترتيبه، وأخذ بعضه بحجزة ^٢ بعض، كأنما أفزع إفزاعاً واحداً، ولأمر ما أعجز القوى، وأخرس الشقائق ^٣ والادعاء ﴿ومن جاء بالسيئة﴾ أى التي لا سيئة ^٥ مثلها، وهى الثبوك لقوله: ﴿فكبت﴾ أى بأيسر أمر ﴿وجوههم فى النار﴾ مع أنه ورد فى الصحيح أن مواضع السجود - التى أشرفها الوجوه - لا سبيل للنار عليها، والوجه أشرف ما فى الإنسان، فإذا هان كان ما سواه أولى بالهوان، والمكبوب عليه منكوس .

ولما كانوا قد نكسوا أعمالهم وعكسوها بعبادة غير الله، فوضعوا ^{١٠} الشئ فى غير موضعه، فعضموا ما حقه التحقير. واستهانوا أمر العلى الكبير. وكان الوجه محل [ظهور - ^٤] الحياء والانكسار، لظهور الحجة، وكانوا قد حدقوا الآعين جلادة وجفاء عند العناد، وأظهروا فى الوجوه التجهيم ^٥ والعبوس والارتداد، بدع قوله [بناء على ما تقديره بما دل عليه الاحتباك: وهم من فزع يومئذ خائفون، وإيسر لهم إلا مثل ^{١٥} سيئتهم - ^٦]: ﴿هل﴾ ^٦ أى مقولاً لهم: هل ^٧ ﴿تجزون﴾ ^٧ أى بغمس الوجوه ^٧

(١-١) فى ظ: إذا (٢) من ظ ومد، وفى الأصل: بحجر (٣) من ظ ومد، وفى الأصل: الشقائق - كذا (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ ومد (٥) من ظ ومد، وفى الأصل وظ: التجهيم (٦-٦) سقط ما بين الرقين من ظ إلا أن «مقولا لهم» ورد فيه بعد «مثل سيئتهم» (٧-٧) سقط ما بين الرقين من ظ .

في النار؛ وبنى للفعول لانت المرغب المرهب الجزاء، لا كونه من معين، وإشارة إلى أنه يكون بأيسر أمر، لأن من المعلوم أن المجازي هو الله لا غيره^١ (الا ما كنتم) أي بما هو لكم كالجبل (تعملونه) أي تكرررون عمله وأنتم تزعمون أنه مبنى^٢ على قواعد العلم [بحيث -^٣] .
 هـ . يشهد كل [من -^٢] رآه أنه مماثل لأعمالكم سواء بسواء، وهو شامل أيضا لأهل القسم الأول، [والآية من الاختباك: ذكر الخيرية والأمن أولا دليلا على حذف المثل والخوف ثانيا، والكب في النار ثانيا دليلا على الإكرام عنه أولا -^٢] .

ولما أتم أمر الدين بذكر الأصول الثلاثة: المبدأ والمعاد والنبوة،
 ١. ومقدمات القيامة وأحوالها، [وبعض صفتها وما يكون من أحوالها -^٢]،
 وذلك كإل ما يتعلق بأصول الدين على وجوه مرغبة أتم ترغيب،
 مرهبة أعظم تهيب، أوجب هذا الترغيب والتهيب لكل سامع أن
 يقول: فما الذي نعمل [و من نعبد -^٢] ؟ فأجابه المخاطب بهذا الوحي^٤،
 المأمور بإبلاغ هذه الجوامع، الداعي لمن سمعه، الهادي لمن اتبعه^٥، بأنه
 ١٥ يرضى له ما رضى لنفسه، وهو ما أمره به ربه، فقال: (إنما أمرت) أي بأمر من لا يرد له أمر -^٢، ولا يبعد أن يكون بدلا من قوله "الحمد لله وسلم على عباده الذين اصطفى" فيكون محله نصبا بقل،

(١-١) سقط ما بين الرقعين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ و مد .
 (٤) من ظ و مد، وفي الأصل: الوحي - كذا (ه) في ظ و مد: تبعه .

[وعظم المأمور به باحلاله محل العمدة فقال - ١] : (ان اعبد)
 أى بجميع ما أمركم به (رب) أى موجد ومدبر وملك ؛ و عين
 المراد و شخصه [و قربه - ١] تشريفاً و تكرماً بقوله : (هذه البلدة)
 أى مكة التى تخرج الدابة منها فيفزع كل من رآها ، ثم تؤمن أهل
 السعادة ، أخصه بذلك لا أعبد شيئاً مما عدلتموه به سبحانه و ادعيتهم أنهم
 شركاء ، وهم من جملة ما خلق ؛ ثم وصف المعبود الذى ما أمر بعبادة
 أحد غيره بما يقتضيه وصف الربوبية ، و عين البلدة التى أشار إليها
 بأداة القرب لحضورها ٢ فى الأذهان لعظمتها و شدة الإلف بها و إرادتها
 بالارض ٣ التى تخرج الدابة منها ، فصارت لذلك بحيث إذا أطلقت
 البلدة انصرفت ٤ إليها و عرف أنها مكة ، فقال : (الذى حرمها) ١٠
 تذكيراً لهم ٥ بنعمته سبحانه عليهم و تربيته لهم بأن أسكنهم خير بلاده ،
 و جعلهم بذلك مهابة فى قلوب عباده ، بما ألقى فى القلوب من أنها حرم ،
 [لا يسفك بها دم - ١] ، ولا يظلم أحد ، ولا يباح بها صيد ، ولا يعصد
 شجرها ٦ ، و خصها بذلك من بين سائر بلاده و الناس يتخطفون من حولهم
 و هم آمنون لا ينالهم شيء من فزعهم و هولهم .

٨٠٥ /

١٥

- (١) زيد من ظ و مد (٢-٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : شركاءه .
 (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : لحضورها (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل :
 و الأرض (٥) فى ظ : كذلك (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : انصرف .
 (٧) من ظ و مد . وفى الأصل : له (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : شجر .

ولما كانت إضافتها إليه إنما هي لمحض التشريف، قال احتراساً عما
لعله يتوهم: (وله كل شيء ذ) أى من غيرهما بما أشركتموه به وغيره
خلقاً وملكاً وملكاً، وليس هو كالمملوك الذين ليس لهم إلا ما حموه
على غيرهم.

ولما كانوا ربما قالوا: ونحن نعبد بعبادة من رجوه يقربنا إليه
زلفى، عين الدين الذى تكون به العبادة فقال: (وامرت) أى مع
الأمر بالعبادة له وحده، [وعظم المفعول المأمور به بحمله عمدة الكلام
بوضعه موضع الفاعل فقال -]: (ان اكون) أى كونا هو فى غاية
الرسوخ (من المسلمين) أى المتقدين لجميع ما يأمر به كتابه أتم اقياد،
١٠ ثابتاً على ذلك غاية الثبات.

ولما بين^٢ ما أمر به فى نفسه، أتبعه ما نعم فائدته غيره فقال:
(وان اتلو القرآن) أى أوأظب على تلاوته وتلوه - أى إتباعه -
عبادة لربى، وإبلاغاً للناس ما أرسلت به إليهم بما لا يلزم به ريب فى
أنه من عنده. [ولأكون -]: مستحضراً لأوامره فاعمل^٣ بها، ولتواهيه
١٥ فأجتنبها، وليرجع الناس إليه ويعولوا^٤ فى كل أمر عليه. لأنه جامع
لكل علم.

ولما تسبب عن ذلك [أن -]: من انقاد له نجى نفسه، ومن

(١) من ظ و مد، وفى الأصل: من (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى ظ: كان.
(٤) من ظ و مد، وفى الأصل: لا عمل (٥) فى ظ و مد: يعولون.

استعصى عليه أهلكها^١، قال له ربه سبحانه مسلماً وموسياً ومرغباً
ومرهباً: ﴿فن اهتدى﴾ أى باتباع هذا القرآن الداعى إلى الجنان
﴿فانما يهتدى لنفسه﴾ لأنه يحميها بحوزة الثواب، ونجاته من العقاب،
[فانما أنا من المبشرين، أبشره أنه من الناجين -^٢] ﴿ومن ضل﴾ أى
عن الطريق التى نهج وبينها من غير ميل ولا عوج ﴿قتل﴾^٣ له هـ
كما تقول لغيره^٤: ﴿انما أنا من المنذرين هـ﴾ أى المخوفين له عواقب
صنعه، وإنما فسرته ورده^٥ فلم أومر به الآن ﴿وقل﴾ أى إنذاراً لهم
وترغيباً وترجية وترهيباً: ﴿الحمد﴾ أى الإحاطة بأوصاف الكمال (لله)
أى الذى له العظمة كلها سواء اهتدى الكل وضل الكل، أو انقسموا
إلى مهتد وضال، لأنه لا يخرج شئ عن مراده .

١٠

ولما كانت نتيجة ذلك القدرة على كل شئ قال: ﴿سيريك﴾
أى فى الدنيا والآخرة بوعد محقق لا شك فى وقوعه ﴿أينته﴾ أى
الرادة^٦ لكم عما أتم فيه يوم يحل لى هذه البلدة الذى حرّمها بما أشار
إليه جعلى من المنذرين وغير ذلك مما يظهر من وقائعه ويشتهر^٧ من
أيامه التى صرح^٨ أو لوح بها القرآن، فبأيتكم تأويله فترونيه عياناً، وهو ١٥
معنى ﴿فتعرفونها^٩﴾ أى بتذكركم ما أتوعدكم الآن (به -^{١٠}) وأصفه لكم

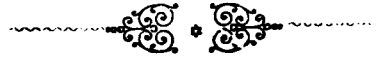
(١) من ظ و مد . وفى الأصل: أهلها (٢) ريد من ظ و مد (٣) زيد فى
ظ: أى (٤) العبارة من هنا إلى ترجية وترهيباً ساقطة من ظ (٥) كذا . وفى
العبارة نصوص مع بعض الزيادات المحجوة فى مد (٦) فى ظ: الواردة .
(٧) من ظ و مد ، وفى الأصل: يسهر^٨ زيد فى الأصل: بها . ولم تكن
الزيادة فى ظ و مد لخدمتها .

منها، لا تشكون في شيء من ذلك أنه على ما وصفته ولا ترتابون،
 فظهر لكم عظمة القرآن، وإبانة آيات الكتاب الذي هو الفرقان، وترون
 ذلك حق اليقين "وتعلن نباه بعد حين"، "يوم يأتي تأويله يقول
 الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق هذا ما وعد الرحمن
 ه وصدق المرسلون".

ولما كان قد نفس لهم بالسين في الآجال، وكان التقدير تسلياً
 له صلى الله عليه وسلم: وما ربك بباركهم على هذا الحال من العناد
 لأن ربك قادر على ما يريد، عطف عليه قوله: ﴿وما ربك﴾ أي
 المحسن إليك بجميع ما أقامك فيه من هذه الأمور العظيمة والأحوال
 ١٠ [الجليلة - ١] الجسيمة ﴿بغافل عما تعملون﴾ أي من مخالفة أوامره،
 ومفارقة زواجه، ويحوز أن تكون الجملة حالاً من فاعل "يرى"
 أي يريكم غير غافل، ومن قرأ بالخطاب^٢ كان المعنى: عما تعمل أنت
 وأتباعك من الطاعة. وهم من المعصية، فيجازى كلا^٣ منكم بما يستحق
 [فيعلى أمرك، ويشد إزرك، ويوهن أيدهم، ويضعف كيدهم، بماله
 ١٥ من الحكمة، والعلم ونفوذ الكلمة. فلا يظن ظان أن تركه للعاجلة بعقابهم
 لغفلة عن شيء من أعمالهم، إنما ذلك لأنه حد لهم حداً بالغة لا محالة
 لأنه لا يبدل القول لديه. وقد رجع آخرها كما ترى بإبانة الكتاب
 وتفخيم القرآن وتقسيم الناس فيه إلى مهتد وضال إلى أولها، وعاقب
 ختامها ابتداءها بحكمة منزلها، وعلم بمجملها ومفصلها - ١]، إلى غير ذلك

(١) زيد من ظ و مد (٢) راجع فتر للمرحان ١٤٥/٥ (٣) في ظ: كل .

عما يظهر عند تدبرها وتأملها - والله الموفق للصواب ، وإليه المرجع والمآب^١ .
 ٢ نجز الجزء المبارك من مناسبات البقاعى بحمد الله وعونه ويتلوه
 القصص إن شاء الله تعالى - اللهم اغفر لنا ذنوبنا وتجاوز عن سيئاتنا^٢ .



(١-١) سقط ما بين الرقين من مد ، وفي ظ : وإليه المآب وهو أعلم بالصواب .
 (٢-٢) سقط ما بين الرقين من ظ ، و موضع ما بين الرقين في مد : تم الجزء
 المبارك من كتاب نظم الدرر في مناسبة الآى والسور على يد أذل عبيد الله
 وأحوجهم إلى عفو عن ذنوبه العبد الفقير سالم السنهورى المالكي غفر الله له
 ولوالديه في يوم الأربعاء المبارك ثالث شهر صفر سنة إحدى وسبعين
 وتسائة وحسبنا الله ونعم الوكيل .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

/ ٢

و به الإعانة ، و صلى الله على أسعد مخلوقاته و زين عباده

سيدنا محمد وآله و صحبه^١

سورة القصص^٢

مقصودها التواضع لله^٣ ، المستلزم لرد^٤ الأمر كله إليه ،
الناشئ^٥ عن الإيمان بالآخرة^٦ ، الناشئ^٧ عن الإيمان^٨ بنبوة محمد^٩ صلى الله
عليه وسلم ،^{١٠} الثابتة باعجاز^{١١} القرآن ، المظهر للخفايا^{١٢} على لسان من لم^{١٣} يتعلم
علما قط من أحد من الخلق ، المنتج لعلو المتصف به ، و ذلك هو المأخوذ
من تسميتها بالقصص الذي حكم لأجله^{١٤} "شعيب بدلوا" الكلم عليهما السلام
على من ناواه ، وقمعه لمن عاداه ، فكان المآل^{١٥} "وفق ما قال (بسم الله)"
الذي اختص بالكبرياء و العظمة ، فألبس خدامه من ملاس هيبته
(الرحمن) الذي عم بنعمة البيان . حتى أهل الكفران (الرحيم) الذي

(١ - ١) سقط ما بين الرقبن من ظ و مد (٢) الثامنة والعشرون من سور
القرآن الكريم ، مكية ، وهي ثمن وثمانون آية بالاتفاق - راجع روح المعاني
٣٢٦/٦ (٣) سقط من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، وفي الأصل : لمد (٥) من
ظ و مد ، وفي الأصل : بالآية - كذا (٦ - ٦) من ظ و مد ، وفي الأصل :
بنبيه (٧ - ٧) من ظ و مد ، وفي الأصل : التابعة باعجاز (٨) في مد : للخلق .
(٩) سقط من ظ (١٠ - ١٠) من ظ و مد ، وفي الأصل : شعيبا لعلو (١١) في
ظ و مد : المآ - كذا .

خص بنعمة ما بعد البعث أهل الإيمان .

لما ختم تلك بالوعد المؤكد بأنه يظهر آياته فعرف، وأنه ليس
بغافل عن شيء، تهديدا للظالم، و تثبيتا للعالم، وكان من الاول ما يوحى
في هذه من الأساليب المعجزة من خفايا علوم أهل الكتاب، فلا يقدرون
على رده، ومن الثانى ما صنع بفرعون وآله، قال أول هذه: ﴿ظَسَمَ هـ﴾^٥
مشيرا بالطاء الملية بالطهر و الطيب إلى خلاص بنى إسرائيل بعد طول
ابتلائهم المطهر لهم عظيم، و بالسین الرامزة إلى السمو و السنا و السيادة
إلى أن ذلك يكون بمسوع من^٦ الوحي في ذى طوى من طور سيناء
قديم، و بالميم المهيئة للملك^٧ و النعمة إلى قضاء من الملك الأعلى بذلك
كله تام عميم .

١٠

و لما كانت هذه إشارات عالية، و ما بعدها [لزوم - ^٨] نظوم
لأوضح الدلالات حاوية، قال مشيرا^٩ إلى عظمتها: ﴿تلك﴾ أى الآيات
العالية الشأن ﴿أينت الكتب﴾ أى المنزل على قلبك، الجامع لجميع
المصالح الدنيوية و الآخروية ﴿المبين هـ﴾ أى التفاصيل الكاشف الموضح
المظهر، لأنه من عندنا من غير شك . و لكل ما يحتاج إليه من ذلك ١٥
و غيره، عند^{١٠} من يجعله من شأنه و يتلقاه بقبول، و يلقى إليه السمع
و هو شهيد؛ ثم أقام الدليل على إياته . و أنه يقص على بنى إسرائيل
أكثر الذى هم فيه يختلفون، بما أورد هنا فى قصة موسى عليه الصلاة و السلام

(١) زيد فى ظ : انسورة (٢) سقط من مد (٣) من ظ و مد، وفى الأصل :
بالملك (٤) زيد من ظ و مد (هـ-هـ) فى ظ : مشيرة (٦) من ظ و مد، وفى
الأصل : عن .

من الدقائق التي قل من يعلمها من حذاقهم، على وجه معلم^١ بما انتقم به من فرعون وآله، ومن لحق بهم كفارون، وأنعم به على موسى عليه الصلاة والسلام وأتباعه، ولذلك بسط فيها من أمور القصة^٢ ما لم يسط في غيرها فقال: ﴿تتلوا﴾ أى نقص قصا متابعا متواليا بعضه في أثر بعض هـ ﴿عليك﴾ بواسطة جبريل عليه الصلاة والسلام^٣.

ولما كان المراد إنما هو قص ما هو من الأخبار العظيمة يانا للآيات بعلم الجليات والخفيات، والمحاسبة والمجازاة، لا جميع الأخبار، قال: ﴿من بنا موسى وفرعون﴾ أى بعض خبرهما العظيم^٤ متلبسا هذا النبأ^٥ كائنا ﴿بالحق﴾ أى الذى يطابقه الواقع، فانا ما أخبرنا فيه بمستقبل ١٠ إلا طابقه الكائن عند وقوعه، ونه على أن هذا البيان كما سبق إنما ينفع أولى الإذعان بقوله: ﴿لقوم يؤمنون هـ﴾ أى يحددون الإيمان في كل وقت عند كل حادثة ثبات إيمانهم. فلم أن المقصود منها هنا الاستدلال على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم النبي الأمي بالاطلاع على المغييات، والتهديد بعلمه المحيط، وقدرته الشاملة، وأنه ما شاء كان ولا مدفع ١٥ لقضائه، ولا ينفع حذر من قدره، فصح أنها دليل على قوله تعالى آخر / تلك "سيريكم آياته فتعرفونها" - [الآية - ٥]، ولذلك لخصت رؤس أخبار القصة. فذكرت فيها أمهات الأمور الخفية، ودقائق أعمال^٦ من ذكر

(١) من ظ و مد، وفي الأصل: يعلم (٢) سقط من ظ (٣-٣) ما بين الرقين سقط من ظ و مد (٤ - ٤) من ظ و مد، وفي الأصل: مكتسيا هذا البيان. (٥) زيد من ظ و مد (٦) في ظ و مد: الاعمال.

فيها من موسى عليه الصلاة والسلام و أمه و فرعون و غيرهم إلى ما تراه^١
 من الحكم التي لا يطلع عليها إلا عالم بالتعلم أو بالوحي ، و معلوم لكل مخاطب
 بذلك انتفاء الأول عن المنزل عليه هذا الذكر صلى الله عليه وسلم ،
 فانحصر الأمر في الثاني ، يوضح لك^٢ هذا المرام مع هذه الآية الأولى التي
 ذكرتها قوله تعالى في آخر القصة ” و ما كنت بجانب الغربي “ و ما كنت
 بجانب الطور “ و إتباع القصة بقوله تعالى : ” و لقد وصلنا لهم القول لعلهم
 يتذكرون “ فالمراد بهذا السياق منها كما ترى غير ما تقدم من سياقاتها^٣
 كما مضى ، فلا تكرير في شيء من ذلك - و الله الهادي . و قال الإمام
 أبو جعفر بن الزبير : لما تضمن قوله سبحانه ” انما امرت ان اعبد رب هذه
 “الذي حرمها “^٤ - إلى آخر السورة من التخويف و الترهيب و الإنذار
 و التهديد لما^٥ اجترّ معه الإشعار بأنه عليه الصلاة والسلام سيملك مكة
 البلدة و يفتحها الله تعالى عليه ، و يذل عتاة قريش و متمرديهم^٦ ، و يعز أتباع
 رسول الله صلى الله عليه وسلم و من استضعفته قريش من المؤمنين ، أتبع
 سبحانه ذلك بما قصه على نبيه من تطهير^٧ ما أشار إليه من قصة بني إسرائيل
 و ابتداء امتحانهم بفرعون . و استيلائه^٨ عليهم ، و فكك بهم إلى [أن -]^٩ ١٥

(١) في ظ : ما لا تراه (٢) في ظ و مد : الكل (٣) من ظ و مد ، و في الأصل :
 ذلك (٤) من ظ و مد ، و في الأصل : سياقتها (٥-هـ) سقط ما بين الرقنين من
 ظ و مد (٦) من ظ و مد ، و في الأصل : ما (٧) من ظ و مد ، و في
 الأصل : متمرديهم (٨) من ظ و مد ، و في الأصل : نظير (٩) في ظ :
 استيلائهم (١٠) زيد من ظ و مد .

أعزم الله وأظهرهم على عدوهم ، وأورثهم أرضهم وديارهم ، ولهذا أشار
 تعالى في كلا القصتين بقوله [في الأولى - ١] ” سيربكم آيته فتعرفونها “
 وفي الثانية بقوله ” وترى فرعون وهامان وجودهما منهم ما كانوا
 يحذرون “ ثم قص ابتداء أمر فرعون وحذره واستخصامه بقتل ذكور
 الأولاد ثم لم يغن ذلك عنه من قدر الله شيئا ، ففي حاله عبرة لمن وفق
 للاعتبار ، ودليل على أنه سبحانه المنفرد بملكه ، يؤتي ملكه من يشاء ،
 وينزع من يشاء ، لا يزعه وازعه ، ولا يمنعه عما يشاء مانع ، ” قل الله
 مالك الملك “ وقد أفصح قوله تعالى ” وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا
 الصالحات ليستخلفنهم في الأرض “ - الآية بما أشار إليه مجمل ما أوضحنا
 ١٠ اتصاله من خاتمة النمل و فاتحة القصص ، ونحن نزيده بيانا بذكر لمع
 من تفسير ما قصد التحامه فنقول : إن قوله تعالى معلما لئيه صلى الله عليه
 وسلم وآمرا ” انما امرت ان اعبد “ إلى قوله ” سيربكم آيته “ لا خفاء
 بما تضمن ذلك من التهديد ، و شديد الوعيد ، ثم في قوله ” رب هذه
 البلدة “ إشارة^١ إلى أنه عليه الصلاة والسلام سيفتحها ويملكها ، لأنه
 ١٥ بلد ربه وملكه ، وهو عبده ورسوله ، وقد اختص برسالاته ، وله كل
 شيء ، فالعباد والبلاد ملكه ، ففي هذا من الإشارة مثل ما في قوله تعالى
 (١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، وفي الأصل : استعصاه (٣) من
 ظ و مد ، وفي الأصل : وقف (٤) سقط من ظ و مد (٥) في ظ : نازع .
 (٦) من ظ و مد ، وفي الأصل : هم (٧) في ظ : كما (٨) من ظ و مد ،
 وفي الأصل : اشار .

” ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد“ وقوله تعالى ” وان
 اتلوا القرآن“ أى لیسعوه فيتذكروا ويتذكروا من سبقت له السعادة،
 ويلتفت سنة الله فى العباد والبلا، ويسمع ما جرى لمن عاند وعنى
 وكذب واستكبر، فكيف وقصه [الله - ٢] وأخذه ولم يفتن عنه
 حذره، وأورث مستضعف عباده أرضه ودياره، ومكن لهم فى الأرض
 وأعز رسله وأتباعهم ” تلوا عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون“
 أى يصدقون ويعتبرون ويستدلون، ويستوضحون، وقوله ” سيريكم
 آيته“ يشير إلى ما حل بهم يوم بدر، وبعد ذلك إلى يوم فتح مكة،
 وإذعان من لم يكن يظن اقياده، وإهلاك من طال تمرده وعناده،
 واقتياد العرب بجملتها بعد فتح مكة ودخول الناس فى الدين أفواجا، ١٠
 وعزة أقوام وذلة آخرين، / بحاكم ” ان اكرمكم عند الله اتقكم“ إلى أن
 فتح الله على الصحابة رضوان الله عليهم ما وعدهم به نبيهم صلى الله
 عليه وسلم، فكان كما وعد، فلما تضمنت هذه الآية ما أشير إليه،
 أعقب بما هو فى قوة أن لو قيل: ليس عتوكم بأعظم من عتو فرعون
 وآله، ولا حال مستضعف المؤمنين بمكة عن قصدتم فتنه فى دينه بدون ١٥
 حال بنى إسرائيل حين كان فرعون يمتحنهم بذبح أبنائهم. فهلا تأملتم عاقبة
 الفريقين، وسلكتهم أنجح الطريقين؟ ” أفلم يسيرا فى الأرض فينظروا كيف
 (١ - ١) فى ظ و مد: فيتذكر (٢) من ظ و مد، وفى الأصل: وقد قصه.
 (٣) زيد من ظ و مد (٤ - ٤) من مد، وفى الأصل و ظ: فيستوضحون.
 (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و مد، وفى الأصل: الآى (٧) من ظ و مد،
 وفى الأصل: فتنه.

كان عاقبة الذين من قبلهم“ - إلى قوله، ”فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون“
فلو تأملتم ذلك لعلمتم أن العاقبة للتقوي، فقال سبحانه بعد افتتاح
السورة **أب** فرعون علا في الأرض، ثم ذكر^١ من خبره ما فيه
عبرة، وذكر سبحانه آياته الباهرة في أمر موسى عليه السلام
و حفظه ورعايته^٢ وأخذ أم عدوه إياه ”عسى أن يتفنا أو نتخذ
ولدا“ فلم ينزل يذبح الأبناء خيفة من مولود يهتك ملكه حتى
إذا كان ذلك المولود تولى بنفسه تربيته وحفظه وخدمته ليعلم
لمن التدبير والإمضاء، وكيف تفوذ سابق الحكيم والقضاء، فهلا
سألت قريش وسمعت وفكرت واعتبرت ”أو لم تأتهم بينة ما في الصحف
الاولى“^٣ ثم أتبع سبحانه ذلك بخروج موسى عليه السلام من أرضه فخرج
منها خائفا يترقب، وما ناله عليه السلام في ذلك الخروج من عظيم
السعادة، وفي ذلك منبهة^٤ لرسول الله صلى الله عليه وسلم على خروجه
من مكة وتزوية له وإعلام بأنه تعالى سيعيده إلى بلده ويفتحه عليه،
وبهذا المستشعر من هنا صرح آخر السورة في قوله تعالى ”إن الذي
١٥ فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد“ وهذا كاف فيما قصد - انتهى .
ولما كان كأنه قيل : ما هذا المقصود من هذا النبأ ؟ قال :
﴿ ان فرعون ﴾ ملك مصر الذي ادعى الإلهية ﴿ علا ﴾ أى بادعائه
الإلهية وتجبره على عباد الله وقهره لهم ﴿ في الارض ﴾ [أى لآنا
جمعنا عليه الجنود فكانوا معه إلبا^٢ واحدا فأخذنا بذلك كلمته -^٣] ،
(١-١) في مد : خبره (٢) من ظ و مد ، وفي الأصل : تهتة (٣) في ظ : الها -
خطأ (٤) زيد من ظ .

وهي [و- '] إن كان المراد بها أرض مصر ففي إطلاقها ما يدل^٢ على تنظيمها وأنها بجميع الأرض في اشتغالها على ما قل أن يشتمل عليه غيرها .

[ولما كان التقدير بما دل عليه العاطف : فكفر تلك النعمة ،

عطف عليه قوله - '] : (وجعل) (بما جعلنا له من نفوذ الكلمة - '] ٩
(اهلها) أى الأرض المرادة (شيعا) أى فوقا يقبع كل فرقة شيئا وتنصره ، والكل تحت قهره وطوع أمره ، قد صاروا معه كالشيعاء ، وهو دق الخطب ، فرق بينهم لثلاثا يتأثروا عليه ، فلا يصل إلى ما يريده منهم ، [فافترقت كلمتهم فلم يحم بعضهم لبعض فتخاذلوا فسفل أمرهم ، فالآية من الاحتباك ، ذكر العلو أولا دليلا على السفول ثانيا ، والافتراق ١٠
ثانيا دليلا على الاجتماع أولا - '] ، جعلهم كذلك حال كونه (يستضعف)
أى يطلب ويوجد أن يضعف^٣ ، أو هو استئناف (طائفة منهم)
وهم : بنو إسرائيل الذين^٤ كانت حياة جميع أهل مصر على يدى واحد منهم ، وهو يوسف عليه السلام . وفعل معهم من الخير ما لم يفعله والد مع ولده ، ومع ذلك كافؤه فى أولاده وإخوته بأن استعبدوهم ، ١٥
ثم ما كفاهم ذلك حتى ساموهم على يدى هذا العنيد^٥ سوء العذاب^٦ فبا
بأنى^٧ الغرباء بينهم قديما وحديثا ، ثم بين سبحانه الاستضعاف بقوله :

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : يول (٣) فى ظ و مد : يستضعف (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : هو (٥) فى ظ و مد : الذى (٦) فى ظ : العبيد (٧-٧) من مد ، وفى الأصل : فيما فحل ، وفى ظ : فاما الى الحال - كذا .

نظم الدرر (سورة القصص ٢٨: ٤-٦) ج - ١٤

(يذبح) أى تذييعا كثيرا (ابن آدم) أى عند الولادة، وكل بذلك
 أناسا ينظرون كلما ولدت امرأة ذكرا فجموه خوفا على ملكه زعم
 من مولود منهم (ويستحي نساءهم) أى يريد حياة الإناث فلا يذبحهن.
 ولما كان هذا أمرا متاهيا في الشناعة، ليس مأمورا به من جهة
 ٥ شرع ما، ولا له فائدة أصلا، لأن القدر - على تقدير صدق من
 أخبره - لا يردده الحذر، قال تعالى مينا لقبه، شارحا لما أفهمه ذلك
 من حاله: (انه كان) أى كونا راسخا (من المفسدين) / أى الذين
 لهم عراقة في هذا الوصف، فلا بدع أن يقع منه هذا الجزئ المندرج
 تحت ما هو قائم به من الأمر الكلى.

١٠ ولما كان التقدير كما أرشد إليه السياق لمن يسأل عن سبب فعله
 هذا العجيب: يريد بذلك زعم دوام ملكه بأن لا يسلبه إياه واحد منهم
 أخبره بعض علمائه أنه يغلبه عليه ويستغنى عنه من العبودية، عطف
 عليه قوله يحكى تلك الحال الماضية: (ونريد) أو هي حاله، أى
 يستضعفهم والحال أنا نريد في المستقبل أن نقويهم. أى يريد دوام
 ١٥ استضعافهم حال إرادتنا ضده من أنا نقطع ذلك بارادة (ان نحن)
 أى نعطي بقدرتنا وعلنا ما يكون جذرا بأن نمسك به
 (١) من ظ و مد، وفي الأصل: مند (٢) من ظ و مد، وفي الأصل:
 اولدت (٣) زيد في الأصل: النساء، ولم تكن الزيادة في ظ و مد فخذناها.
 (٤) من ظ و مد، وفي الأصل: اضره (٥) من ظ و مد، وفي الأصل: الخزي.
 (٦) سقط من ظ و مد (٧) من ظ و مد، وفي الأصل: اى (٨) من ظ
 و مد، وفي الأصل: ان (٩) في ظ و مد: نمن.

(على الذين استضعفوا) أى حصل استضعافهم و هان هذا الفعل الشنيع ولم^١ يراقب فيهم مولاىم (فى الارض) أى أرض مصر [قتلوا و أهينوا ، و زبهم فى أنفسهم و أعدائهم وفق ما يحبون و فوق ما يأملون - ٣] (و نجعلهم ائمة) أى مقدمين فى الدين و الدنيا ، علماء يدعون إلى الجنة عكس ما بأتى من عاقبة آل فرعون ، و ذلك مع تصيرنا لهم أيضا بحيث يصلح كل واحد منهم لأن يقصد للملك بعد كونهم مستعبدين فى غاية البعد عنه (و نجعلهم) 'بقوتنا و عظمتنا' (الورثين لا) أى لملك مصر لا يتازعهم فيه أحد من القبط ، و لكل بلد أمرناهم بقصدها ، و هذا إيدان باهلاك الجميع .

ولما بشر بتعليكهم فى سياق دال على مكنتهم . صرح بها فقال : ١٠ (و نمكن) أى نوقع التمكين (لهم فى الارض) أى كلها لاسيا أرض مصر و الشام ، باهلاك أعدائهم و تأييدهم بكليم الله ، ثم بالانبياء من بعده عليهم الصلاة و السلام بحيث نسلطهم بسيدهم على من سوام بما تؤيدهم به من الملائكة و نظهر لهم من الخوارق .

ولما ذكر التمكين ، ذكر أنه مع مغالبة الجبارة : إعلاما بأنه أضخم تمكين فقال : عاطفا على نحو : و نريد ان ناخذ الذين علوا فى الأرض و هم فرعون و هامان و جنودهما - ٢] : (و نرى) أى بما لنا من العظمة (فرعون) أى الذى كان [هذا - ٢] الاستضعاف منه (و هامان)

(١) من ظ ، و فى الأصل ومد : بهذا (٢) فى ظ : لا (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٤ - ٤) فى ظ و مد : بعظمتنا وقوتنا (٥) من مد ، و فى الأصل : يؤيدهم ، و فى ظ : يزيدهم .

نظم الدرر (سورة القصص ٢٨: ٧ و ٦) ج- ١٤

وزيره (و جنودهما)^١ الذين كانوا يتوصلان بهم إلى ما يريدانه من الفساد (منهم) أي المستضعفين (ما كانوا) أي يجد عظيم منهم كأنه غريزة (يحذرون) أي يجددون حذره في كل حين على الاستمرار بقاءة الجد^٢ والنشاط من ذهاب ملكهم بمولود منهم وما يتبع ذلك، قال البغوي^٣: والحذر: التوقي من الضرر. [والآية من الاحتباك: ذكر الاستضعاف أولا دليلا على القوة ثانيا، وإراءة المحذير ثانيا دليلا على إراءة المحبوب أولا، وسر ذلك أنه ذكر المسلي والمرجى ترغيا في الصبر وانتظار الفرج -^٤] .

ولما كان التقدير: فكان ما أردناه، وطاح ما أراد غيرنا، فأولدنا ١٠ من بني إسرائيل الولد الذي كان يحذره فرعون على ملكه، وكان يذبح أبناء بني إسرائيل لأجله، وقضينا بأن يسمى موسى، بسبب أنه يوجد بين ماء وشجر، وزريه^٥ في بيت الذي يحذره ويحتاط لأجله، عطف على هذا المعلوم التقدير أول نعمة من بها على الذين استضعفوا فقال: (و اوحينا) أي أوصلنا بعظمتنا بطريق خفي، الله أعلم به هل هو ملك ١٥ أو غيره، إذ لا بدع في تكليم الملائكة الولي من غير نوبة (إلى أم موسى) أي الذي أمضينا في قضائنا أنه^٦ يسمى بهذا الاسم، وأن يكون هلاك فرعون

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ و مد (٢) في ظ: الحذر (ب) في معالم التنزيل - راجع هامش لباب التأويل ١٣٤/٥ (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٥) من ظ و مد، وفي الأصل: بسبب (٦) من ظ و مد، وفي الأصل: يريه (٧) من مد، وفي الأصل و ظ: ان .

و زوال

وزوال ملكه على يده ، بعد أن ولدته وخافت أن يذبحه
الذباحون ﴿ ان ارضيه ج ﴾ ما كنت آمنة عليه ، وحق لها^١ طلبهم
لذبحه بقوله^٢ : ﴿ فاذا خفت عليه ﴾ أى منهم أن يصيح فيسمع فيذبح
﴿ فإلقه ﴾ أى بعد أن تضعه فى شئ يحفظه^٣ من الماء ﴿ فى اليم ﴾
[أى النيل ، واركى رضاعه^٤ -] ، وعرفه وسماه يما - و اليم : البحر - لعظمته^٥
على غيره من الأنهار بكبره وكونه من الجنة ، وما يحصل به من المنافع ،
وعدل عن لفظ البحر إلى اليم لأن القصد فيه أظهر من السعة ؛ قال الرازى
فى اللوامع : وهذا إشارة إلى الثقة بالله ، والثقة سواد عين التوكل ، ونقطة
دائرة التفويض ، وسويداء / قلب التسليم ، ولها درجات : الأولى ، درجة
الأياس ، وهو أياس العبد من^٦ مقاواة الأحكام ، ليقعد عن منازعة^{١٠}
الإقسام ، فيتخلص من صحة الإقدام ؛ والثانية درجة الأمن^٧ ، وهو أمن^١
العبد من فوت المقدور ، وانتقاص المسطور ، فيظفر بروح الرضى
وإلا فبعين اليقين ، وإلا فباطف الصبر ؛ والثالثة معاينة أولية الحق
[جل جلاله -^٨] ، ليتخلص من محن المقصود ، وتكاليف الحمايات ،
والتعرج على مدارج الوسائل . ﴿ ولا تخافى ﴾ أى لا يتجدد لك خوف^{١٥}
أصلا من أن يفرق [أو يموت من ترك الرضاع وإن طال المدى -^٩]
أو^{١١} يوصل إلى أذاه ﴿ ولا تحزنى ج ﴾ أى ولا يوجد لك حزن^٨
لوقوع فراقه .

(١) فى ظ : لهم (٢) فى ظ و مد : فقال (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : تحفظه .

(٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : عن (٦-٦) سقط ما

بين الوقين من ظ (٧) فى ظ : ان (٨) فى ظ : خوف .

ولما كان الخوف عما يلحق المتوقع^١، والحزن عما يلحق الواقع^٢،
 علل^٣ نهيهِ عن الأمرين، بقوله في جملة اسمية دالة على الثبات والديموم،
 مؤكدة لاستبعاد مضمونها: (انا رآدوه اليك) فأزال مقتضى الخوف والحزن؛
 ثم زادها بشرى لا تقوم لها^٤ بشرى^٥ بقوله: (وجاعلوه من المرسلين هـ)
 هـ أى الذين هم خلاصة المخلوقين، [والآية من الاحتباك، ذكر الإرضاع
 أولا دليلا على تركه ثانيا، والخوف ثانيا دليلا على الأمن أولا، وسره
 أنه ذكر المحبوب لها تقوية لقلبها وتسكيناً^٦ لرعبها -^٧] .

ولما كان الوحى إليها بهذا سببا لإلقائه في البحر، وإلقاؤه سببا
 لالتقاطه، قال: (فالتقطه) أى فأرضعته^٨ فلما خافت عليه صنعت له
 ١٠ صندوقا وقيوته لئلا يدخل إليه الماء وأحكمت وأودعته فيه وألقته في
 بحر النيل، وكان بيتها^٩ كان فوق بيت فرعون، فساقه الماء إلى قرب
 بيت فرعون، فتعوق بشجر هناك، فتكلف جماعة فرعون التقاطه^{١٠}، قال
 البغوى^{١١}: و الالتقاط وجود الشيء من غير طلب . (آل فرعون)
 بأن أخذوا الصندوق، فلما فتحوه وجدوا موسى عليه السلام فأحبوه لما
 ١٥ ألقى الله تعالى عليهم من محبته فاتخذوه ولدا وسموه موسى، لأنهم وجدوه

(١) من ظ ومد، وفي الأصل: لتوقع (٢) من مد، وفي الأصل: لواقع،
 وفي ظ: اذا رقع - كذا (٣) في مد: ذكر (٤) من ظ ومد، وفي الأصل:
 له (٥) سقط من ظ ومد (٦) من ظ، وفي مد: تمكينا (٧) زيد من ظ ومد.
 (٨) من ظ ومد، وفي الأصل: فأرضعت (٩) من ظ ومد، وفي الأصل:
 بينما (١٠) زيدت الواو في ظ (١١) راجع معالم التنزيل بهامش الباب ١٣٦/٥.

في ماء و شجر، و مو بلسانهم : الماء، و سا : الشجر .
 و لما كانت عاقبة أمره إهلاكهم، و كان العاقل^١ لاسيما المتحذلق،
 لا ينبغي له^٢ أن يقدم على شيء حتى يعلم عاقبته فكيف إذا كان يدعى
 أنه إله . عبر سبحانه بلام العاقبة التي معناها التعليل، تهكما بفرعون
 - كما مضى بيان مثله غير مرة - في قوله : (ليكون لهم عدرا) أي ه
 بطول خوفهم منه بخالفته لهم في دينهم و حلهم^٣ على الحق (و حزنا^٤)
 أي بزوال ملكهم، لأنه يظهر فيهم الآيات التي يهلك الله بها من يشاء
 منهم، ثم يهلك^٥ جميع أبنائهم فيخلص^٦ [جميع^٧ -] بني إسرائيل منهم،
 ثم يظهر بهم كلهم . فيهلكهم الله بالفرق على يده إهلاك نفس واحدة،
 فيعم الحزن و النواح أهل ذلك الإقليم كله، فهذه اللام للعة استعيرت ١٠
 لما أنتجته العلة التي قصدوها - وهي التنبى و قرعة العين - من الهلاك،
 كما استعير الأسد للشجاع فأطلق عليه، قويل : زيد أسد . لأن فعله كان
 فعله، و المعنى على طريق التهكم أنهم ما أخذوه إلا لهذا الغرض، لآنا
 نحاشيهم من الإقدام على ما لا يعلمون آخر أمره .

و لما كان^٨ لا يفعل هذا الفعل^٩ إلا أحق مهتور^{١٠} أو مغفل مخذول ١٥
 لا يكاد يصيب على^{١١} ذلك بالأميرين فقال : (ان فرعون و هامان و جنودهما)

- (١) في ظ : العاقل، و في مد : العاقل - كذا (٢) - سقط من ظ و مد (٣) في
 ظ : جهلهم (٤) في ظ : اهلك (٥) من مد، و في الأصل و ظ : فيخلص .
 (٦) زيد من ظ و مد (٧ - ٧) في ظ و مد : هذا لا يفعله (٨) من مد، و في
 الأصل : مهتور، و في ظ : مهتور (٩) من ظ و مد، و في الأصل : تخلل .

أى كلهم على طبع واحد ﴿ كانوا خطئين ﴾ أى دأبهم تعمد الذنوب .
و الضلال عن المقاصد ، فلا بدع فى خطاتهم فى أن يربّوا من لا يذبحون
الآباء إلا من أجله ، مع القرآن الظاهرة فى أنه من بنى إسرائيل الذين
يذبحون أبناءهم ؛ قال فى الجمع بين العباب و المحكم : قال أبو عبيد : أخطأ
ه و خطأ - لفتان بمعنى واحد ، و قال ابن عرفة : يقال : خطأ فى دينه و أخطأ -
إذا سلك سبيل خطأ عامداً أو غير عامد . و قال الاموى : المخطئ من
أراد الصواب فصار إلى غيره ، و الخاطئ : من تعمد ما لا ينبغي ، و قال
ابن ظريف فى الأفعال : خطئ الشيء خطأ و أخطأه : لم يصبه .

ولما أخبر تعالى عن آخر أمرهم معه ، تخفيفاً على السامع بجمع طرفي
١٠ القصة إجمالاً وتشويقاً إلى تفصيل ذلك الإجمال ، وتعجيلاً بالتعريف بخطائهم
ليكون جهلهم الذى هو أصل شقائهم مكتسفاً لأول الكلام و آخره ، / أخبر
عما قبل عند النقطة فقال " عاطفاً على " فالتقطه : ﴿ وقالت امرأت فرعون ﴾
أى لفرعون لما أخرجه من * التابوت ، وهى تلى قضى الله أن يكون لها
سعادة ، وهى آسية بنت مزاحم إحدى نساء بنى إسرائيل - نقله البغوى :
١٥ ﴿ قرت عين لى ﴾ أى به ﴿ ولك * ﴾ أى يا فرعون .

ولما أثبت له أنه بمن تقر به العيون ، أنتج ذلك استبقائه ، ولذلك

(١) زيد بعده فى الأصل : كان ذلك ، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد فحذفناها .
(٢) من مد ، وفى الأصل و ظ : تحقيقاً (٣) سقط من ظ ومد (٤) من
ظ ومد و القرآن الكريم . وفى الأصل : قال (٥) من مد ، وفى الأصل
و ظ : عن (٦) فى معالم التنزيل - راجع هـ مشى الباب ١٣٦/٥ .

نهت^١ عن قتله و خافت أن تقول : لا تقتله^٢ ، فيجيبها حاملا له على الحقيقة
ثم يأمر بقتله ، و يكون مخلصا له عن الوقوع في إخلاف الوعد ، فجمعت
قائلة : (لا تقتلوه ^٣) أى^٤ أنت بنفسك ولا أحد^٥ من تأمره بذلك ؛
ثم علكت ذلك أو استأنقت فقال : (عسى^٦) أى يمكن ، وهو جدير
وخلق (أن ينفعنا) أى لما أنخيل فيه من النجاة ولو كان له
أبوان معروفان (أو تتخذة ولدا) إن لم يعرف له أبوان ، فيكون
نفعه أكثر ، فانه أهل لأن ينشرف به الملوك .

ولما كان هذا كله فعل من لا يعلم ، فلا يصح كونه إلها ، صرح
بذلك تسفيها لمن أطاعه في ادعاء ذلك فقال : (وم) أى تراجعوا
هذا القول والحال أنهم (لا يشعرون^٧) أى لا شعور لهم أصلا ، ١٠
لأن من لا يكون له علم إلا بالاكْتِسَاب فهو كذلك ، فكيف إذا
كان لا يهذب نفسه باكتسابه ، فكيف إذا كان مطبوعا على قلبه ،
وإذا كانوا كذلك فلا شعور لهم بما يؤل إليه أمرهم معه من الأمور
الحائلة المؤدية إلى هلاك المفسدين ليعملوا^٨ لذلك أعماله من الاحتراز
منه بما ينجيهم .

١٥

ولما أخبر عن حال من لقيه ، أخبر عن حال من فارقه ، فقال :
(واصبح) أى عقب الليلة التي حصل فيها فراقه (فؤاد ام موسى)
أى قلبها الذى زاد احتراقه شوقا و خوفا و حزنا ، وهذا يدل على أنها
ألقته ليلا (فرغاً^٩) أى فى غاية الذعر لما جبلت عليه من أخلاق البشر ،

- (١) من ظ و مد ، وفى الأصل : نهيت (٢) زيد فى مد : لا تقتلوه (٣) سقط
من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : احدا (٥) فى ظ و مد : كان .
(٦) من مد ، وفى الأصل : ليعلموا ، وفى ظ : لعلوا .

قد ذهب منه^١ كل ما فيه من المعاني المقصودة التي من شأنها ان
يربط عليها^٢ الجأش؛ ثم وصل بذلك مستأنفا قوله: (ان) أى إنه
(كادت) أى قاربت (لتبدى) أى يقع منها الإظهار لكل ما كان
من أمره، مصرحة (به) أى بأمر موسى عليه السلام^٣ من أنه^٤ ولدها
و نحو ذلك بسبب فراغ فوادها من الأمور المستكنة، و توزع فكرها
في^٥ كل واد (لولا ان ربطنا) بعظمتنا (على قلبها) بعد أن رددنا
إليه^٦ المعاني الصالحة التي أودعناها فيه، فلم تعلق^٧ به لأجل ربطنا عليه
حتى صار كالجراب الذي ربط فيه حتى لا يخرج شيء مما فيه؛ ثم علل
الربط بقوله: (لتكون) أى كونا هو كالفريزة^٨ لها (من المؤمنين) .
١٠. أى المصدقين بما وعد الله^٩ به من نجاته^{١٠} و رسالته، الواقفين بذلك .

ولما أخبر عن كتها^{١١}، أتبعه الخبر "عن فعلها" في تعرف خبره
الذي أطار خفاؤه [عليها - ١٢] عقلها، فقال عاطفا على "واصبح"
(وقالت) أى أمه (لاخته) أى بعد أن أصبحت على تلك الحالة،
قد خفي عليها أمره: (قصيه ذ) أى اتبعي^{١٣} أثره و تشمعي خبره برا و بحراً،

(١) سقط من ظ (٢) سقط من ظ ومد (٣-٣) من ظ ومد، وفي الأصل:
بانه (٤) في ظ ومد: من (٥) زيد بعده في الأصل: من، ولم تكن الزيادة
في ظ ومد لحدتها (٦) من مد، وفي الأصل و ظ: لم تعلق .
(٧) في ظ ومد: الفريزة (٨) من ظ ومد، وفي الأصل: لا (٩-٩) من ظ
ومد، وفي الأصل: عليه من نجاته (١٠) من ظ ومد، وفي الأصل: كتبها .
(١١ - ١١) في مد: بفعلها (١٢) زيد من ظ ومد (١٣) من ظ ومد، وفي
الأصل: ابتنى .

فعلت (فبصرت به عن جنب) أى بعد من غير مواجهة . ولذلك^١
قال : (وهم لا يشعرون لا) أى ليس لهم شعور لا بنظرها ولا بأنها أخته ،
بل هم فى صفة الغفلة التى هى فى غاية البعد عن رتبة الإلهية .

ولما كان ذلك أحد الأسباب فى [رده -^٢] ، ذكر فى جملة حالة

سيا آخر قريبا منه^٣ فقال : (وحرمتنا) أى منعنا بعظمتنا / التى لا يتخلف ه / ٨

أمرها ، و يتضاءل كل شئ دونها (عليه المراضع) جمع مرضعة ،
وهى من تكثرى للرضاع من الأجانب ، أى حكمتنا بمنع من الارتضاع
منهن ، استعار التحريم للنع لأنه منع فيه رحمة ؛ قال الرازى فى اللوامع :
تحريم منع لا تحريم شرع .

ولما كان قد ارتضع من أمه من حين ولده إلى حين إلقائه فى ١٠

اليم ، فلم يستغرق التحريم الزمان الماضى ، أثبت الجار فقال : (من قبل)
أى قبل أن تأمر أمه أخته بإمرتها به و بعد إلقائها^٤ له ، ليكون ذلك
سيا لرده^٥ إليها ، [فلم يرضع من غيرها فأشفقوا عليه فأتتهم أخته فقالوا
لها : هل عندك مرضعة تدلينا عليها لعله يقبل ثديها -^٦] ؟ (فقال) أى

فدنت أخته منه^٧ بعد نظرها له فقالت لهم لما رأتهم فى غاية الاهتمام ١٥

برضاعه لما عرضوا عليه المراضع فابى أن يرتضع من واحدة منهن :

(هل) لكم حاجة^٨ فى أى^٩ (ادلکم على اهل بيت) ولم يقل :

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل : لذا (٢) زيد من ظ و مد (٣) سقط من ظ

و مد (٤) فى ظ و مد : هن (ه) فى ظ و مد : القايه (٥) من ظ و مد ، وفى

الأصل : لرده (٦) فى ظ و مد : من (٨ - ٨) فى ظ و مد : باني .

على امرأة، لتوسع دائرة الظن (يكفلونه لكم) اى يأخذونه ويعولونه
 و يقومون بجميع مصالحه من الرضاع وغيره لاجلكم، وزادتهم رغبة
 بقولها: (وهم له نصحون) اى ثابت نصيحهم له، لايفشونه نوحا من
 الغش؛ قال البغوى^١: و النصح ضد الغش، وهو تصفية العمل من شوائب
 الفساد فكادت بهذا الكلام تصرح^٢ بأن المدلول عليها أمه، فارتابوا من
 كلامها فاعتذرت بانهم يعملون^٣ ذلك تقربا إلى [الملك -^٤] وتحييا^٥ إليه
 تعززا به، فظنوا ذلك، وهذا و أمثاله يبان من الله تعالى لأنه لا يعلم أحد في
 السموات و الأرض الغيب^٦ إلا هو سبحانه، فلا يصح أن يكون غيره إلها.
 فلما سكنوا^٧ إليها طلبوا^٨ أن تدلهم، فأنت بأمها [فأحللتها رضاعها -^٩]
 ١٠ فأخذ ثديها فقالوا: أقمي^{١٠} عندنا، فقالت: لا أقدر على فراق يتي، "إن
 رضيتم أن أكفله في يتي" و إلا فلا حاجة لى، وأظهرت الزهد^{١١} فيه نفيا
 للهمة، فرضوا بذلك فرجعت به إلى بيتها، [و الآية^{١٢} من الاحتباك: ذكر
 التحريم أولا دليلا على الإحلال ثانيا، واستفهام أخته ثانيا دليلا على استفهامهم
 لها أولا^{١٣}، وسره أن ذكر الأغرب من أمره الأدل على القدرة -^{١٤}]

(١) راجع معالم التنزيل بهامش لباب التأويل ١٣٧/٥ (٢) من ظ و مد، وفي
 الأصل: مقترح (٣) من ظ و مد، وفي الأصل: يعلمون (٤) زيد من ظ
 و مد (٥) من ظ و مد، وفي الأصل: تحننا (٦) زيد في الأصل: الله الا،
 ولم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٧) من ظ و مد، وفي الأصل: سكتوا.
 (٨) في ظ: ظنوا (٩) من ظ و مد، وفي الأصل: اقيموا ١٠١ - ١٠٠ سقط
 ما بين الرقيين من مد (١١) في ظ و مد: الزهد (١٢) زيد في ظ: فيها -
 (١٣) في مد: ثانيا .

ولذلك سبب عما مضى قوله : ﴿ فرددته ﴾ أى مع هذا الظاهر
 فى الكشف لسره الموجب للريسة فى أمره ، ومع ما تقدم
 من القرائن^١ التى يكاد يقطع بها بأنه من بنى إسرائيل ، منها إلقاؤه
 فى البحر على تلك الصفة ، ومنها [أن -^٢] المدلول عليها لإرضاعه من
 بنى إسرائيل ، ومنها أنه قبل ثديها دون غيرها من القبط وغيرهم ، بأيدنا ه
 الذى لا يقاويه أيد ، ولا يدانى ساحته شئ من مكر ولا كيد ،
 من يد العدو الذى ما ذبح طفلا إلا رجاء الوقوع عليه ، والخلاص
 بما^٣ جعل فى سابق العلم إليه ﴿ الى أمه ﴾ وكان من أمر الله - والله
 غالب على أمره - أنه^٤ استخدم لموسى - كما قال الرازى - عبده فى
 كفاله وهو يقتل العالم^٥ لأجله ؛ ثم علله بقوله : ﴿ كى تفر عينها ﴾ ١٠
 أى تبرد وتستقر عن الطرف فى تطلبه إلى كل جهة وتنام بارضاعه
 وكفاله فى بيتها ، آمنة لا تخاف ، وقرة العين بردها ونومها خلاف
 سخطها^٦ وسهرها بادامة تقلبيها ، قرت^٧ عينه تفر - بالكسر والفتح -
 قرة ، وتضم ، وقرورا^٨ : بردت سرورا وانقطع بكأوها ، أو^٩ رأت ما
 كانت متشوفة إليه ، وأقر الله عينه وبعينه ، وعين قرية وقارة ، ١٥

(١) فى ظ : اقرآن (٢) زيد من ظ ومد (٣) فى ظ : ما (٤) من ظ ومد ،
 وفى الأصل : ان (٥) فى ظ : الفا - كذا (٦) فى مد : سخطها (٧) من ظ
 ومد والقاموس . وفى الأصل : قر (٨) من ظ ومد والقاموس ، وفى
 الأصل : قرور (٩) زيد فى الأصل : كانت ، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد
 لخذفها .

نظم الدرر (سورة القصص ٢٨ : ١٣ و ١٤) ج - ١٤

و قررتها ما قرت به ، و قرأ بالمكان يقر - بالفتح والكسر - قرارا^١
 و قرورا و قرا و تقررة : ثبت و استكن ، و أصل قررة العين من القر
 و هو البرد ، أى بردت فصحت و نامت^٢ خلاف^٣ سحنة عينه ، و قيل :
 / من القرار ، أى استقرت عيني^٤ ،^٥ و قالوا^٦ : دمة الفرح باردة ، و دمة
 / ٩ الحزن حارة ، فعنى أقر الله عينك من الفرح و أسخنها من الحزن ، و هذا
 قول الأصمى ، و قال أبو العباس : ليس كما ذكر الأصمى بل كل دمع
 حار ، فعنى أقر الله عينك : صادفت^٧ سرورا فامت و ذهب سهرها ،
 و صادفت ما يرضيك ، أى بلغك الله أقصى أملك حتى تقر عينك من
 النظر إلى غيره استغناء و رضا بما في يديك ، قالوا : و معنى قولهم : هو
 ١٠ قررة عيني : هو رضى نفسى ، فهى تقر و تسكن بقربه فلا تستشرف إلى
 غيره (زولا) أى و كيلا (تحزن) أى بفراقه (و لتعلم) أى علما
 هو عين^٨ اليقين ، كما كانت عالمة به علم اليقين ، و علم شهادة كما كانت
 عالمة علم غيب^٩ (ان وعد الله) أى الامر الذى وعدها به الملك
 الأعظم الذى له السكال كله فى حفظه و إرساله (حق) أى هو فى
 ١٥ غاية الثبات^{١٠} فى مطابقة الواقع إياه^{١١} . ولما كان العلم هو النور الذى

(١) من ظ و مد و القاموس . وفى الأصل : قرا (٢) من ظ و مد و القاموس ،
 وفى الأصل : قرار (٣) فى ظ : قامت (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل :
 خاف (٥) ليس فى مد (٦ - ٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : قالوا (٧) فى ظ :
 صارت (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : علم (٩) فى ظ و مد : الغيب .
 (١٠ - ١٠) سقط ما بين الرقنين من ظ و مد .

من قدده لم يصح منه عمل ، و لم ينتظم له قصد ، قال عاتقا على ما تقدّره :
 ضلّت ذلك برده عين اليقين بعد علم اليقين : (و لكن اكثرم) أى
 أكثر آل فرعون و غيرهم (لا يعلمون) أى لا علم لهم أصلا ، فكيف
 يدعون ما يدعون من الإلهية و الكبرياء على من يكون الله معه .

ولما استقر الحال ، على هذا المتوال ، علم أنه ليس بعده إلا الخير ه
 و الإقبال ، و العز بتبني فرعون له و الجلال ، فترك ' ما بينه و بين '
 السن الصالح للإرسال ، [و - ٢] قال مخبرا عما بعد ذلك من الأحوال :
 (ولما بلغ أشده) أى مجامع قواه و كالاته ' (و استوى) أى اعتدل
 فى السن و تم استحكامه ' بانهاء الشباب ، و هو من العمر ما بين إحدى
 و عشرين سنة إلى اثنتين و أربعين ، فتم بسبب ذلك فى الخلال ' الصالحة ١٠
 التى طبعناه عليها ، و قال الرازى : قال الجنيد : لما تكامل عقله ، و صحت
 بصيرته ، و صلحت نجيته ، و آن أوان خطابه - انتهى . أى و صار
 إلى الحد الذى لا يزداد الإنسان بعده غريزة من الغرائز لم تكن فيه
 أيام الشباب ، بل لا يبقى بعد ذلك إلا الوقوف ثم التقصان (ثلثه)
 أى خرقا ' للعادة أسوة لإخوانه من الأنبياء ابتداء ' غرائز منحاه إياها من ' ١٥
 غير اكتساب أصلا (حكما) أى عملا محكما بالعلم (و علما) أى

(١) فى ظ و مد : فزل (٢) فى ظ : من (٣) زيد من ظ و مد (٤) فى ظ
 و مد : حالاته (٥) فى مد : احتطامه (٦ - ٧) فى ظ و مد : ستين أو - كذا ،
 و معظم القول فى جامع البيان للطبرى يرجع إلى أن الاستواء أربعون سنة -
 و اجم تفسير الآية المعنية فيه (٧) فى ظ و مد : الحة ١٨ من ظ و مد ، و فى
 الأصل : خرق (٩ - ١٠) فى ظ و مد : غريز منحاه إياه .

مؤيدا بالحكمة، تهية لنبوته، وإرهاصا لرسالته، جزيناه بذلك على ما
 طبعناه عليه من الإحسان، فضلا منا ومنه، واختار [الله - ١] سبحانه
 هذا السن للارسال ليكون - كما أشير إليه - من جملة الخوارق، لأنه
 يكون به ابتداء الانتكاس الذي قال الله تعالى فيه "ومن نعمه" - أى إلى
 ٥ اكتمال^٢ سن الشباب - تنكسه في الخلق "أى توقفه، فلا يزداد
 [بعد ذلك - ١] في قواه الظاهرة ولا^٣ الباطنة شئ، ولا توجد^٤ فيه
 غريزة لم تكن موجودة أصلا عشر سنين، ثم يأخذ في النقصان - هذه
 عادة الله في [جميع - ١] بنى آدم [إلا - ١] الأنبياء، فانهم في حد الوقوف
 يؤتون من^٥ بحار العلوم ما يقصر عنه الوصف بغير اكتساب، بل غريزة
 ١٠ يفرزها الله فيهم حيث، ويؤتون من قوة الأبدان أيضا بمقدار ذلك،
 ففي وقت انتكاس غيرهم يكون نومهم، وكذا من ألحقه الله بهم من
 صالح^٦ أتباعهم، وسيأتى إن شاء الله تعالى في سورة يس من تمام
 هذا المعنى ما يفتح الله به لمن تأمله أبوابا من العلم، ولذلك قال [الله - ١]
 تعالى عاطفا^٧ على ما تقديره: "فعلنا به ذلك"^٨ وبأمره جزاء لهما على
 ١٥ إحسانهما في إخلاصهما فيما يفعلانه اعتمادا على الله وحده من غير أدنى
 / النفات إلى ما سواه: ﴿وكذلك﴾ أى ومثل هذا الجزاء العظيم / ١٠

(١) زيد من ظ ومد (٢) زيد في ظ ومد : تنكسه (٣) من مد، وفي الأصل
 و ظ : اكمال (٤) سقط من ظ ومد (هـ - هـ) من ظ ومد، وفي الأصل :
 توجد - كذا (٦) من ظ ومد، وفي الأصل : في (٧) من مد، وفي الأصل
 و ظ : صالح (٨) زيد من مد (٩) من ظ ومد، وفي الأصل : عطفا
 (١٠ - ١٠) في ظ : فعلنا بذلك .

(نجزى المحسنين ه) أى كلهم .

ولما أخبر بتهيه لنبوته^١، أخبر بما هو سبب لهجرته، و كأنها
سنت بعد إبراهيم عليه الصلاة والسلام فقال : (ودخل المدينة) أى
مدينة فرعون آتيا من قصره، لأنه كان عنده بمنزلة الولد، قال ابن
جرير^٢ : وهى مدينة منف^٣ من مصر، وقال البغوى^٤ : وقيل : عين ه
الشمس . وقيل غير ذلك^٥ (على حين غفلة) قيل بعيد^٦ : وقيل
بغير ذلك (من اهلها) أى^٧ إحكاما لما جعلناه سببا لنقلته منها طهارة
من عشرة القوم الظالمين (فوجد فيها) أى^٨ المدينة (رجلين يقتلن^٩)
أى يفعلان مقدمات القتل من الملازمة مع الحق والضرب، وهما
إسرائيل^{١٠} وقبطى، ولذا قال مجيبا لمن^{١١} كانه يسأل عنهما وهو ينظر ١٠
إليهما : (هذا من شيعته) أى من بنى إسرائيل قومه (وهذا من عدوه ج)
أى القبط، و كان قد حصل لبنى إسرائيل به عز لكونه ربيب
الملك، مع أن مرضعته منهم، لا يظنون أن سبب ذلك^{١٢} الرضاع

- (١) من ظ و مد، وفى الأصل : بالنبوة (٢) فى جامع البيان الجزء ٢٠/٢٦ .
(٣) من ظ و مد و جامع البيان، وفى الأصل : منوف، وزيد بعده فى الأصل :
قرية، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد و الجامع فحذفناها (٤) فى معالم التنزيل -
راجع هامش الباب ٣٨/٥ (٥) فقد قال مقاتل : كانت قرية يقال لها حابين -
راجع المعالم، وقيل : الإسكندرية - راجع البحر المحيط ١٠٩/٧ (٦) قال به
على - راجع المعالم (٧) سقط من ظ و مد (٨) زيد فى ظ و مد : فى (٩) من مد،
وفى الأصل و ظ : اسرائيل (١٠) زيد فى الأصل : الا، ولم تكن الزيادة
فى ظ و مد فحذفناها .

{ فاستغاثه } أى طلب منه { الذى من شيعته } أن يغيثه
 { على الذى من عدوه^١ فوكزه } أى فأجابه { موسى } فوكز أى
 قطع^٢ و دفع^٣ يده العدو أو^٤ ضربه بجميع^٥ كفه، وكأنه كالكم،
 أو دفعه بأطراف أصابعه، وهو رجل أيد^٦ لم يعط أحد من أهل ذلك
 ٥ الزمان مثل ما أعطى من القوى الذاتية والمنوية { قضى } أى
 فأوقع القضاء^٧ الذى هو القضاء على الحقيقة، وهو الموت الذى لا ينجو
 منه بشر { عليه^٨ } قتلته و فرغ منه، و كل شئ فرغت منه فقد قضيته
 وقضيت عليه، وخفى هذا على الناس لما هم فيه^٩ من الغفلة، فلم يشعر به
 أحد منهم.

١٠. ولما كان كأنه قيل: إن هذا الأمر عظيم^{١٠}، فما ترتب عليه من
 قول من أذن حكما وعلما؟ أجيب بالإخبار عنه بأنه ندم عليه فى الحال
 بقوله: { قال } أى موسى عليه السلام: { هذا } أى الفعل الذى جرك إليه
 الإسرائيلى { من عمل الشيطان^{١١} } أى لآنى لم أؤمر^{١٢} به على الخصوص،
 ولم يكن من قصدى وإن^{١٣} كان المقتول كافرا؛ ثم أخبر عن حال
 ١٥ الشيطان بما هو عالم به، مؤكدا له حملا لنفسه على شدة الاحتراس

(١) فى مد: طعن (٢) من ظ و مد، وفى الأصل: رفع (٣) فى ظ "و".
 (٤) فى ظ و مد: بجمع (٥) من ظ و مد، وفى الأصل: يدم أى (٦) زيد فى
 مد: عليه، وتبدو علامة الضرب على الكلمة (٧) سقط من ظ (٨) فى ظ:
 العظيم (٩) من ظ و مد، وفى الأصل: لم ارم (١٠) فى ظ: اذا.

والحذر منه فقال: ﴿انه عدو﴾ ومع كونه عدوا ينبغي الحذر منه فهو ﴿مضل﴾ لا يقود إلى خير أصلا، ومع ذلك فهو ﴿مبين﴾ أي عداوته^١ وإضلاله في غاية البيان، ما في شيء منها^٢ خفاء.

ولما كان هذا كافرا ليس فيه شيء غير الندم لكونه صلى الله عليه وسلم لم يأتيه في قتله إذن خاص، وكان قد أخبر عنه بالندم، هـ تشوفت^٣ أنفس البصراء^٤ إلى الاستغفار عنه، علما منهم بأن عادة الانبياء وأهل الدرجات العلية استعظام الهفوات، فأجيوا بالإخبار عن مبادرته إلى ذلك بقوله: ﴿قال﴾ وأسقط أداة النداء، على عادة أهل الاصطفاء، فقال: ﴿رب﴾ أي أيها المحسن إلى.

ولما كان حال المقدم على شيء^٥ دالة على إرادته فاستحسانه^٦ ١٠ إياه، أكد قوله إعلاما بأن باطنه على غير ما دل عليه ظاهره فقال: ﴿اني ظلمت نفسي﴾ أي بالإقدام على ما لم يتقدم إلى^٧ فيه [إذن-^٨] بالخصوص وإن كان مباحا.

ولما كان المقرب قد يعد حسنة غيره سيئته، قال مسيبا عن ذلك: ﴿فاغفر﴾ أي امح هذه الهفوة عينها وآثرها ﴿لى﴾ أي لأجلي لا تواخذني ١٥ ﴿فغفر﴾ أي أوقع المحو لذلك كما سأل إكراما ﴿له﴾ ثم علل ذلك

- (١) من مد، وفي الأصل وظ: عدوانه (٢) من ظ ومد، وفي الأصل: منها (٣-٢) من مد، وفي الأصل: النفس إلى البصر، وفي ظ: النفس البصر. (٤) سقط من ظ (هـ) من ظ ومد، وفي الأصل: الشيء (٦) من ظ ومد، وفي الأصل: واستحسانه (٧-٧) في مد: يقدم لى (٨) زيد من مد.

نظم الدرر (سورة القصص ٢٨: ١٦ - ١٩) ج - ١٤

بقوله مشيرا إلى أن صفة غيره عدم بالنسبة إلى صفته مؤكدا لذلك:
 ﴿انه هو﴾ أى وحده ﴿الغفور﴾ أى البالغ فى صفة الستر لكل من يريد
 ﴿الرحيم﴾ / أى العظيم الرحمة بالإحسان بالتوفيق إلى الأفعال المرضية
 لمقام الإلهية، و لاجل أن هذه ' صفته، رده ' إلى فرعون وقومه حين
 أرسله^٥ إليهم فلم يقدروا على مواخذته بذلك بقصاص ولا غيره بعد أن
 نجاه منهم قبل الرسالة على غير قياس .

ولما أنعم عليه سبحانه بالإجابة إلى سؤاله، تشوف السامع إلى
 شكره عليها فأجيب بقوله: ﴿قال رب﴾ أى أيها المحسن إلىّ بكل
 جميل . ولما كان جعل الشيء عوضا لشيء أثبت له وأجدر بأداء العزم
 ١٠ عليه قال: ﴿بما أنعمت عليّ﴾ أى بسبب إنعامك عليّ بالمغفرة وغيرها .
 ولما كان فى سياق التعظيم للنعمة، كرر حرف السبب تأكيدا للكلام،
 وتعريفا أن المقرون به مسبب عن الإنعام، وقرنه بأداة النفي الدالة
 على التأكيد فقال: ﴿فلن أكون ظهيرا﴾ أى عشيرا أو خليطا أو^٢
 معينا ﴿للمجرمين﴾ أى القاطعين^١ لما أمر^٣ الله به أن يوصل، أى
 ١٥ لا أكون^٤ بين ظهرائى^٥ القبط، فان فسادهم كثير، وظلهم لعبادك
 أبناء أوليائك متواصل وكبير^٦، لا قدرة لى على ترك نصرتهم،
 وذلك يجر إلى أمثال هذه الفعلة، فلا أصلح من المهاجرة لهم، وهذا
 (١-١) من ظ و مد، وفى الأصل: صفة وده (٢) فى ظ: اوصله (٣) من
 مد، وفى الأصل و ظ "و" (٤-٤) فى ظ: لاسر (٥-٥) فى ظ: ظهراى،
 وفى مد: ظهير (٦) من ظ و مد، وفى الأصل: كثير .

من^١ قول العرب : جاءنا في ظهرته - بالضم و بالكسر و بالتحريك ،
و ظاهرته ، أى عشيرته .

و لما ذكر القتل و أتبعه ما هو الأهم من أمره بالنظر إلى الآخرة ،
ذكر ما تسبب عنه من أحوال الدنيا فقال : ﴿ فاصبح ﴾ أى موسى عليه
الصلاة و السلام ﴿ فى المدينة ﴾ أى التى قتل القتيل فيها ﴿ خائفا ﴾ أى هـ
بسبب قتله له ﴿ يترقب ﴾ أى لازم الخوف كثير الالتفات برقبته ذعرا^٢
من طارقة تطرقه فى ذلك ، قال البغوى^٣ : و الترقب : انتظار المكروه .
﴿ فاذا ﴾ أى فقبضه ﴿ الذى استنصره ﴾ أى طلب نصرته من شيعته
﴿ بالامس ﴾ أى اليوم الذى يلى يوم الاستصراخ من قبله ﴿ يستصرخه ﴾
أى يطلب ما يزيل ما^٤ يصرخ بسببه من الضر^٥ من قبلى آخر كان ١٠
يظله . فكأنه قيل : فإ قال له موسى بعد ما أوقفه فيما يكره ؟ فقيل :
﴿ قال له ﴾ أى لهذا المستصرخ ﴿ موسى ﴾ .

و لما كان الحال متقضيا أن ذلك الإسراء يلى بمكث مدة لا يتخاضم
أحدا خوفا من جريرة^٦ ذلك القتل ، أكد قوله : ﴿ انك لغوى ﴾ أى
صاحب ضلال بالغ ﴿ مبين ﴾ أى راضح الضلال غير خفيه ، لكون ما ١٥
وقع بالامس لم يكفك عن الخصومة لمن لا تطيقه و إن كنت مظلوما ؛
ثم دنا منها لينصره : [ثم قال -^٧] مشيرا بالفاء إلى المبادرة إلى إصراخه : ﴿ فلما ﴾

(١) سقط من ظ (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : ذكرنا (٣) راجع معالم
التنزيل بهامش الباب ١٣٩/٥ (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : من (٥) من
ظ و مد ، و فى الأصل : النصر (٦) زيد لاستقامة العبارة .

وأثبت الحرف 'الذي أصله' المصدر تأكيداً لمعنى الإرادة فقال: (ان أراد) أى شاء^٢، وطلب وقصد مصداقاً ذلك بالمشى (ان يبطش) أى موسى عليه الصلاة والسلام (بالذى هو عدو لها) أى من القبط بأخذه بعنف و سطوة لخلاص الإسرائيل من (قال) أى الإسرائيل النوى^٣ لاجل ما رأى من غضبه و كلبه به من الكلام النص ظانا أنه ما دنا إلا يريد البطش به هو، لما أوقعه فيه لا بعدوه^٤: (ينموسى) ناصا عليه باسمه العلم دفعا لكل لبس منكر الفعل الذى اعتقده لما رآه من ذنوبه إليهما غضبان وهو يذمه (اتريد ان تقتلى) أى اليوم وأنا من شيعتك (كما قتلت قسا بالامس) أى من شيعه أعدائنا، والذى دل على أن الإسرائيل هو الذى^٥ قال له هذا الكلام السياق يكون 'الكلام معه' - بما^٦ أشير إليه بدخوله المدينة على حين غفلة من أنهم لم يره أحد غير الإسرائيل، وبقوله "عدو لها" من "ذم الإسرائيل كما صرح به موسى عليه الصلاة والسلام .

ولما نم عليه^٧ وأفشى / ما لا يعمله غيره، خاف غائلته فزاد في

/ ١٢

- (١) فى الأصل: الحرك، وفى ظ و مد: الحذف - كذا (٢) فى ظ: اوصله .
 (٣) من ظ و مد: وفى الأصل: شيئاً (٤) من ظ و مد، وفى الأصل: مصدق .
 (٥) فى ظ و مد: العفو (٦) فى ظ و مد: لا بعده (٧) سقط من ظ (٨-٨) سقط ما بين الرقين من ظ و مد (٩) من ظ و مد، وفى الأصل: لكون (١٠) من ظ و مد، وفى الأصل: بما (١١) من ظ و مد، وفى الأصل: كما (١٢) زيد فى ظ و مد: السلام .

الإغراء به ، مؤكداً بقوله : (ان) أى ما (تريد الآن تكون)
 أى كوناً راسخاً (جباراً) أى قاهراً غالباً ؛ قال أبوحيان : و شأن الجبار
 أن يقتل بغير حق . (فى الأرض) أى التى تكون بها فلا يكون
 فوقك أحد (وما تريد) أى يتجدد لك إرادة (ان تكون) أى
 بما هو [لك - °] كالجبل (من المصلحين °) أى العريقين فى الصلاح ، ه
 فان المصلح بين الناس لا يصل إلى القتل على هذه الصورة ، فلما سمع
 الفرعونى هذا ترك الإسرائيل ، وكانوا - لما قتل ذلك القبطى - ظنوا فى
 نبي إسرائيل ، فأغروا فرعون بهم فقال : هل من بينة ، فان الملك وإن
 كان صفوة مع قومه لا ينبغي له أن يقيد بغير بينة ولا ثبت - كما ذكر
 ذلك فى حديث المفتون الذى رواه أبو يعلى عن ابن عباس رضى الله عنهما ، ١٠
 فلما قال هذا الغوى هذه المقالة تحقق الأمر فى موسى عليه الصلاة والسلام .
 ولما كان تقدير الكلام الذى أرشد إليه السياق : فلما سمع الفرعونى "
 قول الإسرائيلى تركه . ثم رقى الكلام إلى أن بلغ فرعون فوق الكلام
 فى الأمر بقتل موسى عليه الصلاة والسلام ، عطف عليه قوله :
 (وجاء رجل) أى من يحب موسى عليه الصلاة والسلام . ولما ١٥

- (١) زيد فى الأصل : لان افعاله عليكم يكذب ما يصنعه به . ولم تكن الزيادة
 فى ظ و مد فحذفناها (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : عالياً (٣) راجع
 البحر المحيط ١١ / ٧ (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : الذى (٥) زيد من ظ
 و مد (٦ - ٦) فى ظ : الفريقين فى الإصلاح (٧) فى ظ : فاخبروا (٨) من ظ
 و مد ، وفى الأصل : لا يستقيم (٩) من مد ، وفى الأصل و ظ : تحققوا .
 (١٠) من ظ و مد ، وفى الأصل : الفرعون .

كان الامر مهملًا، يحتاج إلى مزيد عزم و عظم قوة، قدم فاعل المجيء على متعلقه بخلاف ما في سورة ينس^١ .

ولما كان في بيان الاقدار على الامور الهائلة من الاخذ بالختاق

حتى يقول القائل : لا خلاص ، ثم الإسعاف بالفرج^٢ حتى يقول : لا هلاك ،

ه قال واصفا للرجل : (من اقصا المدينة) أى أبعدا مكانا^٣ ، وبين

أنه كان ماشيا بقوله : (يسعى^٤) [و -] لكنه اختصر طريقا وأسرع

في مشيه بحيث كان يبدو فسبقهم باعظامه للسعى وتجديد العزم في

كل وقت من أوقات سعيه فكأنه قيل^٥ : ما فعل ؟ فقيل : (قال)

مناديا له باسمه تعظما وإزالة للبس : (يُموسى^٦) وأكد إشارة إلى أن

١٠ الامر قد دم فلا يسع الوقت الاستفصال^٧ فقال : (ان الملا) أى

أشراف القبط الذين فى أيديهم الحل والعقد ، لأن لهم القدرة على الامر

والنهى (ياتمرون بك) أى يتشاورون بسبك ، حتى وصل حالهم

فى تشاورهم إلى أن كلا منهم يأمر الآخر ويأتمر بأمره ، فكأنه قيل :

لم يفعلون ذلك ؟ فقيل : (ليقتلوك) لانهم^٨ سمعوا أنك قتلت صاحبهم

١٥ (فاخرج) أى من هذه المدينة ؛ ثم علل ذلك بقوله على سبيل التأكيد

لزيل ما يطرق من احتمال عدم القتل لكونه عزيزا عند الملك : (انى لك)

أى خاصة (من النصحين ه) أى العريقين فى نصحك (فخرج) أى

موسى عليه الصلاة والسلام مبادرا (منها) أى المدينة لما علم من

(١) راجع آية ٢٠ (٢) فى ظ : بالفزع (٣) من ظ ومد ، وفى الأصل : مكنأ .

(٤) زيد من ظ ومد (ه - ه) فى مد : فكأن قتلا قال (٦) فى ظ ومد :

الاستقصاء (٧) من ظ ومد ، وفى الأصل : انهم .

'صدق قوله مما' حقه من القرائن، حال كونه ﴿حائفا﴾ على نفسه من آل فرعون ﴿يترقب﴾ أى يكثر الالتفات بإدارة رقبته فى الجهات ينظر هل يتبعه أحد؛ ثم وصل به على طريق الاستئناف قوله: ﴿قال﴾ أى موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿رب﴾ [أى-٢] أيها المحسن إلى بالإيجاد والتربية وغير ذلك من وجوه البر ﴿نجنى﴾ أى خلصنى. ٥
مشتق من الجوة، وهو المكان العالى الذى لا يصل إليه كل أحد ﴿من القوم الظالمين﴾ أى الذين يضعون الأمور فى غير مواضعها فيقتلون من لا يستحق القتل مع قوتهم، فاستجاب الله له فوقه^٢ لسلوك الطريق الأعظم نحو مدين، فكان ذلك سبب نجاته، وذلك أن الذين اتدبوا إليه قطعوا بأنه لا يسلك الطريق الأكبر، جريا على عادة ١٠ / ١٣ الخائفين الهاربين فى المشى عسافا، أو سلوك ثنيات الطريق فاندثروا فيما ظنوه يميناً وشمالاً فقاتهم.

ولما دعا بهذا الدعاء، أعلم الله تعالى باستجابته منه مخبرا بجهة قصده زيادة فى الإفادة فقال: ﴿ولما﴾ أى فاستجاب الله دعاءه فنجاه منهم ووجهه إلى مدين^٣ ولما ﴿توجه﴾ أى أقبل بوجهه قاصدا ﴿تلقاه﴾ ١٥ [أى-٦] الطريق الذى يلاقى سالكه أرض ﴿مدين﴾ مدينة نبي الله شعيب عليه الصلاة والسلام متوجها بقلبه إلى ربه ﴿قال﴾ أى لكونه

(١-١) من ظ ومد، وفى الأصل: صدقه بما (٢) زيد من مد (٣) فى ظ: ترقه (٤) من مد، وفى الأصل وظ: بينات (٥) زيد فى الأصل: فقال، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد لحذفها (٦) زيد من ظ ومد (٧) سقط من ظ.

لا يعرف الطريق : (عنى) أى خليق و جدير و حقيق .

ولما كانت عنايته بالله آتم لما له من عظيم المراقبة ، قال مقدماً له :

(ربى) أى المحسن إلى بعظيم التربية فى الأمور المهلكة (ان يهدينى سواءً)

أى عدل و وسط (السيلى) وهو الطريق الذى يطلعه عليها من

غير اعوجاج .

ولما كان التقدير : فوصل إلى المدينة ، بنى عليه قوله : (ولما ورد)

أى حضر موسى عليه الصلاة والسلام حضور من يشرب (ماء مدين)

أى الذى يستقى منها الرعاء (وجد عليه) أى على الماء (امة)

أى جماعة كثيرة هم أهل لأن يَتَقَصَّدُوا وَيُقَصَّدُوا ، فذلك هم عالون

١٠ غالبون على الماء : ثم بين نوعهم بقوله : (من الناس) و بين عملهم

أيضاً بقوله : (يسقون) أى مواشيهم ، وحذف المفعول لأنه غير

مراد ، والمراد الفعل ، وكذا ما بعده فان رحمته عليه الصلاة والسلام

لم تكن لكون المذود والمسقى غنيا بل لمطلق الزيادة وترك السقى

(و وجد من دونهم) أى وجدانا مبتدئا من أدنى مكان من مكانهم

١٥ الآتى إلى الماء (امراتين) عبر بذلك لما جعل لهما سبحانه من المروءة

ومكارم الأخلاق كما يعلم من أمعن النظر فيما يذكر عنها (تذوذن ج)

أى توجدان الذود ، وهو الكف والمنع والطرء و ارتكاب أخف

(١) فى ظ و مد : عظم (٢) سقط من ظ و مد (٣) من مد ، وفى الأصل

وظ : يقصد (٤ - ٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : الذود والسقى (٥) من

ظ و مد ، وفى الأصل : الدنيا - كذا (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل :

الارتكاب .

الضررين، فتكفان أغنامهما^١ إذا نزع^٢ من العطش^٣ إلى الماء^٤ ثلاثا
تختلط بغير^٥ الناس .

ولما كان هذا حالا^٦ موجبا للسؤال عنه، كان كأنه قيل : فله
قال لها؟ قيل : (قال) [أى - °] موسى عليه الصلاة والسلام رحمة لها :
(ما خطبكما) أى خبركما وخطوبكما أى مطلوبكما، وهو كالتعبير بالشأن^٧ .
عن المشؤن الذى يستحق أن يقع فيه التخطب لعظمة، فى زيادكما^٨
لأغنامكما عن السقى : قال أبوحيان^٩ : والسؤال بالخطب إنما يكون فى
مصاب أو مضطهد^{١٠} .

ولما كان من المعلوم أن سؤاله عن العلة (قالتا) [أى - °]
اعتذارا عن حالهما ذلك، و تلويحا باحتياجهما إلى المساعدة : (لا) ١٠
[أى - °] خبرنا أنا لا (نسق) أى مواشينا، وحذفه للعلم به (حتى يصدر)
أى ينصرف ويرجع (الرعاء) أى عن الماء ثلاثا يخاطبهم - هذا على
قراءة أبى عمرو وابن عامر^{١١} بفتح الياء [وضم الدال - °] ثلاثيا .
والمعنى على قراءة الباقيين بالضم^{١٢} والكسر^{١٣} : يوجدوا الرود والصرف .

(١-١) من ظ ومد، وفى الأصل : أى يرغب (٢-٢) من مد، وفى الأصل :
من الماء، وفى ظ : إلى الماء (٣) فى ظ ومد : بهم (٤) من مد، وفى الأصل :
حلبا، والكلمة ساقطة من ظ (٥) زيد من ظ ومد (٦) من مد، وفى
الأصل : دياركما، وفى ظ : دراركما (٧) راجع البحر المحيط ١١٣ / ٧ (٨) من
ظ ومد، وفى الأصل : مطهد (٩) من ظ ومد، وفى الأصل : مواشيا .
(١٠) راجع ثر المرجان ١٦٣ / ٥ (١١ - ١١) من ظ ومد، وفى
الأصل : فالكسر .

نظم الدرر (سورة القصص ٢٨ : ٢٣ - ٢٥) ج - ١٤

ولما كان التقدير : لآنا من النساء ، وكان المقام يقتضى لصغر سنهما أن
لهما أباً ، وأن لا إخوة لهما ، إلا لكفوهما ذلك ، عطفنا على هذا المقدر
قولهما : ﴿ وابونا شيخ كبير ﴾ أى 'لا يستطيع لكبره أن يسقى ، فاضطررنا'
إلى ما نرى ، وهذا اعتذار أيضا عن كون أبيهما أرسلهما لذلك^٢ لأنه
ليس بمحظور ، فلا ياباه^٣ الدين ، والناس مختلفون فى ذلك بحسب
المروءة ، وعاداتهم فيها متباينة و أحوال العرب والبدو تباين^٤ أحوال العجم
والحضر ، لاسيما إذا دعت إلى ذلك / ضرورة ﴿ فسق ﴾ أى موسى
عليه الصلاة والسلام ﴿ لهما ﴾ لما علم ضرورتهما ، انتهازا لفرصة
الاجر وكرم الخلق فى مساعدة الضعيف ، مع ما به من النصب والجوع
١٠ ﴿ ثم تولى ﴾ أى انصرف موسى عليه الصلاة والسلام جاعلا^٥ ظهره
إلى ما كان يليه وجهه ﴿ الى الظل ﴾ أى ليقيل تحته ويستريح ، مقبلا
على الخالق بعد ما قضى من نصيحة الخلائق ، وعرفه لوقوع العلم بأن
بقعة^٦ لا تكاد تخلو من شئ له ظل^٧ ولا سيما أماكن المياه ﴿ فقال ﴾
لأنه ليس فى الشكوى إلى المولى العلى الغنى المطلق نقص ﴿ رب ﴾ .
١٥ ولما كان حاله فى عظيم صبره^٨ حال من لا يطلب ، أكد سؤاله
إعلاما بشديد تشوقه لما سأل فيه وزيادة فى التضرع والرقعة ، فقال :

- (١) من ظ و مد ، وفى الأصل : ان (٢) فى ظ : واضررنا ، وفى مد :
واضطررنا (٣) فى مد : كذلك (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : فلا يابان .
(٥) من مد . وفى الأصل و ظ : بيان - كذا (٦) من مد . وفى الأصل
و ظ : عاجلا (٧) من ظ و مد ، وفى الأصل : يقعه (٨-٨) فى مد : الظل .
(٩) فى ظ و مد : عظيم (١٠) من ظ و مد ، وفى الأصل : صبره .

انى

(انى) و أكد الافتقار بالإصاق باللام دون ' إلى ' فقال : (لما)
 أى لآى شىء . و لما كان الرزق الآتى إلى الإنسان مسياً^١ عن القضاء
 الآتى عن العلى الكبير ، عبر بالإنزال و عبر بالماضى تعميماً لحالة الافتقار ،
 و تحقفاً لإنجاز الوعد بالرزق فقال^٢ : (انزلت) و لعله حذف العائد
 اختصاراً لما به من الإعياء (الى من خير) أى و لو قل (فقيره)^٣
 أى مضرور ، عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما^٤ أنه كان قد بلغ من
 الضر أن اخضر بطنه من أكل البقل و ضعف حتى لصق بطنه بظهره .
 فانظر إلى هذين النبيين عليهما الصلاة و السلام فى حالهما فى ذات يدهما ،
 و هما خلاصة ذلك الزمان ، ليكون لك فى ذلك أسوة ، و يجعله إماماً
 و قدوة . و تقول : يا بآبى و أمى ! ما لى الآنبياء و الصالحون من الضيق^٥
 و الأهوال فى سجن الحياة الدنيا ، صونا لهم منها^٦ و لإكراماً من ربهم عنها ،
 رفعة لدرجاتهم عنده ، و استهانة لها و إن ظنه الجاهل المغرور على غير
 ذلك ، و فى القصة ترغيب فى الخير ، و حث^٧ على المعاونة على البر ،
 و بعث على بذل المعروف مع الجهد .

و لما كان سماعهما لقوله هذا مع إحسانه إليهما سبباً لدعاء شعيب^٨
 عليه الصلاة و السلام له ، قال بانياً على ما تقديره : فذهبت المرأتان
 إلى أيهما فحدثناه بخبرهما [و -]^٩ بإحسانه إليهما ، فأمر بدعائه ليكافته :
 (فجاءته) أى بسبب قول الأب و على الفور (احدهما) أى المرأتين

(١) فى ظ : سبباً (٢) سقط من ظ (٣) راجع أيضاً روح المعاني ٦/٢٤٣ .
 (٤) سقط من ظ و مد (٥) فى ظ و مد : الحث (٦) زيد من ظ و مد .

حال^١ كونها (تمشى) ولما كان الحياه كأنه مركب لها وهي متمكنة منه، مالكة لزماته، عبر بأداة الاستعلاء فقال: (على استحياء^٢) أى حياه موجود منها لأنها كلفت الإتيان إلى رجل أجنبي تكلمه وتماشيه؛ ثم استأنف الإخبار عما تشوف إليه السامع من أمرها فقال: (قالت) هـ وأكدت إعلاما بما لا يبيها من الرغبة إلى لقائه في قولها: (ان ابني) و صورت حاله بالمضارع فقالت: (يدعوك ليجزيك) أى يعطيك مكافأة لك، لأن المكافأة من شيم الكرام، وقولها لا غضاضة^٣ فيه (اجر ما سقيت لنا^٤) أى مواشينا، فأسرع الإجابة^٥ لما بينهما من الملامه^٦، ولذلك قال: (فلما) بالفاء (جاءه) أى موسى شعبيا ١٠. عليهما الصلاة والسلام (وقص) أى موسى عليه الصلاة والسلام (عليه) أى شعيب عليه الصلاة والسلام (القصص^٧) أى حديثه مع فرعون وآله في كفرهم وطغيانهم وإذلالهم لعباد الله، و تتبع له الأمور على ما هي عليه لما توسم^٨ فيه بما آتاه الله من الحكم والعلم من النصيحة والشفقة، والعلم والحكمة، والجلال والعظمة. / ١٥

١٠. ولما كان من المعلوم أنه لا عيشة لخاصة، فكان أهم ما إلى الإنسان الأمان، قدم له التأمين بأن (قال) أى شعيب^٩ له عليهما^{١٠} الصلاة والسلام: (لا تخف^{١١} وقتي) [أى - ٧] فان فرعون لا سلطان له

(١) من ظ و مد، وفي الأصل: كان (٢) من ظ و مد، وفي الأصل: عضاضة (٣) في ظ: الاجابة (٤) من ظ و مد، وفي الأصل: المامه (٥) في ظ و مد: توهم (٦ - ٦) في ظ و مد: عليه (٧) زيد من ظ و مد.

على ما ههنا، ولأن عادة الله تعالى [جرت -^١] أن تواضعك هذا ما كان في أحد إلا قضى الله برفقته، ولذلك كانت النتيجة: ﴿نحوت﴾ أى يا موسى ﴿من القوم الظلمين﴾ أى هو وغيره وإن كانوا في غاية القوة والعزاة في الظلم.

ولما اقتضى هذا القول أنه آواه إليه، علمت انتباه مضمونه، وكأنا قد رأنا من كفايته ودياته ما يرغب في عشرته، فتشوفت النفس إلى حالها، حيثئذ، فقال مستأنفا لذلك: ﴿قالت احدهما﴾ أى المرأتين. قيل: وهى التى دعت إلى أيها مشيرة [بالنداء -^١] بأداة البعد إلى استغفارها^٢ لنفسها وجلالة أيها: ﴿بأب استاجره﴾ ليكفينا ما بهما؛ ثم علمت قولها فقالت مؤكدة إظهارا لرغبتها في الخير واغباطها به: ﴿ان خير من استاجرت﴾ لشيء من الأشياء. ﴿القوى﴾ وهو هذا لما رأيناه من قوته في السقي^٣ ﴿الامين﴾ لما تفرسنا فيه من حياته، وعفته في نظره ومقاله وفعاله، وسائر أحواله؛ قال أبو حيان: وقولها قول حكيم جامع، لأنه إذا اجتمعت الأمانة والكفاية^٤ في القائم بأمر قديم المقصود. ﴿قال﴾ [أى -^١] شبيب عليه الصلاة والسلام، ١٥ و [هو -^١] في التوراة^٥ يسمى: رعوثيل - بفتح الراء وضم العين

(١) زيد من ظ ومد (٢ - ٣) في مد: عراقة القوة وغاية (٣) من ظ ومد، وفي الأصل: استغفارها (٤) من ظ ومد، وفي الأصل: من (٥) من ظ ومد، وفي الأصل: السعى (٦ - ٧) سقط ما بين الرقين من مد (٧) في ظ ومد: قولها (٨ - ٨) في البحر المحيط ٧/ ١١٤: الكفاية والأمانة (٩) زيد من ظ (١٠) راجع الإصحاح الثاني من السفر ثلثي آية ١١٩.

المهمة وإسكان الواو ثم همزة مكسورة بعدها تحتانية ساكنة ولا م،
ويثرو - فتح تحتانية وإسكان المثلثة وظم الراء المهمة وإسكان الواو
(اقى اريد) يا موسى، والتأكيد لاجل أن التريب قل ما يرغب
فيه أول ما يقدم^٢ لا سيما من^٣ الرؤساء أم الرغبة (ان انكحك)
هـ أى أزورك زواجا، تكون وصله كوصلة أحد الحسنين^٤ بالآخر
(احدى ابنتي) .

ولما كان يجوز^٥ أن يكون^٦ المنكح منها غير المسقى لهما، نقي
ذلك بقوله: (فتين) أى الحاضرتين اللتين سقيت لهما، ليتأملها
فينظر من يقع اختياره عليها منها ليعقد له عليها (على^٧ ان تاجرنى) أى
١٠ تجعل نفسك أجيرا عندي أو^٨ تجعل أجرى على ذلك وثوابى (ثمنى^٩ حججه)
جمع حجة - بالكسر، أى سنين، أى العمل فيها بأن تكون أجيرا لى
أستعملك فيما ينوبنى من رعية الغنم وغيرها، وآجره - بالمد والقصر،
من الأجر والإيجاز، وكذلك^{١٠} أجر الأجير والمملوك وآجره:
أعطاهما أجرهما (فان أتممت) أى التمانى يلوغ العقد بأن تجعلها
١٥ (عشر^{١١}) أى عشر سنين (فن) أى فذلك فضل من (عندك^{١٢})

(١) وهذا ورد اسمه فيما عندنا من نسخة التوراة: يرون - راجع الإصحاح
الثانى من سفر اثنائى: آية ١٨ (٢-٢) من ظ ومد، وفى الأصل: فيتناول
لا يقدم (٣) سقط من ظ ومد (٤) فى ظ ومد: الجانيين (٥-٥) سقط ما بين
الرقمين من ظ ومد (٦) فى ظ ومد «و» (٧) تقدم فى الأصل على «أى تجعل»
والتريب من ظ ومد (٨) من مد، وفى الأصل وظ: لذلك (٩) ورد فى
ظ بعد «أتممت» .

غير واجب عليك ، و كان تعيين الثمانى لانها - إذا أسقطت^١ منها مدة الحمل - أقل سن يميز فيه الولد غالبا ، و العشر أقل ما يمكن فيه البلوغ ، لينظر سبطه إن قدر فيتوهم^٢ فيه بما يرى من "قوله و فعله"^٣ ، و التعبير بما هو من الحج^٤ الذى هو القصد تفاؤلا بأنها تكون من طيها بمثابة أمر^٥ الله و سعة رزقه و إفاضة نعمه و دفع^٦ نقمه أملا لان تقصد أو يكون فيها • الحج في كل واحدة منها إلى بيت الله الحرام .

ولما ذكر له هذا ، أراد أن يعلمه أن الأمر بعد الشرط بينهما على المسامحة فقال : (و ما أريد ان اشق عليك^٧) أى أدخل عليك مشقة^٨ فى شيء من ذلك و لا غيره لازم أو غير لازم ، ثم أكد معنى المسامحة بتأكيد و عد الملاممة^٩ فقال : (ستجدنى) ثم استثنى على قاعدة أولياء الله ١٠ و أنبيائه فى المراقبة على سبيل التنزل^{١١} فقال : (ان شاء الله) أى الذى "له جميع" الأمر (من الصالحين •) أى فى / حسن الصلابة و الوفاء بما قلت و كل ما "تريد من" خير (قال) أى موسى عليه السلام (ذلك) أى الذى ذكرت من الخيار و غيره (بينى و بينك^{١٢}) أى كأن بيننا على حكم النصفة و العدل و السواء على ما ألزمتنى به لازما ، و ما أشرت ١٥

- (١) فى مد : سقطت (٢) فى ظ و مد : فيتوهم (٣-٢) فى مد : فعله و قوله .
(٤) فى ظ و مد : الحجج (٥) سقط من ظ و مد (٦) فى ظ و مد : رفع .
(٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : شقة (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : اللازمة (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : التبرك (١٠-١٠) فى ظ و مد : جمع له (١١) تكرر فى الأصل فقط (١٢) زيد فى ظ : كل .

إلى التفضل به إحساناً ، و عليك ما ألزمت به نفسك فرضاً و فضلاً ،
 ثم ^١مين و ^٢فر ذلك بقوله : (ايما الاجلين) أى أى أجل منهما : الثمان
 أو ^٣العشر (قضيت) أى عملت العمل المشروط على فيه فقد خرجت
 به ^٤من المهدة (فلا عدوان) أى اعتداه بسبب ذلك لك و لا لأحد
 • (على ^٥) [أى - ^٦] فى طلب أكثر منه لأنه كما لا تجب على الزيادة
 على [^٧العشر لا تجب على الزيادة على - ^٨] الثمان ، وكأنه أشار بنى
 صيغة المبالغة إلى أنه لا يؤاخذ لسعة صدره و طهارة أخلاقه بمطلق
 العدو (والله) أى الملك الأعظم (على ما نقول) أى كله فى هذا
 الوقت و غيره (و كيل) أى شاهد و حفيظ قاهر عليه و ملزم به فى
 الدنيا و ^٩فى الآخرة ، فإلظن بما وقع بيننا من العهد من النكاح
 و الأجر و الأجل .

ذكر مضمون هذا من التوراة : قال فى أول السفر الثانى منها :
 و هذه أسماء بنى إسرائيل الذين دخلوا مصر مع يعقوب عليه السلام ،
 دخل كل امرئ ^١و أهل بيته روبيل ^٢و شمعون و لاوى و يهوذا و إيساхар
^٣و زبولون و بنيامين و دان و نفتالى و جاد و أشير ^٤، و كان عدد ولد
 (١ - ١) سقط ما بين الرّبين من ظ و مد (٢) فى ظ و مد • و • (٣) سقط
 من ظ و مد (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد • وفى الأصل : أو •
 (٦) زيد فى الأصل و ظ : منهم ، ولم تكن الزيادة فى مد و التوراة لحذفها •
 (٧) و ورد بعض الاسماء فى التوراة ببعض الفارقات (٨) من ظ و مد و
 التوراة ، وفى الأصل : امشير .

يعقوب الذين خرجوا من صلبه سبعين نفساً مع يوسف عليه الصلاة والسلام الذي كان بمصر، قَتَفِي يوسف وجميع^١ إخوتي وجميع ذلك الحقب، وبنو إسرائيل نموا وولدوا وكثروا واعتزوا جداً، وامتلات الأرض منهم، فلك على مصر ملك جديد لم يكن يعرف يوسف فقال لشعبه: هذا شعب^٢ بنى إسرائيل قد كثر^٣ عددهم فهم^٤ أكثر^٥ وأعز منا، هلوا نحتال لهم قبل أن يكثرُوا، لعل أعداءنا يأتونا يقاتلوننا فيكونوا عوناً لأعدائنا علينا فيخرجونا من الأرض، فولى عليهم ولاية ذوى^٦ فظاظة وقساوة ليتعبدوهم، وجعلوا يبنون قري لأجران فرعون وأهراثة وفى نسخة: وبنوا لفرعون مدناً محصنة فيستمر فى القيوم وفى عين شمس، وفى نسخة: فيثوم ورعميس^٧، وفى نسخة: وأكوان^٨ التى هى ١٠ مدينة الشمس، واشتد تعبدهم لهم، وذلم إياهم، وكانوا يزدادون كثرة ويعتزون، فاشتد^٩ غمهم وحزنهم بسبب بنى إسرائيل، وكان المصريون يتعبدون^{١٠} بنى إسرائيل بشدة^{١١} وقساوة، ويمرون^{١٢} حياتهم بالكد والتعب الصعب الشديد بالطين وعمل اللبن وفى كل عمل الحقل^{١٣}، وكان تعبدهم

- (١) - قَط من ظ (٢) من ظ ومد والتوراة، وفى الأصل: شعيب (٣-٣) فى ظ ومد: عدده فهو (٤) من ظ ومد، وفى الأصل: ذى، والكلمات فى التوراة مختلفة عما هنا (٥-٥) من ظ ومد والتوراة، وفى الأصل: فيشتم ويعيس وعيميس (٦) من مد، وفى الأصل: اكون، وفى ظ: الوان، (٧) فى ظ: واشتد (٨) من ظ ومد، وفى الأصل: يبعدون (٩) من ظ ومد، وفى الأصل: شدة (١٠) فى التوراة: يمررون (١١) بقط من مد

إيام في جميع ما استعملوم بالشدة والفظاظة و القساوة، قال ملك مصر: [وجعلنا - ^١] لقوايل العبرانيات التي تسمى إحداهما فوعا^٢ والآخرى شوفرا^٣، وأمرهما: إذا أتتا قبلتا العبرانيات فانظرا^٤ إذا سقط الولد، فإن كان ذكرا فاقتلاه، وإن كانت أنثى فاستبقياها^٥ فانتقت القابلتان الله ولم يفعللا ما أمرهما به ملك مصر، وجعلتا تستحيان الغلمان، فدعا ملك مصر القابلتين وقال لهما: ما بالكما؟ جاوزتما أمرى وأحييتما الغلمان؟ فقالتا لفرعون: إن^٦ العبرانيات لسن^٧ كالمصريات لأنهن قوايل، ويلدن قبل أن تدخل القابلة عليهن^٨، فأحسن الله إلى القابلتين لصنعهما هذا، فكثر الشعب وعز جدا، فلما انتقت القابلتان / الله أنماهما ١٧/

١٠. و جعل لهما بين، و في نسخة: يوتا^٩، فأمر فرعون جميع قومه قائلا: كل غلام يولد لهم^{١٠} فألقيه في النهر، وكل جارية تولد فاستبقوها، فانتطلق رجل من آل لاوى فتزوج إحدى بنات لاوى، فحبلت المرأة فولدت ابنا فرأته حسنا جدا، ففقيهته ثلاثة أشهر ولم تقدر أن تنفيه أكثر من ذلك، فأخذت تابوتا من خشب الصنوبر، وطلته بالقار والزفت

(١) زيد من ظ ومد (٢) في التوراة: فوعة (٣) في ظ ومد: شوفرها، وفي التوراة: شفرة (٤) في الأصول: فانظروا، وفي التوراة: وتنظرانهم. (٥) في مد: فاستبقوها (٦) من ظ ومد والتوراة، وفي الأصل: القابلات. (٧) في مد: ليس (٨) من التوراة، وفي الأصل وظ: ليس، والكلمة ساقطة من مد (٩) زيد في الأصل وظ: جعيمها، ولم تكن الزيادة في مد والتوراة فحذفتها (١٠) ليس في مد والتوراة (١١) من هنا يتبدى الأصحاح الثاني.

و وضعت فيه الغلام ووضعت في الضحاح على شاطئ النهر، وقامت
 أخته من بعيد لتنظر ما يكون من أمره، فخرجت بنت فرعون تتنسل
 في النهر، فنظرت إلى التابوت في الخاضة، فأرسلت جوارها فأتوا به
 ففتحته فرأت الغلام، فاذا هو يبكي فرحته، وقالت: هذا من بني
 العبرانيين، فقالت أخته لابنة فرعون: هل لك أن أنطلق أدعوك ه
 ظننا من العبرانيات قرضع هذا الغلام؟ فقالت^١ لها ابنة فرعون: نعم!
 انطلقى، فانطلقت الفتاة^٢ ودعت^٣ أم الغلام، فقالت لها ابنة فرعون:
 خذى هذا الصبي فارضيه وأنا أعطيك أجرتك، فأخذت المرأة الغلام
 فأرضعته فشب^٤ الغلام فأنت به إلى ابنة فرعون فبته^٥، وسمته موسى
 لأنها قالت: إني انتشلته من الماء. فلما كان بعد تلك الأيام نشأ موسى ١٠
 عليه السلام و خرج إلى إخوته فنظر إلى ذلهم، فرأى رجلا مصرياً
 يضرب رجلاً عبرانياً من إخوته من بني إسرائيل، فالتفت يميناً وشمالاً
 فلم ير أحداً يقتل المصرى، فأت ودفعه في الرمل، ثم خرج يوماً آخر فاذا
 هو برجلين عبرانيين يصطحبان، فقال للشيء منهما: ما بالك؟ تضرب أخاك؟
 فقال له: من جعلك علينا رئيساً و حاكماً؟ لعلك تريد أن تقتلى كما قتلت ١٥
 المصرى أمس؟ ففرق موسى وقال: حقاً لقد فشا هذا الأمر، فبلغ فرعون
 الأمر وأراد موسى، فهرب موسى من فرعون وانطلق إلى أرض

(١) زيد في ظ: إسرائيل (٢) في ظ ومد: قالت (٣-٢) من ظ ومد
 والثورة، وفي الأصل: فدعت (٤) من ظ ومد، وفي الأصل: فنشأ،
 وفي التوراة: كبر (٥) من ظ ومد، وفي الأصل: فبته.

مدین، و جلس علی طوی الماء، و کان لحبر مدین سبع بنات، فکن
 یأتین فیدلن الماء فیملآن الحیاض لیسقین غم آیهن،^١ و کان الرعاة
 یأتون^٢ فیطردونهن، فقام موسی فخلصهن وأسقى غنمهن، فأتین إلى
 رعوثیل^٣ آیهن فقال لهن: ما بالکن؟ أسرعن السقی الیوم؟ فقلن له:
 ٥ رجل مصری خلصنا من أیدی الرعاة، فأسقی لنا الماء، و سقى غنمنا،
 فقال لبناته: و این هو؟ لم ترکتن الرجل، انطلقن و ادعونه فیا کل عندنا
 خبزا، ففعلن ذلك، فأعجب موسی أن ینزل علی ذلك الرجل فزوجہ
 صفورا^٤ ابنته فتزوجها فولدت له ابنا فسماه جرشون^٥، لانه قال: إنی
 صرت ساکنا فی أرض غریة^٦. و ولدت لموسى ابنا^٧ آخر، فسماه إلیعازار،
 ١٠ لانه قال: إني إله آبائی خلصنی من حرب^٨ فرعون. و قوله:
 إن المتخاصمین فی الیوم الثانی عبرانیان، إن أمکن تنزیل ما فی القرآن
 علیہ فذاک، و إلا فهو عما بدلوه، و قوله: إن بنات شعیب سبع،
 لا یخالف ما فی القرآن الکریم. بل أیده الزمخشری^٩ بتعینهما بقوله
 ”هاتین“ لکن تقدم ما یشیر إلى أن ذلك غیر لازم.

١٥ ولما کان من المعلوم أن التقدير: فلما التزم موسی علیہ السلام

(١-٢) فی مد: فكان (٢) من ظ و مد، و فی الأصل: یأتین (٣) من ظ
 و مد و التوراة، و فی الأصل: دعویل (٤) من ظ و مد و التوراة، و فی
 الأصل: فاسقا - کذا (٥) فی التوراة: صفورة (٦) فی التوراة: جرشوم.
 (٧) من مد و التوراة، و فی الأصل و ظ: غریة (٨) من ظ و مد، و فی
 الأصل: ولدا (٩) سقط من ظ (١٠) سقط من مد (١١) راجع الکشاف -
 الآية المعنیة.

زوجته ابنته كما شرط^١، واستمر عنده حتى قضى ما عليه، بنى عليه قوله:
 ﴿ فلما قضى ﴾ أى وفى^٢ وأنم^٣، ونهى^٤ وأقنذ ﴿ موسى ﴾ صاحبه
 ﴿ الاجل ﴾ أى الآوفى^٥، وهو العشر، بأن وفى جميع ما شرط عليه
 من العمل، فانه ورد أنه قضى من الاجلين أوقاهما^٦، وتزوج من
 المراتين / صغراهما، وهى التى جاءت فقالت: "يأبى استاجره" روى هـ / ١٨
 الطبرانى فى الأوسط معناه عن أبى ذر رضى الله عنه مرفوعا^٧، والظاهر
 أنه مكث عنده بعد الاجل أيضا مدة، لانه عطف بالواو قوله: ﴿ وسار ﴾
 ولم يجعله جوابا للما ﴿ باهله ﴾ أى امرأة راجعا إلى أقاربه بمصر
 ﴿ انس ﴾ أى أبصر ﴿ من جانب الطور ناراج ﴾ آنسته رؤيتها^٨، شرحت
 إنارتها، و كان مضرورا إلى الدلالة على الطريق والاصطلاء بالنار . ١٠
 ولما كان كأنه قيل: ما ذا فعل عند^٩ ما أبصرها قيل^{١٠}: ﴿ قال لاهله ﴾
 ولما كان النساء أعظم ما ينبغي ستره، أطلق عليها ضمير الذكور^{١١} فقال:
 ﴿ امكثوا ﴾ وإن كان معه بنين^{١٢} له فهو على التغليب^{١٣}؛ ثم علل ذلك
 بقوله مؤكدا^{١٤}، لاستبعاد أن يكون فى ذلك المكان القفر وفى ذلك

(١) فى ظ : شط - خطأ (٢) من ظ و مد، وفى الأصل: رقى (٣-٢) سقط
 ما بين الرقين من ظ و مد (٤) من ظ و مد، وفى الأصل: الادنى (٥) من
 ظ و مد، وفى الأصل: ادناهما (٦) راجع بجمع الزوائد ٨٨/٧ (٧-٧) فى ظ :
 ما أبصرها فقيل، وفى مد: رؤيتها فقيل (٨) من ظ و مد، وفى الأصل:
 المذكور (٩) من مد، وفى الأصل و ظ: بنون (١٠) زيد فى ظ: له (١١) من
 ظ و مد، وفى الأصل: معللا .

الوقت الشديد البرد ناراً: ﴿إِنِّي أَنْتِ نَاراً﴾ فكأنه قيل: فإذا تعمل بها؟ فقال معبراً بالترجي لأنه ألبق بالتواضع الذي هو مقصود السورة، وهو الحقيقة في إدراك الآدميين في مثل هذا^١. ولذا عبر بالجدوة التي مدار مادتها الثبات: ﴿لَعَلَّ أَتَيْكُمْ مِنْهَا﴾ أي من عندها ﴿بِخَبْرٍ﴾ ينفعا في الدلالة على المقصد^٢ ﴿أَوْ جَذْوَةً﴾ أي عود غليظ ﴿مِنَ النَّارِ﴾ أي متمكنة^٣ منه هذه الحقيقة أو التي^٤ تقدم ذكرها؛ ثم استأنف قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ أي لتكونوا على رجاء من أن تقربوا من النار فتعطفوا^٥ عليها لتدققوا، وهذا دليل على أن الوقت كان شتاء ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا﴾ أي النار.

١٠ ولما كان آخر الكلام دالا دلالة واضحة على أن المنادى هو الله سبحانه، بنى للفعل قوله دالا على ما في أول الأمر من الحفاء: ﴿نُودِيَ﴾ ولما كان نداؤه سبحانه لا يشبه نداء غيره^٦ بل يكون من جميع الجوانب، وكان مع ذلك قد يكون لبعض المواضع مزيد تشریف^٧ بوصف من الأوصاف، إما بأن يكون أول السماع منه أو غير ذلك أو يكون باعتبار ١٥ كون موسى عليه الصلاة والسلام [فيه - ١٠]. قال: ﴿مِنْ﴾ أي

- (١) من مد، وفي الأصل و ظ: نارا (٢) من ظ ومد، وفي الأصل: فعل .
(٣) سقط من ظ ومد (٤) من ظ ومد، وفي الأصل: المقصد (٥) من ظ ومد، وفي الأصل: فتمكنت (٦) من ظ ومد، وفي الأصل: الذي (٧) في ظ: تعطفوا (٨) من ظ ومد، وفي الأصل: غره (٩) من ظ ومد، وفي الأصل: شرف (١٠) زيد من ظ ومد .

كأثنا موسى عليه السلام بالقرب [من -^١] (شاطئ) أى جانب (الواد) عن يمين موسى عليه الصلاة والسلام، ولذلك قال: (الايمن) وهو صفة للشاطئ الكائن أو كأثنا (في البقعة المباركة) ^٢ كأثنا أول أو معظم النداء أو كأثنا موسى عليه الصلاة والسلام [قريباً -^١] (من الشجرة) كما تقول: ناديت فلاناً من بيته، ولعل الشجرة كانت كبيرة، فلما وصل إليها دخل النور من طرفها ^٢ إلى وسطها^٣. فدخلها وراه بحيث توسطها فسمع - وهو فيها - الكلام من الله تعالى حقيقة، وهو المتكلم سبحانه لا الشجرة. قال القشيري: وحصل الإجماع أنه عليه الصلاة والسلام سمع تلك الليلة كلام الله، ولو كان ذلك نداء الشجرة لكان المتكلم الشجرة، و^٤ قال التفتازاني شرح المقاصد أن اختيار حجة الإسلام أنه سمع كلامه ١٠ الأزلى بلا صوت ولا حرف كما ترى ذاته في الآخرة بلاكم ولا كيف، وتقدم في ظه أن المراد ما ^٥ إلى يمين^٦ المتوجه من مصر إلى الكعبة المشرفة، والشجرة قال البغوي^٦: قال ابن مسعود رضى الله عنه: كانت سمرة^٧ خضراء تبرق، وقال قتادة ومقاتل والكلي: كانت عويجة^٨، وقال وهب: من العليق، وقال^٩ ابن عباس رضى الله عنهما: إنها ١٥ الغاب. ثم ذكر المنادى بقوله: (ان يـمـوسى^٢) وأكد لأنه سبحانه

(١) زيد من ظ ومد (٢) زيد في ظ: أى (٣-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ ومد (٤) سقط من ظ ومد (٥-٥) في ظ ومد: اتى بين (٦) راجع معالم التنزيل بهامش الباب ١٤٣/٥ (٧) من ظ ومد والمعلم، وفي الأصل: مثمرة. (٨) من ظ ومد والمعلم، وفي الأصل: موشحة (٩) من ظ ومد والمعلم، وفي الأصل: عن.

لعظمه يحتقر كل أحد نفسه لأن / يؤمله للكلام لاسيما و' الأمر في أوله
 فقال: ﴿ اِنِّى انا الله ﴾ أى المستجمع للأسماء الحسنى، والصفات العلى .
 ولما كان ' هذا الاسم ' غيبا ، تعرف بصفة هى جمع الافعال
 المشاهدة للانسان فقال: ﴿ رب العلين ﴾ أى خالق الخلائق أجمعين
 هـ و مريم ﴿ وان التى عصاك ﴾ أى لأريك فيها آية .

ولما كان التقدير: فألقاها فصارت فى الحال حية عظيمة، وهى
 مع عظمها فى غاية الخفة، بنى عليه قوله: ﴿ فلما رآها ﴾ أى العصا
 ﴿ تهتز كأنها ﴾ أى فى سرعتها وخفتها ﴿ جان ﴾ أى حية صغيرة
 ﴿ ولى مدبرا ﴾ خوفا منها ولم يلتفت إلى جبتها، وهو معنى قوله:
 ١٠ ﴿ ولم يعقب ﴾ أى موسى عليه الصلاة والسلام، وذلك كناية عن
 شدة التصميم على الحرب والإسراع فيه خوفا من الإدراك فى ٢ الطلب
 فقليل له: ﴿ يَمْوِئُ اقبل ﴾ أى التفت وتقدم إليها ﴿ ولا تخف ﴾
 ثم أكد له الأمر لما الآدمى مجبول عليه من الفرة وإن اعتقد صحة الخبر
 بقوله: ﴿ انك من الأمنين هـ ﴾ أى العريقين فى الأمن كعادة إخوانك
 ١٥ من المرسلين؛ ثم زاد طمأنينته بقوله: ﴿ اسلك ﴾ أى أدخل على
 الاستقامة مع الخفة والرشاقة ﴿ يدك فى جييك ﴾ أى القطع الذى
 فى ثوبك وهو الذى تخرج منه الرأس، أو هو الكم، كما يدخل السلك
 وهو الخيط الذى ينظم فيه الدرر، تنسلك ٦ على لونها وما هى عليه من

(١) سقطت الواو من ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقین من مد (٣) فى ظ
 « و » (٤) فى ظ : طمانيته - كذا (٥) فى ظ و مد : استقامة (٦) فى ظ :
 بنظمك .

أثر الحريق الذي عجز فرعون عن مداواته، وأخرجها (تخرج يضاء) أى^١ يابضا عظيما يكون له شأن خارق للعادات (من غير سوء ذ) أى عيب^٢ من حريق أو غيره، فخرجت ولها شعاع كضوء الشمس، فالآية من الاحتباك^٣.

ولما كان ذلك لا يكون آية محققة^٤ لعدم العيب إلا^٥ بعودها ه بعد ذلك إلى لون الجسد قال: (واضمم اليك) أى إلى جسدك. ولما كان السياق للتأمين من الخوف، عبر بالجناح، لأن الطائر^٦ يكون آمنا عند ضم جناحه فقال: (جناحك) أى يدك التى صارت يضاء، والمراد بالجناح فى آية طه الإبط والجانب لأنه لفظ مشترك (من الرهب) أى من خشية أن تظنها معيبة تخرج كما كانت قبل يابضا فى لون جسدك - ١٠ هذا على أن المراد بالرهب الخوف الذى بهره فأوجب له الهرب، ويجوز أن يكون المراد بالرهب الكم. فيكون إدخالها فى الفتى - التى ليست موضعها بل الرأس - لليابض، وإدخالها فى الكم - الذى هو لها - لرجوعها إلى عاداتها، وفى البغوى^٧ عن ابن عباس رضى الله عنهما أن الله تعالى أمره أن يضم يده إلى صدره فذهب عنه ما ناله من الخوف عند معاينة ١٥ الحية، وقال: وما من خائف بعد^٨ موسى عليه الصلاة والسلام إلا إذا وضع يده على صدره زال خوفه. وأظهر اليد بلفظ الجناح من

(١) - قط من ظ و مد (٢) من ظ و مد، وفى الأصل: عيبا (٣) أى ذكر السلوك أولا دلالة على حذف الإخراج ثانيا، وذكر البياض ثانيا دلالة على حذف العيب أولا (٤) فى ظ و مد: محققا (٥) فى مد: لا - خطأ (٦) فى ظ: الطير (٧) أى معاله - راجع الباب ١٤٣/هـ (٨) فى ظ: يقدر - خطأ.

نظم الدرر (سورة القصص ٢٨ : ٣٢ - ٣٤) ج - ١٤

غير إضمار تعظيماً للقيام^١ وتنبئها على أن عودها إلى حالها الأول آية
مستقلة، وعبر عنها بلفظ الجناح^٢ تنبئها على الشكر بتعظيم نفعها .
ولما تم كونها^٣ آية بانقلابها^٤ إلى اليأس ثم رجوعها إلى لونها
قال : (فذلك) أى العصا واليد البيضاء، وشدّد أبو عمرو وابن
كثير ورويس تقوية لها لتعادل الأسماء المتمكنة، وذكر لزيادة التقوية
/ ٢٠ (برهائن) أى سلطانان و حجتان / قاهرتان (من ربك) أى المحسن
إليك لا يقدر على مثلها غيره (إلى) أى واصلان، أو أنت مرسل
بهما إلى (فرعون وملائته^٥) كلما أردت ذلك وجدته^٦، لا أنها يكونان
لك هنا في هذه الحفرة فقط، ثم علل الإرسال إليهم على وجه إظهار
١٠ الآيات لهم واستمرارها بقوله^٧ مؤكدا تنبئها على [أن - ^٨] إقدامه
على الرجوع إليهم فعل من يظن أنهم رجعوا عن غيهم، وإعلاماً بمنته^٩
عليه بالحماية منهم بهذه البراهين : (انهم كانوا) أى جيلة وطبعا
(قوما) أى أقوياء (فسقين^{١٠}) أى^{١١} خارجين عن الطاعة، فاذا
رأوا ذلك هابوك^{١٢}، فلم يقدرُوا على الوصول إليك بسوء، وكنت في
١٥ مقام أن تردهم عن فسقهم .

(١) سقطت الواو من ظ (٢) زيد في ظ و مد : من غير إضمار (٣) في ظ
و مد : كونه (٤) في ظ : بانقلابها (٥) راجع نثر الرجال ١٧٣/هـ (٦) من ظ
و مد، وفي الأصل : واجدته (٧) تقدم في مد على «الإرسال إليهم» (٨) زيد
من ظ و مد (٩) من ظ و مد، وفي الأصل : بمنته (١٠) سقط من ظ .
(١١) في ظ : يغلبون، وفي مد : يهابوك .

ولما^١ كان كأنه قيل : ما فعل بعد رؤية هذه الخوارق ؟ قيل : ثبت ، علما منه بصعوبة المقام وخطر الأمر ، فاشتراط لنفسه^٢ حتى رضى ، وتلك كانت عادته ثباتا وحزما ، وحلما وعلما ، ألا ترى إلى ما فعل معنا عليه السلام والتحية والإكرام من الخير ليلة الإسراء في السؤال في تخفيف الصلاة ، ولذلك كله^٣ ﴿ قال رب ﴾ أى أيها المحسن إلى^٤ ﴿ انى ﴾ أكدته لأن إرسال الله سبحانه له فعل من لا يعتبر أن لهم عليه رة^٥ ، فذكر ذلك ليعلم وجه عدم اعتباره^٥ ﴿ قتل منهم ﴾ أى آل فرعون ﴿ نفسا ﴾ وأنت تعلم ما خرجت إلا هاربا منهم من أجلها ﴿ فاخاف ﴾ إن باديتهم ، بمثل ذلك ﴿ ان يقتلون ﴾ لذنبى إليهم ووجدنى وغرتى و ثقل لسانى فى إقامة الحجج .

١٠

ولما تسبب عن ذلك طلب الإعانة بشخص فيه كفاية وله عليه شفقة^٦ ، و كان أخوه هارون أحق الناس بهذا الوصف ، كان التقدير : فأرسل معى أخى هارون - إلى آخره ، غير أنه قدم ذكره اهتماما بشأنه فقال : ﴿ واخى هرون ﴾ والظاهر أن واوه للحال من ضمير موسى عليه الصلاة والسلام ، أو عاطفة على مقول القول ، والمعنى أنه^٧ يخاف أن^٨ يفوت مقصود الرسالة^٩ إما بقتله أو لعدم بيانه ، فاكتفى^{١٠} بالتلويح فى الكفاية

- (١) زيد فى الأصل : كان هذا ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد لحذفناها .
 (٢) سقط من ظ و مد (٣) من ظ و مد وفى الأصل : كلمه (٤) من مد ، وفى الأصل وظ : نزه (٥) فى ظ : اختياره (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : شفقتة .
 (٧ - ٧) سقط ما بين الرقيين من مد (٨) زيد بعده فى الأصل : له ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد لحذفناها (٩) من مد ، وفى الأصل وظ : واكتفى .

نظم الدرر (سورة القصص ٢٨: ٣٤ و ٣٥) ج - ١٤

من الاول ، لانه لا طاقة لاحد غير الله بها ، و صرح بما يكفى من الثانى ،
فكان التقدير : إني أخاف أن يقتلون فيفوت^١ المقصود ، و لا يحتمل^٢ من
ذلك إلا أنت ، و إن لسانى فيه عقدة ، و أخى - إلى آخره ؛ و زاد فى
تعظيمه بضمير الفصل فقال : (هو افصح منى لسانا) أى من جهة اللسان
٥ للعقدة التى كانت حصلت له من وضع الحجر فى فيه و هو طفل فى كفالة
فرعون (فارسله) أى بسبب ذلك (معى ردا) أى معينا ، من ردت
فلانا بكذا ، أى جعلته له قوة و عاضدا ، و ردت الحائط - إذا دعمته
بجشب أو كبش يدفعه أن يسقط^٣ ؛ و قراءة نافع^٤ بغير همز من الزيادة .
و لما كان له عليه من العطف و الشفقة ما يقصر الوصف عنه ،
١٠ نبه على ذلك باجابة السؤال بقوله : (يصدقنى ذ) أى بأن يلخص^٥ بفصاحته
ما قلته و بينته ، و يقيم الأدلة عليه حتى يصير كالشمس وضوحا ، فيكون
- مع تصديقه لى بنفسه - سببا فى تصديق غيره لى ؛ و رفعه عاصم^٦
و حمزة صفة لردأ . ثم علل سؤاله هذا ، و بين أنه هو المراد ، لا أن يقول
له : صدقت ، فان قوله لهذه اللفظة لا تعلق له بالفصاحة حتى يكون سببا
١٥ للسؤال فيه ، بقوله مؤكدا لأجل أن من كان رسولا عن الله لا يظن به
أن يخاف : (إني أخاف / ان يكذبون) .

/ ٢١

و لما كان ما رأى من الأفعال ، و سمع من الأقوال ، مقتضيا للأمن

(١) من مد ، و فى الأصل : صعوت ، و فى ظ : ليفوت (٢) ظ و مد :
لا يحتمل (٣) هو قول ابن شميل - راجع قاج العروس (٤) راجع نثر المرجان
١٧٥/٥ فى ظ و مد : يخلص (٥) راجع نثر المرجان ١٧٦/٥ .

من (٧١)

٢٨٤

من أن يكذبوه، وكان علما بما هم عليه من القساوة والكبر، أشار^١ إلى ذلك بالتأكيد، أى وإذا كذبوني عسرت على المحاجة على ما هو عادة أهل الهمم^٢ عند تماثل الخصوم على العناد^٣، والإرسال موجب للكلام كثير و حجاج طويل، وقريب من هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم^٤ لما أمره الله تعالى بانذار قومه "إذن^٥ يثلغوا رأسي فيجعلوه خبزة" هـ
وكان مراد السادة القادة عليهم الصلاة والسلام والتحية والإكرام الاستعلام عن^٦ الأمر هل يجرى على العادة أو لا؟ فإن كان يجرى^٧ على العادة وطنوا أنفسهم على الموت، وإلا ذكر لهم الأمر الخارق فيكون بشارة لهم، ليمضوا^٨ في الأمر على بصيرة، ويسيروا فيه على سب ما يقتضيه من السيرة .

١٠

ولما أكد أمر الطلب بهارون عليهما الصلاة والسلام، أكد له سبحانه أمر الإجابة بقوله مستأقفا: (قال سنشد) وذكر أولى الأعضاء بمزاولة المكارة فقال: (عضدك) أى أمرك (باخيك) أى ستقويك ونعينك به إجابة لسؤالك صلة منك لأخيك، وعونا منه لك (ونجعل لكما سلطنا) أى ظهورا عظيما عليهم، وغلبة لهم بالحجج ١٥

(١) فى ظ : اشارة (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : الهم (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : الفساد (٤) راجع صحيح مسلم أبواب الجنة (٥) من ظ و مد والصحيح ، وفى الأصل : ان (٦) فى ظ و مد : فيجعلونه ، وفى الصحيح : فيدعوه (٧) فى مد : على (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : جرى (٩) فى ظ و مد : ليضمنوا .

والهية لاجل ما ذكرت من الخوف (فلا) [أى - '] ' فيسبب عن ' ذلك أنهم ' لا (يصلون اليك) ' بنوع من أنواع الغلبة (بآيئناج) أى نجعل ذلك ' بسبب ما يظهر على أيديكما من الآيات المعظمة بنسبتها إلينا ، ولذلك كانت ' النتيجة (انما ومن اتبعكما) أى من قومكما وغيرهم (الغالبون) ' أى لا غيرهم ، وهذا يدل ' على أن فرعون لم يصل إلى السحرة بشيء مما هددهم ' به ، لأنهم من أكبر الاتباع الباذلين ' لانفسهم ' في الله ، وكأنه ' حذف أمرهم هنا لانه في بيان أمر فرعون ' وجنوده بدليل ما كرر من ذكرهم ، وقد كشفت العاقبة ' عن أن السحرة ' ليسوا من جنوده ، بل من حزب الله وجنده ، ومع ذلك فقد أشار إليهم بهذه الآية والتي بعدها ، وسيأتى في آخر سورة الحديد عن تاريخ ابن عبد الحكم أنهم خلاصوا ورجع ' بعضهم إلى مصر فكانوا ' أول من ترهب .

شرح ما مضى ' من التوراة ، قال بعد ما تقدم ' : وكان من بعد

(١) زيد من ظ و مد (٢-٢) في ظ : فسبب عن ، وفي مد : فسبب (٣) من ظ ، وفي الأصل : لهم ، والكلمة ساقطة من مد (٤) من مد ، وفي الأصل و ظ : لك (٥) في ظ و مد : كان (٦) في ظ و مد : غيركم (٧) من ظ و مد ، وفي الأصل : ينزل (٨) في ظ و مد : يهددهم (٩) في ظ : العاذلين (١٠) من ظ و مد ، وفي الأصل : انفسهم (١١) من ظ و مد ، وفي الأصل : كانوا . (١٢) سقط من ظ (١٣ - ١٣) في مد : عن السحرة انهم (١٤) من ظ و مد ، وفي الأصل : رجعهم (١٥) من ظ و مد ، وفي الأصل : وكانوا (١٦) من ظ و مد ، وفي الأصل : نص (١٧) راجع الأصحاح الثالث .

أيام كثيرة مات فرعون ملك مصر فاستراح بنو إسرائيل من شدة تعبهم،
فصلوا فسمع^١ الله صلاتهم، وعرف تعبهم، وسمع ضجتهم، وذكر^٢
عهده لإبراهيم وإسحاق ويعقوب، فأبصر الله بنى إسرائيل، وعرف ذلهم،
فكان^٣ موسى يرعى غنم يثرو^٤ ختته^٥ جبر مدين، فساق بالشاة إلى طرف
البرية و أتى إلى حوريب جبل الله، فترأى له ملك الله بلهب^٦ النار^٧ من ه
جوف العوسج، تشتعل فيه النار، ولم يكن العوسج يحترق، فقال موسى:
لأعدن فأنظر إلى هذه الرؤيا العظيمة؛ ما بال هذه العوسجة لم تحترق؟
فرأى الرب أنه قد عدل لينظر، فدعاه الله من جوف العوسج وقال له:
يا موسى يا موسى! فقال: هأنذا! قال: لا^٨ تدن إلى ههنا، اطرح خفيك
عن قدميك، لأن المكان الذى أنت^٩ واقف عليه مكان طاهر، وفى ١٠
نسخة: مقدس، وقال الله: أنا إله أليك إبراهيم إله إسحاق إله يعقوب،
فغطى موسى وجهه لأنه فرق أن يمد بصره نحو الرب، وقال الرب:
إنى قد رأيت ذل شعبي بمصر، وسمعت ضجتهم التى / ضجوا من تعبهم،
٢٢ / "لأنى عارف براءتهم"، فنزلت لاخلصهم من أيدي المصريين، وأن أصعدهم

(١) من ظ و التوراة، وفي الأصل ومد: وسمع (٢) في ظ ومد: وذكره .
(٣) في مد: وكان (٤) وقع في التوراة: يثرون - كما قدمنا (٥) من ظ ومد،
والتوراة معنى، وفي الأصل: حنة (٦) في ظ: يلهب، وفي مد: تلهب،
وفي التوراة: بلهيب (٧) زيدت الواو في ظ ومد (٨) من ظ ومد
والتوراة، وفي الأصل: الا (٩) زيد في الأصل و ظ: فيه، ولم تكن
الزيادة في مد والتوراة فحذفناها (١٠ - ١٠) وفي التوراة: انى
علمت أوجاعهم.

من تلك الأرض إلى أرض صالحه واسعة، تغل التمن والعسل :
 أرض الكنعانيين^١ و الحثانيين و الأموريين و الفرزانيين^٢ و الحوانيين
 و اليابانيين، و الآن هو ذا ضجيج بني إسرائيل قد ارتفع إلى، و رأيت
 ضر المصريين لهم، فهبطت الآن حتى أرسلك إلى فرعون، و أخرج
 ه شعب بني إسرائيل من مصر، فقال موسى لله : من أنا حتى أنطلق إلى
 فرعون^٣ و أخرج بني إسرائيل من مصر، فقال الله : أنا [أكون -]^٤
 معك و هذه آية^٥ لك أني أرسلتك : إنك إذا أخرجت^٦ الشعب من مصر
 تعبدون^٧ الله في هذا الجبل، فقال موسى : هأنذا منطلق إلى بني إسرائيل
 و أقول لهم : الرب إله آبائكم أرسلني إليكم، فان قالوا [لى -]^٨ : ما
 ١٠ اسمه؟ ما الذى أقول^٩؟ فقال الرب لموسى : قل لهم : الأزل^{١٠} الذى
 لم يزل، و فى نسخة : لا يزول، و قال : هكذا قل لبني إسرائيل : أهاشر^{١١}
 أها أرسلني إليكم، و قال الرب أيضا لموسى هكذا قل لبني إسرائيل :

(١) وجميع الكلمات سوى هذه الواحدة واردة فى التوراة بدون التون .
 (٢) من ظ و مد، و فى الأصل : العذرانيين (٣-٣) فى مد : لفرعون (٤) زيد
 فى الأصل و ظ : الى، و لم تكن الزيادة فى مد و التوراة لحذفها (٥) فى مد :
 آل (٦) زيد فى الأصل : له، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد و التوراة لحذفها .
 (٧) زيد من ظ و مد و التوراة (٨) من مد، و فى الأصل و ظ : الآية،
 و السياق يختلف فى التوراة بعض الشيء (٩) فى ظ : خرجت (١٠) من مد
 و التوراة، و فى الأصل و ظ : يعبدون (١١) زيد من التوراة (١٢) من مد
 و التوراة، و فى الأصل و ظ : اقوله (١٣) من ظ و مد، و فى الأصل :
 الأزل، الجملة ليست فى نسختنا من التوراة (١٤) فى التوراة : الذى .

الله ربكم إله آياتكم إله إبراهيم إله إسحاق إله يعقوب أرسلنى إليكم هذا^١
اسمى إلى الأبد، وهذا ذكرى إلى حبب الأحباب، انطلق فاجمع
أشياخ بنى إسرائيل وقل لهم: الرب إله آياتكم اعتن لي، وإله إبراهيم
[وإسحاق -^٢] و يعقوب يقول لكم: قد ذكرتمكم وذكرتم ما صنع بكم
بمصر، ورأيت إخراجكم من تعبد أهل مصر إلى أرض الكنعانيين -^٣
ومن تقدم معهم^٤ - إلى الأرض التى تغل السمين والعسل، فإذا قبلوا
منك فادخل أنت وأشياخ بنى إسرائيل [إلى -^٥] ملك مصر قولا له:
الرب إله العبرانيين ظهر علينا فننطلق الآن مسيرة ثلاثة أيام فى البرية
ونذبح الذبائح لله ربنا، وأنا أعلم أن ملك مصر لا يدعكم تخرجون،
ولا يد واحد شديدة، حتى أبعث بآفتى^٦ وأضرب^٧ المصريين بجميع^٨
العجائب [التي -^٩] أحدثها فيهم، ومن بعد ذلك يرسلكم^{١٠} [فأجعل^{١١}]
للشعب فى أعين^{١٢} المصريين رأفة ورحمة، فإذا انطلقتم فلا تطلقوا عطلا
صفرا، بل تستعير المرأة منكم من^{١٣} جاراتها و^{١٤} ساكنه بيتها حتى ذهب
وفضة وكسوة، وألبسوها بئيك وبناتكم، وأخبروا^{١٥} أهل مصر، فأجاب
موسى وقال: إنهم لا^{١٦} يصدقوننى، ولا يقبلون قولى، لأنهم يقولون: ١٥

- (١) فى ظ و مد: هكذا (٢) زيد من ظ و مد (٣) زيدت الواو فى الأصول،
ولم تكن فى التوراة فخذناها (٤ - ٤) فى ظ و مد: فاضرب (٥) فى مد:
يعيشكم (٦) زيد من ظ و مد، وموضعه فى التوراة: وأعطى (٧) فى مد:
قلوب (٨) من ظ و مد و التوراة، وفى الأصل: سن (٩) فى مد فقط: أو.
(١٠) من ظ و مد، وفى الأصل: اخرجوا، وفى التوراة: فسلبون
(١١) فى ظ: لن.

لم يترأى لك الرب ، فقال له الرب : [ما هذه التى فى يدك ؟ فقال : هى عصاى ، فقال : ألقها فى الأرض ، فألقاها فى الأرض ، فصارت ثعبانا ، فهرب منه موسى ، فقال له الرب -^١] : يا موسى ! مد يدك ، فخذ بذئبها ، [فمد يده -^٢] فأسسكه فتحول^٣ فى يده عصا ، فقال : لكى يصدقوا أن الله ه إله آبائهم قد ترأى لك ، إله إبراهيم إله إسحاق إله يعقوب ، وقال الرب لموسى : اردد يدك فى ردتك^٤ ، وفى نسخة : فى كك ، فأدخلها ثم أخرجها فاذا يده بيضاء كالثلج ، فقال له : اردد يدك فى حضنك ، وفى نسخة : فى كك ، فردها ثم أخرجها فاذا هى مثل جسده ، فان هم لم يؤمنوا ولم يسمعوا بالآية الأولى فانهم يؤمنون ويسمعون بالآية الأخرى ، ١٠ فان لم يؤمنوا بالآيتين ، ولم يسمعوا قولك فخذ ماء من الأرض ، وفى نسخة : النيل ، فاصبه على الأرض ، فانه يتقلب ويصير دما فى اليبس ، فقال موسى للرب : أطلب إليك يا رب ! لست رجلا ناطقا منذ^٥ أمس ولا^٦ قبله ولا من الوقت الذى كلمت عبدك فيه ، [لانى -^٧] ألتغ المنطق عسر^٨

(١) زيد من ظ و مد و التوراة و فيها بعض المفارقات اللفظية (٢) زيد من ظ و مد و التوراة (٣) من ظ و مد و التوراة معنى ، وفى الأصل : فيتحول . (٤) من ظ و مد و التوراة ، وفى الأصل : آبائكم (٥) من مد ، وفى الأصل و ظ : ردتك ، وفى التوراة : عبك ، وهو الردن (٦-٧) سقط ما بين الرقين من ظ و مد (٧) من ظ و مد و التوراة ، وفى الأصل : من (٨) فى ظ : ما ، وفى مد : لما (٩) زيد من ظ و مد ، و موضعه فى التوراة : بل (١٠) من مد و التوراة معنى ، وفى الأصل و ظ : عثر .

٢٣ /

اللسان، فقال له الرب: من الذى خلق المنطق / للانسان؟ ومن الذى خلق الاخرس والاعم والمكفوف؟ أليس أنا الرب الذى أصنع ذلك؟ فانطلق الآن وأنا أكون معك، وراقبا لسانك^٢ وألقك ما تنطق به، فقال: موسى أطلب إليك يا رب! أرسل فى هذه الرسالة غيرى، فقال: هذا أخوك هارون اللاوى، قد علمت أنه ناطق^٥ لسن، وهو أيضا سيلقاك، ويشهد^٤ فرحه بك^١، وأخبره بالامر، ولقته كلامى، وأنا^٥ أكون راقبا على فيك وفيه وأعلمكما ما تصنعان، وهو يكلم الشعب عنك^٦، فيكون لك مترجما، وأنت تكون له إلها، وفى نسخة: أستاذا ومديرا، وأخذ فى يدك هذه العصا لتعمل بها الآيات، فرجع موسى منطلقا إلى ثيبرواخته وقال له: إني راجع إلى إخوتي^{١٠} بمصر، وناظر هل هم أحياء^٧ بعد؟ فقال: ثيبرو لموسى: انطلق راشدا سالما، وقال الرب لموسى فى مدين: انطلق راجعا إلى مصر لأن الرجال الذين كانوا معك يطلبون نفسك قد هلكوا جميعا - إلى آخر ما مضى فى الاعراف، وفى هذا الفصل ما^٨ لا يسوغ لإطلاقه فى شرعنا على مخلوق، [وهو -^٩] الإله، وهو فى لغة العبرانيين بمعنى العالم والحاكم، وفيه ١٥ أيضا أن فرعون مات قبل رجوع موسى فان [كان -^{١١}] المراد الذى

- (١) من التوراة، وفى الأصل: للسان، وفى ظ ومد: للناس (٢) فى ظ: لسانك (٣) زيد فى ظ: يا (٤ - ٤) فى ظ ومد: فرحتك به (٥ - ٥) من ظ ومد والتوراة، وفى الأصل: قانا (٦) فى ظ: معك (٧) سقط من مد. (٨) من ظ ومد، وفى الأصل: بما (٩) زيد من مد (١٠) زيد من ظ ومد.

ربى موسى عليه الصلاة والسلام فى بيته فهو عا^١ بدلوه .
ولما كان التقدير : فأنام كما أمر^٢ الله ، وعاضده أخوه كما أخبر
الله ، ودعوا^٣م إلى الله تعالى ، وأظهرا ما أمرا به من الآيات ، بنى عليه
قوله ميثاقا بالفاء سرعة امتثاله : (فلما جاءهم) أى فرعون وقومه .
و لما كانت رسالة هارون عليه الصلاة والسلام إنما هى تأييد
لموسى عليه الصلاة والسلام ، أشار إلى ذلك بالتصريح باسم الجاني ،
فقال : (موسى بآيتنا) أى التى أمرناه بها ، الدالة على جميع الآيات
للتساوى فى خرق العادة حال كونها (بينت) أى فى غاية البوضوح
(قالوا) أى فرعون وجنوده (ما هذا) [أى - ١] الذى أظهره
١٠ من الآيات (الا سحر مقترى) أى هو خيال لا حقيقة له لجميع أنواع
السحر ، متعمدا^٤ التخيل به ، لا أنه معجزة من عند الله (وما سمعنا بهذا)
أى الذى تقوله من الرسالة عن الله (فى آياتنا) وأشاروا إلى البدعة
التي قد^٥ أضلت أكثر الخلق ، وهى تحكيم عوائد التقليد ، ولا سيما
عند تقادمها على القواطع [فى قوله - ٤] : (الأولين) وقد كذبوا
١٥ واقتروا^٦ لقد ، سمعوا بذلك فى أيام يوسف عليه السلام "وما بالعهد
من قدم" فقد قال لهم الذى آمن "يقوم انى اخاف عليكم مثل يوم

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل : ما (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : امره .

(٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : دعوهم (٤) زيد من ظ و مد (٥) من مد ،

وفى الأصل : متعمد (٦) سقط من ظ و مد (٧) زيدت الواو بعده فى

الأصل ، ولم تكن فى ظ و مد فخذناها (٨) فى ظ و مد : على .

الاحزاب - إلى قوله : ولقد جاءكم يوسف من قبله بالبینة^١ .
 ولما أخبر تعالى^٢ بقولهم عطف عليه الإخبار بقول موسى عليه الصلاة
 والسلام ليوازن السامع بين الكلامين ، و يقبصر بعقله ما الفاسد منها
 و فبضدها تبين الأشياء ، هذا على قراءة الجماعة^٣ بالواو ، واستأنف جوابا
 لمن كأنه سأل عن جوابه على قراءة ابن كثير بحذفها ، فان الموضع موضع هـ
 بحث عما أجابهم به عند تسميتهم الآيات الباهرات^٤ سحرا ، استعظاما لذلك
 فقال^٥ : ﴿ وقال موسى ﴾ أى لما كذبه و هم الكاذبون ، مشيرا لذى
 البصر إلى طريق يميزون به الامرین فى سياق مهدد لهم : ﴿ ربى ﴾ أى
 المحسن إلى / بما ترون من تصدىقى فى كل ما ادعيت^٦ باظهار ما
 لا تقدرون عليه على قوتكم من الخوارق ، و منع هذا الظالم العانى المستكبر ١٠
 من الوصول إلى بسوء ﴿ اعلم بمن جاء ﴾ بالضلال ظلما وعدوانا ، فىكون
 مخذولا لكونه ساحرا فحرقا مفترىا على الله ، و يكون له سوء الدار ،
 و أعلم بحاله^٧ ، ولكنه قال و بمن جاء ، ﴿ بالهدى ﴾ أى بالذى^٨ أذن الله
 فيه ، و هو حق فى نفسه ﴿ من عنده ﴾ ، تصويرا لحاله ، و تشويقا إلى
 اتباعه ﴿ و من تكون له ﴾ لكونه منصورا مؤيدا ﴿ عاقبة الدار ﴾ أى ١٥
 الراحة و السكن و الاستقرار مع الأمن و الطمأنينة و السرور و الظفر

(١) راجع سورة ٤٠ آية ٣٤ (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : يعنى (٣) راجع
 نشر المرجان ١٧٨/٥ (٤) فى ظ : الباهرة (٥) سقط من ظ و مد (٦) فى ظ
 و مد : ادعیه (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : بحالى (٨) من مد ، و فى الأصل
 و ظ : الذى .

نظم الدرر (سورة القصص ٢٨: ٣٧ و ٢٨) ج - ١٤

بجميع المطالب في الحالة التي تكون آخر الحالات مني ومنكم، فيعلم أنه
 أنى بما يرضى الله وهي^١ وإن كانت حقيقتها ما يتعقب الشيء من خير
 أو شر، لكنها لا يراد بها إلا ما يقصد للعاقل حتى تكون له، وأما عاقبة
 السوء فهي عليه لا له؛ ثم علل ذلك بما أجرى^٢ الله به عادته؛ فقال معلما
 ه بأن المخذول هو الكاذب، إشارة إلى أنه الغالب لكون الله معه، مؤكدا
 لما استقر في الانفس من أن القوى لا يغلبه الضعيف (انه لا يفلح)
 أى يظفر ويفوز (الظالمون ه) أى الذين يمشون كما يمشى من هو
 في الظلام بغير دليل، فهم لا يضعون قدما في موضع يثبوت
 بأنه صالح للشيء فيه^٣، لا تبعه فيه "فستظنون ولتعلمن نباء بعد حين"
 ١٠ (وقال فرعون) جوابا لهذا الترغيب والترهيب بعد الإغذار، بيان
 الآيات الكبار، قانما في^٤ مدافعة ما رأى أنه اجتذب قومه الأغمار
 الأغنياء عن الجهل من ظهور تلك الآيات البينات بأن يوقفهم عن
 الإيمان إلى وقت ما، وكذا كانت عادته كلما أظهر موسى عليه الصلاة
 والسلام برهانا، لأن قومه في غاية الغباوة والعراقة في الميل إلى الباطل
 ١٥ والنفرة من^٥ الحق^١ وترجيح المظنة^٢ على المنة: (يأتياها الملا) أى
 الأشراف، معظما لهم استجلابا لقلوبهم (ما علمت لكم) وأعرق
 في النقي فقال: (من اله غيرى ج) نقي عليه بذلك إظهارا للنصفة، وأنه
 ما قصد غشهم، وذلك منه واضح [في - ٧] أنه قصد تشكيكهم،
 (١) في ظ: هو (٢) في ظ: جرى (٣) سقط من ظ و مد (٤) في ظ: من .
 (٥) في ظ: عن (٦ - ٦) سقط ما بين الرقين من مد (٧) زيد من ظ و مد .
 إشارة

إشارة منه إلى أن^١ انتفاء عليه بوجوده ما هو إلا لانتفاء وجوده بعد
 عليه^٢ بأن الحق مع موسى عليه الصلاة والسلام^٣ لأنه أنهى ما قدر
 عليه بعد رؤيتهم لآيات، وظاهر الدلالات؛ ثم زاد في إيقافهم
 عن المتابعة بأن^٤ سبب عن جهله قوله لوزيره معلما له صنعة الآجر
 لأنه أول من عمله^٥، مع أن هذه العبارة أشبه بهمم^٦ الجبارة من أن
 يقول: اصنع لي آجرا: (فاوقد لي) أضاف الإيقاد إليه إعلاما
 بأنه لا بد منه (ينهاضن) [و-^٧] هو وزيره (على الطين) أى
 المتخذ لنا ليصير آجرا^٨؛ ثم سبب عن الإيقاد قوله: (فاجعل لي)
 أى منه (صرحا) أى بناء عاليا يتأخم السماء، قال الطبرى: وكل بناء
 مسطح فهو صرح كالقصر، وقال الزجاج: كل بناء [متسع-^٩] مرتفع ١٠
 (لعلّ اطلع) أى أتكلف الطلوع (الى^{١٠} الله موسى لا) [أى-^{١١}]
 الذى يدعو إليه، فانه ليس فى الارض أحد بهذا الوصف الذى ذكره
 فأنا^{١٢} أطلبه فى السماء موهما^{١٣} لهم أنه مما يمكن الوصو إليه على
 تقدير صحة الدعوى بأنه موجود، وهو قاطع بخلاف ذلك، ولكنه
 يقصد المدافعة / من وقت إلى وقت، لعله أن العادة جرت^{١٤} بأن أكثر^{١٥} ٢٥ /

(١-١) من ظ و مد، وفى الأصل: منهم الى انه (٢-٢) سقط ما بين الرقين
 من ظ (٣) فى ظ: بأنه (٤) من ظ و مد، وفى الأصل: عليه (٥) من ظ
 و مد، وفى الأصل: بهم (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و مد. وفى
 الأصل: آجر (٨) زيد من مد (٩) من ظ و مد، وفى الأصل: فاني.
 (١٠) من ظ و مد، وفى الأصل: توها (١١) فى ظ: حتى (١٢-١٣) فى
 مد: ان.

الناس يظنون بالملوك القدرة على كل ما يقولونه؛ ثم زادهم شكاً بقوله، مؤكداً لاجل دفع^١ ما استقر في الأنفس من صدق موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿وانى لآظنه﴾ أى موسى ﴿من الكذابين﴾ أى دأبه^٢ ذلك، وقد كذب هو ولبس لعنه الله ووصف أصدق أهل ذلك الزمان بصفة نفسه العريقة في العدوان، وإن كان هذا الكلام منه على حقيقته فلا شيء أثبت شهادة على إفراط جهله وغبائه منه حيث ظن أنه يصل إلى السماء؛ ثم على تقدير الوصول يقدر على الإرتقاء على ظهرها، [ثم -^٣] على تقدير ذلك يقدر على منازعة بانيها وسامكها^٤ ومعلها^٥.

١٠ ولما قال هذا مریداً به - كما تقدم - إيقاف قومه عن إلتباع الحق، أتبعه تعالى الإشارة إلى أنهم فعلوا ما أراد، وأن [كان -^٦] ذلك هو الكبير عن الحق فقال تعالى: ﴿واستكبر﴾ أى وأوجد الكبير بغاية الرغبة فيه ﴿هو﴾ بقوله هذا الذى صدم^٧ به^٨ عن السبيل ﴿وجنوده﴾ بانصدادهم لشدة رغبتهم في الكبير على الحق والإلتباع للباطل ﴿في الارض﴾ أى أرض مصر، ولعله عرفها^٩ إشارة إلى أنه لو قدر على ذلك في غيرها فعل^{١٠} ﴿بغير الحق﴾ أى استكباراً مصحوباً بغير هذه الحقيقة، والتعبير

(١) فى ظ: رفع (٢) فى ظ و مد: رأى به (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد، وفى الأصل: ساملكها (هـ-ه) سقط ما بين الرقین من مد. (٦) زيد من مد (٧) من ظ و مد، وفى الأصل: صد (٨) سقط من ظ و مد (٩) فى ظ: شرفها (١٠) من ظ و مد: وفى الأصل: فعمل.

بالتعريف يدل على أن^١ التعظيم بنوع من الحق ليس كبيرا وإن كانت صورته كذلك، وأما تكبره سبحانه فهو بالحق كله، وعطف على ذلك ما تفرع عنه وعن الغباوة أيضا ولذا لم يطفئه بالفاء، قال: ﴿وظنوا﴾ أى فرعون وقومه ظنا بنوا عليه اعتقادهم فى أصل الدين الذى لا يكون إلا بقاطع ﴿انهم اليانا﴾ أى إلى حكمنا خاصة الذى يظهر عنده انقطاع الأسباب ﴿لا يرجعون﴾ أى لا فى الدنيا ولا فى الآخرة، فلذلك اجترؤا على ما ارتكبه من الفساد .

ولما تسبب عن ذلك إهلاكهم قال: ﴿فاخذنه﴾ أى بعظمتنا أخذ قهر ونقمة ﴿وجنوده^٢﴾ أى كلمهم، وذلك علينا هين، وأشار إلى احتقارهم بقوله: ﴿فبذنبهم﴾ أى على صغرهم وعظمتنا ﴿فى اليم^٣﴾ ١٠ فكانوا على كثرتهم وقوتهم كخصيات صغار قدفها الرامى الشديد الذراع من يده فى البحر، فغابوا فى الحال، وما آبوا ولا أحد منهم إلى^٤ أهل ولا مال^٥. ولما سببت هذه الآية^٦ من العلوم، ما لا يحيط به الفهم^٧، قال: ﴿فانظر﴾ أى أيها المتعرف^٧ للآيات الناظر فيها نظر الاعتبار، وزاد فى تعظيم ذلك بالتنبيه على أنه مما يحق له أن يسأل عنه فقال: ١٥ ﴿كيف كان﴾ أى كونا هو الكون ﴿عاقبة﴾ أى آخر أمر ﴿الظلمين﴾ وإن زاد ظلمهم، وأعيا أمرهم، ذهبوا فى طرفة عين، كأن لم يكونوا، وغابوا عن العيون كأنهم قط لم يبينوا، وسكتوا بعد ذلك الأمر والنهى

(١) فى ظ و مد: أنه (٢) فى ظ: جنودهم (٣ - ٤) فى ظ: أهل ولا مال .
(٤) فى ظ: سبب (٥) من مد، وفى الأصل و ظ: الآيات (٦) فى ظ و مد: الفهم (٧) من ظ و مد، وفى الأصل: المعترف .

نظم الدرر (سورة القصص ٢٨: ٤١ و ٤٢) ج - ١٤

فصاروا بحيث لم يبتوا، فليحذر هؤلاء الذين ظللوا إن استمروا على ظلمهم
أن يقطعوا و يبتوا، وهذا إشارة عظيمة^١ بأعظم بشارة بأن كل ظالم
يكون عاقبته هكذا^٢ إن صابره المظلوم الحق، و رابطه حتى يحكم الله و هو
خير الحاكمين .

٥. و لما كان من سن ستة حسنة كان له أجرها و أجر من عمل^٣
بها إلى يوم القيامة، و من سن ستة سيئة كان عليه وزرها و وزر من
عمل^٤ بها إلى يوم القيامة، و كانوا أول / من أصر و أطبق في [ذلك-^٥]
الزمان على تكذيب الآيات، و إخفاء الدلالات النيرات، على تواليها
و كثرتها، و طول زمانها و عظمتها^٦ و كانت منابذة العقل و اتباع الضلال
١٠. في غاية الاستبعاد، لاسيما أن كانت ضامنة للهلاك في الدنيا و العذاب
في الآخرة، قال تعالى في مظهر العظمة: ﴿ و جعلتهم ﴾ [أى في الدنيا-^٧]
﴿ أئمة ﴾ أى متبوعين في رد ما لا يرد عاقل من مثل هذه الآيات، أى
جعلنا أمرهم شهيرا حتى لا يكاد أحد يجمله، فكل^٨ من فعل مثل أفعلهم
من رد الحق و التجبر^٩ على الخلق، فكأنه قد اختار الاقتداء [بهم-^{١٠}]
١٥. و إن لم يكن قاصدا ذلك، فأطلق ذلك عليه رفعا له عن النسبة إلى أنه
يعمل ما يلزمه الإتسام^{١١} به و هو عاقل عنه كما أنه لا تقتل نفس ظلما
إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها، لأنه أول من سن القتل،

(١) سقط من ظ و مد (٢) زيد في ظ : صابره (٣) في ظ و مد : يعمل (٤) زيد
من ظ و مد (٥) من ظ و مد ، وفي الأصل : عظمتها (٦) من مد ، وفي
الأصل و ظ : و كل (٧) من ظ و مد ، وفي الأصل : الجبر (٨) من ظ و مد ،
و في الأصل : الاقسام .

و أحق

و أحق الناس باتباعهم في باطن اعتقادهم و ظاهر اصطناعهم، و خيبة
آمالهم و أطاغهم أهل الإلحاد بمذهب الاتحاد - أهلك الله أنصارهم،
و عجل دمارهم، و كشف هذا المعنى بقوله: ﴿ يدعون ﴾ أى يوجدون
الدعاء لمن اغتر بحالهم، فضل بضلالهم ﴿ الى النار ﴾ أى [و جعلنا لهم
أعوانا ينصرونهم - ^١] عكس ما أردنا^٢ لبني إسرائيل - كما سلف أوله
السورة - و جعلناهم موروئين .

ولما كان الغالب من حال الأئمة النصرة، و كان قد أخبر عن
خذلانهم في الدنيا، قال: ﴿ و يوم القيمة ﴾ أى الذى هو يوم التغابن
﴿ لا ينصرونه ﴾ أى لا يكون لهم نوع نصرة أصلاً كما كانوا يوم
هلاكهم^٣ في الدنيا [سواء، و لاهم أئمة و لا لهم دعوة - ^١]،^{١٠} يخلدون
في العذاب، و يكون لهم سوء المآب .

ولما أخبر عن هذا الحال،^٥ أخبر عن^٦ ثمرته؛ فقال في مظهر
العظمة، لأن السياق لبيان علو فرعون وآله، و أنهم مع ذلك طوع المشيئة^٧
﴿ و اتبعنهم في هذه ﴾ و لما كان المراد الإطئاب في^٨ بيان ملكهم،
فسر اسم الإشارة فقال: ﴿ الدنيا ﴾ و لم يقل: الحياة، لأن السياق لتحقير^{١٥}
أمرهم و دناءة شأنهم ﴿ لعنة ﴾ أى طردا و بعدا عن جنابنا [و دفعا لهم
بذلك - ^٨] و دعاء عليهم بذلك من كل من سمع خبرهم بلسانه

(١) زيد من ظ و مد (٢) في ظ و مد: اوردنا (٣) من ظ و مد، و في
الأصل: اهلاكمهم (٤-٤) سقط ما بين الرقيين من ظ و مد (٥-٥) في ظ:
من (٦) من ظ و مد، و في الأصل: للسية - كذا (٧) من ظ و مد، و في
الأصل: عن (٨) زيد من مد .

إن خالفهم، أو بفعله الذى يكون عليهم مثل وزره إن والفهم
 (ويوم القيمة هم^١) أى خاصة^٢، ومن شا كلهم (من المقبوحين^٣)
 أى المبغدين أيضا المخزيين^٤ مع قبح الوجوه والاشكال، والشناعة فى
 الأقوال والأفعال والأحوال، من القبح الذى هو ضد الحسن، ومن
 ه قولهم: قبحت الشيء - إذا كسرتة، وقبح الله العدو: أبغده عن كل
 خير، فيألت شعري أى صراحة بعد هذا [فى -^٥] أن فرعون عدوا لله^٦،
 فى الآخرة كما كان عدوه^٧ فى الدنيا، فلعنة الله على من يقول: إنه
 مات مؤمنا، وإنه لا صريح فى القرآن أنه من أهل النار، وعلى
 [كل -^٨] من يشك فى كفره بعد ما ارتكبه من جلى أمره .

١٠ ولما وعد سبحانه بإمامة^٩ بنى إسرائيل وقص القصص^{١٠} حتى ختم
 بإمامة آل^{١١} فرعون فى الدعاء إلى النار إعلاما^{١٢} بأن ما كانوا عليه
 تجب مجازته ومناذته ومباعدته، وكان من المعلوم أنه لا بد لكل إمامة من
 دعامة، تشوفت النفس إلى أساس إمامة بنى إسرائيل التى يجب العكوف
 فى ذلك الزمان عليها، والتمسك بها، والمبادرة إليها، فأخبر سبحانه
 ١٥ عن ذلك مقسما عليه [مع الافتتاح -^{١٣}] بحرف التوقع، لأن العرب وإن
 كانوا مصدقين^{١٤} لما وقع من / المنة على بنى إسرائيل بانقاذهم من يد فرعون

/ ٢٧

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ ومد: خاصهم (٣) من ظ ومد، وفى الأصل:
 للخزيين (٤) زيد من ظ ومد (٥) فى ظ: لله (٦) من مد، وفى الأصل وظ:
 عدوا (٧) زيد من ظ (٨) فى ظ: بإمامة (٩) من ظ ومد، وفى الأصل: القص.
 (١٠) سقط من مد (١١) من ظ ومد، وفى الأصل: اعلا (١٢) فى ظ:
 متصدقين .

و تمكينهم (٧٥) ٣٠٠

و تمكينهم بعده. وإزال الكتاب عليهم، فخالهم^١ بانكار التمكين
 لأهل الإسلام والتكذيب بكتابتهم حال المكذب بأمر بنى إسرائيل،
 لأنه لا فرق بين نبي ونبي، وكتاب^٢ وكتاب^٣. وناس وناس، لأن
 رب الكل واحد، فقال: ﴿ ولقد اتينا ﴾ أى بما لنا من^٤ الجلال والجمال^٥
 والمجد والكمال ﴿ موسى الكتب ﴾ أى التوراة الجامعة للهدى والخير
 فى الدارين؛ قال أبو حيان^٦: وهو أول كتاب أنزلت فيه
 الفرائض والاحكام.

ولما كان حكم التوراة لا يستغرق الزمان الآتى، أدخل الجار فقال:
 ﴿ من بعد ما ﴾ إشارة إلى أن إتياءها إنما هو فى مدة من الزمان، ثم
 ينسخها سبحانه بما يشاء من أمره ﴿ اهلكنا ﴾ أى بعظمتنا ﴿ القرون الاولى ﴾ ١٠
 أى من قوم نوح إلى قوم فرعون، ووقتها^٧ بالهلاك إشارة إلى أنه
 لا يعم أمة من الأمم بالهلاك بعد إزالتها تشريفا لها^٨ ولمن أنزلت عليه
 وأوصلت إليه: ﴿ ثم - ٩ ﴾ ذكر حالها بقوله: ﴿ بصائر ﴾ جمع بصيرة،
 وهى^٩ نور القلب، مصايح وأنوارا^{١٠} ﴿ للناس ﴾ أى^{١١} يصرون بها ما
 يعقل من أمر معاشهم ومعادهم، وأولام وأخراهم، كما أن^{١٢} نور العين ١٥

(١) فى ظ: لحسابهم (٢ - ٢) سقط ما بين الرقبن من ظ (٣ - ٣) من مد،
 وفى الأصل وظ: الجمال والجلال (٤) راجع البحر المحيط ١٢٠/٧ (٥) من
 ظ ومد، وفى الأصل: وصفها (٦) فى ظ: لها (٧) زيد من ظ ومد (٨) فى
 ظ ومد: هو (٩) فى ظ ومد: أنوار (١٠) سقط من ظ ومد (١١) فى
 ظ ومد: كان.

يصر به ما يحسن من أمور الدنيا .

ولما كان المتبصر قد لا يهتدى لما نفع قال: ﴿ وهدى ﴾ [أى - ١]
للعامل بها إلى كل خير . ولما كان المهتدى ربما حمل على من توصل
إلى غرضه، وكان^٢ ضارا، قال: ﴿ ورحمة ﴾ أى نعمة هيئة^٣ شريفة،
لأنها قائدة إليها .

ولما ذكر حالها، ذكر^٤ حالهم بعد إنزالها فقال^٥: ﴿ لعلهم يتذكرون ﴾
أى ليكون حالهم حال من يرجى تذكره، وهذا إشارة إلى أنه ليس
في الشرائع ما يخرج عن العقل بل متى^٦ تأمله الإنسان تذكر به من عقله
ما يرشد إلى مثله .

١٠ ولما بين سبحانه في هذه السورة من غرائب أمر موسى عليه الصلاة
و السلام وخفي أحواله ما بين، وكانت^٧ [هذه - ١] الأخبار لا يقدر
أهل الكتاب على إنكارها، نوعا من الإنكار، وكان من المشهور أى
اشتهار، أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعرفها ولا سواها من غير الواحد
القهار . أشار إلى ذلك سبحانه بقوله حالا من ضمير "أتينا"
١٤ ﴿ وما كنت بجانب الغربي ﴾ أى الوادى من الطور الذى رأى موسى
عليه السلام فيه النار، وهو بما يلى البحر منه من جهة الغرب على يمين
المتوجه إلى ناحية مكة المشرقة من ناحية مصر - ١ ، فداده منه العزيز^٨

(١) زيد من ظ و مد (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : عظيمة (٤) فى ظ و مد :
بعد (٥) فى ظ و مد : قال (٦-٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : شئ حتى .
(٧-٧) من ظ و مد ، وفى الأصل : فكانت (٨) تكرر فى الأصل فقط .

الجبار، و هو ذو طوى (اذ) أى حين (قضيئاً) بكلامنا بما حوى^١ من
الجلال؛ وزاد^٢ العظمة فى رفيع^٣ درجاته بالإشارة بحرف الغاية فقال:
(الى موسى الامر) أى أمر إرساله إلى فرعون وقومه، وما نريد أن
نفعل من ذلك فى أوله وأثنائه [و آخره-] بجملا، فكان كل ما أخبرنا
به مطابقاً تفصيله لإجماله، فأتت^٤ بحيث تسمع ذلك الذى قضيناه إليه ه
من الجانب الذى أنت فيه (وما كنت) أى بوجه من الوجوه
(من الشهدين^٥) لتفاصيل^٦ ذلك الأمر الذى أجهلناه لموسى فى ذلك
المكان فى أوقاته مع من شاهده منه من أهل ذلك العصر من السبعين
الذين^٧ اختارهم أو غيرهم ممن تبعه أو صد عنه حتى تخبر^٨ به كله على هذا
الوجه الذى أتيناك به فى هذه الأساليب المعجزة، ولا شك أن أمر ١٠
معرفتك كذلك^٩ منحصر فى شهودك إياه فى وقته أو تعلبك له من
الخالق، أو^{١٠} من الخلائق الذين شاهدوه /، أو أخبرهم به من شاهده^{١١}،
و انتفاء تعلبه من أحد من الخلائق فى الشهرة بمنزلة انتفاء شهوده له فى
وقته، فلم يبق إلا تلقيه له من الخالق، و هو الحق الذى لا شبهة^{١٢} فيه
عند منصف^{١٣}.

١٥

ولما كان التقدير: وما كنت من أهل ذلك الزمان الحاضرين

(١) فى ظ و مد: جرى (٢) فى ظ و مد: مزيد (٣) فى مد: رفعة (٤) زيد
من ظ و مد (٥) من مد، وفى الأصل و ظ: و انت (٦) فى ظ: بكتفاصيل .
(٧) من ظ و مد، وفى الأصل: الذى (٨) من مد، وفى الأصل: يخبر، وفى
ظ: تخبر (٩) من ظ و مد، وفى الأصل: لذلك (١٠) فى ظ و مد .
(١١) العبارة من هنا إلى « أحد من الخلائق » ساقطة من مد (١٢) فى ظ:
شاهدهم (١٣) فى ظ: شر، وفى مد: مربة (١٤) فى ظ: منتصف .

لذلك الأمر ، وامتد عمرك إلى هذا الزمان حتى أخبرت بما كنت حاضرة ،
استدرك ضد ذلك قال : (ولكنّا) أى بما لنا من العظمة (أنشأنا)
أنى بعد ما أهلكنا أهل ذلك الزمان الذين علموا هذه الأمور بالمشاهدة
والإخبار ، (قرونا) أى ما أخرنا أحداً من أهل ذلك
الزمان ، ولكنّا أهلكناهم كلهم وأنشأنا بعدهم أجيالا كثيرة
(فتناول) بمرورة^٢ وعلوه^٣ (عليهم العرج) جدا بتدرج من الزمان
شيئا فشيئا فسبقت تلك الأخبار ، وحرفت ما بقى منها الرهبان والأخبار ،
ولا سيما فى زمان الفترة ، فوجب فى حكمتنا إرسالك فأرسلناك^٤ لتقوم
الحجة^٥ ، وتقوم بك الحجة ، فلم أن إخبارك بهذا والحال أنك لم
١٠ تشاهده ولا تعلمه من مخلوق^٦ إنما هو عنا و بوحينا .

ولما نقي العلم^٧ بذلك بطريق الشهود^٨ ، نقي سبب العلم بذلك فقال :
(وما كنت تأويأ) أى مقبلا إقامة طويلة مع الملازمة بمدى
(فى أهل مدين^٩) أى قوم شعيب عليه السلام (تتلوا) أى تقرأ
على سبيل القصص والآثار والأخبار الحق (عليهم أينئالا) العظيمة ،
١٥ لتكون بمن^{١٠} يهتم بأمور^{١١} الوحي^{١٢} وتعرف دقيق أخباره ، فيكون
خبرهم وخبر موسى عليه الصلاة والسلام معهم وخبره بعد فراقه لهم

(١) سقط من ظ (٢) - سقط من مد (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : بمرده .
(٤) فى ظ : خلوه (٥-٥) من مد ، وفى الأصل و ظ : لتقيم الحجة - كذا .
(٦) زيدت الوار فى ظ و مد (٧-٧) فى ظ و مد : بذلك الطريق الشهود .
(٨-٨) زدناه من ظ و مد والقرآن الكريم وليس فى الأصل (٩-٩) فى ظ
و مد : يتهم بأمر (١٠) زيد فى ظ : حينئذ .

من شأنك، لتوفر داعيتك حيثد على تعرفه ﴿ولكننا كنا﴾ أى
كونا 'أزليا أبديا' نسبه^١ إلى جميع الازمنة بما لنا من العظمة، على
حد سواء ﴿مرسلين ه﴾ أى لنا صفة القدرة على الإرسال، فأرسلنا
إلى كل نبي فى وقته ثم أرسلنا إليك^٢ فى هذا الزمان بأخبارهم وأخبار
غيرهم لتنتشرها فى الناس، واضحة البيان سالمة من الإلباس، لأننا كنا ه
شاهدين لذلك كله، لم يغب عنا شيء منه ولا كان إلّا^٣ بأمرنا .

ولما نفي السبب المبدئى للعلم بذلك الإجمال ثم القائى للعلم بتفصيل
تلك الوقائع والأعمال، نفي السبب القائى للعلم بالأحكام ونصب الشريعة
بما فيها من القصص والمواظ و الحلال و الحرام و الأصار و الأغلال
بقوله^٤: ﴿وما كنت بجانب الطور إذ﴾ أى حين ﴿نادينا﴾ أى^٥ أوقنا ١٠
النداء لموسى عليه الصلاة والسلام فأعطيناه التوراة وأخبرناه بما لا يمكن
الإطلاع عليه إلا من قبلنا أو قبله، ومن المشهور أنك لم تطلع على شيء
من ذلك من قبله، لأنك ما خالطت أحدا ممن حمل تلك الأخبار عن
موسى عليه الصلاة والسلام، ولا أحد أحملها عن حملها عنه، ولكن
ذلك كان إليك منا، وهو معنى قوله: ﴿ولكن﴾ أى أنزلنا ما أردنا ١٥
منه ومن غيره عليك وأوحيناه إليك وأرسلناك^٦ به إلى الخلائق
﴿رحمة من ربك﴾ لك خصوصا وللخلق عموما ﴿لتتذرع﴾ أى تحذر

(١-١) من ظ و مد، وفى الأصل: أراسا - كذا (٢) أى نسبة الكون، وفى
الأصل و ظ: نسبة (٣) فى ظ و مد: الأزمان (٤ - ٤) سقط ما بين الرقين
من ظ و مد (٥) زيد فى ظ و مد: الامر (٦) فى ظ و مد: فقال (٧) سقط
من ظ و مد (٨) فى ظ: أرسلنا .

تحذيرا كبيرا (قوما) أى أهل قوة و نجدة، ليس لهم عائق من أعمال
 الخير العظيمة، لا^٢ الإعراض عنك، و هم العرب^٣، و من فى ذلك الزمان
 من الخلق (مآآتهم) و عم^٤ المنى بزيادة الجار فى قوله : (من نذير)
 أى منهم، و هم مقصودون بارساله إليهم و إلا فقد أتتهم رسل موسى
 عليه السلام، ثم رسل عيسى عليه الصلاة و السلام، و إن صح^٥ أمر
 خالد بن سنان / العبسى فيكون نيا غير رسول، أو يكون رسولا إلى قومه
 بنى عبس خاصة، فدعاؤه لغيرهم إن وقع فن باب الامر بالمعروف عموما،
 لا الإرسال خصوصا، فيكون التقدير : نذير منهم عموما، و زيادة الجار
 فى قوله : (من قبلك) تدل على الزمن القريب، و هو زمن الفترة،
 ١٠ و أما ما قبل ذلك فقد كانوا فيه على دين إبراهيم عليه الصلاة و السلام
 حتى غيره عمرو^٦ بن لحي^٧ فقد أنذرهم فى تلك الأزمان إبراهيم عليه الصلاة
 و السلام ثم إسماعيل عليه الصلاة و السلام ثم من بعدهم من صالحى
 ذريتهم إلى زمان عمرو بن لحي^٨، فهم لاجل عدم النذير عمى^٩، عن الهدى،
 سالكون^{١٠} سبيل الردى، "أو قال^{١١} : (لعلهم يتذكرون)" مثل "ما تقدم من
 ١٥ أنهم إذا قبلوا ما جئت به و تدبروه أذكركم" إذكارا ظاهرا - بما أشار^{١٢} إليه

/ ٢٩

(١) فى ظ و مد : عن (٢) من ظ و مد، وفى الأصل : (٣) فى ظ :
 القريب - خطأ (٤) فى ظ و مد : عمم (٥) سقط من ظ و مد (٦) راجع
 سيرة ابن هشام ٢٧ / ١ (٧-٧) سقط ما بين الرقيين من ظ و مد (٨) من ظ
 و مد، وفى الأصل : عموا (٩) فى ظ و مد : سالكين (١٠-١٠) فى ظ
 و مد : قال (١١) من ظ و مد، وفى الأصل : مثل (١٢) من مد، وفى
 الأصل و ظ : اذكروهم (١٣) فى ظ و مد : ارشد .

الإظهار - ما في عقولهم من شواهد و إن كانت لا تستقل^١ بدونه -
والله الموفق .

ولما كان اتقاء إنذارهم قبله عليه الصلاة والسلام نافيا للحجة في
عذابهم بما أوجبه الله - وله الحجة البالغة لا يستل عما يفعل - على نفسه
الشريفة ، فضلا منه ورحمة ، ذكر أن إرساله مما لا بد منه لذلك فقال : ه
(ولولا) أى ولولا^٢ هذا الذى ذكرناه ما أرسلناك لتذرم ، ولكنه
حذف هذا الجواب لإجلاله صلى الله عليه وسلم عن المواجهة به^٣ ،
و ذلك الذى ختم الإرسال هو (ان تصيهم) أى فى وقت من الأوقات
(مصية) أى عظيمة (بما قدمت أيديهم) أى من المعاصى التى قضينا
بأنها مما لا يعنى عنه^٤ (فقولوا ربنا) أى أيها المحسن إلينا (لولا) ١٠
أى هل لا ولم لا (أرسلت إلينا) أى^٥ على وجه التشريف لنا ، لتكون
على علم بأننا ممن يعنى^٦ الملك الأعلى به (رسولا) و أجاب التخصيص
الذى شبهوه بالأمر لتكون كل منهما باعنا على الفعل بقوله : (فتبع)
أى فيتسبب^٧ عن إرسال رسولك^٨ أن تتبع (ابتك و نكون) أى
كونا هو فى غاية الرسوخ (من المؤمنين *) أى^٩ المصدقين بك فى كل ١٥
ما أتى به عنك رسولك صلى الله عليه وسلم تصديقا بليغا ، فاذا قالوا

(١) زيد فى الأصل : به ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٢) من ظ
ومد ، وفى الأصل : لم لا (٣) سقط من ظ و مد (٤) سقط من ظ (٥) فى مد :
عنها (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : يعنى (٧) فى ظ : تسبب (٨) فى ظ
ومد : أرسالك .

ذلك على تقدير عدم الإرسال قامت لهم حجة في مجارى عاداتهم وإن كانت لنا الحجة البالغة .

و لما كان التقدير : و لكننا أرسلناك بالحق لقطع حججهم هذه ،
بنى عليه قوله : ﴿ فلما جاءهم ﴾ أى أهل مكة ﴿ الحق ﴾ الذى هو
أعم من الكتاب و السنة و ما يقاس عليهما ، و هو فى نفسه جدير بأن
يقبل لكونه فى الذروة العليا من^٢ الثبات ، فكيف و هو ﴿ من عندنا ﴾
على ما لنا من العظمة ، و على لسانك و أنت أعظم الخلق ! ﴿ قالوا ﴾
أى أهل الدعوة من العرب^٣ و غيرهم^٤ تعنتا كفرا به : ﴿ لولا اوتى ﴾
من الآيات^٥ ، [أى هذا الآتى بما يزعم أنه الحق -^٦] ، و بنى للفعول
١٠ لأن القصد مطلق الإتياء لأنه الذى يترتب^٧ عليه مقصود الرسالة ، مع
أن المؤتى معلوم ﴿ مثل ما اوتى موسى^٨ ﴾ أى من اليد و العصى
و غيرها من الآيات التى^٩ لا يقدر على إتيانها إلا القادر على كل شئ .
و لما كان الإتيان يمثل ما أتى به موسى عليه الصلاة و السلام
لا يكون موجبا للإيمان على زعمهم [إلا بأن -^{١٠}] يكون أعظم مما أتى
١٥ به محمد صلى الله عليه و سلم ، أو^{١١} يكون الناس لم يتوقفوا فى الإيمان به ،
و كان كل من الأمرين متنفيا^{١٢} بأن أهل زمانه كفروا به ، و هو^{١٣} لما سألوا

(١) زيد فى ظ و مد : أى (٢) فى ظ و مد : فى (٣-٢) سقط ما بين الرقيين من
ظ و مد (٤) زيد من ظ و مد (٥) فى ظ : ترتب (٦) من ظ و مد ، وفى
الأصل : الذى (٧) فى ظ : بما (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : ان (٩) من ظ
و مد ، وفى الأصل : متيقنا (١٠) من مد ، وفى الأصل و ظ : هولاء .

اليهود عن محمد صلى الله عليه وسلم وأسروهم أن يمتحنوه^١ بالروح
و قصص أهل الكهف وذى القرنين، / وجاء في كل من ذلك بما^٢ لزمهم
تصديقه، فامتنعوا وأصروا على كفرهم، وكان في ذلك كفرهم به
وبموسى^٣ عليهما الصلاة والسلام، فلم أن التقدير: ألم يكفروا بما
أتاهم به من الآيات الباهرة مع أنه مثل [ما -^٤] أتى به موسى عليها
الصلاة والسلام، بل أعظم منه (أو لم يكفروا) أى العرب ومن بلغتهم
الدعوة من بنى إسرائيل أو من شاء الله منهم أو أبناء جنسهم ومن كان
مثلهم في البشرية والعقل في زمن موسى عليه السلام (بما آتوا موسى) .
ولما كان كل من إتيانه وكفرهم لم يستغرق زمان القبل، أثبت
الجار فقال: (من قبل ع) أى [من -^٥] قبل مجيء الحق على لسان
محمد صلى الله عليه وسلم إليهم . ولما كان كأنه قيل: ما كان كفرهم
به؟ قيل: (قالوا) أى فرعون وقومه ومن كفر من بنى إسرائيل
كفارون ومن تبعه . ولما كان قد تقدم هنا قريبا أن المظاهر له أخوه،
فكان المراد واضحا، أضمرها فقال: (سحرن) أى هو وأخوه
(تظاهرا) أى أعان كل منهما صاحبه على سحره حتى صار سحرهما معجزا ١٥
فعلبا^٦ جميع السحرة، وتظاهر الساحرين من تظاهر السحرين^٧ - على قراءة
الكوفيين^٨، ويجوز - وهو أقرب - أن يكون الضمير لمحمد وموسى^٩
(١) فى ظ : يمتحنوهم (٢) من ظ ومد، وفى الأصل: ما (٣) فى ظ :
موسى (٤) زيد من ظ ومد (٥) فى ظ ومد: بلغته (٦) من ظ ومد،
وفى الأصل: فعلنا (٧) من ظ ومد، وفى الأصل: السحرين (٨) راجع
نثر المرجان ١٨٧/٥، (٩) فى ظ: ما (١٠) فى ظ: لموسى .

عليها الصلاة والسلام، و'ذلك لانه' روى أن قريشا بعثت إلى
يهود فسألوم عن محمد صلى الله عليه وسلم فأخبروهم أن نعته في كتابهم،
فقالوا هذه المقالة، فيكون الكلام استثناءً لجواب من كأنه قال:
ما كان كفرهم بهما؟ فقيل: قالوا - أي العرب: الرجلان ساحران،
هـ أو^١ الكتابان سحران، ظاهر أحدهما الآخر مع علم كل ذي^٢ لب أن^٣
هذا القول زيف، لانه لو كان شرط إعجاز السحر التظاهر، لكان سحر
فرعون أعظم إعجازاً. لانه تظاهر عليه جميع سحرة بلاد مصر وعجزوا
عن معارضة ما أظهر موسى عليه الصلاة والسلام من آية العصا، وأما
محمد صلى الله عليه وسلم فقد دعا أهل الأرض^٤ من الجن والإنس^٥
١٠ إلى معارضة كتابه وأخبرهم أنهم عاجزون ولو كان بعضهم لبعض
ظهيراً فعجزوا.

ولما تضمن قولهم ذلك الكفر، صرحوا به في قولهم: ﴿وقالوا﴾
أي كفار قريش أو المتقدمون من فرعون وأضرابه: ﴿إنا بكل﴾
من الساحرين أو السحريين اللذين^٦ تظاهرا بهما، وهما ما أتيا به من^٧
١٥ عند الله^٨ ﴿كفرون﴾ جرأة على الله وتكبيرا على الحق.

ولما قالوا ذلك، كان كأنه قيل: فما ذا فعل؟ قال: ﴿قل﴾

(١-١) من ظ و مد، وفي الأصل: لذلك انه (٢) في ظ: أي (٣-٣) في ظ
و مد: لسان - مصحفاً (٤-٤) سقط ما بين الرقيين من مد (هـ) زيد في ظ:
أي (٦) من مد، وفي الأصل و ظ: الذين (٧) من ظ و مد، وفي الأصل:
عن (٨-٨) في مد: عندنا (٩) في ظ: فعمل.

إلزاماً

إلزاما لهم إن كتبتم صادقين في أتى ساحر وكتاب سحر وكذلك موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿ فأتوا بكتب ﴾ وأشار^١ بالتعبير في وصفه بعند دون لدن^٢ إلى أنه يقنع منهم^٣ بكونه حكيما خارقا للعادة في حكته وإن لم يبلغ الذروة في^٤ الغرابة بأن^٥ انفك عن الإعجاز في نظمه كالتوراة فقال: ﴿ من عند الله ﴾ أي الملك الأعلى ، ينطق بأنه من عنده أحواله هـ و حكته و جلاله ﴿ هو ﴾ أي الذي أتيتم به ﴿ اهدى منهما ﴾ أي عما أتيت به و بما أتى به موسى ﴿ اتبعه ﴾ أي وأركبها^٦.

ولما أمرهم بأمره^٦ بالإتيان ، ذكر شرطه من باب التنازل ، لإظهار النصفة ، وهو في الحقيقة تهكم بهم^٧ فقال: ﴿ ان كنتم ﴾ [أيها الكفار! كونوا راسخا -^٨] ﴿ صدقين هـ ﴾ أي في أنا / ساحران ، فأتوا ما ١٠ / ٣١ ألزمتكم به .

ولما [كان -^٩] شرط صدقهم ، بين كذبهم على تقدير عدم الجزاء فقال: ﴿ فان لم يستجيبوا ﴾ [أي الكفار الطالبون للأهدى في الإتيان به -^٨] . ولما كانت الاستجابة تتعدى بنفسها إلى الدعاء ، وباللام^{١٠} إلى الداعي ، وكان ذكر الداعي أدل على الاعتناء به والنظر إليه ، قال ١٥

- (١ - ١) سقط ما بين الرقيين من مد ، وفي ظ : بوصفه - موضع : في وصفه .
(٢) في مد : منه (٣-٣) من ظ ومد ، وفي الأصل : العراقة فان (٤) من ظ ومد ، وفي الأصل : عظمت (٥) في ظ : انزلها (٦) من ظ ومد ، وفي الأصل : يامرهم (٧) من ظ ومد ، وفي الأصل : به (٨) زيد من ظ ومد .
(٩) زيد من مد (١٠) في ظ : بالكلام .

[مفردا لضميره صلى الله عليه وسلم لانه لا يفهم المقايسة في الاهدوية
 غيره - '] : (لك) أى يطلبوا الإجابة و يوجدوها في الإيمان أو ' الإتيان
 بما ذكرته لهم و دعوتهم إليه عما هو أهدى ، من ' القرآن و التوراة '
 ليظهر صدقهم (فاعلم) أنت (انما يقبعون) أى بغاية جهلهم فيما هم
 عليه من الكفر و التكذيب (أهوآهم ') أى دائما ، و أكثر الهوى
 مخالف للهدى فهم ظالمون غير مهتدين ، بل هم ' أضل الناس ، و ذلك معنى
 قوله : (و من أضل) أى منهم ، ولكنه قال : (بمن اتبع) أى بغاية
 جهده ' (هو نه) تعليقا للحكم بالوصف ؛ و التقيد و بقوله : (بغير هدى)
 أى بيان ' إرشاد ' (من الله ') أى الملك الأعلى الذى له جميع صفات
 ١٠ الكمال دليل على أن الهوى قد يوافق الهدى ، و التعبير بالافتعال دليل على
 أن التابع و إن كان ظالما قد لا يكون أظلم .

و لما كانت متابعة الهوى على هذه الصورة ظلما ، وصل به قوله
 مظهرا لثلاث يدعى التخصيص بهم : (ان الله) أى الملك الأعظم الذى
 لا راد لأمره (لا يهدى) و أظهر ' موضع الإضمار للتعميم فقال :
 ١٥ (القوم الظالمين) أى و إن كانوا أقوى الناس لاتباعهم أهواءهم ، فالآية
 من الاحتك : أثبت أولا اتباع الهوى دليلا على حذفه ثانيا ، و ثانيا
 الظلم دليلا ' على حذفه أولا .

(١) زيد من ظ و مد (٢) في ظ و مد و (٣ - ٣) من ظ و مد ، و في
 الأصل : التورية و الفرقان (٤) سقط من ظ و مد (٥) في ظ : جهدهم .
 (٦ - ٦) من ظ و مد ، و في الأصل : او رشاد (٧) في ظ : اظهار (٨) من ظ
 و مد ، و في الأصل : دليل .

و لما أبغ في هذه الأساليب في إظهار الخفايا، وأكثر من نصب الأدلة على الحق وإقامة البراهين على وجوب اتباع محمد صلى الله عليه وسلم، وكانوا باعراضهم عن ذلك كله كأنهم منكرون^١ لأن يكون جاءهم شيء من ذلك، قال ناسقا على ما تقديره : فلقد أتيناك في هذه الآيات بأعظم البينات، منها^٢ بحرف التوقع المقترن بأداة القسم على أنه هـ مما يتوقع هنا أن يقال : (ولقد وصلنا) أى^٣ على ما^٤ لنا من العظمة التى مقتضاها أن يكنى أدنى إشارة منها (لهم) أى خاصة، فكان تخصيصهم بذلك منة عظيمة يجب عليهم شكرها (القول) أى أتبعنا بعض القول - الذى لا قول فى الحقيقة سواء - بعضا بالإنزال منجما، قطعا بعضها فى أثر بعض، لتكون جوابا لأقوالهم، وحلا لاشكاهم، فيكون ١٠ أقرب إلى الفهم، وأولى بالتدبر، مع تنويعه فى وعد ووعيد، وأخبار ومواظ، وحكم ونصائح، وأحكام ومصالح، وأكثرنا^٥ من ذلك حتى كانت آياته المعجزات وبياناته الباهرات كأنها أفراس الرهبان، يوم استباق الاقران، فى حومة الميدان، غير أن كلا منهما سابق فى العيان.

و لما بكتهم بالتنبيه بهذا التأكيد على مبالغتهم فى الكذب بالقول ١٥ أو بالفعل فى أنه ما أتاهم ما يقتضى التذكير^٦ أتبع ذلك التوصيل عليه فقال : (لعلهم يتذكرون^٧) أى ليكون حال الذين يرجى لهم

(١) فى ظ : منكرين (٢) من مد، وفى الأصل : منها، وفى ظ : مبهما.

(٣-٢) فى مد : بما (٤) فى ظ و مد : أكثر (٥) فى ظ : التذكر.

أن يرجعوا إلى عقولهم فيجدوا فيما طبع^١ فيها ما يذكرهم بالحق تذكيراً^٢،
بما أشار إليه الإظهار .

ولما كان^٣ من التذكر ما دل^٤ عليه مجرد العقل، ومنه ما انضم
إليه مع ذلك النقل، وكان صاحب هذا القسم أجدر بأن يتبصر، وكان
٥ كأنه قيل : هل تذكروا^٥ ؟ قيل : نعم ! أهل الكتاب الذين هم أهل
/ حقا تذكروا [حقا - °]، وذلك معنى قوله : ﴿ الذين اتينهم ﴾ أى
/ ٣٢ بعظمتنا التى حفظناهم بها ﴿ الكتب ﴾ أى العلم من التوراة والإنجيل
وغيرهما من كتب الأنبياء، وهم يتلون ذلك حق^٦ تلاوته، فى بعض
الزمان الذى كان ﴿ من قبله ﴾ أى القرآن ﴿ هم ﴾ أى خاصة
١٠ ﴿ به ﴾ أى القرآن، لا بشيء مما يخالفه ﴿ يؤمنون ° ﴾ أى يوقنون
الإيمان به فى حال وصوله إليهم إيماناً لا يزال يتجدد؛ ثم أكد
هذا المعنى بقوله : ﴿ واذا يتلى ﴾ أى تتجدد تلاوته ﴿ عليهم قالوا ﴾
مبادرين : ﴿ آمنا به ﴾ ثم عللوا [ذلك بقولهم - °] الدال على غاية
المعرفة، مؤكدين لأن^٧ من كان على دين لا يكاد يصدق رجوعه عنه،
١٥ فكيف إذا كان أصله حقا من عند الله : ﴿ انه الحق ﴾ أى التكامل
الذى ليس وراءه إلا الباطل، مع كونه ﴿ من ربنا ﴾ المحسن إلينا،
١) فى ظ : طبعوا (٢) فى ظ : تذكر (٣ - ٣) فى مد : فى التذكير ما يدل .
(٤) من ظ و مد، وفى الأصل : تذكرون (٥) زيد من ظ و مد (٦) سقط
من ظ و مد (٧) زيد فى الأصل : بكل، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد
فحذفناها .

وكل من الوصفين موجب ' للتصديق و الإيمان ' به ؛ ثم عللوا مبادرتهم إلى الإذعان منبهين على أنهم في غاية البصيرة من أمره بأنهم يتلون ما عندهم حق تلاوته ، لا بألسنتهم فقط ، فصح قولهم الذي دل تأكيدهم [له - ٢] على اغتباطهم^٢ به الموجب لشكره : ﴿ انا كنا ﴾ أى كونا هو في غاية الرسوخ ؛ وأشار إلى أن^٣ من صح إسلامه ولو في زمن يسير ه أذعن لهذا الكتاب ، بآيات الجار ، فقال : ﴿ من قبله مسلمين ه ﴾ أى منقادين غاية الانقياد لما جاءنا من عند الله من وصفه وغير وصفه وافق هو اننا^٤ وما ألفناه أو خالفه ، لا جرم كانت النتيجة : ﴿ اولئك ﴾ أى العالو الرتبة ﴿ يؤتون ﴾ بناء للفعول لأن القصد الإيتاء و المؤتى معروف ﴿ اجرهم مرتين ﴾ لإيمانهم به غيا و شهادة ، أو بالكتاب^٥ ١٠ الاول ثم الكتاب الثانى ﴿ بما صبروا ﴾ على ما كان من الإيمان قبل العيان ، بعد ما هزم^٦ إلى النزوع عنه ألف دينهم الذى كان ، وغير ذلك من امتحان الملك الديان .

ولما كان الصبر لا يتم إلا بالاتصاف بالمحاسن والانخلاع من المساوئ ، قال عاطفا على " يؤمنون " مشيرا إلى تجديد هذه الأفعال ١٥ كل حين : ﴿ ويدرمون بالحسنة ﴾ من الأقوال و الأفعال ﴿ السيئة ﴾ أى من ذلك كله فيمحونها بها .

(١ - ١) من ظ و مد ، وفي الأصل : للإيمان (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، وفي الأصل : احتياطهم (٤) سقط من ظ و مد (٥) من ظ و مد ، وفي الأصل : صوابا (٦) في ظ : الكتاب (٧) في ظ و مد : هزيم .

ولما كان بعض هذا الدرء لا يتم إلا بالجود قال : (وما رزقهم)
 أى بعظمتنا، لا يحول منهم ولا قوة، قليلا كان أو كثيرا (يففقون هـ)
 معتمدين في الخلف على الذى رزقه؛ قال البغوى : قال سعيد بن جبير :
 قدم مع جعفر رضى الله تعالى عنه من الحبشة أربعون رجلا، يعنى :
 هـ فأسلبوا، فلما رأوا ما بالمسلمين من الخصاصة استأذنوا النبي صلى الله عليه
 وسلم في أموالهم، فأتوا بها فواسوا بها المسلمين .

ولما ذكر أن السباح بما ترضى النفوس به من فضول الأموال من
 أمارات الإيمان، أتبعه أن خزن ما تبذله الألسن من فضول الأقوال
 من علامات العرفان، فقال : (واذا سمعوا اللغو) أى ما لا ينفع^٩ فى
 ١٠ دين ولا دنيا من شتم وتكذيب وتعبير ونحوه (اعرضوا عنه)
 تسكروا^{١٠} عن الخنا (وقالوا) أى وعظا وتسميما لقائله : (لأ)
 أى خاصة (اعمالنا) لا تابون على شئ منها ولا تعاقبون (ولكم)
 أى خاصة (اعمالكم) لا تطالب بشئ منها، فنحن لا نشغل بالرد عليكم
 لأن ذمكم لنا لا ينقصنا شيئا من أجرنا ولا الاشتغال برده ينقصنا .

ولما كان / معنى هذا أنهم سالمون منهم، صرحوا لهم به فقالوا : ١٥ / ٣٣

(١) فى معالم التنزيل بهامش الباب ٤٧/هـ : (٢-٢) سقط ما بين الرقين من ظ
 ومد (٣) فى ظ و مد : السماع (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : خزى .
 (هـ-ه) فى ظ و مد : تبذله (٦) زيد فى الأصل : امارات و ، ولم تكن الزيادة
 فى ظ و مد لحدفتها (٧-٧) فى ظ و مد : دينا (٨-٨) سقط ما بين الرقين من
 مد (٩) سقط من ظ و مد .

(سَلِّمَ عَلَيْكُمْ) أي مناه. ولما جرت العادة بأن مثل هذا يكرر اللأغى، ويرد الباغي، أشاروا لهم إلى قبج حالهم، ردا على ضلالهم، بقولهم تعليلا لما مضى من مقالهم: (إِلا نبتغي) أي لا نكلف أنفسنا أن نطلب (الجهلين) أي نريد شيئا من أحوالهم أو أقوالهم، أو غير ذلك من خلاهم.

و لما كان من المعلوم أن نفس النبي صلى الله عليه وسلم - لما جبلت عليه من الخير والمحبة لنفع جميع العباد، لاسيما العرب، لقربهم منه صلى الله عليه وسلم، لاسيما أقربهم منه صلة للرحم تتأثر بسبق أهل الكتاب لقومه، وكان ربما ظن ظان أن عدم هدايتهم لتقصير في دعائه أو إرادته لذلك، وأنه لو أراد هدايتهم وأحبها، وعلق همته العلية بها لاهتدوا، ١٠ أجيب عن هذا بقوله تعالى في سياق التأكيد إظهارا لصفة القدرة والكبرياء والعظمة: (أنك لاتهدي من أحببت) أي نفسه أو هدايته بخلق الإيمان في قلبه، وإنما في يدك الهداية التي هي الإرشاد والبيان.

و لما كان ربما ظن من أجل الإخبار بتوصيل القول و تعليله ونحو ذلك من أشباهه أن شيئا من أفعالهم يخرج عن القدرة، قال نافيا لهذا ١٥ الظن مشيرا إلى العلط في اعتقاده بقوله: (ولكن الله) المتردى برداء الجلال والكبرياء والكمال وله الأمر كله (له يهدي من يشاء) هدايته

(١) من مد، وفي الأصل وظ: عن (٢) في ظ ومد: تعليلهم - خطأ (٣) من ظ ومد، وفي الأصل: نفسنا (٤) من ظ ومد، وفي الأصل «و» (٥) في ظ ومد: لسبق (٦) في ظ: من (٧) في ظ ومد: بتوصل.

بالتوفيق إلى ما يرضيه (وهو) أى وحده (اعلم بالمهتدين^ه) أى الذين
 ميام لتطلب^١ الهدى عند خلقه لهم ، فيكونوا عريقين فيه سواء كانوا من
 أهل الكتاب أو العرب ، أقارب كانوا أو أباعد^٢ ، روى البخارى فى
 التفسير^٣ عن سعيد بن المسيب عن أبيه رضى الله عنه : قال لما حضرت
 ه أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده أبا جهل
 وعبد الله بن أبى أمية بن المغيرة ، فقال : أى عم ! قل : لا إله إلا الله
 كلمة أحاج لك بها عند الله ، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبى أمية :
 أرغب عن ملة عبد المطلب ؟ فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يعرضها عليه و يعيدانه بتلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر^٤ ما كلمهم^٥
 ١٠ على ملة عبد المطلب ، وأبى أن يقول : لا إله إلا الله ، قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم : [والله -^٦] لاستغفرون لك ما لم أنه عنك ، فأنزل الله
 عز وجل ” ما كان للنبي و الذين آمنوا ان يستغفروا للشركين^٧ ولو
 كانوا اولى قربي^٨ “ و أنزل الله فى أبى طالب فقال لرسول الله صلى الله
 عليه وسلم ” انك لا تهدى من احببت و لكن الله يهدى من يشاء “
 ١٥ - الآية - انتهى . و قال فى كتاب التوحيد^٩ : ” انك لا تهدى من

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : لطلب (٢) زبدت الواو فى ظ (٣) راجع
 صحيحه ٧٠٢/٢ (٤) سقط من مد (هـ-هـ) فى ظ و مد : هو ، و ما فى الأصل مطابق
 للفظ الصحيح (٦) زيد من ظ و مد و الصحيح (٧-٧) سقط ما بين الرقین
 من مد و الصحيح (٨) راجع باب المشية و الإرادة من الصحيح .

أحببت " قال سعيد بن المسيب عن أبيه رضى الله عنه : نزلت في أبي طالب، وفي مسلم^١ عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أمره بالتوحيد فقال: "لولا أن^٢ تعيرنى نساء قريش لأقررت بها عينك فأنزل الله الآية .

و لما عجب من حال قريش في طلبهم من الآيات مثل ما أوتى^٥ موسى عليه الصلاة والسلام ثم كفرهم به وبما هو أعظم منه، وختم بأنه أعلم بأهل الخير وأهل الشر، إشارة إلى الإعراض عن الأسف على أحد، والإقبال على عموم الدعاء للقريب والبعيد على حد سواء. / قال ٣٤ /
 دليلا على ذلك لأنهم إنما يتبعون أهواءهم، عاطفا على قالوا "لولا أوتى"
 ﴿ وقالوا ان تتبع ﴾ أى غاية الاتباع ﴿ الهدى ﴾ أى الإسلام فنوحده ١٠
 الله من غير إشراك ﴿ معك ﴾ أى وأنت على ما أنت عليه من مخالفة
 الناس ﴿ تتخطف ﴾ أى من أى^٢ خاطف أرادنا، لأننا نصير قليلا^٣ فى
 كثير^٤. من غير نصير ﴿ من أرضنا ﴾ كما تتخطف العصافير لمخالفة كافة
 العرب لنا، وليس لنا نسبة^٥ إلى كثرتهم ولا قوتهم^٦ فيسرعوا إلينا
 فيتخطفونا، أى يتقصدون خطفنا واحدا واحدا، فانه لا طاقة لنا على ١٥
 إدامة^٧ الاجتماع وأن لا يشذ^٨ بعضنا عن بعض؛ قال البغوى:

(١) راجع صحيحه ٤٠/١ (٢-٢) فى ظ: لولا مثل، وما بين الرقين ساقطة
 من مد (٣) سقط من ظ (٤-٤) سقط ما بين الرقين من ظ ومد (٥) فى
 ظ: سعة (٦) من ظ ومد، وفى الأصل: قومهم (٧) فى ظ: إقامة (٨) من
 ظ ومد، وفى الأصل: لا يسد (٩) راجع معالم التنزيل بهامش الباب ١٤٨/٥ .

و الاختطاف : الاتزاع بسرعة .

ولما كان التقدير في الرد على هذا الكلام الواهي : ألم نحمك ومن اتبعك منهم وقد جثموم من الخلاف بمثل ما 'يخالفون هم' ، به العرب أو أشد ، ولا نسبة لكم إلى 'عدم ولا جلد' ، عطف عليه قوله : (اولم نمكن) أى غاية التمكين (لهم) في أوطانهم ومحل سكنهم بما لنا من القدرة (حرما أمنا) أى ذا أمن يأمن فيه كل خائف حتى الطير من كواسرها ، والوحش من جوارحها ، حتى أن سيل الحل لا يدخل الحرم ، بل إذا وصل إليه عدل عنه ؛ قال ابن هشام في استيلاء كنانة وخزاعة على البيت : وكانت مكة في الجاهلية لا تقرر فيها ظلما ولا بغيا ، لا يبقى فيها أحد إلا أخرجه^١ - انتهى .
و كان الرجل يلقي قاتل أبيه وابنه فيها فلا يهيجه ولا يعرض له بسوء ؛ وروى [الأزرقي -^٢] في تاريخ مكة بسنده عن حويطب بن عبد العزى رضى الله عنه قال كانت في الكعبة حلق يدخل الخائف يده فيها فلا يريه أحد ، فجاء خائف ليدخل يده فاجتذبه^٣ رجل فشلت يده^٤ .

(١ - ١) من مد ، وفي الأصل : يخالفونهم ، وفي ظ : يخالفونهم (٢) في ظ : على (٣ - ٣) من ظ ومد ، وفي الأصل : في كواسيرها (٤) من مد ، وفي الأصل : سيل ، وفي ظ : سيل لكل - كذا (٥) راجع ١ / ٣٩ (٦ - ٦) من ظ ومد والسيرة ، وفي الأصل : لا تعرفها (٧) من ظ ومد والسيرة ، وفي الأصل : أخرجه (٨) زيد من ظ ومد (٩) راجع أخبار مكة ١٩ / ٢ (١٠) من ظ ومد ، وفي الأصل : فاحسه وفي الأخبار : فاجتذبه (١١) سقط من مد .

فلقد رأيت في الإسلام [وإنه -] لاشل، وروى عن ابن جريج قصة العرب من غير قريش في أنهم كانوا يطوفون بالبيت عراة إلا أن أعارتهم قريش ثيابا، فجاءت امرأة فطافت عريانة، وكان لها جمال، فراها رجل فأعجبته فدخل فطاف إلى جنبها، فأدنى عضده من عضدها، فالتزقت عضده بعضدها، فخرجا من المسجد هارين على وجوههما فرعين لما أصابها من العقوبة. فلقبها شيخ من قريش فأقتهما أن يعودا إلى المكان الذي أصابا فيه الذنب، فیدعوان ويخلصان أن لا يعودا، فدعوا وأخلصا النية، فافترقت أعضادهما فذهب كل واحد منهما في ناحية، وبسند عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أخذ رجل ذود ابن عم له فأصابه في الحرم فقال: ذودي فقال اللص: كذبت، قال: فاحلف، فحلف عند المقام. فقام رب الذود بين الركن والمقام باسطا يديه يدعو، فما برح مقامه يدعو حتى ذهب عقل اللص وجعل يصيح بمكة: مالي، وللزود، مالي، وللفلان - رب الزود، فبلغ ذلك عبد المطلب فجمع الزود فدفعه إلى المظلوم، فخرج به وبقي الآخر متولها حتى وقع من جبل فتردى فأكلته السباع. وعن أيوب بن موسى أن امرأة في الجاهلية كان معها ابن عم لها صغير فقالت له: يا بني: إني ١٥

(١) زيد من ظ ومد و الأخبار (٢) من أخبار مكة ١١٣/١، وفي الأصول: ابن جرير (٣) زيد في الأصول: لها جمال، ولم تكن الزيادة في الأخبار ١١٥/١ فحذفناها (٤-٤) سقط من مد (٥) في ظ: فيما (٦) من ظ ومد و الأخبار، وفي الأصل: اعضاوها (٧) في ظ ومد: ناحيته (٨) راجع أخبار مكة ٢٠/٢ والرواية فيه بمفارقات بسيطة (٩) في الأخبار: بها (١٠) من ظ ومد و الأخبار، وفي الأصل: مد لها (١١) راجع الأخبار ٢١/٢.

أغيب / عتك و إني أعاف أن يظلمك أحد، فإن جاءك ظالم بعدى فإن لله
 بمكة بيتا لا يشبه شئ من البيوت، وعليه ثياب ولا يثأربه مفسد،
 فإن ظلمك ظالم يوما فعذبه، فإن له ربا سيمنعك، فجاءه رجل فذهب
 به فاسترقه، قال: وكان أهل الجاهلية يعمرّون أنعامهم فأعمر سيدة ظهره،
 ه فلما رأى الغلام البيت عرف الصفة فنزل^١ يشتد حتى تعلق بالبيت، وجاءه
 سيدة فد يده إليه ليأخذه، فبيست يده، فما الأخرى فبيست، [فاستقى -^٢
 فأقنى أن ينحر عن كل واحدة من يديه بدنة، ففعل فأطلقت يده^٣،
 وترك الغلام و خلى سبيله . و عن عبد العزيز بن^٤ أبي رواد^٥ أن قوما
 انتهوا إلى ذى طوى، فاذا ظلي قد دنا منهم، فأخذ رجل منهم بقائمة
 ١٠ من قوائمهم فقال له أصحابه: ويحك! أرسله، فجعل يضحك و يأبى^٦ أن
 يرسله، فبعر الظبي و بال^٧؛ ثم أرسله، فناموا^٨ في القائلة فانتبهوا^٩، فاذا
 بحية منطوية على بطن الرجل الذى أخذ الظبي^{١٠}، فلم تنزل الحية عنه
 حتى كان منه من الحديث مثل ما كان من الظبي . و عن مجاهد قال:
 دخل قوم مكة نجارا من الشام فى الجاهلية فزلوا ذا طوى^{١١} فاخترزوا
 ١٥ ملة لهم ولم يمكن معهم إدام، فرمى رجل منهم ظبية من ظباء الحرم

(١) فى ظ : فترك (٢) زيد من ظ و مد والأخبار (٣) فى مد : يده (٤-٥) من
 اخبار مكة ١١٧/٢، وفى الأصل : داود، وفى ظ و مد : رواد (٥) فى ظ :
 أبى (٦) من ظ و مد والأخبار، وفى الأصل : باله (٧) من الأخبار، وفى
 الأصول : فقاموا (٨)، الأخبار : فانتبه بعضهم (٩) هناك بعض الزيادات فى
 الأخبار (١٠) تحت ممره يستظلون بها - كما زيد فى الأخبار .

و هي حو لهم ترعى^١ ققاموا^٢ إليها فسلخواها وطبخوها [لحمها - ٣] ليأتدوا بها ،
 فينما قدرهم على النار تغلى بلحمة إذ خرجت من تحت القدر غرق من
 النار عظيمة فأحرقت القوم جميعا ولم تحترق ثيابهم ولا أمتعتهم
 ولا السمرات^٤ التي كانوا تحتمها ، وفي سيرة أبي^٥ الربيع بن سالم
 السكلاعي^٦ أن رجلا من كنانة بن هذيل ظلم ابن عم له بخوفه بالدعاء
 في الحرم^٧ ، فقال : هذه ناقى فلانة أركبها فاذهب إليه فاجتهد في الدعاء ،
 فجاء الحرم في الشهر الحرام فقال : اللهم إني أدعوك جاهدا مضطرا^٨ على
 ابن عمي فلان ترميه بداء لا دواء له ، ثم انصرف فوجد^٩ ابن عمه قد رمى
 في بطنه فصار مثل الزق ، فما زال ينتفخ حتى انشق ، وأن عمر رضي الله عنه^{١٠}
 سأل رجلا من بني سليم عن ذهاب بصره ، فقال : يا أمير المؤمنين^{١١}
 كنا بنى ضبعاء عشرة ، وكان لنا ابن عم فكنا نظلمه فكان يذكرنا
 بالله^{١٢} وبالرحم^{١٣} ، فلما رأى أنا لا نكف عنه انتهى إلى الحرم في الأشهر
 الحرم فجعل يرفع يديه يقول :
 لا هم^{١٤} أدعوك دعاء جاهدا اقل بني الضبعاء إلا واحدا

(١) في ظ ومد : ترمي (٢) في ظ : فدنوا (٣) زيد من الأخبار (٤) في
 مد : السموات (٥) من ظ ومد ، وفي الأصل : ابن ، وقد مر التعليق عليه .
 (٦) راجع أيضا أخبار مكة ١٩ / ٢ (٧) في مد : البيت ، و العبارة من بعده
 إلى « الحرم فقال » ساقطة منها (٨) في ظ ومد : مضرا (٩) من ظ ومد
 والأخبار ، وفي الأصل : فيجد (١٠) راجع أخبار مكة ٢٠ / ٢ (١١) في ظ ومد
 والأخبار : الله (١٢) في الأخبار : الرحم (١٣) أي اللهم ، كما في ظ
 ومد والأخبار .

ثم اضرب الرجل ودعه قاعداً. أعمى إذا 'قيد يعي' القائدا
 قال: فمات إخواني التسعة في تسعة أشهر في كل شهر واحد^٢، وبقيت
 أنا فعميت، ورماني الله عز وجل في رجلى، فليس يلائمني قائد^٣، فقال
 عمر رضي الله عنه: [سبحان الله إن هذا لحو العجب -^٤]، جعل الله
 هذا في الجاهلية إذ لا دين حرمة حرما و شرفها، ليتكبر الناس عن اتهاك
 ما حرم محافة تعجيل العقوبة، فلما جاء الدين، صار الموعد الساعة،
 ويستجيب الله لمن يشاء، فاتقوا الله وكونوا مع الصادقين - انتهى .
 وكأنه لمثل ذلك عبر بالتمكين و يتخطف الناس من حولهم كما يأتي
 تأكيد في التي بعدها، / وقد كان قبل ذلك بقعة من بقاع الأرض
 لا مزنة له على غيره بنوع مزنة، فالتقدير: إنما فعلنا ذلك بعد سكنى
 إسماعيل عليه الصلاة والسلام، توطئة لما أردنا من الحكم والاحكام،
 أو ليس الذي قدر على ذلك وفعله لمن يعبد غيره بقادر على حماية من
 يدخل في دينه، وقد صار من حربه بأنواع الحمايات، وإعلانه على
 كل من يناويه إلى أعلى الدرجات، كما فعل في حمايتكم منهم ومن
 ١٥ غيرهم من سائر المخالفين أعداء الدين .

ولما وصفه بالأمن، أتبعه ما تطلبه النفس بعده فقال: (يحيى آ)
 أى يجمع و يحلب^٥ مما لا يرجونه ولا قدرة لهم على استجلابه^٦ (إليه)

(١-١) في الأخبار: ما قيدنى (٢) من ظ و مد و الأخبار، وفي الأصل:
 واحدا (٣) من ظ و مد، وفي الأصل: قايدا (٤) زيد من الأخبار (٥) في
 ظ و مد: بعد (٦) سقط من ظ و مد (٧-٧) سقط ما بين الرقين من ظ و مد.

أى خاصة، دون غيره من جزيرة العرب ﴿ثمرت كل شيء﴾ من النبات الذى بأرض العرب من ثمر البلاد الحارة كالبر و الرطب و الموز و النبق، و الباردة كالغلب و التفاح و الرمان و الخوخ، و فى تعبيره بالمضارع و ما بعده إشارة إلى الاستمرار 'وأنه' يأتى إليه بعد ذلك من كل ما فى الأرض من المال، ما لم يخطر لأحد منهم فى بال، و قد صدق الله فيما ه قال 'كما تراه' - و من أصدق من الله قىلا .

و لما كان مجموع ما رزقهم فى هذا الحرم من الأمن بأسبابه من الإسراع باصابة من آذى فيه بأنواع العقوبات، و جاية هذه الثمرات، فى غاية الغرابة فى تلك الاراضى اليابسة الشديدة الحر، المحفوفة من الناس بمن لا يدين ديناً، و لا يخشى عاقبة، و لا له ملك قاهر من الناس ١٠ يرد، و لا نظام من سياسة العباد يمنعه، عبر عنه سبحانه مع مظهر العظمة بلدن فقال: ﴿رزقا من لدنا﴾ أى من أبطن ما عندنا و أغربه، لا صنع لأحد فيه كما تعلم ذلك كله أنت و من اتبعك و من فيه قابلية الهداية منهم، و كل ذلك إنما هو لأجلك [بحلولك - °] فى [هذا - °] الحرم مضمرأ فى الأصلاح، و مظهرأ فى تلك الشعاب، توطئة لنبوتك. و تمهيدا لرسالتك، ١٥ و متى غبت عنهم غاب عنهم ذلك كله و سينظرون .

(١ - ١) فى ظ : فانه (٢ - ٢) سقط ما بين الرقین من مد (م) فى الاصول :
المجفوفة - خطأ، و العبارة من هنا إلى ' و لا نظام ' ساقطة من مد (ع) فى
ظ : عقوبة (ه) زيد من مد .

ولما كان هذا الذي أبدوه^١ عذرا عن تخلفهم عن الهدى يظنونه
من نفائس العلم، رده تعالى نافيا عن لم يؤمن منهم جميع [العلم -^٢]
الذي بنفيه يفتنى^٣ أن^٤ يكون هذا^٥ الفرد علما، فقال في أسلوب التأكيد
لذلك: ﴿ولكن أكثرهم﴾ أى أهل مكة وغيرهم ممن لا هداية له
﴿لا يعلمون﴾ أى ليس لهم قابلية للعلم حتى يعلموا أنا نحن الفاعلون لذلك
بترتيب أسبابه حتى^٦ "تمكن ذلك وتم" فلا قدرة لأحد على تغييره،
وإنا قادرون على أن نمنعهم - إذا تابعوا أمرنا - ممن يريدونهم، بل نسلطهم
على كل من ناوهم، كقدرتنا على ما مكنا لهم وهو خارج عن القياس على
ما يقتضيه عقول الناس، وإنا قادرون على سلب ذلك كله عنهم لإصرارهم
١٠ على الكفر، ولا بد أن نذيقهم ذلك^٧ أجمع بعد هجرتك ليعلموا أنه إنما
نالهم^٨ ذلك ببركتك^٩، ولو علموا ذلك لشكروا، ولكنهم جهلوا فكفروا،
ولذلك أذكروا "ولتعلمن نبأه بعد حين".

ولما أخبر تعالى أنه قادر على التأمين والإنجاء والتسكين مع
الضعفة، أتبعه الإعلام بقدرته على الإخافة والإهلاك مع القوة،
١٥ ترغيبا لهم - إن آمنوا - بإهلاك أضدادهم، وترهيبا - إن أصروا -
من المعاملة^{١٠} بعكس مرادهم، فقال في مظهر العظمة عاطفا على معنى

(١) من ظ و مد، وفي الأصل: أبدوه (٢) زيد من ظ و مد (٣) في مد:
يبتنى (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من مد (٥-٥) من مد، وفي الأصل
و ظ: يمكن ذلك ويتم (٦) في ظ: تلك (٧-٧) في ظ و مد: بنيتك.
(٨-٨) من ظ و مد، وفي الأصل: عن المجاعة.

٢٧ / الكلام: ﴿ و كم اهلكنا ﴾ ويجوز / أن يكون حالا من ضمير
 'نمكن' أى فعلنا بهم 'ما ذكرنا من النعمة' مع ضعفهم وعجزهم،
 والحال أنا كثيرا ما أهلكنا الأقوياء، وأشار إلى تأكيد التكثير مع
 تمييز المبهم بقوله: ﴿ من قرية ﴾، وأشار إلى سبب الإهلاك بقوله:
 ﴿ بطرت معيشتها ﴾ أى وقع منها البطر في زمان عيشها الرخى الواسع، ه
 فكان حالهم كالحكم في الأمن وإدراك الرزق، فلما^٢ بطروا معيشتهم
 أهلكناهم، ومعنى بطروا لها^٢ أنهم شقوها^٢ بمجاوزة الحد في المرح،
 والآثر والفرح، إلى أن تعدوها^٤ فأفسدوها و كفروها^٥ فلم يشكروها،
 بل فعلوا في تلقيها فعل الحائر المدهوش، فلم يحسنوا رعايتها، وقل
 احتمالهم لحق النعمة فيها، فطفوا في القلب عند مصاحبته وتكبروا بها، ١٠
 وتمادوا في الغنى قولا وفلا، من أجل ما عمهم من الرفاهية عن
 تقييدها* وساء احتمالهم للغنى بها، وطيب العيش فيها، فأبطلوها بهذه
 الخصال، وأذهبوها هدرا من غير مقابل، وذلك من قول أهل اللغة:
 البطرا: الآثر، وقلة احتمال النعمة، والدهش والخيرة والطغيان
 بالنعمة، والفعل^٦ من الكل^٦ كفرح، واطر الحق^٧ أن يتكبر^٧ عنه ١٥
 فلا يقبله، و بطره كنصره وضربه: شقه، والبطور: الصخاب^٨ الطويل

(١-١) سقط ما بين الرقین من مد، و وقع فی ظ: ذکر - موضع: ذکرنا.
 (٢) فی ظ: فما (٣-٣) فی ظ: ان شقاها، و فی مد: ان شقوها (٤-٤) فی ظ:
 فانبدوها و كفروها، و فی مد: فكفروها (٥) من ظ و مد، و فی الأصل:
 تقييد (٦-٦) سقط ما بين الرقین من مد (٧-٧) فی مد: اى تكبر (٨) فی ظ
 و مد: الضجار.

نظم الدرر (سورة القصص ٢٨ : ٥٨ و ٥٩) ج - ١٤

اللسان، والمتبادى فى الغى، وأبطره ذرعه : حمله فوق طاقته، وذهب
دمه بطرا - بالكسر، أى هدرأ و بطرهم لها أنهم عصوا من خولهم فيها،
تخالفوا أمره، وأنسام الكبير بما أعطاهم ذكره .

ولما تسبب عن ^٢ هذا الإخبار ^١ تشوف النفس إلى آثار هذه
الديار، سبب عنه الإشارة بأداة البعد إلى منازلهم، تنديها على كثرتها
وسهولة الوصول إليها فى كل مكان، لكونها بحيث يشار إليها وعلى
بعد رتبها فى الهلاك دليلا على الجملة التى قبلها فقال: (فلك مسكنهم).
ولما كان المعنى أنها خاوية ^٢ على عروشها ^١ وصل به قوله: .
(لم تسكن) أى من ساكن ما مختار أو مضطر . ولما كان المراد
١٠ إفهام نفي قليل الزمان وكثيره، أثبت الجار فقال: (من بعدهم) بعد
أن طال ما تغالوا فيها ونمقوها، وزخرفوها ^٢ وزوقوها ^١، وزفوا فيها
الآبكار، وفرحوا بالأعمال الكبار، (الا) سكونا (قليل ^٢) بالماراة
عليها ساعة من ليل ^١ أو من نهار، ثم تصير تبابا موحشة كالقفار، بعد أن
كانت ^٢ متمنعة القبا ^١، يبيض الصفاح و سمر القنا .

١٥ ولما صارت ^٢ هذه الأماكن ^١ بعد الخراب لا متصرف فيها ظاهرا ^١
إلا الله، ولا حاكم عليها فيما تنظره العيون سواء، وكان هذا أمرا

(١) فى ظ : بما (٢-٢) فى مد : هذه الاخبار (٣-٣) سقط ما بين الرقين من
ظ و مد (٤-٤) فى ظ : بها قولها (٥-٥) سقط ما بين الرقين من مد (٦) فى
ظ : الليل (٧-٧) من ظ و مد، وفى الأصل : متمنعة القنا (٨) فى ظ و مد :
كانت (٩) فى ظ و مد : المساكن (١٠) فى ظ و مد متظاهرا .

عظيما

(٨٢)

٣٢٨

عظيما، وخطبا جسيما، لانه لا فرق فيه بين جليل وحقير، وصغير وكبير، وسultan ووزير، دل على ضخامته بقوله مكررا لمظهر العظمة: ﴿وكنّا﴾ [أى - ١] أزلا و أبدا ﴿نحن﴾ لا غيرنا ﴿الوزئين ه﴾ لم يستعص علينا أحد وإن عظم، ولا تأخر عن مرادنا لحظة وإن ضخم، فليت شعري! أين أولئك الجبارون وكيف خلا دورهم، وعطل قصورهم؟ المتكبرون أفتهم والله كؤس الحمام متنوعة^٢ أشربة المصائب العظام، وأدلتهم مصارع^٣ الأيام، بقوة العزيز العلام، فيا ويح من لم يعتبر بأيامهم، ولم يزدجر عن مثل آثامهم.

ولما أظهر سبحانه سوط العذاب بيد القدرة، دل على وهلا العدل بشرة الغنى، ولكونه في سياق الرحمة بالإرسال عبر بالروية فقال: ١٠ ﴿وما كان﴾ [أى - ١] كوننا ما / ﴿ربك﴾ أى المحسن إليك بالإحسان ٢٨ / بارسالك إلى الناس ﴿مهلك القرى﴾ أى هذا الجنس كله بحرم وإن عظم ﴿حتى يبعث في أمها﴾ أى أعظمها وأشرفها، لأن غيرها تبع لها، ولم يشترط كونه من أمها فقد كان عيسى عليه الصلاة والسلام من الناصرة، وبعث في بيت المقدس ﴿رسولا يتلوا عليهم﴾ أى أهل القرى ١٥ كلهم ﴿أيتناج﴾ الدالة - بما لها من الجرى على مناهج العقول، على ما ينبغى لنا من الحكمة، وبما لها من الإعجاز - على تفرد الكلمة، وباهر العظمة، إلزاما للحجة، وقطعا للعدرة، لثلا يقولوا ”ربنا لو لا ارسلت

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد، وفي الأصل: منزعه (٣) من ظ و مد، وفي الأصل: مصادع.

الينا رسولا“، ولذلك لما أردنا عموم الخلق بالرسالة جعلنا الرسول من أم القرى كلها، وهى مكة البلد الحرام، وفيها لأنها مع كونها مدينة تجرى فيها الأمور على قانون الحكمة [هى - ١] فى بلاد البوادرى تظهر فيها الكلمة، فجمعت الأمرين لأن المرسل إليها جامع، وحازت الأمرين لأن الختام به واقع، وكان السر فى جعل المؤيد لدينه عيسى عليها الصلاة والسلام من البادية كثرة ظهور الكلمة على يديه .

ولما غي^٢ الإهلاك بالإرسال تخويفا، ضرب له غاية أخرى تحريرا^٣ للأمر وتعريفا، ولكونه فى سياق^٤ التجرد من أهل الضلال، على مقامه العال، بانتهاك الحرمات، عبر بأداة العظمة فقال: ﴿وما كنا﴾ ١٠. أى بعظمتنا : غنا ﴿مهلكى القرى﴾ أى كلها، بعد الإرسال ﴿إلا واهلها ظالمون ه﴾ أى عريقون فى الظلم بالعصيان، بترك ثمرات الإيمان. ولما اعتلوا فى الوقوف عن الإيمان بخوف التخطف، فذكرهم نعمته عليهم باقاة أسباب الأمن وإدراك الرزق، وعرفهم انه هو وحده الذى^٥ تخشى سطواته، ويتقى أخذه لمن خالفه وبطشاته، وكان خوفهم ١٥ من عواقب المتابعة إما على أنفسهم وإما على ما بأيديهم من المتاع، علم من ذلك كله قطعا أن التقدير بما سبب التخويف من عواقب الظلم بمثل مصارع الأولين: فأنفسكم فى خطر من^٦ خوف الهلاك من القادر عليكم كقدرته على من قبلكم بسبب التوقف عن المتابعة أشد من^٦ خطر

(١) زيد من ظ و مد (٢) من مد، وفى الأصل و ظ : غنى (٣) من مد، وفى الأصل و ظ : تحذيرا (٤) فى ظ : بيان (٥) من ظ و مد، وفى الأصل : التى (٦-٦) سقط ما بين الرقعين من ظ و مد .

الخوف من التخطف بسبب المتابعة، أو يكون التقدير: فما خفتم منه التخطف غير ضاركم، وكفكم عن المتابعة لأجله غير مغلدكم، فما إهلاككم على الله بأى وجه كان - بعزير، فعطف على هذا الذى أرشد السياق إلى تقديره قوله: ﴿ وما أو تقيم ﴾ أى من [أى - '] مؤت كان ﴿ من شيء ﴾ أى من هذه الأشياء التى بأيديكم وغيرها ﴿ فتاع ﴾ أى فهو متاع هـ ﴿ الحياة الدنيا ﴾ وليس يعود نفعه إلى غيرها، فهو إلى فناء وإن طال زمن التمتع به ﴿ وزيتها ﴾ أى وهو زينة الحياة الدنيا التى [هى - '] كلها - فضلا عن زيتتها - إلى فناء. فليست هى ولا شيء منها بأزلى ولا أبدى ﴿ وما عند الله ﴾ أى الملك الأعلى مما تشره لكم المتابعة من الثواب الذى وعدكموه^٢ فى الدار الآخرة التى دل عليها دلالة واضحة ١٠. إطباقكم على وصف هذه الدنيا، ومن أصدق وعدا منه ﴿ خير ﴾ على تقدير مشاركته ما فى الدنيا له فى الخيرية فى ظنكم، لأن الذى عنده أكثر وأطيب وأظهر، وأحسن وأشهى، وأبهج وأزهى، ﴿ و ﴾ هو مع ذلك كله ﴿ ابقى ﴾ لأنه وإن شارك متاع الدنيا فى أنه لم يكن أزليا فهو أبدى.

فلما بأن أنه لا يقدم على خطر المخالفة المذكور^٣ / خوفا من خطر المتابعة ١٥ / ٣٩

الموصوف عاقل، توجه الإنكار عليهم فى قوله تعالى: ﴿ افلا تعقلون ﴾ .

ولما كان هذا سببا لأن ظهر كالشمس بون عظيم بين حال المخالف والمؤلف، سبب عنه وأنتج قوله، مقررًا لما ذكر من الأمرين

(١) زيد من ظ و مد (١) فى ظ: وعدتموه (٣) زيد فى الأصل: خوف من خطر المخالفة المذكور، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها.

موضحاً لما لها من المباشرة، منكرها على من^١ سوى بينهما، فكيف بمن
ظن أن حال المخالف أولى: (افسن وعدته) على عظمتها في الغي^٢
والقدرة والصدق (وعدا) وهو الإثابة^٣ والثواب (حسناً) لاشيء
أحسن منه^٤ في موافقته^٥ لآمنيته وبقائه^٦ (فهو) بسبب وعدنا الذي
لا يخلف (لاقبه) أي مدركه ومصيبه لا محالة (كن متعنه) أي بعظمتنا
(متاع الحيوة الدنيا) فلا يقدر أحد غيرنا على سلبه منه بغير إذن منا،
ولا يصل أحد إلى جعله باقياً، وهو مع كونه قابلاً وإن طال زمنه
مشوب بالأكدار، مخالط بالآقذار والآوزار (ثم هو) مع ذلك كله
(يوم القيمة) الذي هو يوم التغابن، من خسر فيه لا^٧ يرج أصله،
١٠ ومن ملك لا يمكن عيشه بوجه (من المحضرين^٨) أي المقهورين على
الحضور إلى مكان يود لو اقتدى^٩ منه بطلاع الأرض ذهباً، فإن كل
من يوكل به لحضور أمر يتكبد^{١٠} على حسب مراتب التوكيل كائناً من
كان في أي أمر كان .

ولما كان اليوم وإن كان واحداً يتعدد بتعدد أوصافه، بما
١٥ يقع في أثنائه وأضعافه، على يوم القيامة [تهويلاً لأمره، وتعظيماً لحظيره
وشره، قوله مقرر المعجز العباد، عن شيء من الإباء في يوم العباد-^{١١}]:

(١) في ظ و مد : ما (٢) في ظ : المعنى (٣) في ظ و مد : الإثابة (٤) سقط
من ظ (هـ-هـ) في ظ : الآمنية والبقاء، وفي مد : الآمنية (٦) في ظ و مد :
لم (٧) من ظ و مد، وفي الأصل : تقدى (٨) من ظ و مد، وفي الأصل :
يتكبد (٩) زيد من ظ و مد .

(و يوم يناديهم) أى ينادى الله هؤلاء الذين يغرون^١ [بين - ٢] الناس^٢
و يصدون عن السبيل ، و يتعللون فى أمر الإيمان ، و توحيد المحسن الديان
(ليقول) أى الله : (ابن شركائى) أى من الأوثان و غيرهم ، ثم
[بين - ٤] أنهم لا يستحقون هذا الاسم بقوله : (الذين كنتم) أى
كونا أنتم عريقون فيه (ترعون) ليدفعوا عنكم أو عن أنفسهم . ٥
و لما كان اسم الشريك يقع على من سواه الإنسان بآخر فى شيء
من الأشياء ، و كان الاتباع قد سوا المتبعين الذين عبدوهم من الشياطين
و غيرهم بالله تعالى فى الخضوع لهم ، و الطواعية فى عبادة الأوثان ،
و معاندة الهداة و معاداتهم ، و الصد عن اتباعهم ، فكان " اسم الشريك "
متاولا لهم ، و كان بطش من وقع الإشراك به يكون أولا بمن عد ١٠
نفسه شريكا ثم بمن أنزله تلك المنزلة ، فتشوفت^٣ النفس إلى مادرة الرؤساء
بالجواب خوفا من حلول العقاب^٤ بهم و زيادتهم^٥ بقيادتهم عليهم ، قيل :
قالوا - هكذا الأصل ، و لكنه أظهر إعلاما بالوصف الذى أوجب لهم
القول فقال : (قال الذين حق) أى ثبت و وجب (عليهم القول)
أى وقع عليهم معنى هذا الاسم و تناولهم ، و هو العذاب المتوعد به بأعظم ١٥
القول ، و هم أئمة الكفر ، و قادة الجهل . بانزاهم أنفسهم منزلة^٦ الشركاء ،
و أنهم باسقاط الأداة كعادة أهل القرب و التعبير وصف الإحسان

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل : يعوون (٢) زيد من ظ (٣) سقط من مد .
(٤) زيد من ظ و مد (هـ - هـ) من ظ و مد ، وفى الأصل : اسم لشريك (٦) فى ظ :
قشوف (٧ - ٧) من ظ و مد ، وفى الأصل : لهم و زيادته (٨) فى ظ : بمنزلة .

أنهم وصلوا بعد السجدة والكبر إلى غاية الترقق والذل، فقال معبرا
عن قولهم: ﴿ربنا هؤلاء﴾ إشارة إلى الاتباع ﴿الذين اغويانا﴾ أى
أوقعنا الإغواء 'أو هو الإضلال' بهم بما زينا لهم من الأقوال التى أعانا
/ على قبولهم أنها منا، مع كونها ظاهرة العوار، واضحة العار، ما خولتنا
/ ٤٠
فيه فى الدنيا من الجاه والمال؛ ثم استأنفوا ما يظنون أنه يدفع عنهم
فقالوا: ﴿اغوينهم﴾ أى فقروا باختيارهم ﴿كما غويانا﴾ أى نحن لما
أغوانا بما زين لنا من فوقنا حتى تبعناهم، لم يكن هناك إكراه منا ولا إجبار،
مع ما أتاهم من الرسل ولهم من العقول. كما غويانا نحن باختيارنا، لم يكن
من فوقنا إجبار لنا كما قال إبليس "وما كان لى عليكم من سلطان الا ان
١٠ دعوتكم فاستجبتم لى" - فالآية من الاحتباك: حذف أولا "فقروا"
لدلالة "غويانا" عليه، وثانيا "لما أغوانا"، من قبلنا" لدلالة "أغويانهم"
عليه ومرادهم بقولهم هذا الفساف أنه لا لوم علينا فى الحقيقة
بسيدهم، وهذا معنى قولهم: ﴿تبرانا إليك﴾ أى من أمرهم، فلا يلزمنا
عقوبة بسيدهم، فهو تقرير لما قبل و تصریح به .

١٥ و لما كانوا يعلمون أنهم غير مؤمنين^٨ من أمرهم، تبرؤوا من انفرادهم

-
- (١) - ١ من ظ و مد، وفى الأصل: هؤلاء الضلال (٢) فى ظ و مد: فى .
(٣) من ظ و مد، وفى الأصل: ايها (٤) - سورة ٤، آية ٢٢ (٥-٥) فى الأصل: لما
اغويانا، وفى ظ و مد: كما اغويانا (٦) من ظ و مد، وفى الأصل: فهى .
(٧) من ظ و مد، وفى الأصل: يستريح (٨) من ظ و مد، وفى
الأصل: مريين .

باضلا لهم ، فقالوا لمن كأنه قال : ما وجه براءتكم ؟ وقد أقررتم باغوائهم ؟ : (ما كانوا أباناً) أى خاصة (يعبدون .) بل كانوا يعبدون الأوثان بما زيفت لهم أهواؤهم وإن كان لنا فيه نوع دعاء لهم إليه وحث عليه ، فأقل ما نريد^٢ أن يوزع^٣ العذاب على كل من كان سبياً في ذلك كما في الآية الأخرى "فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء" هـ . و ضل عن الجهالة أن هذا لا يغنيهم^٤ عن الله^٥ شيئاً ، فإن الكل في العذاب وليس يغنى أحد منهم عن أحد شيئاً . قال " لكل ضعف ولكن لا تعلمون " .

و لما لم يلتفت إلى هذا الكلام منهم بل عد عدماً ، لأنه لا صائل تحته ، أشير إلى الإعراض عنه لأنه لا يستحق جواباً كما قيل : رب قول جوابه ١٠ في السكوت ، بقوله : (وقيل) أى ثانياً للاتباع تهكماً بهم وإظهاراً لعجزهم الملزوم لتحسرم و عظم تأسفهم ، و عبر بصيغة المجهول ، إظهاراً للاستهانة بهم ، و أنهم من الذل و الصغار بحيث يحبون كل أمر كائن من كان : (ادعوا) أى كلهم (شركاءكم) أى الذين ادعيتهم جهلاً شركتهم ليدفعوا عنهم ، . و أضافهم هنا إليهم إشارة إلى أنهم لم يستفيدوا ١٥ زعمهم أنهم شركاء الله - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - إلا أن

(١) في ظ : كان (٢) من ظ و مد ، وفي الأصل : فواتكم (٣) في مد : يزيد .

(٤) من ظ و مد ، وفي الأصل : نوزع (٥ - ٥) سقط ما بين الرقین من ظ

و مد (٦) سقط من ظ (٧) من ظ و مد ، وفي الأصل : لا .

أشركوم فيما صرفوا إليهم من أموالهم وأقوالهم ، وأزمانهم وأحوالهم
 (فدعوم) 'تملا بما لا يقى ، وتمسكا بما يتحقق أنه لا يجدى ،
 لفرط^٢ الغلبة واستيلاء^٣ الحيرة والدهشة (ظ يستجيبوا لهم) كما
 يحق لهم بما لهم من وصف عدم الإدراك ، والعجز والهلاك (وراؤا)
 ٥ أى كلهم (العذاب ع) عالين بأنه واقعهم^٤ لا مانع له عنهم ، فكان
 الحال حينئذ مقتضيا لأن يقال من كل من يراهم^٥ : (لو انهم كانوا)
 أى كونا هو لهم صفة راسخة (يهتدون ٥) أى يحصل منهم هدى ساعة
 من الدهر ، تأسفا على أمرهم ، وتمنيا^٦ لخلاصهم ، أو لو أن ذلك كان
 فى طبعهم لنجوا من العذاب ، أو لما رأوه أصلا ، أو لما اتبعوهم .

١٠ ولما أشار إلى أنه لا خلاص من ذلك الردى إلا بالهدى ، أتبعه
 الإعلام بأنه لا يمكن أحدا هناك أن يفعل ما [قد - ٧] يروج على
 سائله كما يفعل فى هذه الدار من إظهار ما لم يكن فقال مكررا لتحويل
 ذلك اليوم و تبشيعه وتعظيمه وتفضيحه ، سائلا عن حق رسله عليهم الصلاة
 والسلام / بعد السؤال عن حقه سبحانه ، متاديا بعجز الشركاء فى الأخرى
 ١٥ كما^٨ كانوا عاجزين فى الأولى^٩ (و يوم يناديهم) و هم بحيث يسمعون

/ ٤١

(١) العبارة من هنا إلى : الحيرة والدهشة . ساقطة من مد (٢) فى ظ :
 لشرط (٣) من ظ . وفى الأصل : استعلاء (٤) من مد ، وفى الأصل و ظ :
 مواقعهم (٥) من مد ، وفى الأصل : رآهم ، وفى ظ : تراهم (٦) من ظ
 ومد ، وفى الأصل : تيمنا (٧) زيد من ظ ومد (٨) سقط من ظ ومد .
 (٩) فى ظ ومد : الدنيا .

الداعى، و ينفذهم البصر^١، قد برزوا لله جميعا من كان منهم عاصيا ومن كان مطيعا في صعيد واحد، قد أخذ بأنفاسهم الزحام، و تراكت الأقدام على الأقدام، و أجمعهم العرق، و عمهم الغرق (فيقول ما ذا) أى أوضحوا أو^٢ عينا جوابكم الذى (اجتمع المرسلين^٣) أى به، ولما لم يكن لهم قدم صدق ولا سابق حق بما أتتهم الرسل به من الحجج،^٤ و تابعت عليهم من الأدلة، لم يكن لهم جواب^٥ إلا السكوت، وهو المراد بقوله: (فعميت) أى خفيت وأظلمت في غواية ولباج (عليهم الانباء) [أى -^٦] الأخبار التى هى من العظمة بحيث يحق لها فى ذلك اليوم أن تذكر، وهى التى يمكن أن يقع بها الخلاص، وعداه بلى إشارة إلى أن عماها^٧ وقع عليهم، فعم الكل العمى فصاروا^٨ بحيث لا تهتدى^٩ الأنباء لعماها^{١٠} إليهم لتجدوها^{١١}، ولا يهتدون إليها لانتشار عماها إليهم، وهذا كله إشارة [إلى أنهم -^{١٢}] لم يقدموا^{١٣} عملا فى إجابة الرسل بحق أن يذكر فى ذلك اليوم، بل أسلفوا من التكذيب والإساءة ما يودون^{١٤} لو أن بينهم وبينه أمدا بعيدا، وقال: (يومئذ) تكريرا للتخويف ذلك اليوم وتهويله، و تقريرا لتعظيمه وتبجيله. ١٥

(١) من مد، وفى الأصل: البصير، وفى ظ: السحر (٢) من مد، وفى الأصل: وظ و و (٣) من ظ ومد، وفى الأصل: جوابا (٤) زيد من ظ ومد (٥) فى ظ: عماهم (٦) من ظ ومد، وفى الأصل: لا يهتدوا (٧) من ظ ومد، وفى الأصل: اعماها (٨) من ظ ومد، وفى الأصل: ليجدوها (٩) من ظ ومد، وفى الأصل: لم يقوموا (١٠) من ظ ومد، وفى الأصل: يودن.

و لما تسبب عن هذا السؤال السكوت علما منهم بأنه ليس عند أحد منهم ما يغنى في جوابه من حسن القول و صوابه ، و أنهم لا يذكرون شيئا من المقال^١ إلا عاد عليهم بالوبال ، قال مترجما عن ذلك : ﴿ فهم لا يقساء لونهم ﴾ أى لا يسأل أحد منهم أحدا عن شيء يحصل به خلاص ، لعلهم أنه قد عهم الهلاك ، و لات حين مناص ، و لأن كل منهم أبغض الناس في الآخر .

و لما علم بهذه الآيات حال من أصر على كفره و عمل سيئا^٢ بطريق العبارة . و أشير إلى حال من تاب فوعد الوعد الحسن اللفظ إشارة تسبب عن ذلك [التشوف إلى -] التصريح بحالهم ، فقال مفصلا مرتبا ١٠ على ما تقديره : هذا^٣ حال من أصر على كفره ﴿ فاما من تاب ﴾ أى عن كفره^٤ و قال : ﴿ و امن ﴾ تصريحاً بما علم التزاما . فان الكفر و الايمان ضدان ، لا يمكن ترك^٥ أحدهما إلا بأخذ الآخر ﴿ و عمل ﴾ تصديقا لدعواه باللسان ﴿ صالحا ﴾ .

و لما كانت النفس نزاعة إلى النقائص ، مسرعة إلى الدنيايا ، أشير ١٥ إلى صعوبة الاستمرار على طريق الهدى إلا بعظيم المجاهدة بقوله : ﴿ فسعى ﴾ أى فانه يتسبب^٦ عن حاله^٧ هذا الطمع فى ﴿ ان يكون ﴾ أى كونا هو فى غاية الثبات ﴿ من المفاجين ﴾ أى الناجين من شر ذلك اليوم ، الظافرين

(١) فى ظ : المقام (٢) من مد ، و فى الأصل : شيئا ، و فى ظ : مساء (٣) زيد من ظ و مد (٤) سقط من ظ (٥) سقط من ظ و مد (٦) فى ظ : ان (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : تسبب (٨) فى الأصل : حاة ، و فى ظ و مد : خال .

بجميع المراد، باستمرارهم على طاعتهم إلى الموت، وإنما لم يقطع^١ له بالفلاح وإن كان مثل ذلك في مجارى عادات الملوك قطعاً، إعلاما بأنه لا يجب عليه سبحانه شيء ليدوم حذره، و يتقى قضاؤه وقدره. فان الكل منه .

ولما كان كأنه قيل : ما لأهل القسم الأول لايتوخون^٢ النجا من هـ

ضيق ذلك البلا، إلى رجب^٣ هذا الرجا، وكان الجواب : ربك منهم من ذلك . أو ما له لم يقطع لأهل هذا القسم بالفلاح كما قطع لأهل القسم الأول بالشقاء ؟ وكان الجواب : إن ربك لا يجب عليه شيء عطف

عليه - إشارة إليه - قوله / ﴿ وربك ﴾ أى المحسن إليك، بمرافقة من ٤٢ /

وافقك^٤ ومخالفة من خالفك^٥ لحكم كبار، دقت عن فهم أكثر الأفكار ١٠

﴿ يخلق ما يشاء ﴾ من الهدى والضلال وغيرهما، لأنه المالك المطلق^٦

لأما منع له من شيء من ذلك ﴿ ويختار ﴾ أى يوقع الاختيار^٧، لما يشاء

فيريد الكفر للإشراق، والإيمان للأبرار، لا اعتراض عليه . فربما ارتد

أحد ممن أظهر المتاب، لما سبق عليه من الكتاب، فكان من أهل التباب^٨

فلا تأس على من فاتك كائنا من كان، واعلم أنه^٩ ما ضر^{١٠} إلا نفسه، ١٥

(١) ريد في الأصل : لهم ، ولم تكن الزيادة في ظ و مد لحذفها (٢) من ظ

و مد ، وفي الأصل : لا يوحون (٣) في ظ و مد : حب (٤) في ظ : يوافقك .

(٥) في ظ : يخالفك (٦) من ظ و مد ، وفي الأصل : الملك ، وزيد بعده في ظ :

لأنه (٧) من ظ و مد ، وفي الأصل : الأخيار (٨) في ظ : من (٩) من ظ

و مد ، وفي الأصل : الثبات (١٠) في مد : ان (١١) في ظ و مد : اضر .

و من فاتنا يكفيه أنا قوته .

و لما أفهم هذا أن غيره سبحانه إذا أراد شيئا لم يكن إلا أن يوافق^١
مراده تعالى ، صرح به بقوله^٢ : ﴿ ما كان لهم الخيرة ﴾ أي أن يفعلوا
أو يفعل لهم كل ما يختارونه من إتيان الرسول بمثل ما أتى به موسى
ه عليه الصلاة والسلام أو غيره ، اسم من الاختيار ، يقام مقام المصدر ،
وهو أيضا اسم المختار ، فهو تعبير بالمسبب عن السبب لأنه إذا خلى
عنه كان عقيبا^٣ فكان عدما ، قال الرازي في اللوامع : وفيه دليل على
أن العبد في اختياره غير مختار ، فلهذا أهل الرضى حطوا الرحال بين
يدى ربهم ، و سلوا الأمور إليه بصفاء التفويض ، يعنى فأن^٤ أمرهم
١٠ أو نهام بادروا ، وإن أصابهم سهام^٥ المصائب العظام صابروا ، وإن
أعزم أعزوا أنفسهم وأكرموا ، وإن أذلهم رضوا و سلوا ، فلا يرضيهم
إلا ما يرضيه ، و لا يريدون إلا ما يريد فيمضيه :

وقف الهوى بن^٦ حيث انت فليس [لى-٧] متأخر عنه و لا متقدم
أجد الملامة في هواك لذيدة حبا لذكرك فليلنى اللوم^٨
١٥ 'وأهنتى' فأهنت نفسى صاغرا ما من يهون عليك بمن أكرم^٩ .
و لما كان إيقاع شئ على غير مراده نقصا ، و كان وقوع الشرك

(١) فى ظ و مد : وافق (٢) فى ظ : قوله (٣) فى ظ : عظيما (٤) فى ظ : وان .
(٥) سقط من مد (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : من (٧) زيد من ظ و مد .
(٨) من مد ، وفى الأصل و ظ : اللوم (٩-٩) فى مد : فأهنتى (١٠) من مد ،
وفى الأصل و ظ : يكرم .

سفولا وعجزا، قال تعالى مشيرا إلى نتيجة هذه الآيات في نقي ذلك عنه:
 ﴿سبحن الله﴾ أى تنزه الجامع لصفات الكمال عن أن يختار أحد
 شيئا لا يريد به فصل إليه أو يقع بوجه عليه ﴿وتعالى﴾ أى علا علو
 المجتهد فى ذلك، فعلوه لا تبلغ العقول بوجه كنه هداة ﴿عما يشركون﴾
 لأنه لا إرادة لما ادعوم شركاء، ولو كانت لهم إرادة لتوقف إقادها
 لمعجزم على إيجاد الخالق.

ولما كانت القدرة لا تسم إلا بالعلم، قال: ﴿وربك﴾ أى
 المحسن إليك 'المتولى لتربيتك'، كما هو بالغ القدرة، فهو شامل العلم
 ﴿يعلم ما تكن﴾ أى تخفى وتستر ﴿صدورهم﴾ من كونهم يؤمنون
 على تقدير أن تأتيهم 'آيات مثل' آيات موسى أو لا يؤمنون، ومن ١٠
 كون ما ٢ أظهر من ٢ أظهر منهم الإيمان بلسانه خالصا أو مشوبا.
 ولما كان علم الحق لا يستلزم علم الجلى إما بعد أو لفظ أو اختلاط
 أصوات يمنع تميز بعضه عن بعض أو غير ذلك قال: ﴿وما يعلنون﴾
 أى يظهرون، كل ذلك لديه سواء، فلا يكون لهم مراد إلا بخلقه.

ولما كان علمه بذلك إنما هو لكونه إلها، وكان غيره لا يعلم ١٥
 من علمه إلا ما علمه، عبر عن ذلك بقوله: ﴿وهو الله﴾ أى المستأثر
 بالإلهية الذى لا سى له، الذى لا يحيط الوصف من عظمتيه بأكثر
 من أنه عظيم على الإجمال، وأما التفاصيل كلها أو أقلها فهيها هيها؛

(١-١) فى ظ و مد : بتربيتك (٢-٢) سقط ما بين الرقين من مد (٣-٣) سقط
 ما بين الرقين من مد، و فى ظ : أظهر ما (٤) فى ظ : على (٥) فى ظ : تحلصه.

ثم شرح [معنى -١] الاسم الأعظم بقوله (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ^١) ثم علل ذلك بقوله : (لَهُ) أى وحده (الحمد) أى الإحاطة بأوصاف الكمال (فى الأولى والأخرة) وليس ذلك لشيء سواه أن آمنوا أو كفروا (وَلَهُ) أى وحده (الحكم) أى إمضاء القضاء على الإطلاق ، هـ فلو أراد لقصرهم على الإيمان (وَإِلَيْهِ) أى لا إلى غيره (ترجعون^٢) أى بأيسر أمر يوم النفخ فى الصور ، لبعثة القبور ، بالبعث والنشور ، مع أنكم الآن أيضا راجعون فى جميع أحكامكم إليه ومقصرون^٣ عليه ، إن شاء أمضاها ، وإن أراد ردها ولواها ، فى الآيات غاية التقوية لقلوب المطيعين ، ونهاية الزجر والردع للتمردين ، بالتنبيه على كونه قادرا ١٠ على جميع الممكنات ، عالما بكل المعلومات ، منزها^٤ عن النقائص والآفات^٥ يجزى الطائعين والعاصين بالقسط .

ولما قامت على القدرة الشاملة والعلم التام وأنه الإله وحده إن وحدوا أو الحدوا هذه الأعلام على هذا النظام ، أقام دليلا دالا على ذلك كله بما اجتمع فيه من العلم والحكمة وتمام القدرة ، منها على ١٠ وجوب حمده مفصلا لبعض ما يحمد عليه ، فقال^٦ مقدما الليل لأن آيته عديمة ، وهى أسبق : (قل) لمن ربما عاندا فى ذلك ، منكر عليهم ملزما لهم ، وعبر بالجمع لأنه أدل على الإلزام ، أعظم فى الإخام^٧ ،

١٠ زيد من ظ ومد (٢) من ظ ومد و القرآن الكريم ، وفى الأصل : الله .
 (٣) من مد . وفى الأصل : وإن ، وفى ظ « و » (٤) فى ظ ومد : مقصرون .
 (٥) من ظ ومد ، وفى الأصل : متنزها (٦) فى ظ : الأوقات - كذا (٧) وقع فى ظ ومد بعد « هى أسبق » (٨) من ظ ومد ، وفى الأصل : الاتهام .

فقال

قال: ﴿ اريتم ﴾ أى أخبروني ﴿ ان جعل الله ﴾ أى الملك الاعلى نظرا إلى مقام العظمة والجلال ﴿ عليكم الليل ﴾ الذى به اعتدال حر النهار ﴿ سرمدا ﴾ أى دائما، وقال: ﴿ الى يوم القيمة ﴾ تنديها على أنه مما لا يتوجه إليه إنكار ﴿ من اله غير الله ﴾ العظيم الشأن الذى لا كفوء له.

ولما كان النور نعمة فى نفسه، ويعرف [به - ٢] خالقه، صرح به وطوى أثره فقال: ﴿ ياتيكم ضياء ﴾ أى يولد نهارا تنتشرون فيه، ولقوة إعلامه بالقدرة وتعريفه بالله عبر بهذا دون يؤتكم^٢ ضياء، ولما كان الليل محل السكون وجمع الحواس، فهو أمكن للسمع وأقذ للفكر، قال تعالى: ﴿ افلا تسمعون^٥ ﴾ أى^٤ ما يقال^٤ لكم إصغاء^{١٠} وتدبر، كما يكون لمن هو فى الليل فينتفع بسمعه من أولى العقل ﴿ قل اريتم ان جعل الله ﴾ أى الذى له الامر كله بجلاله وباهر كماله ﴿ عليكم النهار ﴾ الذى توازن حرارته رطوبة الليل فيتم بهما^٦ صلاح النبات، وغير ذلك من جميع المقدرات^٦ ﴿ سرمدا ﴾ أى دائما، من السرد، وهو المتابعة بزيادة الميم مبالغة فيه ﴿ الى يوم القيمة ﴾ أى^{١٥} الذى لا يسمع عاقلا إنكاره ﴿ من اله غير الله ﴾ الجليل الذى ليس له مثل^٧، وهو على كل شيء وكيل.

(١) سقط من ظ ١ (٢) زيد من ظ ومد (٣) في ظ ومد: ياتيكم (٤-٤) من ظ ومد. وفي الاصل باقيا - كذا (٥) من ظ ومد، وفي الأصل: بها. (٦) في ظ ومد: المقدورات (٧) في ظ ومد: مثل.

نظم الدرر (سورة القصص ٢٨ : ٧٢ و ٧٣) ج - ١٤

ولما كان الظلام غير مقصود في نفسه ، و كان بعد الضياء في غاية التعريف بموجده ، عدل عن اسمه فقال معبرا^١ لمثل ما مضى :
(ياتيكم ليل)^٢ أى ينشأ منه ظلام^٣ ؛ ثم بين بما يدل على ما حذفه من الأول فقال : (تسكنون فيه^٤) فالآية من الاحتباك : ذكر الضياء أولا دليلا على حذف الظلام ثانيا ، والليل و السكون ثانيا دليلا على حذف النهار والانتشار أولا .

ولما كان الضياء مما^٥ ينفذ فيه البصر قال : (افلا تبصرونه)
أى بالبصر و البصيرة كيف تنقشع^٦ جلايب الظلام ، عن وجوه الضياء
الفر الكرام ، / ثم تنقع بسواد أردية الحياء ، وجوه^٧ الأنوار و الضياء^٨ / ٤٤
١٠ [قال ابن هبيرة : قال المبرد : سلطان السمع في الليل و سلطان البصر في النهار^٩] .

ولما كان التقدير : فن حكته جعل لكم السمع و الأبصار ،
^{١٠} لتدبروا آياته ، و تبصروا^{١١} في مصنوعاته ، عطف عليه : (ومن رحمته)
أى التى وسعت كل شئ لا من غيرها من خوف أو رجاء أو تعلق
١٥ غرض من الأغراض (جعل لكم الليل و النهار) آيتين عظيمتين دبر
فيهما^{١٢} و بهما جميع^{١٣} مصالحكم ، و ادخر معظم رحمته^{١٤} إلى الآخرة ،

(١) فى ظ و مد : مشيرا (٢-٣) سقط ما بين الرقين من ظ و مد (٣) فى ظ :
بما (٤) فى ظ : تسع (٥-٥) فى ظ : الاحرار و الصبا - كذا (٦) زيد من ظ
و مد (٧-٧) فى ظ و مد : تدبر و آياته و تبصروا (٨) من ظ و مد ، و فى
الأصل : فيها (٩) سقط من ظ (١٠) سقط من مد .

و محّا آية الليل ﴿ لتسكنوا فيه ﴾ أى فلا تسعوا فى معاشكم ﴿ و ﴾ جعل آية النهار مبصرة ٢ ﴿ لتبتغوا من فضله ﴾ بأن تسعوا فى معاشكم بجهدكم ، فالآية من الاحتباك : ذكر أولا السكون دليلا على حذف السعى فى المعاش ثانيا ، والابتغاء ثانيا دليلا على حذف عدم السعى فى المعاش أولا .
ولما ذكر هذه النعمة التى أسبغها من هذه الرحمة ، و ذكر علة ٥ جعله لها على الصفة المذكورة ، ذكر علة أخرى هى المقصودة بالذات لأنها نتيجة السمع و البصر اللذين ٣ ، قدم الحث على استعمالها فقال : ﴿ ولعلمكم تشكرون ٥ ﴾ أى و ليكون حالكم حال من يرجى منه الشكر بما يتجدد لكم بتقبلها من النعم المتوالية المذكورة بالمنعم ٤ ، و بما دبر لكم رققا بكم فيما كفلكم ٥ به فى دار الأسباب ٦ من أمر المعاش و المعاد من ١٠ الراحة بالسكون إثر ٧ ما أفادكم من الأرباح و المنح بالانتشار و التقلب ، و أما الآخرة فلما كانت غير مبنية على الأسباب . و كان الجنة لا تعب فيها بوجه [من الوجوه - ٨] ، كان لا حاجة فيها إلى الليل .

ولما ذكر ما للفلح من الرجاء فى يوم الجزاء . و أتبعه الإعلام بان الهداية إلى الفلاح إنما هى به ، و دل على ذلك إلى أن ذكر أيام ١٥ الدنيا المشتملة على ٩ الليل و ٩ النهار على وجه دال على وحدانيته ، معلم بالقدرة

- (١) من مد ، و فى الأصل و ظ : محبى ٥ (٢) زيدت انوا فى ظ (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : الذين (٤) فى ظ و مد : بالنعم (٥) فى ظ و مد : كفلكم .
(٦-٦) فى ظ و مد : فى دارى (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : كماثو- كذا .
(٨) زيد من ظ و مد (٩-٩) سقط ما بين الرقيين من ظ .

على البعث بعد الموت بتكرير لإيجاد كل من الملوك بعد إعدامه و تكرير
 لإمارة الناس بالنوم، ثم نشرهم باليقظة، و ختم ذلك بالشكر إشارة إلى
 أنه سبب الفلاح، عاد إلى يوم الجزاء الذى تظهر فيه ثمرة ذلك كله،
 مقربا على الإشراف مع ظهور هذه الدلائل على التوحيد، و عدم شبهة
 قائمة على الشرك غير محض التقليد. فقال منها على عجزهم عن البرهان
 عند استحقاق البرهان في يوم التاد، لمحض من الأشهاد، مع ما فيه من
 التأكيد للتهويل بالتكرير، و التاطيد^٢ للتهليل و التقرير^٣ : ﴿ و يوم يناديهم ﴾
 أى هؤلاء الذين يظنون أنهم معجزون ﴿ فيقول ﴾ بلسان الغضب
 'و الاخزأؤ' و التوبيخ و قد جمعوا جمعا : ﴿ اين شركاءى ﴾ وكرر الإشارة
 ١٠ إلى أن 'إشراكهم إنما هو بالاسم لا معنى فيه أصلا فقال : ﴿ الذين كنتم ﴾
 أى بغاية جهلكم حتى صار لكم ذلك لمكة ﴿ تزعمون ه ﴾ بلا شبهة لكم
 في ذلك عند التحقق أصلا .

و لما ذكر الدليل الأول من الدليل على إبطال الشركه أن الشركاء
 لم يستجيبوا لهم . و لا كانت لهم قدرة على نصرهم و لا نصر أنفسهم .
 ١٥ و كان ربما قيل : إن ذلك اثنى على العجز ، دل هنا على الإشراف
 . لا شبهة دليل^٤ فقال [حارفا] يقول إلى مظهر التكلم بأسلوب العظمة لأنه
 مجرد فعال^٥ [زعنا] أى أفردنا بقوة : سطوة ﴿ من كل امة شهيدا ﴾

(١) سقط من ظ و مد (٢) أى التوطيد، و وقع في الأصل : التأكيد، و في
 ظ : التاطيد، و أثبتناه هو من مد (٣) في ظ : التقدير (٤ - ٤) سقط ما بين
 الرقنين من مد (٥) سقط من مد (٦) في ظ و مد : التحقيق (٧) زيد من ظ و مد .

أى و هو رسولهم ، فشهد عليهم بأعمالهم و ما كانوا فيه من الارتباك فى
أشراك الإشراك .

و لما تسبب عن ذلك سؤالهم عن ' سندهم فى إشراكهم قال ':

٤٥ / (فقلنا) أى للأمم : (هاتوا برهانكم) أى دليلكم القطعى الذى فزعتم
فى الدنيا إليه ، و عولتم فى شرككم عليه ، كما هو شأن ذوى العقول أنهم
لا يبتون شيئا على غير أساس (فعلوا) بسبب [هذا - ٢] السؤال
لما اضطروا ' ففتشوا و ' اجتهدوا فلم يجدوا لهم سندا أصلا (ان الحق)
أى ' فى الإلهية (لله) أى الملك الأعلى ' الذى له الأمر كله و لا
مكافئ له ، لا شركة لشيء معه (و ضل) أى غاب و ' ظل غيبة
الشيء الضائع (عنهم ما كانوا) أى كونا ' هو كالجبله لهم ' (يفترون ع) ١٠
أى يقولونه قول الكاذب المتعمد للكذب لكونه لا دليل عليه و لا شبهة
موجبة للغلط فيه .

و لما دل على عجزهم فى تلك الدار . و علمهم أن المتصرف فى جميع
الأقذار ، إنما هو الواحد القهار ، دل على أن ذلك له ' أيضا فى هذه
الدار بوقوع العلم به بأهلاك أولى البطر ، و المرح و الآثر ، من غير أن ١٥
يقنوا عن اضلوا ، أى يقنى عنهم من أصلهم من ناطق ، و ما اضلهم من

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : على (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : فقال .

(٣) زيد من ظ و مد (٤ - ٤) من ظ و مد . و فى الأصل : فيسوا أو .

(٥) سقط من ظ و مد (٦) من ظ و مد . و فى الأصل : يكافى (٧ - ٧) فى

ظ و مد : هم و يحون فيه .

صامت، تطبيقاً لعموم "وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها" على بعض الجزئيات، تخويفاً لمن كذب النبي صلى الله عليه وسلم، لا سيما من نُسبه إلى السحر، وإعلاماً بأن الانبياء عليهم الصلاة والسلام يقاطعون الاشقياء وإن^١ كانوا أقرب الأقرباء، لأنه سبحانه عذب قارون^٢ ومن كان معه بعباد لم يسبقهم فيه أحد، وهم من بني إسرائيل ومن أقرب بني إسرائيل إلى موسى عليه الصلاة والسلام، فلم كل من كان اغتر بما أوتيته^٣ [أن - ^٤] الحق لله في كل ما دعت إليه رسله، ونظقت به كتبه، وضل عنهم ما كانوا يفترون، [ولم يغن عنهم شيئاً ما عتمدوا عليه، فكان معبودهم في الحقيقة بما جمعه من حطام الدنيا فاعتقدوا أنهم نالوا به السعادة الدائمة والعز الباقي، فكان مثله - كما يأتي في التي بعده - كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً - ^٥] . وكل^٦ ذلك بمرأى من موسى عليه الصلاة والسلام^٧ حين كذبه ونسبه إلى السحر وتكبر عليه، فلم يسأل الله تعالى فيه لخروجه باستكباره من الوعد بالمنة على الذين استضعفوا [في الأرض - ^٨]، وكان ذلك العذاب الذي [عذبوا به من جنس ١٥ ما - ^٩] عذب به فرعون في الصورة من حيث أنه تغيب وإن كان ذلك في مائع، وهذا في صلب جامد . ليعلم أنه قادر على ما يريد، ليدوم

(١) سقط من مد (٢) في ظ و مد : قرون (٣) في ظ و مد : أوتيته .
 (٤) زيد من ظ و مد (٥) في ظ : جمعهم (٦) في ظ و مد : كان (٧) زيد في ظ و مد : فلم كل من كان اغتر بما أوتيته أن الحق لله في كل ما دعت إليه رسله .

منه الحذر، إفيما سبق^١ منه القضاء و القدر، و نزع موسى عليه الصلاة
و السلام من كل سبط من أسباط بني إسرائيل شهيدا من عصيهم و قال
لهم: هاتوا برهانكم [فيها -^٢]، فعلوا بابرار عسا هارون عليه الصلاة
و السلام دون عصيهم أن الحق لله في أمر الجبورة^٣ و في جميع أمره
قال: (ان قارون) و يسمى في الثوراة قورح، ثم بين سبب التأكيد ه
بقوله: (كان) أى كونا متمكنا (من قوم موسى) تنبيها على أنه جدير
بأن ينكر كونه كذلك لأن فعله معهم لا يكاد يفعله أحد مع قومه،
و ذلك أنه كان من الذين آمنوا به و قلنا فيهم "و نريد ان نمن على الذين"
- إلى آخره، لأنه ابن عجم موسى عليه الصلاة و السلام^٤ [على ما -^٥]
حكاه أبو حيان^٦ و غيره عن ابن عباس رضى الله عنهما (فبني عليهم م)
أى تجاوز الحد في احتقارهم بما خولناه فيه من هذا الخطام المتلاشى،
و العرض الفانى، فقطع ما بينه و بينهم من الوصلة، و وصل ما بينه و بين
فرعون و أضرا به^٧ من القرعة، / فأخرجه ذلك من حوزة المنة و الأمانة
و الوراة إلى دائرة الهلاك و الحقارة^٨ و الحياة، كما بنى عليهم فرعون؛
و كان أصل 'بني' هذه: أراد، لكن لما كان العبد لا ينبغي أن يكون ١٥

٤٦/

- (١) من ظ، و فى الأصل و مد: يسبق (٢) زيد من ظ و مد (٣) سقط من
ظ (٤) فى ظ: منكر (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: لا (٦) تكرر فى
الأصل فقط (٧-٧) سقط ما بين الرقين من ظ و مد (٨-٨) فى ظ: عمه .
(٩) زيد من مد (١٠) راجع البحر المحيط ١٣١/٧ (١١) من ظ و مد، و فى
الأصل: اصوابه (١٢-١٢) سقط ما بين الرقين من مد .

له إرادة، بل الإرادة لسيده كما نبه عليه " ما كان لهم الخيرة "، جعلت إرادته تجاوز الحد، وعديت^٢ بـ 'على' المقضية للاستعلاء تنبيها على خروجها عن أصلها .

ولما ذكر بفيه، ذكر سيه الحقيق، فقال: (واثنين) أى ومع
 ٥ كوننا أنعمنا عليه بجعله من حزب أصفياتنا آتيناه بعظمتنا (من الكنوز)
 أى الأموال المدفونة المدخرة^٢، فضلا عن الظاهرة التى هى^١ بصد
 الاتفاق منها لما عساه يعرض من المهمات (مآ) أى الذى أو شيئا كثيرا
 لا يدخل تحت حصر حتى (ان مفاتيحه) أى مفاتيح الاغلاق^١ التى هو
 مدفون فيها وراء أبوابها (لتوآ) أى تمل بجهد و مشقة لثقلها
 ١٠ (بالعصبة) أى الجماعة الكثيرة التى^٥ يعصب - أى يقوى - بعضهم
 بعضا، وفى المبالغة بالتعبير بالكنوز والمفاتيح والنوء والعصبة الموصوفة
 ما يدل على أنه أوتى من ذلك ما لم يؤته أحد ممن هو فى عداده،
 وكل ذلك مما تستبعده^٢ العقول، فلذلك وقع^٢ التأكيد (اولى القوة)
 أى تملهم من أثقالها إياهم، والنوء: الميل، قال الرازى: والنوء: الكوكب
 ١٥ مال^٤ عن العين عند^٩ الغروب، يقال: ناء بالحل - إذا نهض به مثقلا،
 و ناء به الحل - إذا أماله لثقله .

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ و مد: عدت (٣) فى ظ و مد: المدخورة .
 (٤) فى ظ: الارزاق (٥) من ظ و مد، وفى الأصل: الذين (٦) فى ظ
 و مد: تبعده (٧) من ظ و مد، وفى الأصل: ومع (٨) فى ظ: قال (٩) من
 ظ و مد، وفى الأصل: عنه .

و لما ذكر بفيه^١، ذكر وقته، والوقت قد يكون واسعا كما
 قول^٢: جرى كذا عام^٣ كذا، وفيه التعرض للسبب القريب فقال:
 ﴿اذ قال له﴾^٤ وقال^٥: ﴿قومه﴾ إشارة إلى تنامي بفيه بافتخاره
 وكبره على أقاربه الذين جرت العادة أن لا يغضب كلامهم ولا يؤرث
 التعزير عليهم ولا يحمل إلا على النصح والشفقة، وساعت نسبة القول ٥
 للكل "وإن" كان القائل البعض، بدليل ما يأتي، إما عدا للساكت
 قائلا لرضاه^٦ به لانه^٧ بما لا ياباه أحد، وإما لأن أهل الخير^٨ هم
 الناس، ومن عدام عدم: ﴿لا تفرح﴾ أى لا تسر سرورا يحفر في
 قلبك فيتغلغل فيه فيحرفك إلى الأشر والمرح، فان الفرح بالعرض
 الزائل يدل على الركون إليه، وذلك يدل على نسيان الآخرة، وذلك ١٠
 على غاية الجهل والطيش وقلة التأمل للعواقب، فيجر إلى المرح فيجر
 إلى الهلاك، قال الرازي: ومن فرح بغير مفروح به استجلب حزنا
 لا انقضاء له. وعللوا نهيم له بما يفهم أشد الشفقة والمحبة فقالوا مؤكدين
 لاستبعاد من يرى تواصل النعم السارة على أحد أن يكون غير محبوب:
 ﴿ان الله﴾ أى الذى له صفات الكمال فلا شيء أجل منه، فيه ينبغى^٩ ١٥
 أن يفرح ﴿لا يجب﴾ أى لا يعامل معاملة المحبوب ﴿الفرحين ٥﴾ أى
 (١) زيدت الواو بعده فى الأصل، ولم تكن فى ظ ومد فخذفناها (٢) فى
 الأصل: يقول (٣) فى ظ ومد: عرض (٤-٤) سقط ما بين الرقين من
 مد (٥-٥) فى ظ ومد: فان (٦) من ظ ومد، وفى الأصل: لمرضاه .
 (٧) سقط من مد (٨) سقط من ظ ومد (٩) فى ظ ومد: فينبغى .

الراشخين في الفرح بما يقضى، فإن فرحهم يدل على سفول المهم .
 ولما كان ترك الفرح سببا للزهد، وهو سبب القرب^١ إلى الله،
 كان كأنه قيل : وازهد فيه إن الله يحب الزاهدين (وابتغ) أى اطلب
 طلبا تجهود^٢ نفسك فيه (فيما أتتك الله) أى الملك الأعظم^٣ الذى له
 الامر / ٥ / ٤٧ / كله من هذه الاموال حال تمكنك (الدار الآخرة) بانفاقه
 فيما يحبه^٤ الله بحيث يكون ابتغاءك ذلك مطروفا له فيكون كالروح
 والموتى كالجسد ليكون حيا بذلك الابتغاء، فلا يكون منه شيء بغير
 حياة^٥، فإن فعلك لذلك يذكرك أن هذه الدار دار قلعة^٦ وارتحال،
 وكل ما فيها إلى زوال^٧، وذلك يوجب الزهد فى جميع ما فيها من
 ١٠ الاموال .

ولما كان ذلك شديدا المشقة على النفوس مع ما فيه من شائبة
 الاتهام قالوا : (ولا تنس) أى ترك ترك الناسى (نصيبك من الدنيا)
 ترك المنسى، بل استعمل^٨ المباحات من^٩ المآكل والملابس والمناكح
 والمسكن وما يلائمها، وليكن استعمالك لذلك - كما دل عليه السياق -
 ١٥ من غير إسراف ولا مخيلة توجب ترك الاتصاف بالإنصاف^{١٠}؛ وعن
 (١) فى ظ ومد : للبذل المقرب (٢) من ظ ومد، وفى الأصل : تحمد .
 (٣) زيد فى ظ ومد : اى (٤) من ظ ، وفى الأصل : حبه، وفى مد : يحب .
 (٥ - ٦) سقط ما بين الرقين من ظ ومد (٦ - ٧) سقط ما بين الرقين من
 مد (٧) سقط من ظ .^١

على رضى الله عنه : و لا تنس صحتك و قوتك و نشاطك و غناك أن تطلب به الآخرة .

و لما أطلق له الاقتصاد فى التمتع بالزاد ، و كانت النفس مجبولة على الشره ، فاذا أذن لها 'من الدنيا فى تقير' جعلته أكبر^٢ كبير ، أتبعوا ذلك ما لعله يكف من شرهما^٣ فقالوا : (و احسن) أى أرفع الإحسان^٥ بدفع المال إلى المحايج ، و الإقناق فى جميع الطاعات (كما أحسن الله) أى^٦ الجامع لصفات الكمال ، المتردى برداء العظمة و الجلال (اليك) بأن تعطى عطاء من لا يخاف الفقر كما أوسع عليك .

و لما كانت النفس من شأنها إن لم تزم بزمام الشرع^٤ الإسراف و الإجحاف^٧ ، قالوا : (و لا تبغ) أى لا ترد^٨ إرادة ما (الفساد فى الارض^٩) ١٠ بتقير و لا تبذير ، و لا تكبر على عباد الله و لا تحقير ؛ ثم أتبع ذلك علته مؤكدا لأن أكثر المفسدين ييسط لهم فى الدنيا ، و أكثر الناس يستبعد أن ييسط فيها لغير محبوب ، فقيل : (ان الله) أى العالم بكل شئ ، القدير^١ على كل شئ (لا يحب المفسدين^{١٠}) أى لا يعاملهم معاملة من يحبه ، فلا يكرمهم .

١٥

و لما كان^{١١} بما^{١٢} قالوه أن الذى أعطاه ذلك إنما هو الله ، و كان قد

(١ - ١) فى مد : فى تقير من الدنيا (٢) سقط من ظ و مد (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ ؛ شرهما (٤ - ٤) فى ظ : الاسراف و الخلف - كذا . (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : لا تر (٦) فى مد : القادر (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : كانوا (٨) فى ظ : بما (٩) سقط من مد .

أبطرته النعمة حتى على خالقه [حتى - ١] حصل التشوف إلى جوابه
 فقيل في أسلوب التأكيد لأن كل أحد يعلم من نفسه العجز، وأن
 غيره ينكر عليه فيما يدعى أنه حصله بقوته : ﴿ قال إنما أوتيته ﴾ أى
 هذا المال ﴿ على علم ﴾ حاصل ﴿ عندى ﴾ فأنا مستحق لذلك، وذلك
 ٥ العلم هو السبب فى حصوله^٢، لا فضل لأحد على فيه - بما يفيد التعبير
 بانما، وبناء الفعل للجهول إشارة إلى عدم علمه بالموتى من هو، وقد
 قيل : إن ذلك العلم هو الكيمياء .

و لما كان التقدير : ألا يخاف أن يسلبه الله - عقوبة له على هذا -
 علمه وماله [ونفسه - ١] ؟ ألم يعلم أن ذلك إنما هو بقدرة الله ؟ لاصنع
 ١٠ له فى الحقيقة فى ذلك أصلا، لأن الله قد أفقر من هو أجل منه حيلة
 وأكثر علما، وأعطى أكثر منه من لا علم له ولا قدرة، فهو قادر على
 إهلاكه، وسلب ما معه^٣ وإفائه، كما قدر على إتيائه^٤، عطف عليه قوله
 منكرا عليه : ﴿ او لم يعلم ان الله ﴾ أى بما له من صفات الجلال^٥
 والعظمة والكمال ﴿ قد اهلك ﴾ ونبه على أنه لم يتعظ - مع مشاهدته
 ١٥ للهلكين الموصوفين مع قرب الزمان بإدخال 'من' فى قوله : ﴿ من قبله ﴾
 ولو حذفها لاستغرق الإهلاك على ذلك الوصف جميع ما / تقدمه من

/ ٤٨

- (١) زيد من ظ ومد (٢-٢) فى ظ ومد : لحصوله (٣) سقط من ظ ومد .
 (٤) زيد فى الأصل : وإهلاكه، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد لخصفها .
 (٥) من مد، وفى الأصل وظ : إفائه (٦) من ظ ومد : وفى
 الأصل : الجمال .

الزمان (من القرون) أى الذين^١ هم فى الصلاة كالقرون (من هو اشد منه)
 أى قرون (قوة) أى فى البدن، و المعانى من العلم وغيره، و الانصار
 و الخدم (واكثر جمعا) فى المال و الرجال، آخرهم فرعون الذى
 شاوره^٢ فى ملكه، و حقق أمره يوم [مهم^٣ - هـ] هلكه، و كان يستعبده
 أمثاله و يسومهم سوء العذاب، و لم يعاملهم معاملة من يحبه و لا امتنع
 عليه ذلك لعم عند أحد منهم و لا جمع، بل أخذهم لبغيتهم و قبح
 قلوبهم و سعيهم.

ولما كانت عادة أهل الدنيا أنهم إذا غضبوا من أحد فارادوا إهلاكه
 عاتبوه، فتارة يحلف على نفي الذنب فيقبل منه و إن كان كاذبا، و تارة
 يكشف الحال عن [أن^٤ - هـ] باطن أمره على خلاف ما ظهر من شره. ١٠
 فيكون له عذر خفي، أشار سبحانه إلى أن ذلك لا يفعله إلا جاهل بحقائق
 الأمور و مقادير ما يستحق على كل ذنب من العقوبة، و أما المطلع على
 بواطن الضمائر و خفايا السرائر فنفى عن^٥ ذلك، فقال تعالى ذاكرا لحال
 المفعول و هو "من": (ولا) أى أهلكهم و الحال أنهم لا يسألون -
 هذا الأصل، ولكنه قال: (يُسئل) أى من سائل ما (عن ذنوبهم المجرمون) ١٥
 فأظهر لإفادة أن الموجب للاهلاك الإجماع، و هو قطع ما ينبغي

(١) فى ظ : الذى (٢) من ظ و مد، و فى الأصل : شاهده (٣) زيد من ظ
 و مد (٤) فى مد : لا (٥-٥) فى ظ : على أحدهم، و فى مد : بل اخذهم لبغيتهم.
 (٦) فى ظ : من .

وصله^١ بوصل ما ينبغي قطعه، ولهذا^٢ سبب^٣ وعقب عن وعظهم
الحسن وجوابه الحشن قوله سبحانه دليلا على إجرامه، وطغيانه في آثامه :
(فخرج على قومه) أي الذين نصحوه^٤ في الاقتصاد في شأنه،
والإكثار في الجود على إخوانه، ثم ذكر حاله معظما لها بقوله :
هـ (في زيتته^٥) أي التي تناسب ما ذكرنا من أمواله، وتماظه في كماله^٦،
من أفعاله وأقواله .

ولما كان كأنه قيل : ما قال قومه ؟ قيل : (قال الذين يريدون)
أي هم بحيث يتجدد منهم أن يريدوا (الحياة الدنيا) منهم لسفول الهمم^٧
وقصور النظر على الفاني، لكونهم أهل جهل وإن كان قولهم من
١٠ باب الغبطة لا من الحسد الذي هو معنى زوال نعمة المحسود :
(يليت لنا) أي تمنى تمنا عظيما أن توت من أي موت كان وعلى
أنى وجه كان (مثل ما أوتي قارون لا) من هذه الزيتة وما تسببت^٨
عنه من العلم، حتى لا يزال أصحاب أموال ؛ ثم عظموها بقولهم مؤكدين
لعلهم أن من يريد الآخرة ينكر عليهم : (انه لذو حظ) أي نصيب
١٥ ونجت في الدنيا (عظيم هـ) بما أوتيته^٩ من العلم الذي كان سببا له
إلى جميع هذا المال، ودل على جهلهم وفضل العلم الرباني وحقارة ما

(١) زيد في ظ : ما (٢) في ظ : كهذا (٣) في مد : سببه (٤) في مد : فضحوه .
(٥) في ظ و مد : حاله (٦) من ظ و مد ، وفي الأصل : الهم (٧) في ظ و مد :
تسبب (٨) في ظ و مد : من (٩) في ظ و مد : أوتيته .

أوتى قارون من المال و العلم الظاهر الذى أدى إليه باتباعه قوله :
 ﴿ وقال الذين ﴾ وعظم الرغبة فى العلم بالبناء للفعول إشارة إلى أنه
 نافع بكل اعتبار [و باعتبار الزهد ، وبالتعبير عن أهل الزهد به - ']
 فقال : ﴿ اوتوا العلم ﴾ أى من قومه ، فشرفت ^٢ أنفسهم عن إرادة الدنيا
 علما بفنائها ، زجرا لمن تمنى ^٣ مثل حاله ، و شمرا ^٤ إلى الآخرة لبقائها : هـ
 ﴿ ويلكم ﴾ أى عجبا لكم ، أو حل بكم الشر حلولا ، و أصل 'ويل ، وى' ،
 قال الفراء : جىء بلام الجر بعدها مفتوحة مع المضمر نحو وى لك ،
 و ^١ وى له ، أى عجبا لك وله ، ثم خلط اللام بوى لكثرة ^٥ الاستعمال
 حتى صارت كلام الكلمة فصار معربا بتمامه ثلاثيا ، فجاز أن يدخل بعدها
 لام ^٦ أخرى فى نحو ويلا لك ، لصيرورة الأول لام الكلمة ، ثم نقل ١٠
 إلى باب المبتدأ / قليل : ويل لك ، وهو باق على ما كان عليه فى حال
 النصب إذ الأصل فى ويل لك : هلكك ويلا ، أى هلاكا ، فرفعوه
 بعد حذف الفعل 'نقضا لغير' الحدوث ، وقيل : أصل ويل الدعاء
 بالهلاك ، ثم استعمل فى الزجر و الردع و البعث على ترك ما لا يرتضى
 كما استعمل لا أبالك - و أصله الدعاء على الرجل - فى الحث على الفعل ، ١٥
 فكأنهم ^٧ قالوا : ما ^٨ لنا يحل بنا الويل ؟ فأخبروهم بما ينبغى معرضين

- (١) زيد من ظ و مد (٢) فى مد : فشرفت (٣) فى ظ و مد : تميز (٤) فى ظ
 و مد : سمعوا (٥) فى ظ و مد : و به (٦) فى ظ و مد : او (٧) فى ظ و مد :
 المكثرة (٨) فى مد : لا ما (٩ - ٩) فى ظ و مد : حال النصب نقضا لغير .
 (١٠) فى ظ : وكانهم (١١) فى ظ : بما .

نظم الدرر (سورة القصص ٢٨ : ٨٠ - ٨٢) ج - ١٤

عما^١ استحقوا به الويل من التقى، تحقيرا لما استفزهم حتى قالوه فقالوا:
 (ثواب الله) أى الجليل العظيم (خير) أى من هذا الخطام،
 ومن فاته^٢ الخير حل به الويل؛ ثم يتنوا مستحقه^٣ تعظيما له وترغيا
 للسامع في حاله فقالوا: (لن آمن وعمل) أى تصديقا لإيمانه
 (صالحا) ثم بين سبحانه عظمة هذه النصيحة وعلو قدرها بقوله مؤكدا
 لأن أهل الدنيا ينكرون كونهم غير صابرين: (ولا يلقها) أى لا يجعل^٤
 لاقيا لهذه الكلمات أو النصيحة التى قالها أهل^٥ العلم، أى عاملا بها
 (الا الصبرون) أى على قضاء ربهم فى السراء والضراء، والحاملون
 أنفسهم على الطاعات الذين صار الصبر لهم خلقا، وعبر بالجمع ترغيا
 ١٠ فى التعاون إشارة إلى [أن -^٦] الدين لصعوبته لا يستقل به الواحد.
 ولما تسبب عن نظره هذا الذى أوصله إلى الكفر بربه أخذه
 بالعذاب، أشار إلى ذلك سبحانه بقوله: (نخسفنا) أى بما لنا من
 العظمة (به وبداره) أى وهى على مقدار ما ذكرنا من عظمته بأمواله
 وزينته، فهى أمر عظيم، تجمع خلقا كثيرا وأثانا عظيما، لتلا يقول
 ١٥ قائل: إن الخسف به كان للرجة فى أخذ أمواله (الارض) وهو
 من قوم موسى عليه الصلاة والسلام وقريب منه جدا - على ما نقله

(١) فى ظ: بما (٢) من ظ ومد، وفى الأصل: مائة (٣) فى ظ: مستحقه،
 والعبارة من بعده إلى بين سبحانه - ساقطة من ظ ومد (٤-٤) وقع ما بين الرقين
 فى ظ ومد بعد «خير» (٥) فى ظ ومد: انهم (٦-٦) من مد، وفى الأصل
 و ظ: جبل (٧) من ظ ومد، وفى الأصل: اى (٨) زيد من ظ ومد.
 أهل

أهل الاخبار - فإياكم يا أمة هذا النبي أن تردوا ما آتاكم من الرحمة برسالته فتهلكوا وإن كنتم أقرب الناس إليه فإن الإنبياء كما أنهم لا يوجدون الهدى في قلوب العدى، فكذلك لا يمنعونهم^٢ من الردى ولا يشفعون لهم أبدا، إذا تحققوا أنهم من أهل الشقا (فا) أى قسب عن ذلك أنه ما (كان له) أى لقارون، وأكد النبي - لما استقر ه في الأذهان أن الأكابر منصورون - بزيادة الجار في قوله: (من قة) أى طائفة من الناس يكرون عليه بعد أن هالهم ما دهمه، وأصل الفقة الجماعة من الطير - كأنها سميت بذلك لكثرة رجوعها وسرعته إلى المكان الذى ذهبت منه (ينصرونه) .

و لما كان الله تعالى أعلى من كل شيء قال: (من دون الله^٣) ١٠
أى الحائز لصفات الكمال، المتردى بالعظمة والجلال، لأن من كان على مثل رأيه هلك، ومن كان من أولياء الله راقب الله في أمره، فلم يسألوا الله فيه، وعلم هو أن الحق لله، و ضل عنه^٤ - كما في الآية التى قبلها - ما كان يفترى (وما كان) أى هو (من المتصرين^٥)
لأنفسهم بقوتهم . ولما خسف به فاستبصر الجهال الذين هم كالبهاائم ١٥
لا يرون إلا المحسوسات، عبر عن حالهم بقوله: (واصبح) أى^٦

(١) من ظ و مد، وفى الأصل: انه (٢) من ظ و مد، وفى الأصل: فذلك.

(٣) من مد، وفى الأصل: لا يمنعونهم، وفى ظ: لا يمنعونهم (٤) العبارة

من هنا إلى « ذهبت منه » ساقطة من مد (٥) من ظ و مد، وفى الأصل: سراعة .

(٦) من مد، وفى الأصل و ظ: عنهم (٧) سقط من ظ .

وصار، ولكنه عبر به لمقابلة الأمس، وإعلاماً بأن ما رأوا من حاله
ملاً صدورهم فلم يكن لهم هم سواه (الذين تمنوا) أى أرادوا إرادة
عظيمة بغاية الشغف^١ أن يكونوا (مكانه) أى يكون^٢ حاله ومنزله
في الدنيا لهم^٣ (بالأمس) أى الزمان الماضي القريب وإن لم يكن
هـ إلى يومهم الذي هم فيه من قبله (يقولون ويكأن) هذه الكلمة / والتي
بعدها متصلة باجماع المصاحف، وعن الكسائي أنه يوقف على الياء من^٤
وى، وعن أبي عمرو أنه يوقف على الكاف: ويك، قال الرضى في
شرح الحاجة: وى للتندم أو للتعجب، ثم قال: وهو عند الخليل وسيبويه
'وى' للتعجب، ركبت مع 'كأن' التي للتشبيه، وقال الفراء: كلمة
١٠ تعجب ألحق بها كاف الخطاب نحو ويك عترة أقدم،^٥ أى من^٥ قوله في
قصيدته الميمية المشهورة إحدى المعلقات السبع:

ولقد شفى نفسى وأبرأ سقمها قيل الفوارس ويك عترة أقدم
أى ويلك [و-^٦] عجباً منك، وضم إليها 'أن' فالمعنى: ألم تر أنه،
ونقل ابن الجوزى هذا عن ابن عباس رضى الله عنهما، قال الفراء:
١٠ ولما صار معنى^٢ ويكأن ألم تر، لم تغير كاف الخطاب للمؤنث والمثنى
والجمع بل لزم حالة واحدة، وقال الجعبرى في شرح الشاطبية:
وى صوت يقوله المتندم والمتعجب^٧، ويك أصله ويلك. حذفت

(١) من ظ و مد، وفي الأصل: السقف (٢) سقط من مد (٣) سقط من ظ
و مد (٤) وراجع لهذا البحث البحر المحيط ١٣٥/٧ أيضاً (٥-٥) من ظ
و مد، وفي الأصل: في (٦) زيد من ظ و مد (٧) زيد في ظ و مد: والمثنى
والجمع بل لزم حالة واحدة.

'لامه تخفيفاً' لكثرة دوره؛ والكاف للخطاب و فتحت^٢ 'أن' لإضمار العلم؛
 وقال قطرب: لتقدير اللام، ونشأ^٣ من التركيب معنى: ندمنا على تفریطنا،
 و تعجبنا^٤ من حالنا، وتحققنا خلاف اعتقادنا، ورسمت متصلة تنديها
 على التركيب، وقال القزاز في ديوانه الجامع: ويك^٥ كلمة ينه بها
 الإنسان، وقيل: معناها رحمة، ووى معناها التنبيه والإنكار، وقال هـ
 الإمام عبد الحق: وى كلمة تقال في التعجب والاستدراك، وقيل: وى
 حزن، وقال قطرب: وى كلمة تفجع - انتهى . وقال سيويه في باب
 ما ينتصب فيه الخبر بعد الأحرف الخمسة: وسألت الخليل عن هذه
 الآية فزعم^٦ أنها وى^٧ مفصولة من كأن والمعنى وقع^٨ على أن القوم
 اتبها فتكلموا على قدر علمهم، أو نبها فقليل لهم: أما يشبه أن يكون ١٠
 هذا عندهم هكذا^٩ - والله تعالى أعلم، وأما المفسرون: فقالوا: ألم تر
 أن الله . فالمعنى الذى يجمع الأقوال حينئذ: تعجبا أو وبلا أو تنديما
 على ما قلنا في تبين^{١٠} غلطنا، وتنديها على الخطأ، أو هلاك لنا، أو إنكار
 علينا، أو حزن لنا، أو تفجع علينا، أو استدراك علينا، أو رحمة لنا،
 أو تنبيه منا، أو تنبيه لنا، ثم عللوا ذلك بقولهم: أن الله، أو يشبه^{١١} أن الله، ١٥

(١ - ١) من ظ و مد، وفي الأصل: كانه تخفيف (٢) من ظ و مد، وفي
 الأصل: صحب (٣) من ظ و مد، وفي الأصل: فشا (٤) من ظ و مد، وفي
 الأصل: تعجيبا (٥) في ظ و مد: وى (٦) راجع كتابه ١ / ٢٩٠ .
 (٧ - ٧) في مد: ان وى، وفي الكتاب: انها (٨) ليس في الكتاب (٩) في ظ:
 هذا (١٠) من مد، وفي الأصل و ظ: تبين (١١) من ظ و مد، وفي
 الأصل: بتشبيه .

أو ألم تر أيها السامع و الناظر أن الله، و قال الرازي : 'اسم سمي به
القول، أى أعجب، و معناه التنبيه؛ ثم ابتداء كأن ﴿الله﴾ أى الملك
الاعلى الذى له الامر كله ﴿ييسط الرزق﴾ أى الكامل ﴿لمن يشاء﴾
سواء كان عنده ما يحتال به على الرزق أم لا .

و لما كانت القصة لقارون، و كان له من المكتة فى الدنيا ما مضى
ذكره، و كانت العادة جارية بأن مثله يطر و قد يؤدى إلى تأله^١، قال
منبها بالإيقاع به على الوجه الماضى أنه من جملة عبيده، لا فرق بينه و بين
أضعفهم بالنسبة إلى قدرته : ﴿من عباده^٢﴾ .

و لما دل على أن البسط إنما هو منه، أتبعه قوله دليلا آخر؛
١٠ على ربوبيته : ﴿و يقدر﴾ أى يضيق على من يشاء سواء كان فطنا أم لا،
لا يبسطه لأحد لكرامته عليه، و لا يضيق^٣ على أحد^٤ لهوانه عنده،
ولا يدل البسط و القبض / على هوان و لا كرامة، و هذا دليل على
أنهم ظنوا صحة قول قارون أنه أوتي^٥ على علم عنده، و أنهم إنما تمنوا عليه
الذى يلزم منه على اعتقادهم حصول المال على كل حال .

١٥ و لما لاح لهم من واقفته أن الرزق إنما هو بيد الله، أتبعوه ما
دل على أنهم اعتقدوا أيضا^٦ أن الله قادر على ما يريد من غير الرزق كما

(١) زيد فى الأصل : رأى، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٢) فى ظ
و مد : تألفه (٣-٣) تقدم ما بين الرقيين فى ظ و مد على «و لما كانت القصة» .
(٤) سقط من ظ (٥-٥) من ظ و مد، و فى الأصل : لأحد (٦) فى ظ :
أوتيته (٧) زيد بعده فى الأصل : على، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .

هو قادر على الرزق من قولهم : ﴿ لَوْلَا أَن مِّنَ اللَّهِ ﴾ أى تفضل الملك الأعظم الذى استأثر بصفات الكمال ﴿ علينا ﴾ بجوده^١، فلم يعطنا ما تمنيناه من الكون على مثل حاله ﴿ لحسف^٢ بنا^٣ ﴾ مثل ما خسف به ﴿ ويكأنه ﴾ أى عجا أو ندما لأنه، أو يشبه أنه، أو ألم تر أنه، قال الرضى فى شرح الحاجية: كأن المخاطب كان يدعى أنهم يفعلون فقال ه لهم: عجا منك، فسل: لم تعجب منه؟ فقال: لأنه - إلى آخره، فحذف حرف الجر مع 'أن' كما هو القياس. ﴿ لا يفلح ﴾ أى يظفر بمراد ﴿ الكفرون ﴾ أى العريقون فى الكفر لنعمة الله، وقد عرف بهذا تنزيل المعنى على ما قالوه فى المراد من ويكأنه، سواء وقف على وى أو ويك أو لا ..

١٠

ذكر شرح هذه القصة: قال البغوى^٤: قال أهل العلم بالآخبار: كان قارون أعلم بنى إسرائيل بعد موسى عليه الصلاة والسلام وأقراهم للتوراة وأجلهم وأغنىهم فبغى وطغى، وكان أول طغيانه وعصيانه أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه الصلاة والسلام أن يعلقوا فى أردبتهم خيوطا أربعة، فى كل طرف منها خيطا أخضر بلون^٥ السماء ١٥ يذكرون^٦ به إذا نظروا إلى^٧ السماء^٨ ويعلمون أنى منزل منها كلامى،

(١) من ظ و مد، وفى الأصل: بجودنا (٢) من ظ و مد، وفى الأصل: نحسف (٣) راجع معالم التنزيل بهامش لباب التأويل ٥ / ١٥١، والبقاعى سرد القصة ببعض الاختصار (٤) ليس فى ظ و مد والمعلم (٥) فى المعلم: كلون (٦-٧) من المعلم، وفى الأصل: يذكرون، وفى ظ و مد: يذكرون السماء (٧) من المعلم، وفى الأصول: إليها (٨) -قط من ظ و مد.

نظم الدرر (سورة القصص ٢٨ : ٨٢) ج - ١٤

فقال موسى : يا رب ! أفلا تأمرهم أن يحملوا أرديتهم كلها خضرا ، فإن
 بنى إسرائيل تحتقر هذه الخيوط ، فقال له ربه : يا موسى ! إن الصغير
 من أمرى ليس بصغير ، فاذا^١ هم لم يطيعوني في الأمر الصغير لم يطيعوني
 في الأمر الكبير ، فدعاهم موسى بنى فأعلمهم ففعلوا واستكبر قارون ،
 فكان هذا بدء عصيانه^٢ وطغيانه^٣ وبنيه ، فلما قطع موسى بنى إسرائيل البحر
 جعل^٤ الحبورة لهارون عليه السلام وهي رئاسة المذبح ، فكان بنو إسرائيل
 يأتون بهديهم^٥ إلى هارون فيضعه على المذبح فتزل نار من السماء فتأكله ،
 فقال قارون : يا موسى ! لك الرسالة و لهارون الحبورة ، ولست في شيء
 وأنا أقرأ التوراة ، لا صبر لى على هذا ، فقال له موسى عليه الصلاة
 والسلام : ما أنا بالذى جعلتها في هارون ولكن الله جعلها له ، فقال
 قارون : والله لا أصدقك حتى أرى يانه ، يعنى فجمع موسى عصى الرؤساء
 فخرمها^٦ وألقاها في قبه التى كان يعبد الله فيها و باتوا يحرسونها ،
 فأصبحت عصا هارون قد اهتز لها ورق أخضر ، وكانت من اللوز^٧ ، فقال
 قارون : والله ما هذا بأعجب مما تصنع من السحر ، وذكر أمورا بما
 ١٥ كان يتعظم^٨ بها وأنه رمى موسى عليه الصلاة والسلام بعظيمة فحينئذ
 غار الله لموسى عليه الصلاة والسلام فحسف^٩ به .

(١) في العالم : فاذا (٢-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ و مد و العالم (٣) في
 العالم : جعلت (٤) في ظ : بهديتهم (٥) زبدت الوافر في الأصول ، ولم تكن
 في العالم لحذفها (٦) في ظ : فخرتها (٧) من ظ و مد و المالم ، وفي الأصل :
 اللون (٨) من ظ و مد ، وفي الأصل : يتعجب (٩) سقط من ظ و مد .

والذى (٩١) ٣٦٤

و الذى رأته أنا فى التوراة فى السفر الرابع^١ ما نصه : وكلم
 الرب موسى وقال له : كلم بنى إسرائيل و قل لهم : اعملوا خيوطا فى
 أطراف أرديتكم فى أحقابكم ، ولتكن الخيوط التى تعملون فى أطراف
 / أرديتكم من حرير ، ولتكن هذه الخيوط تذكركم وصايا الله لتعملوا^٢ بها ٥٢ /
 ولا تفضلوا^٣ بما فى^٤ قلوبكم ، ولا تتبعوا آراءكم ، بل اذكروا جميع وصاى
 و اعملوا بها ، لتكونوا مقدسين لله ربكم ، أنا الله [ربكم -^٥] الذى
 أخرجكم من أرض مصر ، لا يكون لكم إله غيرى ، أنا الله ربكم . ومن
 بعد هذه الأمور شق قورح - وهو اسم قارون^٦ بالعبرانية - بن^٧ يصهر
 ابن قاهت^٨ بن لاوى ، ودان و أيروم ابنا ألب ، و أون بن^٩ قلب بن
 روبيل^{١٠} العصى ، وقاموا بين يدى موسى ، وقوم من بنى إسرائيل عددهم
 مائتان^{١١} وخمسون رجلا من رؤساء الجماعة مذكورون مشهورون بأسمائهم
 أبطال ، هؤلاء [أجمعون -^{١٢}] اجتمعوا إلى موسى و هارون و قالوا لها :
 ليس^{١٣} حسبكما أن الجماعة كلها طاهرة و أنتما رئيسان عليها^{١٤} حتى تريدان^{١٥}
 أن تتعظما على الجماعة كلها - أى يكون هارون هو الكاهن أى متولى
 (١) راجع أواخر الأصحاح الخامس عشر (٢) من ظ و مد . وفى الأصل :
 لتعلموا (٣-٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : بما (٤) زيد من ظ و مد .
 (٥-٥) سقط ما بين الرقيين من ظ و مد (٦) فى ظ و مد : قارث ، وفى
 التوراة : قهات (٧-٧) فى التوراة : قالت بنو راويين (٨) من ظ
 و مد ، وفى الأصل : مائتا (٩) فى ظ : اليس (١٠) من ظ و مد ، وفى
 الأصل : عليهما (١١) من ظ و مد ، وفى الأصل : تريدان .

أمر القران والحكم على خدمة قبة الزمان - فسمع موسى ذلك و خر
 ساجدا على وجهه، وكلم قورح^١ وجماعته كلها فقال^٢ لهم: سيظهر الرب
 و يبين لمن الكهنوت و الرئاسة بكرة، و من كان طاهرا فليتقرب^٣ إليه .
 و من يختار الرب يتقرب^٤؛ ثم أمرهم أن يقربوا قربانا ثم قال: يا بني
 ٥ لاوى أما^٥ تكتفون بما اختاره الله لكم من كل جماعة بنى إسرائيل
 و قربكم إليه لتعملوا العمل فى بيت الرب و قربك أنت و جميع إخوتك^٦
 معك إلا أن تربدوا الكهنوت أيضا، فلذلك أنت و جماعتك كلها
 احتشدوا بين يدى الرب غدا، فأما هارون فمن هو حتى صرتم تقعون
 فيه و تندمرون^٧ عليه، و أرسل موسى ليدعو^٨ داثن^٩ و أبروم ابنى ألب
 ١٠ فقالا: لا نصعد إليك، أما تكتفيان بما صنعنا أنكما أخرجتما من الأرض
 التى تغل السمن و العسل لتقتلانا فى هذه البرية حتى تعظما علينا و تفخرا،
 فأما ما وعدتنا به أملك تدخلنا الأرض التى تغل السمن و العسل فما
 فعلت، و لم تعطنا مواريث المزارع و الكروم، فلو عيت أعيننا لم نصعد
 إليك . فشق ذلك على موسى جدا، و قال أمام الرب: لا تقبل قرايبتهم
 ١٥ يا رب لأنى لم أظلم منهم رجلا و لا أسأت إلى أحد منهم، ثم قال
 لقورح: اجتمع انت و أصحابك أمام الرب و هارون معكم بكرة،^{١٠} و لياخذ
 كل منكم^{١١} بحجرته، و قام موسى و هارون أمام قبة الزمان و جمع قورح

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: قورح (٢) من ظ و مد، و فى الأصل؛
 وقال (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: فليقرب (٤) زيد فى ظ و مد: ان .
 (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: اخوانك (٦) من مد، و فى الأصل و ظ :
 تتدبرون (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: دابر (٨ - ٩) فى مد: لتأخذوا .

الجماعة كلها، و ظهر مجد^١ الرب للجماعة كلها، و كلم الرب موسى ز هارون
و قال لها: تنحيا^٢ عن هذه الجماعة فاني مهلكها في ساعة واحدة، فخرا
ساجدين و قالوا: اللهم أنت إله أرواح كل ذى لحم،^٣ يحرم رجل واحد^٤
فينزل الغضب بالجماعة كلها؟ فكلّم الرب موسى و قال له: كلم الجماعة
كلها و قل لهم: تنحوا عن خيم دائن و أيروم و قورح^٥، تنحوا عن خيم
هؤلاء الفجار، و لا تقربوا شيئا مما لهم لثلاثا تعاقبوا، و قال موسى: بهذه
الخلّة تعلمون أن الرب أرسلنى أن أعمل هذه الأعمال كلها، و لم أعملها
من تلقاء نفسى، إن مات هؤلاء مثل موت كل إنسان أو نزل بهم الموت
مثل ما ينزل بجميع^٦ الناس فلم يرسلنى الرب، و إن فتحت الأرض فاما
^٧و ابتلعتهم^٨ و ابتلعت كل شيء لهم نزلوا هم^٩ و كل شيء لهم إلى الجحيم^{١٠}.
علمت أن هؤلاء قد / أغضبوا الرب. فلما أكمل موسى قوله هذا افتتحت
الأرض من تحتهم، و فترت فاما فابتلعتهم و ابتلعت خيمهم و جميع
مواسيهم فنزلوا إلى الجحيم أحياء، ثم استوت الأرض فوقهم، و هرب
جميع بنى إسرائيل حيث سمعوا أصواتهم و رأوا ما قد صنع بهم، و قالوا:
لعل الأرض تبذلنا أيضا، و اشتعلت نار من قبل الرب فأحرقت المائتين^{١١}

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: بحر (٢) من ظ و مد، و فى الأصل:
انتحيا (٣ - ٤) سقط ما بين الرقین من مد (٤) من ظ و مد، و فى الأصل:
قورح (٥) فى ظ و مد: موت (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: جميع.
(٧ - ٨) فى مد: فابتلعتهم (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: لهم (٩) زيد فى
التوراة: أحياء.

والخسین زجلاً^١ الذين كانوا يبخرون البخور، وتذمر جماعة بنى إسرائيل من بعد ذلك اليوم على موسى و هارون فقالوا^٢ لهما: أنما قلتما جماعة شعب الرب، فأقبلوا إلى قبة الزمان و رأوا أن السحاب قد تغشى القبة و ظهر مجد الرب، و أتى موسى و هارون فقاما في قبة الزمان، و كلم الرب موسى و هارون^٣ و قال لهما: تنجيا عن هذه الجماعة لأنى مهلكها في ساعة واحدة، فخرجا ساجدين على وجوههما، و قال موسى لهارون: خذ بحجرة يديك و اجعل فيها ناراً و بخوراً، و انطلق مسرعاً إلى الجماعة و استغفر لهم لأنه^٤ قد نزل غضب الرب بالجماعة كلها، و بدأ موت الفجأة بالشعب، و أخذ هارون كما أمره موسى فأحضر إلى الجماعة و رأى أن الموت قد بدأ بالشعب، و بخر بخوراً للرب و استغفر للشعب، و قام فيما بين الأموات و الأحياء، فكف موت الفجأة عن الشعب، و كان عدد الذين ماتوا فجأة أربعة عشر ألفاً و سبعمائة رجل غير المخسوف بهم، و رجع هارون إلى موسى إلى قبة الزمان^٥ فكلّم الرب موسى و قال له: كلم بنى إسرائيل و خذ منهم عصاً^٦ عصاً من كل سبط، و اكتب^٧ [اسم -^٨] كل رجل على عصاه، و اكتب اسم هارون على عصا سبط لاوى، و اجعلها في قبة الزمان أمام تابوت الشهادة لأنزل إليكم إلى

(١) من مد و التوراة، و في الأصل و ظ: الرجل (٢) عندنا فراغ من آية ١١ حتى آية ٤٠ (٣ - ٢) سقط ما بين الرقيين من ظ و مد (٤) من ظ و مد، و في الأصل: او (٥) في ظ: لانهم (٦) و من هنا يتبدى الأصحاح السابع عشر (٧) زيد في مد: من (٨) زيد من التوراة.

هناك ، فالرجل الذي أحبه تنضر عصاه ، وأخلصك^١ من هتار بنى إسرائيل
و تدمرهم ؛ ثم دخل موسى خبأ الشهادة فرأى عصا هارون قد فضرت
وأخرجت أغصانها^٢ وأورقت وأثمرت لوزاً^٣ ، وأخرج موسى العصى
كلها فنظروا^٤ إليها ، وقال الرب لموسى : رد قضيب هارون إلى موضع
الشهادة واحفظه آية لابناء المستخطين ليكشف تدمرهم^٥ غنى ولا يموتوا ، ه
ولا يعمل عمل قبة الزمان غير اللاويين^٦ - أى سبط لاوى ، فأما بنو
إسرائيل - أى باقيهم - فلا يقتربوا^٧ إلى قبة الزمان لئلا يعاقبوا ويموتوا^٨ ؛
ثم ذكر وفاة هارون عليه السلام فى هور الجبل^٩ ، ولأية إيعازر ابنه
مكانه أمر الكهنوت - انتهى . وهو نحو مما فعل الله لنبينا محمد صلى الله
عليه وسلم فى حنين الجذع ، وتخيير النبی صلى الله عليه وسلم له^{١٠} أن
يبعده الله تعالى^{١١} إلى أحسن ما^{١٢} كان وهو^{١٣} حتى أو يجعله فى الجنة ،
فاختار أن يكون فى الجنة ، وكذا أمر سراقه بن مالك بن جعشم حيث
لحقه صلى الله عليه وسلم فى طريق الهجرة ليرده فحسف بقوائم حصانه
حتى نزل إلى بطنه ثلاث مرات غير أن النبي صلى الله عليه وسلم لما كان
نبي الرحمة لم يكن القاضية ، فكفى بذلك شره . وأسلم بعد ذلك عام الفتح ، ١٥

- (١) فى ظ : اخلصها ، وفى مد : اخلصها (٢) فى ظ : اغصانها (٣) فى ظ ومد :
أثمار اللوز (٤) من ظ ومد ، وفى الأصل : فنظر (٥) من مد ، وفى الأصل
وظ : ترميهم (٦) من ظ ومد ، وفى الأصل : لاوين (٧) فى ظ ومد : فلا يقتربوا .
(٨) فى ظ ومد : لا يموتوا (٩) من ظ ومد ، وفى الأصل : الحيلة . و راجع أواخر
الأصحاح العشرين من السفر الرابع (١٠) فى ظ ومد : الى (١١) سقط من مد .
(١٢) من مد ، وفى الأصل وظ : بما (١٣) من ظ ومد ، وفى الأصل : هى .

و بشره النبي صلى الله عليه وسلم بأنه ^١ يلبس سواري كسرى فكان
 كذلك ^٢، و شر من الخسف الذي يغيب [به - ^٣] المخسوف به و أنكأ
 و أشنع و أخزى قصة الذي ارتد فقصم و دفن فلفظته الأرض -
 روى البيهقي في آخر الدلائل عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال :
 كان منا رجل من بنى النجار قد قرأ البقرة و آل عمران، وكان يكتب
 لرسول الله / صلى الله عليه وسلم ، فانطلق هاربا حتى لحق بأهل الكتاب،
 فرفضوه ^٤ و أعجبوا ^٥ به، فما لبث أن قصم الله عنقه ^٦ فحفروا له فواروه،
 فأصبحت الأرض قد نبذته ^٧ على وجهها ^٨ [^٩ - ^{١٠} ثم عادوا فحفروا ^{١١} له
 فواروه فأصبحت الأرض قد نبذته ^{١٢} على وجهها ^{١٣}] فتركوه منبوذا،
 ١٠ و قال : رواه مسلم في الصحيح ^{١٤}، و عن أنس رضى الله عنه مثله أيضا
 في رجل نصراني لفظته الأرض ثلاث مرات ثم تركوه . و قال رواه
 البخارى في الصحيح ^{١٥} .

/ ٥٤

و لما قدم سبحانه أن المفلح من تاب و آمن و عمل صالحا، و هو
 الذى أشار أهل العلم إلى أن له ثواب الله، و كان ^{١٦} ذلك للآخرة ^{١٧}
 (١) في ظ و مد : انه (٢) في ظ : لذلك (٣) زيد من ظ و مد (٤) زيد في صحيح
 مسلم : قالوا : هذا قد كان يكتب لمحمد (٥) في ظ : يعجبوا (٦) زيد في الصحيح :
 فيهم (٧-٧) سقط ما بين الرقين من ظ و مد (٨) زيد ما بين الحزين من ظ ،
 و مد و الصحيح (٩-٩) في مد : حفروا (١٠-١٠) سقط ما بين الرقين من ظ
 و موضعه في مد : و هكذا (١١) راجع ٢ / ٣٧١ : صفات المناقب و أحكامهم .
 (١٢) راجع ١ / ٥١١ : علامات النبوة في الإسلام - المناقب (١٣ - ١٣) من
 ظ و مد ، و في الأصل : هذا هو الآخرة .

سيا و مسيا، و مر فيها لابد منه حتى ذكر قصة قارون المعرة^١ - ولابد -
 بأن^٢ هذه الدار للزوال، لا يبقى فيها رجال و لا مال، و أن الآخرة
 للدوام، و أمر فيها^٣ بأن يحسن^٤ الابتغاء في أمر الدنيا، و ختم بأن هذا
 الفلاح مسلوب عن الكافرين، فكان موضع استحضار الآخرة، مع أنه
 قدم^٥ قريبا من ذكرها و ذكر موافقتها^٦ ما ملا^٧ به الأسماع، فصيرها حاضرة ه
 لكل ذى فهم، معظمة عند كل ذى علم، أشار إليها سبحانه لكلا
 الأمرين: الحضور و العظم، فقال: ﴿تلك﴾ أى الأمر المنظور بكل
 عين، الحاضر فى كل قلب، العظيم الشأن، [البعيد -^٨] الصيت، العلى
 المرتبة، الذى سمعت أخباره، و طنت على الآذان أوصافه و آثاره
 ﴿الدار الآخرة﴾ أى التى دلالتها^٩ أكثر من أن تحصر^{١٠}، و أوضح من
 أن^{١١} تبين و تذكر^{١٢}، من أعظمها تعبير كل أحد عن حياته بالدنيا و التى
 أمر قارون بابتغائها فأبى إلا علوا و فسادا ﴿نجعلها﴾ بعظمتنا ﴿للذين﴾
 يعملون^{١٣} ضد عمله .

ولما كان المقصود " الأعظم طهارة القلب الذى " عنه ينشأ"

عمل الجوارح، قال: ﴿ لا يربدون ﴾ و لم يقل: يتعاطون - مثلا، ١٥

- (١) من ظ و مد، و فى الأصل: المعروفة (٢) فى مد: من ان (٣-٢) فى مد:
 يحسن (٤-٤) فى ظ: قريبا من ذكر هذه و موافقتها، و فى مد: هذا قريبا
 و ذكر من موافقتها (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: المعظم (٦) زيد من ظ
 و مد (٧) فى مد: دليها (٨) فى مد: يحصر (٩-٩) فى مد: يبين و يذكر .
 (١٠) فى ظ و مد: عملوا (١١) فى مد: القصد (١٢-١٢) فى ظ: ينشأ عنه .

تعظيماً لضرر الفساد بالتفكير من كل ما^١ كان منه تسبب، إعلاما بأن
النفوس ميالة إليه نزاعة له فيها رتمت قريبا منه اقتحمته لاحالة ﴿علوا﴾
أى شيئا من العلو ﴿فى الارض﴾ فانه أعظم جارا إلى الفساد، وإذا
أرادوا شيئا^٢ من ذلك فيما يظهر لك^٣ عند أمرهم بمعروف أو نهيم
عن منكر، كان مقصودهم به علو كلمة الله للإمامة فى الدين لا علوم
﴿ولا فسادا﴾ بعمل ما يكره الله، بل يكونون على ضد ما كان فيه
فرعون وهامان وقارون، من التواضع مع الإمامة لأجل حمل الدين
عنهم ليكون لهم مثل أجر من اهتدى بهم، لا لحظ^٤ دنيوى، وعلامة
العلو لأجل الإمامة لا الفساد^٥ ألا يتخذوا^٦ عباد الله خولا، ولامال الله
١٠ دولا، والضابط العمل بما يرضى الله والتعظيم لأمر الله^٧ والعزوف
عن الدنيا.

ولما كان هذا شرح حال الخائفين من جلال الله تعالى، أخبر
سبحانه أنه^٨ دائما يحمل ظفرهم آخرا، فقال معبرا بالاسمية دلالة على
الثبات: ﴿والعاقبة﴾ أى الحالة الأخيرة التى تعقب جميع الحالات لهم
١٥ فى الدنيا والآخرة، هكذا الأصل، ولكنه أظهر تعميما وإعلاما
بالوصف الذى أثمر لهم ذلك فقال تعالى: ﴿للتقين﴾ أى دائما فى كلا
الدارين، لا عليهم، فن اللام يعرف أنها محمودة، وهذه الآية^٩ يُعرَف

/ ٥٥

- (١) فى مد: من (٢ - ٢) فى ظ و مد: فيما يظهر من ذلك (٣) من ظ و مد،
وفى الأصل: حظ (٤ - ٤) من ظ و مد، وفى الأصل: لا تتخذوا - كذا.
(٥ - ٥) فى ظ: العروض عن، وفى مد: الزهد فى (٦) سقط من ظ و مد.
(٧) من ظ و مد، وفى الأصل: الاسبار.

أهل الآخرة من أهل الدنيا، فمن كان زاهداً في الأولى مجتهداً في الصلاح،
'وكان ممتحناً في أول أحواله مظفراً في مآله'، 'فهو من أبناء الآخرة'،
وإلا فهو للدنيا .

٢٠ ولما 'تحرر الفرق بين أهل الدارين، وكان لابد من إتيان الآخرة،
و علم أن' الآخرة إنما هي جزاء الأعمال، و تقرر من كونها للخائفين^٥
أنها على الآمنين، فاستؤنف تفصيل ذلك جواباً لمن كأنه قال: ما لمن
أحسن و من أساء عند القدوم؟ بقوله: (من جاء) أى فى الآخرة
أو الدنيا^٦ (بالحسنة) أى الحالة الصالحة (فله) من فضل الله
(خير منها) من عشرة أضعاف إلى سبعين إلى سبعمئة إلى ما لا يحيط به^٧
إلا الله تعالى (و من جاء بالسيئة) وهى ما نهى الله عنه، و منه^٨ إغافة ١٠
المؤمنين (فلا يحزى) من جاز ما، و أظهر ما فى هذا الفعل من الضمير
العائد على 'من' فقال: (الذين عملوا السيئات) تصويراً لحالهم تقييحاً لها
و تنفيراً من عملها، و لعله جمع هنا و أفرد أولاً إشارة إلى أن المسئء
أكثر (إلا) مثله سواء عدلاً منه تعالى، هكذا كان الأصل، ولكنه
قال: (ما كانوا) أى بجميع مهمهم (يعملون) مبالغة فى المثلية، هذا ١٥

(١-١) سقط ما بين الرقين من مد (٢-٢) فى مد: للآخرة (٣-٣) من ظ
و مد، وفى الأصل: فلما (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و مد، وفى الأصل:
إلا (٦) سقط من ظ و مد (٧) من ظ و مد، وفى الأصل: وجواباً.
(٨-٨) سقط ما بين الرقين من ظ، وفى مد: وكذا الدنيا (٩-٩) من ظ
و مد، وفى الأصل: يحيطه (١٠) فى ظ: من .

في الآخرة، وزادت الآية الإشارة إلى أنه يفعل في الدنيا مثل ذلك وإن خفي، 'فسيخافون في حرمهم بما' أخافوا المؤمنين فيه وقد جعله الله للآمن^٢، فاعتلوا عن الدخول في دينه بخوف التخطف من أرضهم، فبصير^٣ عدم دخولهم فيه سببا لخوفهم وتخطفهم من أرضهم فيعلون ه أن ما كانوا فيه من الآمن إنما هو بسبك، ثم يصيرون يوم الفتح في قبضتك .

ولما قرر ذكر الآخرة التي هي المرجع وكرره، وأثبت الجزاء فيها، وأن العاقبة للثقلين، أتبعه ما هو في بيان ذلك كالعلة، فقال مستأنفا مقررا مؤكدا لما تقرر في أذهانهم من إنكار الآخرة وما يقتضيه حال ١٠ خروجه صلى الله عليه وسلم من مكة المشرقة من^٤ استبعاد رده إليها: ﴿ان الذي فرض﴾ أى أوجب ﴿عليك القرآن﴾ أى الجامع لما تفرق من المحاسن، المفصل لما التبس من جميع المعاني، أى فرض^٥ عليك جميع ما في هذا الكتاب المشتمل على الجمع والفرق بما يظهر حسن تلقيه من تلاوة وإبلاغ وتحذ وعمل والزمك فيه وغيرك هذه ١٥ الملازم، وكلفكم تلك التكليف التي منها^٦ المقارعة بالسيوف ﴿لرآدك﴾

(١ - ١) من ظ و مد، وفي الأصل: فيقولون فيخافون في حرمهم بما .
(٢) في ظ و مد: الآمن (٣) من ظ و مد، وفي الأصل: فيصير (٤) من ظ و مد، وفي الأصل: النفخ (٥) سقط من مد (٦) من ظ و مد، وفي الأصل: ثم (٧) من ظ و مد، وفي الأصل: عرض (٨) من ظ و مد، وفي الأصل: فيها .

أى بعد الموت لأجل صعوبة ما كلفك به و ألزمك من مشقته
 (الى معاد^١) أى مرجع عظيم ياله من مرجع ! يحزى فيه كل أحد
 بما عمل ، فيبعثك ربك فيه ثوابا على إحسانك فى العمل مقاما محمودا
 يغبطك فيه^٢ الاولون والآخرون ، بما عانيت فى أمره من هذه المشقات
 التى لا تحملها الجبال ، و لولا الرد إلى هذا المعاد لكانت هذه التكاليف هـ
 - التى لا يعمل أكثرهم بأكثرها ولا يجازى على المخالفة فيها - من العبث
 المعلوم^٣ أن العاقل من الآدميين متنزه^٤ عنه فكيف بأحكم الحاكمين !
 فاجتهد فيما أنت فيه لعز ذلك اليوم فان العاقبة لك ، و الآية مثل قوله
 تعالى ” و اتقوا يوما ترجعون فيه الى الله^٥ “ ، [و ثم اليه ترجعون^٦ ،
 الى الله -^٧] مرجعكم^٨ ، إلى غير ذلك من الآيات ، و يجوز أن يقال : إلى ١٠
 معاد أى معاد^٩ ، أى مكان^{١٠} هو لعظمته / أهل لأن يقصد العود إليه
 كل من خرج منه و هو مكة المشرقة : وطنك الدينى ، كما فسرهما
 بذلك ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كما رواه^{١١} عنه البخارى^{١٢} ، و عود
 هو لجلالته أهل لأن يذكر لدخولك إليها فى جنود يعز بها الإسلام ،
 و يذل [بها -^{١٣}] الكفر و أهله^{١٤} على الدوام ، و الجنة المزخرفة : ١٠

(١) سقط من ظ (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : منز (٣) سورة ٢ آية ٢٨١ .

(٤) سورة ٢ آية ٢٨ (٥) زيد من ظ و مد (٦) سورة ٥ آية ٤٨ (٧-٧) من ظ

و مد ، وفى الأصل : كان (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : روى (٩) راجع

باب قوله تعالى : ان الذى فرض عليك القرآن ، من تفسير سورة القصص .

(١٠-١٠) فى ظ و مد : الكفار .

وطنتك الآخرى، على أكل الوجوه وأعلاها، وأعزها وأولاها،
 فلا تظن أنه يسلك بك سبيل أبويك عليهما الصلاة والسلام : إبراهيم
 في هجرته من حران بلد الكفر إلى الأرض المقدسة فلم يعد إليها،
 وإسماعيل في العلو به من الأرض المقدسة إلى أقدس منها فلم يعد إليها،
 بل يسلك بك^١ سبيل أخيك موسى عليه الصلاة والسلام - الذي أنزل
 عليه الكتاب كما أنزل عليك الكتاب القرآن الفرقان، و^٢ الذي
 أشركوك به في قولهم "لولا أوتى مثل ما أوتى موسى^٣" - في إعادته
 إلى البلد الذي ذكر في هذه السورة - توطئة لهذه الآية - أنه خرج
 منه خائفا يترقب - وهى مصر - إلى مدين في أطراف بلاد العرب،
 ١٠ على وجه أهلك فيه أعداءه، أما من كان من غير قومه فبالإغراق^٤ في
 الماء، وأما^٥ من كان من قومه فبالخسف في الأرض، وأعز أوليائه
 من قومه وغيرهم، كما خرجت أنت من بلدك مكة خائفا تترقب^٦ إلى
 المدينة الشريفة غير أن رجوعك - لكونك نبي الرحمة، وكون خروجك
 لم يكن مسيئا^٧ عن قتل أحد منهم - لا يكون فيه هلاكهم، بل عزهم^٨
 ١٥ وأمنهم وغانم و ثباتهم، واختير لفظ القرآن دون الكتاب لما فيه
 من الجمع^٩ من لازم النشر - كما مضى في الحجر، فناسب السياق الذي
 هو للنشر^{١٠} والحشر والفصل من بلده ثم الوصل، فانه روى^{١١} أن هذه

(١) سقط من ظ (٢) سقط من ظ ومد (٣) سورة ٢٨ آية ٤٨ (٤-٤) من ظ
 ومد، وفي الأصل: بالماء (٥ - ٥) سقط ما بين الرقین من ظ ومد (٦) ف
 ظ ومد: سبا (٧) من ظ ومد، وفي الأصل: غيرهم (٨) من ظ ومد،
 وفي الأصل: النشر (٩) راجع روح المعاني ٦ / ٣٨٩.

الآية نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم في الجحفة وهي في طريق الهجرة .
ولما فهم من الإبلاغ في هذا التأكيد أن قم من يبالغ في النفي
والإنكار على حسب هذا التأكيد في الإثبات فيقول : إن الأمر ليس
كذلك ، ولا يعود إلى مكة المشرفة و مناعين تطرف ، قال مهديا على طريق
الاستئناف على لسانه صلى الله عليه وسلم لكون ' الإنكار تكذيبا له ه
كما كذب موسى صلى الله عليه وسلم حين أجاب بمثل ذلك كما تقدم :
(قل)^٢ أى لهؤلاء المنكرين لما أخبرتك به^٢ : (ربى) أى المحسن إلى
(اعلم) أى من كل أحد .

ولما كانت هذه قصة مسلمة لا نزاع فيها لعامل ثبت^٥ الخالق ،
وكانوا يقولون :^٢ من ادعى رجوعه فهو ضال ، توجه السؤال عن المهدي^{١٠}
إلى الصواب والضال ، بما يشهد به فتح مكة عند الإقبال في أولئك
الضراغة الأبطال ، والسادة الأقيال ، فقال في أسلوب الاستفهام لإظهار
الإنصاف والإبعاد من الاتهام^١ : (من جاء بالهتدى) أى الذى لا أبن
منه ، أنا فيما جئت به من ربى بهذا الكلام الذى يشهد الله لى بمعجازه^٩
أنه من عنده أم أنتم فيما تقولون من عند أنفسكم ؟ (ومن هو فى ضلل)^{١٥}
أى أنتم فى كلامكم الظاهر العوار العظيم العار أم أنا (مبين ه) أى بين

(١) فى ظ و مد : لتأكيد (٢) فى ظ : يكون (٣ - ٤) سقط ما بين الرقنين
من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : أحياء (٥) من ظ و مد ،
وفى الأصل : ثبتت (٦) فى ظ : المهتدين (٧) فى ظ : الاتهام (٨) زيد فى مد :
فى كلامكم .

في نفسه مظهر لكل أحد ما فيه من خلل وإن اجتهد التابع له
في ستره .

/ ٥٧

ولما كان الجواب لكل من أنصف : هم في ضلال / مبين لأنهم
ينحتون من عند أنفسهم ما لا دليل لهم عليه ، وأنت جئت بالهدى لأنك
ه أتيت به عن الله ، بنى عليه قوله : ﴿ وما ﴾ و ' يجوز أن تكون الجملة
حالا من الضمير في " عليك " وما بينهما اعتراض للاهتمام بالرد على
المنكر للعاد ، أى فرضه عليك و الحال أنك ما ، ويجوز أن يقال : لما كان
رجوعه إلى مكة في غاية البعد لكثرة الكفار وقلة الأنصار ، قربه
بقوله معلما أن كثيرا من الأمور تكون على غير رجاء ، بل وعلى خلاف
١٠ القياس : وما ﴿ كنت ترجو ﴾ أى فى سالف الدهر بحال من الأحوال
﴿ ان يلقى ﴾ أى ينزل على وجه لم يقدر على رده ﴿ اليك الكتب ﴾
أى بهذا الاعتقاد و لا بشئ منه ، و لا كان هذا من شأنك ، و لا سمعه
أحد منك يوما من الأيام ، و لا تأهبت لذلك أميته العادية من تعلم خط
أو مجالسة عالم ليتطرق^٢ إليك نوع اتهام ، كما يشير إليه قوله تعالى فى
١٥ التى بعدها " و ما كنت تتلوا [من - ٤] قبله من كتب " - الآية ،
واختيار هنا لفظ الكتاب لأن السياق للرحمة التى^٥ من ثمراتها الاجتماع

(١) سقطت الواو من مد (٢) زيد فى مد : فيه (٣-٢) من ظ و مد ، وفى
الأصل : علم ليتطرف (٤) زيد من ظ و مد والقرآن الكريم سورة العنكبوت
آية ٤٨ (٥) زيد فى ظ و مد : يعيدها .

المحكم، و ذلك مدلول الكتاب : ثم قال : ﴿ الا ﴾ أى لكن ' التى
إليك الكتاب ' ﴿ رحمة ﴾ أى لاجل رحمة عظيمة لك و لجميع الخلائق
بك، لم تكن ترجوها ﴿ من ربك ﴾ أى المحسن إليك يجعلك مصطفى
لذلك، بالدعاء إليه و قصر الهمم عليه، و عبر بأداة الاستثناء المتصل
إشارة إلى أن؛ حاله قبل النبوة من التنزه عن عبادة الاوثان و عن القرب ٥
منها و الحلف بها و عن الفواحش جميعا^١، و من الانقطاع إلى الله بالخلوة
معه و التعبد له^٢ توفيقا من الله كان حال من يرجو ذلك .

و لما تسبب عما تقدم الاجتهاد فى [تحريك الهمم إلى العكوف
على -^٣] أمر الله طمعا فيما عنده سبحانه من الثواب، و شكرا على إنزال
الكتاب، قال فى سياق التأكيد لأن الطبع البشرى يقتضى إدراك^٤ مظاهر ١٠
الكفار لآمر^٥ من التوفيق عظيم، لكثرتهم و قوتهم و عزتهم :
﴿ فلا تكون ﴾ [إذ ذاك -^٦] " بسبب اتصافهم لك لكثرتهم " ﴿ ظهيرا ﴾
أى معينا ﴿ للكافرين ﴾ بالمكث بين ظهرائهم، أو بالفتور عن الاجتهاد
فى دعائهم، ياسا منهم لما ترى من بدهم من الإجابة و إن طال إنذارك،
لأنك انت كما لم نمل نحن، فقد وصلناهم القول، و تابعنا لهم الوعظ ١٥

(١) زيد فى ظ : الذى (٢) من ظ و مد . وفى الأصل : كتابا (٣) من ظ
و مد ، وفى الأصل : عظمت (٤) سقط من مد (٥) فى ظ : عادة (٦-٧) فى
ظ و مد : جميع الفواحش (٧) زيدت الواو فى مد (٨) زيد من ظ و مد .
(٩) سقط من ظ و مد (١٠) من مد ، وفى الأصل : لا يقسر ، وفى ظ :
الامعبر - كذا (١١-١٢) سقط ما بين الرقین من ظ و مد .

و القصص، ونحن قادرون على إهلاكهم في لحظة، و هدايتهم في أقل لحظة،
و كما أن موسى عليه الصلاة و السلام بعد الإنعام عليه لم يكن ظهيرا
للجرمين، و هذا تدريب^١ من الله تعالى لأئمة الأمة في الدعاء إلى^٢ الله عند
كثرة المخالف، و قلة الناصر الملازم المخالف^٣.

و لما كان التواني في النهي عن المنكر إغراضا عن الأوامر و إن
كان المتواني مجتهدا في العمل، قال مؤكدا تنبيها على شدة الأمر لكثرة
الاعتداء و تنابع الإيذاء و الاعتداء: ﴿ و لا يصدك ﴾ أى الكفار
بمبالغتهم في الإغراض و قولهم ”لولا أوتى مثل ما أوتى موسى“ و نحوه
﴿ عن أئمة الله ﴾ أى عن الصدع^٤ بها و هى من المتصف بصفات الكمال،
١٠ فى الأوقات الكائنة ﴿ بعد اذ أنزلت ﴾ أى وقع^٥ إزالتها عن تعلمه
منتها ﴿ اليك ﴾ عما^٦ ترى من أوامرها و نواهيها، و لقد^٧ بين هذا
المعنى قوله: ﴿ و ادع ﴾ أى / أوجد الدعاء للناس ﴿ الى ربك ﴾ أى
المحسن إليك لإحسانه إليك، و إقباله دون الخلق عليك، و أعراه من
التأكيد اكتفاء بالمستطاع فان الفعل ليس للبالغة فيه جدا. إشارة إلى أن
١٥ جلب المصالح أيسر خطبا من دره المفسد، فان المطلوب فيه النهاية
محدود^٨ بالاجتناب.

/ ٥٨

(١) فى ظ: تدرب (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: عند (٣) فى ظ و مد:
الموافق (٤) سقط من مد (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: الصد (٦) فى ظ
و مد: اوقع (٧) من مد، و فى الأصل و ظ: بما (٨) فى ظ و مد: قد.
(٩) من ظ و مد، و فى الأصل: لانها محدودة.

ولما كان الساكت عن فاعل المنكر شريكاً له، قال مؤكداً تبييناً
على الاهتمام بـدره المفسد، وأنه لا بد فيه من بلوغ الغاية:
(ولا تكون من المشركين^(٤)) أى معدوداً في عدادهم بترك فهمهم عن
شركهم وما يتسبب عنه ساعة واحدة.

ولما كان الكائن من قوم موصوفاً بما اتصف به كل منهم، وكانت
مشاركتهم^٥ بالفعل أبعد من مشاركتهم بالسكوت، قال من غير تأكيد:
(ولا تدع مع الله^(٦)) أى الجامع لجميع صفات الكمال (الها) ولما
كانت النكرة في سياق النهى تعم كما لو كانت في سياق النفي، وكان
المشركون قد اعتنوا لما رأوا النبي صلى الله عليه وسلم يدعو باسم الله
واسم الرحمن كما ذكر آخر الإسماء، قال: (آخر^(٧)) [أى -^٨] غير الله ١٠
حقيقة دون أن يغير في الاسم دون الذات، ومضى^٩ في آخر الحجر،
ويأتى إن شاء الله تعالى في الذاريات ما يتضح به هذا المعنى، والمراد
بهذا كله المبالغة في الإنذار إعلالاً بأن تارك النهى عن المنكر مع القدرة
شريك للفاعل^{١٠} وإن لم يباشره، والنبي صلى الله عليه وسلم قادر لحراسة الله
تعالى له، ثم علل ذلك بقوله: (لا اله الا هو^(١١)) أى حتى يستحق أن
يشغل به عبداً^{١٢}، ثم علل وحدانيته بقوله: (كل شيء هالك^(١٣)) أى

(١ - ١) في مد: كان يشاركهم (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد،
وفي الأصل: معنى (٤) راجع آية ٥١ (٥) في ظ: للعامل (٦) من مد،
وفي الأصل و ظ: عنه.

هو في قوة الهلاك والفناء [و-] مستحق لذلك لأنه يمكن ﴿الوجهه﴾
 أى هو، فهو الباقي لأنه الواجب الوجود، ووجود كل موجود إنما كان
 به، ولعله عبر عن الذات بالوجه ليشمل ما قصد به من العمل الصالح
 مع ما هو معروف من تسويغه^١ لذلك بكونه أشرف الجملة، ويكون
 ٥ النظر إليه هو الحامل على الطاعة بالاستحياء وما في معناه؛ ثم علل ذلك
 بقوله: ﴿له﴾ أى لله وحده فالضمير استخدام ﴿الحكم﴾ أى العمل
 المحكم^٢ بالعلم النافذ على كل شيء، ولا حكم لشيء عليه ﴿واليه﴾ وحده
 ﴿ترجعون﴾ في جميع أحوالكم: في الدنيا بحيث أنه لا ينفذ لأحد مراد
 إلا بإرادته، وفي الآخرة بالبعث فيجازى المحسن^٣ بإحسانه والعاصي
 ١٠ بعصيانته، ولا شك أن هذه الأوامر والنواهي وإن كان خطابها
 متوجها إليه صلى الله عليه وسلم فالمقصود بها أتباعه، ولعلها إنما وجهت^٤
 إليه صلى الله عليه وسلم عليه لأن أمر الرئيس أدعى لاتباعه إلى القبول،
 وقد اتضح بهذا^٥ البيان، في هذه المعاني الحسان، أن هذا الكتاب
 مبين، وبانفاذ إرادته سبحانه وتعالى في تقوية أهل الضعف من بني
 ١٥ إسرائيل دون ما أراد فرعون وقارون وأتباعها من أهل العلو بطاعة
 الماء والتراب وما جمع العناصر من اليد والعصا أن له^٦ وحده الحكم^٧

(١) زيد من ظ و مد (٢) من مد، وفي الأصل: تسويغه، وفي ظ:
 توسيعه (٣) زيد في ظ و مد: الصالح (٤) من ظ و مد، وفي الأصل:
 للحسن (٥) من ظ و مد، وفي الأصل: توجهت (٦) في مد: في هذا.
 (٧ - ٧) في مد: الحكم وحده.

على ما يريد 'و يختار'، فصح أن إليه الرجوع 'يوم المعاد يوم لا تكلم
نفس إلا بأذنه'، فقد انطبق 'آخر السورة على أولها'، و انشرح
محملها بمفصلها .



(١ - ١) سقط ما بين الرقيين من ظ و مد (٢ - ٢) في الأصل : أول السورة
على آخرها ، وفي ظ و مد : آخرها على أولها .

سورة العنكبوت

مقصودها الحث على الاجتهاد في الامر بالمعروف، والنهي عن المنكر،
والدعاء إلى الله تعالى وحده من غير فقرة، كما ختمت به السورة
الماضية، من غير تعرج على غيره سبحانه أصلاً، لئلا يكون مَثَلُ الفرج^٢
عند المتعوض عوضاً منه مَثَلُ العنكبوت، انتهى سورة^٣ ضعف الكافرين
وقوة المؤمنين، وقد ظهر سر تسميتها بالعنكبوت^٤ وأنه دال على مقصودها
(بسم الله) الذي أحاط بجميع القوة فأعز جنده (الرحمن) الذي
شمل جميع العباد بنعمة الامر والنهي (الرحيم) الذي ألزم أهل
العرفان ذروة الإحسان.

١٠ لما ختم السورة الماضية بالحث على العمل للدار الآخرة، وأن كل
أحد من محسن ومسيء مجزى بعمله، وبالإخبار بأنه سبحانه عالم بالسر
والعلن، وبالأمر بالاجتهاد في الدعاء إليه وقصر الهمم عليه وإن أدى
ذلك إلى اللال، وذهاب النفس والأموال^١، معللاً بأن له الحكم
سبحانه لأنه الباقي بلا زوال، وكل ما عداه فالى تلاش واضمحلال،
١٥ وأنه لا يفوته شيء في حال ولا مال، قال أول هذه: (الْمَجَّ) إشارة
بالآلف الدال على القائم الأعلى المحيط ولا م الوصلة وميم التمام

(١) التاسعة والعشرون من سور القرآن، مكية مع الخلاف في ذلك، وهي
تسع وتسعون آية بالإجماع كما قال الداني والطبرسي - راجع روح المعاني
٦/ ٣٩٢ (٢) من ظ و مد، وفي الأصل: العرج (٣-٣) في مد: فهو
صورة (٤) سقط من ظ و مد (٥) سقط من مد (٦) زيد في مد: قال .

بطريق الرمز إلى أنه سبحانه أرسل جبريل إلى محمد عليهما الصلاة والسلام
لهدو الناس بالقرآن الذي فرض عليه إلى الله، لتعرف بالدعوة مراتبهم
ويتميز بالتكاليف 'محققهم وعمارهم' " ولنبلوكم حتى نعلم المجتهدين
منكم والصبرين ونبلوا اخباركم".

ولما عبر بهذه الإشارة لأهل الفطنة 'والبصائر'، قال منكرا على ه
من ظن أن مدعى الإيمان لا يكلف البيان، ومفصلا لما ختمت به
تلك من جميع هذه المعاني، باننا على ما أشارت إليه الأحرف لآولى
العرفان: ﴿ احسب الناس ﴾ أى كافة، فإن كلا منهم يدعى أنه مؤمن
لمعنى أنه يقول: إنه على الحق، ولعله عبر بالحسبان 'والنوس' إشارة
إلى أن فاعل ذلك مضطرب العقل منحرف المزاج.

ولما كان الحسبان، لا يصح تعليقه بالمفردات، وإنما يعلق بمضمون
الجملة^١، وكان المراد إنكار حسان مطلق الترك، كانت 'أن' مصدرية
عند جميع القراء، فعبّر عن مضمون نحو: تركهم غير مفتونين لقولهم
آمنّا، بقوله: ﴿ ان يتركوا ﴾ أى فى وقت ما بوجه من الوجوه،
ولو رفع الفعل لأنهم أن المنكر حسان الترك المؤكد، فلا يفيد إنكار ١٥
ما عرى عنه، وقد مضى فى المائدة ما ينفع هنا ﴿ ان ﴾ أى فى أن

(١-١) فى مد: غابره (٢-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ و مد (٣) سقط
من ظ و مد (٤) فى مد: لأهل (٥) تكرر فى الأصل فقط (٦) فى ظ: تعليق.
(٧) من مد، وفى الأصل و ظ: الجمل (٨) فى ظ و مد: تحركهم (٩) من
ظ و مد، وفى الأصل: لقوله.

(يقولوا) ولو كان ذلك على وجه التجديد والاستمرار: (أما وهم) أبى والحال أنهم (لا يفتونهم) أى يقع فتنتهم من له الأمر كله وله الكبرياء فى السماوات والأرض، مرة بعد أخرى بأن يختبر^٢ صحة قولهم أولاً^١ بارسال الرسل وإزالة الكتب ونصب الأحكام، وثانياً بالصبر على الأساء والضراء عند الابتلاء بالمدعويين إلى الله فى التحمل لآذاهم والتجرع لبلاياهم وغير ذلك من الأفعال، التى يعرف بها مرتبة الأقوال، فى الصحة والاختلال.

وقال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: افتتحت / سورة القصص بذكر امتحان نبي إسرائيل بفرعون وابتلائهم بذبح آبائهم وصبرهم^١ على عظيم تلك المحنة، ثم ذكر تعالى حسن عاقبتهم وثمرة صبرهم، وانجرح مع ذلك مما هو منه لكن انفصل عن عمومته بالقضية امتحان أم موسى برفاقه حال الطفولية وابتداء الرضاع وصبرها على ألم ذلك المذاق حتى رده تعالى إليها أجل رد وأحسنه، ثم ذكر ابتلاء موسى عليه الصلاة والسلام بأمر القبطى وخروجه خائفاً يترقب وحسن عاقبه وعظيم رحمته، وكل هذا ابتلاء أعقب خيراً، وختم برحمة ثم بضرب آخر من الابتلاء أعقب محنة وأورث شراً وسوء فنة، وهو ابتلاء قارون بماله واقتناؤه به^٢، فحسبنا به وباداره الأرض، فحصل بهذا أن الابتلاء فى (١) فى ظ ومد: بكرة (٢) فى ظ ومد: بختبر (٣) من ظ ومد، وفى الأصل: ولا (٤) من ظ ومد، وفى الأصل: الاختلاف (٥) من ظ ومد، وفى الأصل: صبر (٦) من ظ ومد، وفى الأصل: اقتناه (٧) سقط من مد (٨) فى ظ ومد: من هذا.

غالب الامر سنة، وجرت منه سبحانه في عبادته ليميز الخبيث من الطيب، وهو المنزه عن الافتقار إلى تعرف أحوال العباد بما يقتلهم به إذ قد علم كون ذلك منهم قبل كونه إذ هو موجد وخالق خيرا كان^١ أو شرا، فكيف يغيب عنه أو يفترق تعالى إلى يانه بتعرف أحوال العباد^٢ أو يتوقف علمه على سبب لا يعلم من خلق^٣ وهو اللطيف الخبير^٤، ولكن^٥ هي سنة في عبادته^٦ ليظهر لبعضهم من بعض عند الفتنة^٧ والابتلاء^٨ ما لم يكن ليظهر^٩ قبل ذلك حتى يشهدوا على أنفسهم، وتقوم الحجة عليهم باعترافهم، ولا افتقار به تعالى إلى شيء من ذلك، فلما تضمنت سورة القصص هذا الابتلاء^{١٠} في الخير والشر، وبه وقع افتتاحها واختتامها، هذا وقد أنجز بحكم الإشارة أولا خروج نبينا صلى الله عليه وسلم^{١١} من بلده ومنشأته ليأخذه عليه الصلاة والسلام بأو فرحظ بما ابتلى به الرسل [والأنبياء من مفارقة الوطن وما يحرز لهم الأجر المناسب لعل درجاتهم عليهم السلام -]، ثم بشارته صلى الله عليه وسلم آخرا بالعودة والظفر "ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد" فأعقب سبحانه هذا بقوله معلما للعباد ومنها أنها سنته فيهم فقال "احسب^{١٥} الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون" أى أحسبوا ان يقع

- (١) سقط من ظ و مد (٢-٢) من مد، وفي الأصل و ظ : كان خيرا (٣-٣) سقط ما بين الرقين من مد (٤-٤) سقط ما بين الرقين من ظ و مد (٥-٥) في مد : يظهر (٦-٦) في مد : هذه الابتلاءات . (٧) زيد من ظ و مد .

الاكتفاء بمجرد استجابتهم، و ظاهر إنايتهم، و لما يقع امتحانهم بالشدايد
و المشقات، و ضروب الاختبارات " و لنبلونكم بشيء من الجوع و الخوف
و نقص من الاموال و الانفس و الثمرات " فاذا وقع الابتلاء فن فريق
يتلقون ذلك تلقى العليم أن ذلك من عند الله ابتلاء و اختبارا، فيكون
تسخيرا لهم و تخليصا، و من فريق يقابلون ذلك بمرضات الشيطان،

و المسارعة إلى الكفر و الخذلان " و من جاهد فانما يجاهد لنفسه " ثم
اتبع سبحانه هذا بذكر حال بعض الناس ممن يدعى الإيمان، فاذا أصابه
أذى من الكفار صرفه ذلك عن إيمانه، فكان^١ عنده^٢ مقاوما
بعذاب الله^٣ الصارف لمن ضربه عن الكفر و المخالفة فقال تعالى " و من
الناس من يقول امنا بالله فاذا اودى في الله جعل فتنة الناس كعذاب
الله^٤ " فكيف حال هؤلاء في تلقى ما هو أعظم من الفتنة، و أشد في
الحنة، ثم^٥ اتبع سبحانه ذلك بما^٦ به يتأسى الموفق^٧ من صبر الانبياء
عليهم / الصلاة و السلام و طول^٨ مكابدتهم من قومهم، فذكر نوحا
و إبراهيم و لوطا و شعيبا عليهم الصلاة و السلام، و خص هؤلاء بالذكر
لأنهم من أعظم الرسل مكابدة و أشد مابتلاء، أما نوح عليه السلام فلبث^٩
في قومه - كما أخبر الله تعالى - ألف سنة إلا خمسين عاما و ما آمن

/ ٦١

(١) من ظ و مد، و في الأصل: و كان (٢) سقط من ظ و مد.
(٣ - ٢) سقط ما بين الرقيين من ظ و مد (٤) من ظ و مد، و في الأصل:
ما (٥ - ٥) في مد: هو يناسب الموقف (٦) من ظ و مد، و في
الأصل: فكث.

معه إلا قليل، وأما إبراهيم عليه الصلاة والسلام فرمى بالمنجنيق في النار فكانت عليه بردا وسلاما، وقد إنطق الكتاب العزيز بخصوص المذكورين عليهم الصلاة والسلام بضروب من الابتلاءات^١ حصلوا على ثوابها، وفازوا من عظيم الرتبة النبوية العليا بأسمى نصابها، ثم ذكر تعالى أخذ المكذبين من أممهم فقال "فكلا اخذنا بذنبه" ثم هـ وصى نبيه صلى الله عليه وسلم وأوضح حجته، وتباعد اتساق الكلام إلى آخر السورة - انتهى .

ولما كان التأسى من سنن الآدميين، توقع المخاطب بهذا الأمر^٢ الخبر عن حالهم في ذلك، فقال مؤكدا لمن يظن أن الابتلاء لا يكون، لأن الله غنى عنه فلا فائدة فيه جاهلا^٣ بما فيه من الحكمة^٤ .
 باقامة الحجة على مقتضى عوائد الخلق: (ولقد) أى أحسبوا والحال أنا قد (فتنا) أى عاملنا بما لنا من العظمة معاملة المختبر (الذين) .
 ولما كان التأسى بالقرب من الزمان أعظم، أثبت الجار في قوله: (من قبلهم) أى من قبل هؤلاء الذين أرسلناك إليهم من أتباع الأنبياء حتى كان الرجل منهم يمشط لحيه بأمشاط الحديد ما يرده ذلك عن ١٥ دينه، ومن رؤسهم صاحب أكثر السورة الماضية موسى عليه الصلاة والسلام، ففي قصته حديث طويل عن ابن عباس رضى الله عنها يقال له حديث القتون وهو في مسند أبي يعلى، ومن آخر ما ابتلى به

(١) في ظ و مد: الابتلاء (٢) من ظ و مد، وفي الأصل: بأسا - كذا .
 (٣) زيد في الأصل و ظ: الكربة، ولم تكن الزيادة في مد فخذناها (٤) في ظ و مد: جاعلا (٥) في ظ و مد: الحكم (٦) سقط من مد .

أمر قارون و أتباعه .

و لما كان الامتحان سببا لكشف مخبات الإنسان بل الحيوان ،
فيكرم عنده أو يهان ، و أرشد السياق إلى ^١ أن المعنى : فلنفتنهم ، نسق
به قوله : ﴿ فليعلن الله ﴾ [أى الذى له الكمال ظه - ^٢] ، بفتنة خلقه ،
ه علما شهوديا كما كان يعلم ذلك علما غيبيا ، و يظهره لعباده ولو بولوج في
ستره ، و عبر بالاسم الأعظم الدال على جميع صفات الكمال التفاتا عن
مظهر العظمة إلى أعظم منه تنبيها للناقصين - و هم أكثر الناس - على
أنه منزه عن كل شائبة نقص ، وأكد إشارة إلى أن أكثر الناس
يظن الثبات عند الابتلاء وأنه إذا أخفى عمله لا يطلع عليه أحد
١٠ ﴿ الذين صدقوا ﴾ في دعوائهم الإيمان ولو كانوا في أدنى مراتب الصدق ،
و ليعلم الصادقين ، و هم الصابرون الذين يقولون عند البلاء ” هذا
ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله “ فيكون أحدهم عند
الرخاء براشكورا ، و عند البلاء حرا صبورا ، و ليعلم الذين كذبوا
في دعوائهم ﴿ و ليعلم الكذابين ه ﴾ أى الراسخين في الكذب الذين يعبدون
١٥ الله على حرف ، فان أصابهم خير اطمانوا به وإن أصابتهم فتنة انقلبوا
على وجوههم ، فظنوا ، فيكون لكل من الجزاء على حسب ما كشف

(١ - ١) من ظ و مد ، و في الأصل المعنى ان ، و زيد فيه بعده : الامتحان
سببا ، و لم تكن الزيادة في ظ و مد لحذفها (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ
و مد ، و في الأصل : على (٤) سقط من ظ و مد (ه - ه) في ظ و مد : خفى
عليه (٦) زيد في ظ : أى (٧) في ظ و مد : الرجاء (٨) سقط من مد (٩) من
ظ و مد ، و في الأصل : حبيب .

٦٢ /

منه البلاء، و التعمير بالمضارع لتحقيق^١ الاختبار، على تجدد الأعصار،
 'لجعى الإخيار' و 'الإشراق'، فن لم يجاهد نفسه عند الفتنة / فيطيع^٢ [في -^٣]
 السراء و الضراء كان من الكافرين فكان في جهنم "ليس في جهنم مثوى
 للكافرين" و من جاهد كان من المحسنين، و الآية من الاحتباك : دل^٤
 بالذين صدقوا على الذين كذبوا، و بالكاذبين على الصادقين^٥، ذكر الفعل ه
 أولا دليلا على تقدير ضده ثانيا، و الاسم ثانيا دليلا على حذف
 ضده أولا .

و لما أثبت سبحانه بهذا علمه الشامل و قدرته^٦ التامة في الدنيا،
 عادله بما يستلزم مثل ذلك في الآخرة^٧، فكان حاصل ما مضى من
 الاستفهام : أحسب الناس أنا لا نقدر عليهم و لا نعلم أحوالهم في الدنيا ١٠
 أم حسبوا أن ذلك لا يكون في الآخرة، فيذهب ظلمهم في الدنيا و تركهم
 لأمر الله و تكبرهم على عباده مجانا، فيكون خلقناهم عبثا لاحكمة فيه،
 بل الحكمة في تركه، و هذا الثاني هو معنى قوله منكرا^٨ 'أم حسب'
 أو يكون المعنى أنه لما أنكر على الناس عموما ظنهم الإهمال، علم أن
 أهل السيئات أولى بهذا الحكم، فكان الإنكار عليهم أشد، فبادل الحمزة ١٥
 بام في سياق الإنكار كما عاد لها بها^٩ في قوله " اتخذتم عند الله عهدا "

(١) من ظ و مد، و في الأصل : لتحقيق (٢ - ٢) في مد : للإشراق (٣) في ظ
 و مد : فيضيع (٤) زيد من ظ و مد (٥ - ٥) سقط ما بين الرقين من ظ
 و مد (٦) من ظ و مد، و في الأصل : القدرة (٧ - ٧) سقط ما بين الرقين
 من ظ (٨) سقط من مد (٩) من ظ و مد، و في الأصل : بهذا .

الآية^١، فقال : ﴿ ام حسب ﴾ أى ظن ظنا 'يمشى له' و يستمر [عليه -^٢]
 فلايين له جهله فيه بأمر يحسبه فلا يشته عليه بوجه ﴿ الذين يعملون السيئات ﴾
 أى التى 'منعناهم' بأدلة النقل المؤيدة^٣ ببراهين العقل - منها بالتهوى عنها،
 و وضع موضع المفعولين ما اشتمل على مسند و مسند إليه من قوله :
 ﴿ ان يسبقونا^٤ ﴾ أى يهوتونا فوت السابق لغيره^٥ فيعجزونا فلا تقدر
 عليهم فى الدنيا بامضاء ما قدرناه عليهم من خير و شر فى أوقاته التى
 ضربناها له ، و فى الدار الآخرة بأن نحبيهم بعد أن نمتهم ، ثم نحشرهم
 إلى محل^٦ الجزاء صغرة داخرين ، فنجازيهم على ما عملوا و^٧ نققص لمن
 أساءوا إليه منهم ، و يظهر تحلينا بصفة العدل فيهم .

١٠ ولما أنكر هذا ، عجب ممن يحوك ذلك^٨ فى صدره تعظيما لإنكاره

فقال : ﴿ ساء ما يحكمونه ﴾ أى ما أسوأ هذا الذى أوقفوا الحكم به
 لأنفسهم لأن أضعفهم عقلا لا يرضى لعييده أن يظلم بعضهم بعضا ثم
 لا ينصف بينهم فكيف يظنون بنا ما لا يرضونه لأنفسهم .

ولما خوف [عباده -^٩] "المحسنين و المسيئين" ، و ضربهم بسوط

١٥ القهر أجمعين ، أشار إلى "التلويح تهديد"^{١٠} الكاذبين فى التصريح بتشويق

(١) آية ٨٠ سورة ٢ (٢-٢) سقط ما بين الرقيين من مد (٣) زيد من ظ و مد .

(٤) فى ظ : الذين (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : عنفناهم (٦) فى ظ و مد : اللويد .

(٧) فى ظ : لغير ، و الكلمة ساقطة من مد (٨) سقط من ظ و مد (٩) فى ظ

و مد : أو (١٠) فى ظ و مد : هذا (١١-١١) فى ظ و مد : المسيئين و المحسنين .

(١٢-١٢) فى مد : التهديد بتلويح .

الصادقين فقال ' على سبيل الاستنتاج ' مما مضى : (من كان يرجوا) عبر
 به لان الرجاء كافٍ عن ' الخوف منه ' سبحانه (لقاء الله) أى الجامع
 لصفات الكمال ، فلا يجوز عليه ترك البعث فانه ' نقص و منابذ للحكمة ،
 وشبه البعث باللقاء لانكشف كثير من الحجب به و حضور الجزاء .
 ولما كان المنكر للبعث كثيرا ، أكد فقال موضع : فانه آت ه
 فليحذر ' وليبشر ، تفخيم للأمر و تثبيتا و تهويلا : (فان اجل الله)
 أى الملك الأعلى الذى له الفنى المطلق و جميع صفات الكمال المحتوم لذلك
 (لا ت) لا يحصى عنه . فانه لا يجوز عليه [وقوع -] إخلاف الوعد ،
 ولذلك عبر بالاسم الأعظم ، وللإشارة إلى أن أهوال اللقاء لا يحيط
 بها العد ، ولا يحصرها حد ، فليعتد لذلك بالمجاهدة و المقاتلة لنفسه من ١٠
 ينصحها ' ، و قال تعالى : (وهو) أى وحده / (السميع العليم) حثا
 على تطهير الظاهر و الباطن فى ' العقد و ' القول و الفعل .

٦٣ /

ولما حث على العمل ، بين ' أنه ليس إلا لنفع العامل ، لئلا يخطر
 فى خاطر ما يوجب تعب الدنيا و شقاء الآخرة من اعتقاد ما لا يليق
 بجلاله تعالى ، فقال عاطفا على ما تقديره : فن أراح نفسه فى الدنيا فانما ١٥

(١) فى ظ و مد : و قال (٢) فى مد : الاستفتاح (٣) من مد ، وفى الأصل
 و ظ : فى (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : عنه (٥) من ظ و مد ، وفى
 الأصل : كأنه (٦) سقط من ظ و مد (٧) زيد من ظ و مد (٨) من ظ
 و مد ، وفى الأصل : نصحها (٩ - ٩) سقط ما بين الرقين من مد (١٠) فى
 ظ و مد : تبين .

نحر نفسه : (ومن جاهد) أى بذل جهده حتى كانه يسابق آخر في
 الأعمال الصالحة (فانما يجاهد لنفسه) لأن نفع ذلك له ' فيفتحها ليربحها ،
 ويشقيها ليسعدها ، ويميتها ليحييها ، وعبر بالنفس لأنها الامارة بالسوء ،
 وإنما طوى ما أدعى تقديره لأن السياق للجاهدة ؛ ثم علل هذا الحصر
 بقوله : (ان الله) أى المتعالى عن كل شائبة نقص (لغنى) وأكد
 لأن كثرة الاوامر ربما أوجبت للجاهل ظن^٢ الحاجة ، وذلك نكتة
 الإتيان بالاسم الأعظم ، و بين أن غناه الغنى المطلق بقوله ' موضع ' عنه^٣ ،
 (عن الغلبيين) فلا تنفعه طاعة ولا تضره معصية .

ولما كان التقدير : فالذين كفروا و عملوا السيئات لنجزينهم أجعين ،
 ١٠ ولكنه طواه لأن السياق لأهل الرجاء ، عطف عليه قوله :
 (والذين آمنوا و عملوا) تصديقا لإيمانهم (الصلحت) في الشدة
 والرخاء على حسب طاقتهم ، وأشار بقوله : (لنكفرن عنهم سيئاتهم)
 إلى أن الإنسان وإن اجتهد لا بد أن يزل لأنه مجول على النقص ،
 فالصلاة إلى الصلاة كفارة لما بينهما ما لم يوث الكبار ، والجمعة إلى
 ١٥ الجمعة و رمضان إلى رمضان ونحو ذلك مما وردت به الاخبار عن النبي
 المختار صلى الله عليه و سلم ، وزاده فضلا و شرفا لديه ؛ قال البغوى :
 و التكفير لإذهاب السيئة بالحسنة ، أو لنفرون لهم الشرك و ما عملوا فيه ،
 (١ - ١) فى مد : تعبها ليربحها و شقاوها اسعدها و موتها حياتها (٢) فى ظ :
 خلق - كذا (٣ - ٣) سقط ما بين الرقین من مد (٤) زيد فى ظ : من (٥) راجع
 معالم التنزيل بهامش لباب التأويل ١٥٦ / ٥ .

و أكد لأن الإنسان مجبول على الانتقام من أساء و لو بكلمة و لو بالامتان [بذكر العفو فلا يكاد يحقق غير ما طبع عليه و لما بشرهم بالعفو عن العقاب، أتم البشرى بالامتان - ١] بالثواب، فقال عاطفا على ما تشكره: و لثبث لهم حسناتهم ﴿ و لنجزينهم ﴾ أى فى الإسلام ﴿ احسن الذى كانوا ﴾ أى تكونا يحملهم على أتم رغبة ﴿ يعملونه ﴾ أى أحسن جزاء ما عملوه فى الإسلام و ما قبله و فى طبعهم أن يعملوه . و لما ذكر سبحانه أنه لا بد من الفتنة ، و حذر من كفر ، و بشر من صبر ، قال عاطفا على ” و لقد فتنا “ مشيراً إلى تعظيم خربة الوالد حيث جعلها فى سياق تعظيم الخالق ، و إلى أنها أعظم فتنة : ﴿ و وصينا ﴾ على ما لنا من العظمة ﴿ الانسان ﴾ أى الذى أعناه على * ذلك بأن ١٠ جعلناه على الأنس بأشكاله لاسيما من أحسن إليه ، فكيف بأعز الخلق عليه ، و ذلك فتنة له ١ ﴿ بوالديه ﴾ .

و لما كان التقدير: فقلنا له : افعل بهما ﴿ حسناً ﴾ أى فعلا ذا حسن من برهما و عطف عليهما ، عطف عليه قوله ١ : ﴿ و انجاهدك ﴾ أى فعلا معك فعل المجاهد مع من يجاهده فاستفرغا مجهودهما فى معالجتك ١٥ ﴿ لتشرك ﴾ و ترك مظهر العظمة للنص على المقصود فقال : ﴿ بى ﴾ و نبه على طلب البرهان فى الأصول إشارة إلى خطر المقام لعظم المرام ، فقال استعمالا للعدل ، مشيراً بنفى العلم إلى اتقاء المعلوم : ﴿ ما ليس لك به علم ﴾

(١) زيد من ظ و مد (٢) فى ظ و مد : عن (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : تسيراً (٤) سقط من مد (٥) فى ظ : عن (٦) سقط من ظ و مد (٧) فى ظ و مد : مصالحتك .

نظم الدرر (سورة العنكبوت ٢٩: ٨ - ١٠) ج - ١٤

/ ٦٤

أصلا بأنه يستحق الشكره فان من عبد ما لم يعلم استحقاقه للعبادة فهو
 كافر (فلا تطعها^١) فانه لا طاعة لمخلوق - وإن عظم - في معصية
 الخالق، / وهذا موجب^٢ لثلايقع^٣ من أحد شرك أصلا، فانه لا ويب
 أصلا في أنه لا شبهة تقوم على أن غيره تعالى يستحق الإلهية، فكيف
 ٥ بدليل يوجب علما، والمقصود من سياق الكلام إظهار النصفة^٤ والتنبيه
 على النصيحة، ليكون أدعى إلى القبول؛ ثم علل ذلك بقوله: (إلى مرجعكم)
 أى جميعا: من آمن ومن أشرك بالحشر يوم القيامة؛ ثم سبب عنه
 قوله: (فانبئكم) أى أخبركم إخبارا عظيما مستقصى بليغا (بما كنتم)
 أى برغبتكم (تعملون^٥) أى فقفوا عند حدودى، وأركوا ما تزينه لكم
 ١٠ شهواتكم، واحذروا مجازاتى على قليل ذلك وكثيره، عبر سبحانه بالسبب
 الذى هو الإنباء [لأنه لامثنوية فيه -^٦] عن^٧ المسبب الذى هو الجزاء،
 مطلقا للعبارة^٨، وتهديدا بليغا على وجه الإشارة، وطوى ذكره لأنه
 قد يدخله العقود^٩، وهذه الآية نزلت فى سعد بن أبى وقاص رضى الله
 عنه، أسلم وكان بارا بأمه، فخلقت: لا تأكل ولا تشرب حتى يرجع عن
 ١٥ دينه أو تموت فيغير بها ويقال قاتل أمه، فمكثت يومين بلياليهما فقال:
 يا أماء، لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسا [نفسا -^{١٠}] ما تركت
 (١ - ١) فى ظ: هو موجب، وفى مد: هو الموجب (٢) من ظ و مد،
 وفى الأصل: تقع (٣) من ظ و مد، وفى الأصل: النصف (٤) زيد من
 ظ و مد (٥) من ظ و مد، وفى الأصل: على (٦ - ٦) من مد، وفى
 الأصل: تلطيفا لعباده، وفى ظ: تلطفا لعباده (٧) من ظ و مد، وفى
 الأصل: العقود.

دينى فكلى ، وإن شئت فلا تأكلى ! فلما أيسست^١ منه أكلت و شربت -
و أصل القصة فى الترمذى^٢ .

و لما كان التهديد : فالذين^٣ أشركوا و عملوا السيئات لدخلتهم فى
المفسدين ، ولكنه طوام لدلالة السياق عليه ، عطف عليه [زيادة فى
الحث على الإحسان إلى الوالدين -^٤] قوله : (و الذين آمنوا و عملوا) ه
فى السراء و الضراء (الصلحت) .

و لما كان الصالح فى الغالب سىء الحال فى الدنيا ناقص الحظ منها ،
فكان عدوه ينكر أن يحسن^٥ حاله أشد إنكار ،^٦ أكد قوله : (لدخلتهم)
أى بوعده لا خلف^٧ فيه (فى الصالحين ه) و ناهيك به من مدخل ، فانه
من أبلغ صفات المؤمنين .

١٠

و لما كانت ترجمة ما مضى من قسم الراجى و المجاهد و العامل
للصالح^٨ : فمن الناس - كما أشير إليه - من يؤمن بالله ، فإذا أودى فى
الله صبر و احتسب انتظارا^٩ للجزاء من العلى الأعلى ، ولكنه حذف
من كل جملة ما دل عليه بما ذكر فى الأخرى ، عطف عليه : (و من الناس)
أى المذبذبين^{١٠} (من يقول) أى بلسانه دون طمأنينة من قلبه : ١٥
(أمنا بالله) أى الذى اختص بصفات الكمال ، و أشار - بعد الإيمان^{١١}

(١ - ١) من ظ و مد ، و فى الأصل : فايست (٢) راجع ٢ / ٣٩١ : تفسير
سورة العنكبوت (٣) فى مد : و الذين (٤) زيد من ظ و مد (٥) فى مد :
يصلح (٦ - ٦) فى مد : قال (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : لا تخف (٨) من
ظ و مد ، و فى الأصل : للصالح (٩ - ٩) فى مد : أحسن الانتظار (١٠) فى
ظ و مد : المذبذبين (١١) فى ظ و مد : الإيمان .

إلى كثرة هذا الصنف بالإسناد إلى ضمير الجمع - إلى أن الأذى في هذه الدار ضربة لازب لا بد منه، بقوله بأداة التحقيق : ﴿ فاذا أودى ﴾ أى فته له و اختبارا من أى مؤذ كان ﴿ فى الله ﴾ أى بسبب كونه فى سبيل [الله - '] الذى لا يدانيه فى عظمته و جميع صفاته ^٢ شىء ، يلاء ^٣ ه . يسلط به عباده عليه ﴿ جعل ﴾ أى ^٤ ذلك الذى ^٥ ادعى الإيمان ﴿ فته الناس ﴾ أى له بما يصيبه ^٦ من أذاهم فى جسده الذى إذا مات انقطع أذاهم عنه ﴿ كعذاب الله ^٧ ﴾ أى المحيط بكل شىء ، فلا يرجى الانفكاك منه ، فيصرف المعذب ^٨ بعد الشياخة والكبر إلى الخضوع والذل ، لأنه لا كفؤ له ولا مجير عليه ، فلا يطاق عذابه ، لأنه على كل من الروح ١٠ . والجسد ، لا يمكن مفارقتة لهما ولا لواحد منهما بموت ولا بحياة إلا بإرادته حتى يكون عمل هذا المعذب عند ^٩ عذاب الناس له الطاعة لهم فى جميع ما يأمرهم به ظاهرا و باطنا ، فيقتن حثث أنه كان كاذبا فى دعوى الإيمان ، و قصر الرجاء على الملك الديان ، و أشار إلى أن الفته ربما استمرت إلى الممات و طال / زمنها بالتعبير بأداة الشك ، و أكد ١٥ . لاستبعاد كل سامع أن يقع من أحد بهت فى قوله : ﴿ ولئن جاء نصر ﴾ أى لحزب الله الثابتى الإيمان .

/ ٦٥

ولما كان الإحسان منه إنما هو محض امتنان ، فلا يجب عليه لأحد

(١) زيد من ظ و مد (٢ - ٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : يعنى لثلا .

(٣ - ٣) فى ظ : الذى ذلك (٤) من مد ، وفى الأصل و ظ : يصيبهم (٥) من

ظ و مد ، وفى الأصل : العذاب (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : عنه .

شىء

شيء، عبر بما يدل على ذلك مشيرا إلى انه يفعله لأجله صلى الله عليه وسلم فقال: ﴿من ربك﴾ أى المحسن إليك بنصر أهل دينك، تصديقا لوعدهم، وإدخلا للسرور عليك،

ولما كانت هذه حالة رخاء^١، عبر بضمير الجمع إشارة إلى نحو

قول الشاعر:

وما أكثر الإخوان حين تعدم ولكنهم فى النائبات قليل
فقال: ﴿ليقولن﴾ أى هؤلاء الذين لم يصبروا^٢، خداعا للتؤمنين خوفا ورجاء، وعبر فى حالة الشدة بالافراد لثلاثتهم أن الجمع قيد، وجمع هنا دلالة على أنهم لا يستحيون من الكذب ولو على رؤس الاشهاد،
وأكدوا عليهم^٣ أن قولهم ينكر لانهم كاذبون فقالوا: ﴿انا كنا معكم﴾^{١٠}
أى لم نزيالك بقلوبنا وإن أطعنا أولئك بالسنتنا.

ولما كان التقدير: أليس أولياؤنا المتفرسون بأحوالهم^٤ عالمين؟ عطف عليه منكرا قوله: ﴿او ليس الله﴾ المحيط بعلم الباطن كما هو محيط بعلم الظاهر ﴿باعلم بما فى صدور العلين﴾ أى كلهم^٥ منهم^٦ فلا يخفى عليه شيء من ذلك إخلاصا كان أو نقا، بل هو أعلم من أصحاب^{١٥} الصدور بذلك^٧.

ولما أنكر عدم العلم، صرح بالعلم فقال واعد متوعدا^٨، عاطفا

(١) من ظ، وفى الأصل و مد: الرجاء (٢) فى ظ و مد: الأصحاب (٣) فى مد: لم تصبروا - كذا (٤) فى ظ و مد: بعلمهم (٥) زيد فى ظ و مد: بهم .
(٦) سقط من مد (٧) سقط من ظ و مد (٨) فى مد: متواعدا .

على ما أفهمه السياق من نحو: فقد علم الله جميع ما أخفوا و ما أعلنوا:
 ﴿ وليعلن الله ﴾ أى المحيط علما و قدرة فى عالم الشهادة حتى يكشف
 ذلك لديكم كما هو عالم به فى عالم الغيب ﴿ الذين آمنوا ﴾ أى وقع^١
 منهم إيمان. و ليعلن المؤمنين^٢ إيمانا صادقا [بما -^٣] يواله عليهم من
 المحن، و هم لا يزدادون إلا تسليما و رضى، و^٤ أكدته لما قدم من أن
 الناس حسبوا أنهم لا يفتنون ﴿ وليعلن ﴾ الذين نافقوا و ليعلن
 ﴿ المنافقين ﴾ بمثل ذلك من الزلازل و الفتن التى يميلون معها كيفما
 ميّلتهم، حتى يعلم كل^٥ من له لب أنه لا إيمان لهم^٦ كما أنه لا إيمان لهم^٧،
 و لاشك أنه يعامل كلا من الفريقين بما يستحق على حسب ما يعلم
 ١٠ من^٨ قلبه، و الآية^٩ من الاحتباك^{١٠} كما مضى [عند -^{١١}] ” و ليعلن الله
 الذين صدقوا“^{١٢} .

و لما كان السياق للفتنة و الأذى فى الله المحقق أمره باذاذون^{١٣} إن^{١٤}
 و كان الكفار يفتنون من أسلم^{١٥} فى أول الأمر، ذكر سبحانه بعض
 ما كانوا يقولون لهم عند الفتنة جهلا بالله و غرورا^{١٦}، فقال معجبا منهم^{١٧}،

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: علم (٢) من ظ و مد، و فى الأصل:
 اوقع (٣) زيد فى الأصل: أى، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .
 (٤) زيد من ظ و مد (هـ-هـ) فى ظ و مد: أكد ما (٥) سقط من ظ و مد.
 (٦-٧) سقط ما بين الرقين من مد (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: عن.
 (٩-٩) من ظ و مد، و فى الأصل: احتباك (١٠) زيد تمشيا مع السياق .
 (١١) من ظ و مد، و فى الأصل: الله (١٢) زيدت الواو فى الأصل و ظ،
 و لم تكن فى مد فحذفناها .

عاطفا على " ومن الناس من يقول : (وقال الذين كفروا)
اغترارا منهم بالله و جرأة على حماء النسيح (للذين) أى لطائفة ممن
يقول بلسانه : آمنا بالله ، وهم الذين (آمنوا) أى حقيقة ، جهلا منهم
بما خالط قلوبهم من بشاشة الإيمان ، و أنوار العرفان : (اتبعوا) أى
كلفوا أنفسهم بأن تتبعوا (سيلنا) أى طريق ديننا ، و عطفوا ه
وعدمهم في مجازاتهم على ذلك بصيغة الامر على أمرهم باتباعهم للدلالة على
أنه محقق لا شك فيه فقالوا : (ولنجمل خطيكم) بوعده صادق و أمر
محتوم جازم ، إن كان ما تقولون ^٢ حقا إنه لا بد لنا من معاد تؤاخذ فيه
بالخطايا ، و لودروا لعمري ما الخبر ، يوم يقولون : لا مفر ، ما عرضوا
أنفسهم لهذا الخطر ، يوم يود كل امرئ ^٣ لو اقتدى / بماله و بنه ، و عرسه ١٠ / ٦٦
و أخيه ، و صديقه و أبيه ، و يكون كلامهم - و إن كان أمرا - بمعنى الخبر ^٤
لأنه وعد كذبه سبحانه لأن معناه : إن كتب عليكم إثم حملناه عنكم بوعده ^٥
لا خلف فيه ^٦ (و ما هم) أى الكفار (بحملين) ظاهرا و لا باطنا
(من خطيهم) أى المؤمنين (من شيء ^٧) و هم يقدرّون أن لا يحملوا ،
أو حملا يخفف عنهم العذاب ، أى أنهم إذا عاينوا تلك الأحوال ^٨ ، ١٥
و طاشت عقولهم في بحار هاتيك الأحوال ^٩ ، التى لا يقوم لها الجبال ،

(١) في مد : اعترازا (٢) في مد : يقولون (٣) من ظ و مد ، و في الأصل :
احد (٤) في ظ و مد : الجدة (٥) من ظ و مد ، و في الأصل : يوم (٦) زيد
في الأصل و ظ : فقال ، و لم تكن الزيادة في مد لحذفها (٧) في مد :
الاهوال (٨) في مد : الأحوال .

نظم الدرر (سورة العنكبوت ٢٩: ١٢ - ١٤) ج - ١٤

تبرأوا من قالوا له هذا المقال ، فقد أخبروا بما لا يطاق الواقع^١ ، ويجوز أن يكونوا تعمّدوا الكذب حال الإخبار إن^٢ كانت نيتهم أنهم لا يفون^٣ على تقدير تحقق الجزاء .

و لما علم من هذا كذبهم بكل حال سواء تعمّدوا أولا ، صرح ه. به تأكيدا لمضمون ما قبله ، مؤكدا لأجل ظن^٤ من غروه^٥ صدقهم في قوله [مستأنفا - ^١] : (انهم الكذّون ه.) .

و لما كان كل من أسلك أحدا طريقا كان شريكه في عمله فيها ، فكان عليه مثل^٦ دزره إن كانت طريق ردى ، و له مثل^٧ أجره إن كانت سبيل هدى ، قال تعالى مؤكدا لإنكارهم الآخرة و كل ما فيها : ١٠. (وليحملن) أى الكفرة (ائقلمن) التى حملوا أنفسهم الضعيفة بما اكتسبوا (و ائقلا) أخرى لغيرهم (مع ائقلمن) بما تسبوا به^٨ من إضلال غيرهم ، و من تاصيل السنن الجائرة^٩ الجارية بعدهم ، فن^{١٠} سن ستة سيئة فعليه وزرها و وزر من عمل^{١١} بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص أحدهم من حمل^{١٢} الآخر شيئا^{١٣} .

١٥ و لما كان للسؤال^{١٤} على طريق الازدراء و الإذلال ، من الرعب

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : المواقع (٢) من ظ و مد . و فى الأصل : بان (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : لا يفون - كذا (٤) - ققط من مد . (٥) زيدت الواو فى مد (٦) زيد من ظ و مد (٧) فى ظ : بمثل (٨) فى ظ و مد : فيه (٩) فى ظ و مد : الجائرة (١٠) من مد ، و فى الأصل و ظ : ممن . (١١) فى مد : يعمل (١٢) من ظ و مد . و فى الأصل : شيء (١٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : السؤال .

في القلب ما ليس للا^١ فقال قال : ﴿ وليستلن ﴾ أى من كل من أمره^١
المولى بسؤالهم ﴿ يوم القيمة ﴾ أى الذى هم به مكذبون ، وله مستهينون^٢
و التأكيد إما لإنكارهم ذلك اليوم ، أو لظن أن العالم لا يسأل عما يعلمه^٣ ،
﴿ عما كانوا ﴾ أى بغاية الرغبة ﴿ يفترون ﴾ أى يتعمدون كذبه ،
و يُعمَلون أفكارهم في ارتكابه [و يواظبون عليه -^٤] ، و التعبير بصيغة ه
الافتعال يدل على أنهم كانوا يعلمون صدق الرسول صلى الله عليه وسلم
و يتعمدون الكذب في وعدم لمن غرره .

و لما كان السياق للبلاء و الامتحان ، و الصبر على الهوان ، و إثبات
علم الله و قدرته على إنجاء الطائفة و تعذيب العاصي ، ذكر من الرسل
الكرام عليهم الصلاة و السلام من طال صبره على البلاء ، و لم يفتر ١٠
عزمه عن نصيحة العباد [على -^٥] ما يعاملونه به من الأذى ، تسلياً لرسوله
صلى الله عليه وسلم و لتابعيه رضى الله تعالى عنهم و تثبيتاً لهم و تهديداً
لقريش . فقال عاطفاً على " و لقد فتنا الذين من قبلهم " ما هو كالشرح
له ، و له نظر^٦ عظيم إلى " و لقد وصلناهم القول " و أكدده دفعا
لهم من يقول : إن القدرة على التصرف في القلوب مغنية عن الرسالة ١٥
في دار التسيب : ﴿ و لقد أرسلنا ﴾ أى على ما لنا من العظمة المغنية
عن الرسالة إجراء للأمر على ما تقتضيه هذه الدار من حكمة التسيب

(١) في مد : امر (٢) من ظ و مد ، و في الأصل : مستمعيون (٣) في مد :
يعمله (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد ، و في الأصل : من (٦) زيد
من مد (٧) من مد ، و في الأصل و ظ : نظير .

(نوحا) أى أول رسل الله إلى الخائفين^١ من العباد، وهو معنى (الى قومه)
فان الكفر كان قد عم أهل الأرض، وكان صلى الله عليه وسلم أطول
الأنبياء بلاء بهم. ولذلك قال مسيا عن ذلك ومعقبا: (فلبث فيهم)
أى بعد الرسالة يدعوم إلى الله. وعظم الأمر / بقوله: (الف) فذكر
ه رأس العدد الذى لا رأس أكبر منه، وعبر بلفظ (سنة) دما لأيام
الكفر، وقال: (الاخمين) فحقق أن ذلك الزمان تسعمائة وخمسون
من غير زيادة ولا نقص مع الاختصار والعذوبة، وقال: (عاما)^٢
إشارة إلى أن زمان حياته عليه الصلاة والسلام بعد إغراقهم كان رغدا
واسعا حسنا بإيمان المؤمنين وخصب^٣ الأرض.

١٠. ولما كان تكرير الدعاء مع عدم الإجابة أدل على الامثال وعدم
الملال، قال مسيا عن لبث فيهم ودعائه لهم ومعقبا له^٤: (فاخذهم) أى
كلهم بالإغراق أخذ قهر وغلبة (الطوفان) أى من الماء، لأن الطوفان
في الأصل لكل فاش^٥ طام محيط غالب بمتلى^٦ كثرة وشدة وقوة من
سيل أو ظلام أو موت أو غيرها، والمراد هنا الماء (وهم ظالمون^٧)
١٥ أى عريقون في هذا الوصف، وهو وضع الأشياء في غير مواضعها فعل^٨
من يمشى في أشد الظلام، بتكذيبهم رسولهم، وإصرارهم على كفرهم،
وهو ملازم لدعائهم ليلا ونهارا لم يرجع منهم عن الضلال إلا ناس

(١) من مد، وفي الأصل وظ: الخائفين (٢) من ظ ومد، وفي الأصل:
خصيب (٣) زيد في ظ ومد: ومعقبا لهم (٤) من ظ ومد، وفي الأصل:
فاس (٥) في ظ: هذا (٦) من ظ ومد، وفي الأصل: قل.

لقلتهم (١٠١) ٤٠٤

لقلتهم لا يعدون ؛ و دل عليهم مسيا عن ذلك بقوله : ﴿ فأنجيئه ﴾ أى
 نوحا عليه السلام بما لنا من العظمة التى لا يغلبها شيء . ﴿ واصحب السفينة ﴾
 من أولاده و أتباعه ، من الفرق ، و ما ذا يبلغ مقدار أهل سفينة واحدة
 فى العدة و الكثرة ﴿ وجعلناها ﴾ أى الفعلة أو السفينة أى نفسها
 و جنسها ، بتلك العظمة ﴿ آية ﴾ أى علامة على قدرة الله و علمه و إنجائه ه
 للطائع^٢ و إهلاكه للعاصي^٣ ﴿ للعلين ه ﴾ فانه لم يقع فى الدهر حادثة أعظم
 منها ولا أغرب ولا أشهر فى تطبيق الماء جميع الأرض ، بطولها و العرض ،
 و إغراق جميع من^٤ عليها من حيوان : إنسان^٥ و غير إنسان^٦ ، و إنجاء
 ناس فيهم بما هيا^٧ قبل الفعل من سبب ذلك المستمر نفعه على تكرار^٨
 الاحقاب و تعاقب الأزمان ، و كونها آية أما^٩ للآدميين الذين كانوا فى ١٠
 ذلك الزمان فالأمر فيهم واضح ، و أما غيرهم من الحيوان فقد عرفوا^{١١}
 لمعرفةهم بالجزئيات المشاهدة أن ذلك الماء لا ينجى منه " فى دار الأسباب "
 إلا هذه السفينة ، فالهداية إلى فعلها للنجاة قبل وقوع سبب الهلاك دالة^{١٢}
 على تمام العلم و شمول القدرة ، و أن من اهتدى إليه دون أهل ذلك

- (١) من ظ و مد ، و فى الأصل : او (٢) فى مد : الطائع (٣) فى مد : العاصي .
 (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : المال (٥) فى ظ و مد : ما (٦) من ظ
 و مد ، و فى الأصل : انساني (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : مضى (٨) من
 ظ و مد ، و فى الأصل : تكرير (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : الا (١٠) من
 ظ و مد ، و فى الأصل : عرفوا (١١-١٢) فى ظ : دار الأسباب ، و فى مد :
 من الأسباب (١٢) فى الأصل : قال ، فى ظ و مد : دال .

العصر كلهم إنما اهتدى باعلام الله له دون غيره، و نصف الآية الأولى
 الأول [من هذه القصة - '] تسلي و تعزية دليلاً على آتئ الفتنة أول
 السورة، و نصفها الثاني 'تحذير و توعية'، [وفيه - '] دليل على الآية
 الثالثة، و الآية الأخرى تبشير 'و ترجية'، [وفيه - '] دليل على ما بعد .
 ٥ و لما كان بلاء إبراهيم عليه الصلاة و السلام عظيماً في قذفه في
 النار و إخراجهم من بلاده، اتبعه به فقال : ﴿ و إبراهيم ﴾ أى و لقد
 أرسلنا إبراهيم، و يجوز أن يكون التقدير: و اذكر إبراهيم أباك الأعظم
 لتأسى به و تسلى و 'يتعظ قومك' بقصته، لكن قوله " و الى مدين "
 يرجع الأول، و دل على مبادرته للامثال بقوله : ﴿ اذ ﴾ أى حين،
 ١٠ و هو يدل اشتمال على التقدير الثاني لاشتمال الأحيان على ما قبلها
 ﴿ قال لقومه ﴾ الذين هو منهم : ﴿ اعبدوا الله ﴾ أى الملك الأعظم بما
 يأمركم به من طاعته ﴿ و اتقوه ﴾ أى خافوه في أن تشركوا به شيئاً
 فانه يعذبكم ﴿ ذلكم ﴾ أى الامر العظيم / الذى هو إخلاصكم في عبادتكم
 له و تقواكم ﴿ خير لكم ﴾ أى من كل شئ . ﴿ ان كنتم ﴾ أى بما لكم
 ١٥ من الغرائز الصالحة ﴿ تعملون ﴾ أى [إن كنتم - '] في عداد من يتجدد
 (١) زيد من ظ و مد (٢) سقط من ظ و مد (٣) من ظ ، و في الأصل :
 تولية ، و سقط من مد (٤) زيد من مد (٥) في مد : دلالة (٦ - ٦) - سقط ما
 بين الرقين من مد (٧ - ٧) في مد : تتعظ (٨) في ظ و مد : فيها (٩) تكرر
 في الأصل قبل " أى بما لكم " .

له علم فأنتم تقولون : إنه خير ، أى ' تعتقدون ذلك فتعملون ' به ، وإن لم تعلموا ذلك فأنتم في عداد الحيوانات العجم ، بل أضل ، فانها تهتدى لما ينفعها فتقبل عليه ، وتسعى بجهدا ' إليه .

ولما أمرهم بما تقدم ، ونفى ' العلم عن جهل خيريته ، دل عليه بقوله : ﴿ انما تعبدون ^٦ ﴾ ولما كان الله أعلى من كل شيء قال : هـ ﴿ من دون الله ﴾ أى الذى لا شبيه له ولا نظير ، [ولا ثانى - ٧] ولا وزير ، وقال : ﴿ اوثانا ﴾ إشارة إلى تفرق الهم بكثرة ' المعبود ، والكثرة يلزمها الفرقة ولاخير فى الفرقة . ومادة ' وثن ' بجميع تقاليبها واوية ويائية مهموزة ' تدور على الزيادة والكثرة ، ويلزمها الفرقة من اختلاف الكلمة ، فيلزمها حينئذ الرخاوة فيأنى العجز ، و تراكيها تسعة : فى الواوى ١٠ ثلاثة : وثن ثو ثون ^١ ، وفى اليائى ثلاثة : ثنى نئى ثين ، و'' فى المهموز ثلاثة : أنت أن نأث ، فن الزيادة : الوثن ، قال القزاز : قال أبو منصور : الفرق بين الوثن والصنم أن الوثن ^{١٢} كل ما'' كان له جثة من خشب أو حجر أو فضة [أو ذهب - ١٣] أو جوهر أو غيره ينحت ^{١٤} فينصب فيعبد ^{١٥} ،

(١) من مد ، وفى الأصل وظ : ان (٢) فى ظ : فتعملون (م) من ظ و مد ، وفى الأصل : لتقبل (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : جهدا (هـ) من ظ و مد ، وفى الأصل : مصى (٦) من ظ و مد والقرآن الكريم . وفى الأصل : يصدون (٧) زيد من ظ و مد (٨) فى ظ و مد : لكثرة (٩) زيد فى ظ و مد : وغير مهموزة (١٠) فى مد . نوث (١١) سقطت الواو من ظ . (١٢-١٤) من مد . وفى الأصل وظ : كلما (١٣) زيد من مد (١٤-١٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : وينصب ويعبد .

و الصنم الصورة التي بلا جنة، ومنهم من جعل الوثن صنما - انتهى . وقال
عبد الحق : قال الهروي : قال ابن عروة : ما كان له صورة من جص
أو حجارة أو غير ذلك فهو وثن - انتهى . فقد علم من ذلك أنه لا بد
فيه من صورة أو جثة، وعلى كل تقدير فهو ثان لما شابه صورته
هـ أو جثته^٢ و زائد عليه . وقال أبو حاتم أحمد بن حمدان الرازي^٣ في
كتاب الزينة : الصنم تمثال من حجارة على صورة الإنسان، فإذا كان
من خشب فهو وثن، ويتخذ أيضا من جص، وربما صوروا في الخائط
أيضا صورة إنسان^٤ فتسمى تلك الصورة أيضا وثنا . والنصاري
يفعلون ذلك ويصورون في بيعهم صورة المسيح وصورة مريم ويسجدون لها؛
١٠ واستوثن المال : سمن، فزاد لحمه، واستوثن من المال : استكثر، والنحل^٥ :
صارت فرقتين صفارا وكبارا، والإبل : نشأت^٦ أولادها معها، وأوثن
زيدا : أجزل عطيته، والوثن : الشيء الثابت الدائم في مكانه، فالزيادة
فيه بالنسبة إلى زمانه، ويمكن أن يكون من الرخاوة، فانه لا يثبت على
١١ من ظ و مد، وفي الأصل : غابه (٢) من ظ و مد، وفي الأصل : جسه
- كذا (٣) ذكره ابن حجر في لسان الميزان ١ / ٦٤ . ولم يذكر تصانيفه،
و أما كتاب الزينة فنسبه في كشف الظنون إلى أبي حاتم سهل بن محمد
السجستاني (٤-٤) من ظ و مد . وفي الأصل : وتسمى ذلك، والعبارة من
بعده إلى « في بيعهم » ساقطة من مد (٥) في ظ و مد والقاموس : النخل،
وفي التاج : والصواب بالحاء المهملة (٦) من ظ و مد والقاموس، وفي
الأصل : نشأت - كذا .

هذه الصورة إلا ما لا قدرة له على حركة. ومن الفرقة: ثا الحديث -
 بتقديم النون - بثوه وبثيه - يأنى وواوى: اشاعه وحدث^١ به،
 والشيء^٢: فرقه وأذاعه، وأثنى: اغتاب وأف من الشيء، ولا يؤنف^٣
 منه إلا على تقدير نشره^٤، والتوينا - كالتوينا: الرقيق يفرش^٥ تحت
 الرغيف^٦ ليسوى ويعدل لأن يكون ظله^٧، والتاؤن: الاحتيال^٨
 والحديعة، فانها لا تكون إلا عن^٩ جمع فكر وتنيه^{١٠} نظر، وهي
 أيضا لا تكون إلا من عاجز عن الأخذ جهارا، ومن ذلك^{١١} تارن
 للصيد^{١٢} - إذا جاءه مرة عن يمينه وأخرى^{١٣} عن يساره، والثنى من
 كل شيء [ما - ١١] يثنى بعضه على بعض، ومن الوادى: منعطفه^{١٤} واثنون:
 انعطف، / و التاء - ككتاب: عقال البعير، وهو جبل مثنى يعقل به ١٠ / ٦٩
 يد البعير فتثنى، والفناء لأنه^{١٥} يكثر انتباهه^{١٦} والتردد إليه^{١٧}، وأثناء الشيء:
 قواه وطاقاته، والاثنان: ضعف الواحد، والمؤنث ثنتان. وأصله ثنى،

(١) من ظ ومد والقاموس، وفي الأصل: حذف (٢) في مد: اثنى - كذا .
 (٣) في ظ ومد: لا يوثق (٤-٤) في ظ ومد: تقديره (٥-٥) من ظ ومد
 والقاموس. وفي الأصل: لدقيق يفرق (٦-٦) -قط ما بين الرقيق من مد .
 (٧) من ظ ومد. وفي الأصل: بمن (٨) من ظ ومد، وفي الأصل: تئنه .
 (٩-٩) من ظ ومد والقاموس، وفي الأصل: ثاوى للبعيد (١٠) في مد:
 مرة (١١) زيد من ظ ومد (١٢) من مد والقاموس، وفي الأصل و ظ:
 منعطفه (١٣) من ظ، وفي الأصل: لا (١٤-١٤) من ظ، وفي الأصل: اثنايه
 والتردد - كذا (١٥) العبارة من « والفناء » إلى هنا ساقطة من مد .

والاثنين^١ والثى كالى : يوم فى الأسبوع ، وثيته عن وجهه : رددته ،
فصار له رجوع بعد ذهاب ، وثيت الرجلين : صرت^٢ ثابتهما^٣ وأنت أحدهما ،
ولا يقال : ثبت فلانا ، ولكن يقال : صرت له ثانيا ، والثانى : القرآن
أو ما ثنى منه مرة بعد مرة ، أو الحمد ، أو البقرة إلى براءة - هكذا عبر
ه فى القاموس^٤ ، وفى مختصر العين : ويقال : سور أولها البقرة وآخرها
براءة ، وذكر فى القاموس^٥ فى ذلك أقوالا أخرى ، ومن أوتار العود
[الذى بعد -^٦] الأول واحدها مثنى ، ومثنى الأيادى : إعادة المعروف
مرتين فأكثر ، والثنية : العقبة أو طريقها أو الجبل^٧ أو الطريقة^٨ فيه -
لأنها بطلوعها ونزولها أو تعاريجها كأنها ثبتت مرتين ، والثنايا من
١٠ الأسنان : الأربع التى^٩ فى مقدم الفم : ثنتان من فوق ، وثنتان^{١٠} من
أسفل ، والناقة الطاعنة^{١١} فى السادسة ، والبعر ثنى^{١٢} ، والفرس الداخلة
فى الرابعة^{١٣} والشاة [فى الثالثة -^{١٤}] كالبقرة ، وكأن ذلك كله من عرض

- (١) كذا فى الأصل وظ ، وفى مد : يوم الاثنين ، وفى القاموس : الاثنان .
(٢) من ظ ومد ، وفى الأصل : صرتا (٣) فى مد : ثانيا لهما (٤) من القاموس ،
وفى الأصول «و» (هـ-هـ) سقط ما بين الرقمين من مد (٦) زيد من القاموس .
(٧) من ظ ومد والقاموس ، وفى الأصل : الحين (٨) فى مد : الطريق .
(٩) من ظ ومد والقاموس ، وفى الأصل : الذى (١٠) من ظ ومد والقاموس ،
وفى الأصل : اثنتان (١١) من مد والقاموس ، وفى الأصل وظ : الطاغية
(١٢) من القاموس ، وفى الأصل : الثالثة ، وفى ظ ومد : السادسة (١٣) زيد
من ظ ومد والقاموس .

يعرض لثنية الحيوان ، و الثنية : النخلة المستتاة من المساومة ، و الثنية و الشاء : وصف بمدح أو ذم ، أو خاص بالمدح ، و ذلك لأنه يكرر ، و الثين بالكسر : من يستخرج الدر من البحر ، لأنه يكرر الغوص حتى يجد و يفارق مكانه لذلك و يفرق الدر من مكانه ، و الثين أيضا : مثقب اللؤلؤ ، لأن الثقب يفرق بين أجزائها [و - ١] لأن المثقب نفسه ه يحرك فيكثر^٢ من حركته إذا فعل به ذلك . و من مهموزه : نأث عنه : بعد ، و المناث - بالضم ، المبعد ، و الاثين : الاصيل^٣ . لأنه ثان لاصله ، و^٤ من الرخاوة الاثى خلاف الذكر ، و الاثيث من الحديد الرخو و هو ما لم يكن ذكرا ، و المؤث : المنحث^٥ ، و الاثيان : الخصيتان و الأذنان ، [و - ٦] أرض أنيته و مثاث^٦ : سهلة ، و سيف مثاث : كهام أى^٧ قليل ١٠ لا يقطع - فقد تحرر أن المادة كلها دائرة على ما لا ينبغي^٨ لرتبة الإلهية من الكثرة [و - ١٠] الفرقة و الرخاوة ، و لذلك أتى بصيغة الحصر ، و هو قصر قلب لسلب ما اعتقدوه فيها من الإلهية .

ولما أشار لهم إلى عدم صلاحيتها لتلك الرتبة العلية ، و الغاية الشاء السنية ، بكثرتها^٩ ، أشار إلى قصورها أيضا بتصويرها فقال بصيغة المضارع ١٥

- (١) زيد من مد (٢) من ظ و مد ، و في الأصل : ليكثر (٣) من ظ و مد و القاموس ، و في الأصل : الاصل (٤) من ظ و مد ، و في الأصل : او (٥) من ظ و مد و القاموس ، و في الأصل : المحفف (٦) زيد من ظ و مد و القاموس (٧) من ظ و مد و القاموس ، و في الأصل : منشات (٨) سقط من ظ و مد (٩) من ظ ، و في الأصل : لم ينبغي ، و في مد : ينبغي (١٠) زيد من ظ و مد (١١) سقط من مد .

إشارة إلى ما يرى في كل وقت من تجديد حدوثها: ﴿وتخلقون﴾ أى تصورون بأيديكم ﴿افكا﴾ أى شيئا مصروفا عن وجهه، فانه مصنوع وأنتم تسمونه باسم الصانع، ومروب وأنتم تعدونه ربا، وعبد وأنتم تقيمونه معبودا، أو تقولون في حقها أنها آلهة كذبا.

و لما كان الإنسان محتاجا أبدا، فكان لا يزال متوجها إلى من ينفعه، وكان قد أشار سبحانه إلى نقص معبوداتهم بنفى الخير عنها، صرح بعجزها، وأثبت اختصاصه بالخير. ليتج استحقاقه للعبادة دونها^١ و أكدته ردا لما كانوا يتوهمونه^٢ من نفعها و ضررها فقال: ﴿ان الذين تعبدون﴾ ضلالا وعدولا عن الحق الواضح

١٠ ﴿من دون الله﴾ المحيط / بصفات الكمال، المزه عن شوائب الاختلال

١٧٠

[الذى لا يمكن أن يملأ جميع ما تحت رتبته شيء فكيف برتبته الشاء، و حضرته العليا -^٣] ﴿لا يملكون لكم﴾ أى و أنتم تعبدونها فكيف

بغيركم ﴿رزقا﴾ أى شيئا من الرزق الذى لا قوام لكم بدونه، فتسبب عن ذلك قوله: ﴿فابتغوا﴾ وأشار بصيغة الاقتران إلى السعى فيه،

١٥ لانه أجرى عادته سبحانه أنه فى الغالب لا يؤتية إلا^٤ بكد من المرزوق^٥

(١) سقط من ظ و مد (٢) فى ظ و مد: تجديد (٣) فى ظ و مد: تعبدونه (٤) من

ظ و مد، وفى الأصل: وكان (٥-٥) من ظ و مد، وفى الأصل: يتبعه

وقد (٦) من ظ و مد، وفى الأصل: اختصاصه (٧-٧) سقط ما بين الرقين

من ظ و مد (٨) من ظ و مد، وفى الأصل: يهتمون (٩) زيد من ظ

و مد (١٠-١٠) من ظ و مد، وفى الأصل: به من الرزق.

و جهد ، إما في العبادة و التوكل ، وإما في السعي الظاهر في تحصيله
 بأسبابه الدنيوية و العاجز من أتبع نفسه هواها 'و تمنى على الله الأمانى'.
 ولما أشار إلى ذلك ، أشار إلى الإجمال في الطلب ، و أن لا يعتقد
 أنه لا محالة في السبب ، وإنما الأمر مع ذلك بيده ، إن شاء أنجح و إن
 شاء خيب ، بقوله : ﴿عند الله﴾ أى الذى له 'كل صفة' كمال ﴿الرزق﴾ ٥
 أى كله ، فانه لا شئ منه إلا و هو بيده ، و قد دخل فيه كل موجود ، فان
 الكل خلق لذلك ، فأحكمت صنعته و ربط^٢ بعضه ببعض ، فلو نقص منه
 شئ لاختل النظام ، فبطل الأحكام ﴿واعبدوه﴾ أى عبادة يقبلها ،
 و هى ما كان خالصا عن الشرك ، فان من يكون كذلك يستحق ذلك
 و يثيب^٣ العابد له ، و يعاقب الزاهد فيه ، فلا يشغلكم ابتغاء^٤ الرزق ١٠
 بالأسباب الظاهرة عن عبادته ، فانها هى الأسباب الحقيقية ، فربما حرم
 العبد الرزق بالذنب يصيبه ﴿واشكروا﴾ أى أوقعوا الشكر ﴿له﴾ خاصة
 على ما أفاض عليكم من النعم ؛ ثم علل ذلك بقوله : ﴿إليه﴾ أى^٥
 وحده ﴿ترجعون﴾ أى معنى^٦ في الدنيا و الآخرة بأنه لا حكم في الحقيقة
 لأحد سواه ، و حسا^٧ بالنشر و الحشر^٨ بعد الموت بأيسر أمر فيثيب^٩ ١٥
 الطائع و يعذب العاصي في الدارين .

(١-١) سقط ما بين الرقمين من مد (٢-٢) في ظ و مد : صفة كل (٣-٣) من
 ظ و مد ، و في الأصل : رد على (٤) في مد : كذلك (٥) في ظ و مد : يثيبه
 (٦) في ظ و مد : أيضا (٧) سقط من ظ و مد (٨) في ظ : بمعنى (٩-٩) من
 ظ و مد ، و في الأصل : بالحشر و النشر (١٠) في مد : فيثيب .

نظم الدرر (سورة العنكبوت ٢٩ : ١٨ - ٢٠) ج - ١٤

ولما كان التقدير : فان تصدقوا فهو حظكم في الدنيا والآخرة ،
عطف عليه قوله : ﴿ وان تكذبوا ﴾ والذى دلنا على هذا المحذوف هذه
الوار العاطفة على غير معطوف معروف ﴿ فقد ﴾ أى فيكفيكم في الوعظ
و التهديد معرفتكم بأنه ﴿ كذب امم ﴾ في الازمان الكائنة ﴿ من قبلكم ﴾
ه كثيرة ، كعاد و ثمود و قوم نوح و غيرهم ، لجرى الامر فيهم على سنن
واحد لم يختلف قط في نجات المطيع للرسول و هلاك العاصي له ، ولم
يضر ذلك الرسول شيئا و ما ضرروا به^٢ إلا أنفسهم ﴿ و ما على الرسول ﴾
أن يقهركم^٣ على التصديق ، بل ما عليه ﴿ الا البلغ المبين ه ﴾ الموضح
- مع ظهوره في نفسه - للأمر بحيث لا يبق فيه شك ، باظهار المعجزة ،
١٠ و إقامة الأدلة على الوحانية .

ولما كان التقدير : ألم تروا إلى مصارعهم ؟ و اتساق الجال في
أمرهم ؟ فيكفيكم ذلك زاجرا ، عطف عليه للدلالة على الرجوع إليه
منكرا^٤ قوله : ﴿ او لم يروا ﴾ بالخطاب^٥ في قراءة حمزة و الكسائي
و [في - ٧] رواية عن أبى بكر عن عاصم جريا على النسق السابق ،
١٥ و بالغيب للباقيين^٦ ، إعراضا للايدان بالغضب ﴿ كيف يدعى الله ﴾ أى الذى
له كل كمال ﴿ الخلق ﴾ أى يحدد إبداءه في كل لحظة ، و هو بالضم من
أبدأ ، و قرئ بالفتح من بدأ ، و هما معا بمعنى الإنشاء من العدم ؛ قال
(١) من ظ و مد ، و في الأصل : اهلاك (٢) سقط من مد (٣) من ظ و مد ،
و في الأصل : يقهرهم (٤) في مد : عظيما عطفا (٥) سقط من ظ و مد (٦) راجع
نثر المرجان ٥ / ٢٣٣ (٧) زيد من ظ و مد .

القزاز: أبدأت^١ الشيء أبدته إبداء^٢ - إذا أنشأته ، والله المبدئ^٣ أى الذى بدأ الخلق^٤ ، يقال: بدأهم و أبداهم ، و فى القاموس : بدأ الله الخلق : خلقهم كأبداء^٥ . و رؤيتهم^٦ للابداء موجودة / فى الحيوان و^٧ للابداء و الإعادة فى النبات ، و لافرق فى الإعادة^٨ بين شئ و شئ فيكون قوله - (ثم يعيده^٩) أى يحدد إعادته فى كل لمحة - معطوفا على " يبدئ " و لو لم يكن كذلك لكان عطفه عليه من حيث أن مشاهدة حال الابداء جعلت مشاهدة لحال الإعادة من حيث أنه لا فرق ، و لا حاجة حينئذ إلى تكلف عطفه على الجملة من أولها . ثم حقر^{١٠} أمره بالنسبة إلى عظيم قدرته ، فقال ذاكرة نتيجة الأمر^{١١} السابق : (ان ذلك) أى الإبداء و الإعادة ، و أكد لأجل إنكارهم^{١٢} (على الله يسيره) لأنه الجامع لكل كمال ، المنزه ١٠ عن كل شائبة نقص .

و لما ساق العزيز الجليل هذا الدليل ، عما حاج به قومه الخليل ، انتهزت الفرصة فى إرشاد نبيه من إسماعيل عليهما الصلاة و السلام^{١٣} و التحية و الإكرام ، و ذلك أنه لما استدل عليه السلام^{١٤} على الوحدانية المستلزمة للقدرة على المعاد بابطال إلهية معبوداتهم المستلزم لإبطال كل ١٥

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : ابدت (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : ابداه (٣-٤) سقط ما بين الرقین من مد (٤) من القاموس ، و فى الأصل : كما بدا ، و فى ظ و مد : كأبداهم (٥) سقط من ظ و مد (٦) فى مد : القدرة . (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : خص (٨) فى ظ و مد : الكلام (٩) فى ظ و مد : انكاره (١٠ - ١١) سقط ما بين الرقین من مد .

ما شاكلها، فحصل الاستعداد للتصريح بأمر المعاد، فصرح به، كان ذلك
 غرا^١ عظيما، ومفصلا بينا جسيما، لإقامة الحججة على قريش وسائر العرب،
 فاتتهزت فرصته^٢ واقتحمت لجته، كما هي عادة البلغاء، ودأب الفصحاء
 الحكماء^٣، لأن ذلك كله إنما سبق تسليية للنبي صلى الله عليه وسلم وعظما
 لقومه فقيل: ﴿قل﴾ [أى -^٤] يا محمد لهؤلاء الذين تقيدوا بما تقلدوا
 من^٥ مذاهب آبائهم من غير شبهة على صحته أصلا: قد ثبت أن هذا
 كلام الله لما ثبت من معجزكم عن معارضته، ثبت أن هذا الدليل كلام
 أبيكم إبراهيم عليه الصلاة والسلام وأنتم مصرحون بتقليد الآباء غير^٦
 متحاشين من معرفته^٧ ولا أب لكم أعظم من إبراهيم عليه الصلاة والسلام،
 ١٠ فاذا قلتم من لا يفارقه^٨ في عبادة ما لا يضر ولا ينفع من غير شبهة
 أصلا فقلدوا آبائكم الأعظم في عبادة الله وحده لكونه أبائكم. ولما أقام
 على ذلك من الأدلة التي لا مرأ فيها^٩ قال: أو^{١٠} ﴿سيروا﴾ إن
 لم تقلدوا بأبيكم إبراهيم عليه السلام، وتأملوا ما أقام من الدليل القاطع
 والبرهان الساطع ﴿في الأرض﴾ إن لم يكفكم النظر في أحوال بلادكم.
 ١٥ ولما كان السياق لإثبات الإلهية التي تجب المبادرة إلى تفرغ الفكر
 وتوجيه كل ذهن إلى الاستدلال عليها، عبر بالفاء المعقبة فقال:
 (١) في مد: محرى (٢) في ظ و مد: فرصة (٣) سقط من مد (٤) زيد من
 ظ و مد (٥ - ٥) في مد: تقلدوا (٦) سقط من ظ و مد (٧) من ظ و مد،
 وفي الأصل: معرفته (٨) في ظ و مد: لا يقاربه (٩) من ظ و مد، وفي الأصل:
 فيها (١٠) من ظ و مد، وفي الأصل «و».

{فانظروا} أى نظر اعتبار {كيف بدأ} أى ربكم الذى خلقكم و رزقكم {الخلق} من الحيوانات^١ و النبات من الزروع^٢ و الأشجار، و غيرها بما^٣ تضمنته الجبال و السهول^٤ و الأودار^٥، و هذا يدل على أن الأول^٦ فيها هو^٧ أعم من الحيوان، فقيرهم على الإعادة فيه حسن .

و لما كان المقصود بالذات بيان الإعادة التى هى من أجل مقاصد هـ
السورة، لإظهار ما مضى أولها من العدل يوم الفصل، و كانوا بها
مكذبين، بين الاهتمام بأمرها بابرار الاسم الأعظم بعد تكريره فى هذا
السياق غير مرة، و أضمره فى سياق البداءة لإقرارهم له بها، إشارة إلى
أنه باطن فى هذه الدار، ظاهر بجميع الصفات فى تلك، فقال: {ثم الله}
أى الحازر لجميع صفات الكمال فلا يفوته شيء، المتردى بالجلال، فآخشوا ١٠
سطوته، و اتقوا^{١١} عقوبته و نعمته {ينشئ النشأة الأخيرة^{١٢}} بعد النشأة
الأولى ١٠ / ثم علل ذلك بقوله مؤكدا تنزيلا لهم منزلة المنكر لإنكارهم
البعث: {ان الله} فكرر ذكره^{١٣} تنبيها بعد التيمن به على ما ذكره^{١٤} و على
أنه فى كل أفعاله لاسيما هذا مطلق غير مقيد بجهة من الجهات،
ولا مشروط بأمر من الأمور {على كل شيء قدير} لأن نسبة الأشياء ١٥
كلها^{١٦} إليه واحدة .

- (١) فى ظ و مد : الحيوان (٢) من ظ و مد، وفى الأصل : الزرع (٣) من
ظ و مد، وفى الأصل : بما (٤-٤) سقط ما بين الرقيين من ظ و مد (٥-٥) من
مد، وفى الأصل و ظ : فى (٦) فى ظ : هذا (٧) فى ظ و مد : فآخشوا (٨) فى
ظ و مد : ذلك (٩) فى ظ و مد : ذكر (١٠) سقط من ظ و مد .

ولما ثبت ذلك، أنتج^١ لا محالة قوله، مهددا بعد البيان الذى ليس
بعده إلا العناد: ﴿ يعذب ﴾ بـعـدله ﴿ من يشاء ﴾ أى منكم ومن غيركم
فى الدنيا والآخرة، فلا يقدر أحد^٢ بشفاعته ولا غيرها على الحماية منه
﴿ ويرحم ﴾ بفضله ﴿ من يشاء ﴾ فلا يقدر أحد على^٣ أن يمسسه بسوء
﴿ واليه ﴾ أى وحده ﴿ تـقـلـبـون ﴾ أى بعد موتكم بأيسر سعى .

ولما لم يبق^٤ للقدرة على إعادتهم مانع يدعى إلا ممانعتهم منها،
أبطلها على تقدير ادعائهم لها فقال: ﴿ وما أنتم ﴾ أى أجمعون العرب^٥
وغيرهم ﴿ بمعجزين ﴾ أى بواقع إعجازكم فى بشاكم وتعذيبكم
﴿ فى الارض ﴾ كيفما تقلبتهم فى ظاهرها وباطنها .

١٠ ولما كان الكلام هنا له أتم نظر إلى ما بعد البعث، وكانت الأحوال

هناك خارجة عما يستقل به العقل، وكان اثر القدرة أتم وأكمل،

وأهم وأشمل، وكان بعض الأرواح يكون فى السماء بعد الموت قال:

﴿ ولا فى السماء ﴾ [أى - ١] لو فرض أنكم وصلتم إليها بعد الموت

بالحشر أو قبله، لأن الكل بعض ملكه، فكيف يعجزه من فى ملكه،

١٥ ويمكن أن يكون له نظر إلى قصة نمرود فى نائه الصرح الذى أراد به

التوصل إلى السماء لاسيما والآيات مكتتفة بقصة إبراهيم عليه الصلاة

والسلام من قبلها ومن بعدها .

(١) زيد فى مد: ذلك (٢) من ظ و مد، وفى الأصل: واحد (٣) سقط من

ظ و مد (٤-٤) فى ظ و مد: نبي (٥) من ظ و مد، وفى الأصل: العربيه

انتم - كذا (٦) زيد من ظ و مد .

و لما أخبرهم 'انهم مقدور' عليهم، وكان ربما بقي احتمال أن غيرهم
ينصرهم، صرح بنفيه^٢ فقال: ﴿و ما لكم﴾ أى أجمعين أنتم وغيركم
أيها المحشورون، وأشار إلى سفول رتبة كل ما سواه بقوله: ﴿من دون الله﴾
أى الذى هو أعظم من كل عظيم؛ [وأكد التنى بآيات الجار
فقال -^٣]: ﴿من ولى﴾ أى قريب يحميمكم لاجل القرابة ﴿ولا نصير﴾^٤ ه
لشيء غير ذلك^٥ لأنه لا كفوء له .

و لما كان التقدير: فالذين آمنوا بآيات ربهم و لقائه أولئك يرجون
رحمتى و أولئك لهم نعيم مقيم، وكان قد أمرهم بالاستدلال^٦، وهدمهم
ليرجعوا عن الضلال، بما أبقي للرجال بعض المحال، أتبعه ما قطعه،
فقال عاطفا على ذلك المقدر: ﴿والذين كفروا﴾ أى ستروا ما أظهرته^٧
لهم أنوار العقول ﴿بآيت الله﴾ أى دلائل الملك الأعظم المرئية
و المسموعة التى لا أوضح منها^٨ و لقائه بالبعث بعد الموت الذى
أخبر به وأقام الدليل على قدرته عليه بما لا أجلى منه^٩ ﴿و أولئك﴾ أى البعداء
البغضاء^{١٠} البعيدو الفهم^{١١} المحطوطون عن رتبة الإنسان، بل رتبة مطلق الحيوان
﴿يتسوا﴾ أى تحقق بأسهم من الآن^{١٢}، بل من الأزل، لأنهم لم يرجوا^{١٣}

(١-١) فى ظ: انهم مقدورون، وفى مد: انه مقدور دل (٢) من ظ و مد،
وفى الأصل: بنفيه (٣) سقط من ظ و مد (٤) زيد من ظ و مد (٥-٥) فى
مد: غيره (٦) زيد فى الأصل: به، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .
(٧-٧) فى ظ و مد: للرجاء بعد (٨) زيد فى ظ و مد: بسبب (٩) زيد فى
الأصل: فقال، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (١٠-١٠) سقط ما بين
الرقين من مد (١١) من ظ و مد، وفى الأصل: الامان .

نظم الدرر (سورة العنكبوت: ٢٩ و ٢٣ و ٢٤) ج - ١٤

لقاء الله يوما، ولا قال أحد منهم "رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين".
ولما كان أكثرهم متعنتا، بين أن المتكلم بهذا الكلام، العالى عن
متناول الأناام، هو الله المنوه باسمه^٢ في هذا النظام، بالالتفات إلى أسلوب
التكلم، تنبيها لمقات^٣ السامعين بما ملا^٤ الصدور وقصم^٥ الظهور فقال:
هـ (من وحنى) أى من أن^٦ أفعل بهم من الإكرام بدخول الجنة وغيرها
فعل الراحم؛ وكرر الإشارة تفخيمًا للأمر فقال: ﴿و أولئك﴾ أى
الذين ليس^٧ بعد بعدم^٨ بعد، وتهكم بهم في التعبير بلام الملك التى يغلب
استعمالها في المحبوب فقال: ﴿لهم عذاب اليم﴾ / أى مؤلم بالغ لإيلامه
في الدنيا والآخرة.

/ ٧٣

١٠ ولما ختم سبحانه هذه الجملة^٩ الاعتراضية بما ابتدأها^{١٠} به وبما ختم
به ما قبلها من كلام الخليل عليه الصلاة والسلام،^{١١} وزاد هذا ما ترى
من التهديد الشديد، شرع في إكمال قصته عليه الصلاة والسلام^{١٢} دالا على
أنه لا أحد يعجزه، ولا يقدر على نصر أحد من عذابه الأليم، مشيرا
إلى أنهم سييوا^{١٣} عن قوله ضد ما يقتضيه إيدانا بالعناد^{١٤}، والإصرار على
١٥ سوء الاعتقاد، فقال: ﴿فما كان جواب قومه﴾ أى الذين يرجى قبولهم

(١) من ظ و مد، وفي الأصل: الايام (٢) من ظ و مد، وفي الأصل:
باسهم (٣) كذا، وفي ظ و مد: لعاب وربما يكون «لعاة» (٤) سقط من ظ
و مد (٥) زيد في الأصل: لهم، ولم تكن الزيادة في ظ و مد لحذفها (٦) في ظ
و مد: بعد (٧) في ظ: الجمل (٨) في ظ و مد: بداها (٩-١٠) سقط ما بين الرقين
من ظ و مد (١٠) في مد: يشيوا (١١) في ظ و مد: بالعتاد.

نصحه

(١٠٥)

٤٢٠

لصحه علما منهم بوفور شفقتة و عظم^١ أماته و نصيخته (الآن قالوا)
 بأعظم فظاظة^٢ (أقتلوه) أى بالسيف (أو حرقوه) أى بالنار .
 ولما استقر رأى الجميع على هذا الثانى، ولم يكن له فيهم نصير،
 أشار إليه سبحانه بقوله ناسقاه على ما تقديره: [فأبى المعظم القتل لأنه
 عذاب مألوف لمن يستحقه^٣ من المجرمين^٤، وهو قد عمل عملة مفردة فى هـ
 الدهر فالذى ينبغى أن يخص العذاب عليها بعذاب لم يعهد مثله و هو
 الإحراق على هيئة غريبة، فرجعوا عن القتل واستقر رأيهم على الإحراق -^٥
 فجمعوا له خطبا إلى أن ملا^٦ ما بين الجبال، وأضرموا فيه النار حتى أحرقت
 ما دنا منها بعظيم الاشتعال، وقذفوه فيها بالمنجنيق (فأنجحه الله) بما له
 من كمال العظمة لإنجاء وحيّا^٧ من غير احتياج إلى تدرج (من النار)^٨ ١٠
 أى من إحراقها وأذاها، ونفعته بأن أحرقت وثاقه .

ولما اشتملت قصته بهذا السياق على دلائل واضحات، وأمر
 معجزات، عظم أمرها سبحانه بقوله مؤكدا لمزيد التنويه بذكرها، و تنزيلا
 لهم فى توقفهم عما دعت إليه الآيات الظاهرة من الإيمان منزلة المنكر لها:
 (ان فى ذلك) أى ما ذكر من أمره وما خللت به قصته من الحكم ١٥
 (لأنت) أى براهين قاطعة فى الدلالة على جميع أمر الله من تصرفه
 فى الأعيان والمعادى . لكون النار لم تحرقه وأحرقت وثاقه و كل ما

(١) فى ظ و مد: بعظيم (٢) من ظ و مد . وفى الأصل: فظاظة (٣-٢) سقط
 ما بين الرقيين من مد (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٥) من ظ
 و مد . وفى الأصل: حيا (٦) فى ظ و مد: بمنزلة .

مر عليها^١ من طائر ، و مع رؤية ذلك لم يؤمنوا و لم يقدروا على ضرره
بشيء غير ذلك .

و لما كان ما للشيء إنما هو في الحقيقة ما ينفعه ، وكان قد حجبها
سبحانه بالشهوات و الحظوظ الشاغلة^٢ عن استعمال نور العقل ، قال :
﴿ لقوم يؤمنون ﴾ أي يقبلون على استعمال نور العقل الذي وهبهموه الله
فيصدقون بالغيب حتى صار الإيمان - بكثرة ما صقلوا مرأى قلوبهم
بالنظر في أسبابه^٣ - لهم خلقا بحيث أنهم في كل لحظة يحددون الترقى
في مراتبه ، و التنقل^٤ في أخيبته و مضاربه .

و لما تقدم سلبه النفع عن هذه الاوثان ، أشار هنا إلى نفع يعقب
١٠ من الضرر ما لا نسبة له منه . فليس حيثئذ بنفع ، فقال تعالى : ﴿ وقال ﴾
أي إبراهيم عليه الصلاة و السلام غير هائب لتهديهم بقتل و لا غيره ،
مؤكدًا لأجل ما أشار إليه مما ينكرونه من ضعف شركائهم و عجزها :
﴿ انما اتخذتم ﴾ أي أخذتم باصطناع و تكلف . و أشار إلى عظمة الخالق
و علو شأنه بقوله : ﴿ من دون الله ﴾ أي الذي كل شيء تحت قهره ،
١٥ و لا كلفة - في اعتقاد كونه ربا - باحتياج إلى مقدمة جعل و صنعة^٥
و لا غير ذلك ،^٦ و قال^٧ : ﴿ او ثانا لا ﴾ إشارة إلى تكثيرها^٨ الذي هو مناف^٩

(١) في ظ و مد : عليه (٢) من ظ و مد : وفي الأصل : الشاغلة (٣) في ظ :
خلقاً (٤) في ظ : الثقل ، وفي مد : النقل (٥) من ظ ، وفي الأصل : صفه ،
و في مد : صيغة (٦) سقط من ظ و مد (٧-٧) في ظ و مد : فقال (٨-٨) من
ظ ، وفي الأصل : الى ما هو مناف ، وفي مد : المناف .

لرتبة الإلهية؛ وأشار إلى ذلك النفع بقوله: ﴿مودة﴾ أى لأجل مودة - عند من نصب سواء ترك التنوين وهم حمزة وحفص عن عاصم وروح عن يعقوب أو نون وهم الباقون^١ ﴿بينكم﴾ / من خفضه على الاتساع ورفع ٧٤ / "مودة" وهم ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ورويس عن يعقوب^٢ كان المعنى: هي مودة البين الجامع لكم بمعنى مودتكم على وجه أبلغ، لأن ه المودة إذا كانت لبين جامع الناس^٣ كانت لأولئك الناس بطريق الأولى، ومن خفضه ونصبها وهم حمزة وحفص عن عاصم وروح عن يعقوب فالمعنى: لأجل المودة، ومن نصبها ونون وهم نافع وابن عامر وأبو جعفر وشعبة فالبين عنده ظرف ﴿في الحياة الدنيا﴾ بالاجتماع عندها والتواصل في أمرها بالتناصر^٤ والتعاقد كما يتفق ناس على مذهب ١٠ فيكون ذلك سبب تصادقهم، وهذا دال على أن جمع^٥ الفسوق لأهل الدنيا هو العادة المستمرة، وأن الحب في الله والاجتماع له عزيز جدا، لما فيه من قطع علائق الدنيا وشهواتها التي زينت للناس، بما^٦ فيها من الإلباس، وعظيم البأس.

ولما أشار إلى هذا النفع الذي هو في الحقيقة ضرر، ذكر ما يعقبه ١٥ من الضرر^٧ البالغ، فقال معبرا^٨ بأداة البعد^٩ إشارة إلى عظيم ذلك اليوم،

- (١) راجع ثر المرجان ٢٣٧/هـ و ٢٣٨ (٢) في ظ و مد: للناس (٣) في ظ و مد «و» (٤) في ظ: بالناصر، والكلمة ساقطة من مد (هـ) في ظ و مد: جميع. (٦) في مد: العبادة (٧) في ظ و مد: على ما (٨) في ظ و مد: الضرر (٩-٩) في مد: الأداة البعيدة.

و إلى أنه جعل لهم في الحياة أمدا يمكنهم فيه^١ السعى للتوفى^٢ من شر ذلك اليوم: ﴿ثم يوم القيمة﴾ ساقه مساق ما لا نزاع فيه لما قام عليه من الأدلة ﴿يكفر بعضكم ببعض﴾ فينكر^٣ كل منهم^٤ محاسن أخيه، ويتبرأ منه يلعن الاتباع القادة، ولعن^٥ القادة الاتباع، و تنكرون^٦ كلكم عبادة الآوثان تارة إذا تحققتم أنها لا ضرر ولا نفع لها، و تقررون بها أخرى طالين نصرتها راجين منفعتها، و تنكر الآوثان عبادتكم و تجمد منفعتم ﴿و يلعن بعضكم بعضا﴾ على ما ذكر ﴿و ماؤنكم﴾ جميعا أنتم و الآوثان ﴿النار﴾ تزيد في عذابكم و يزداد بغضكم لها ﴿و ما لكم﴾ و أعرق في النفي فقال: ﴿من نصرين قلا﴾ أصلا يحمونكم منها، و يدخل ١٠ في هذا كل من وافق أصحابه من أهل المعاصي أو البطالة على الرذائل ليعدوه^٧ حسن العشرة مهذب الأخلاق لطيف الذات، أو خوفا من أن يصفوه بكثافة الطبع و سوء الصحة، و لقد عم هذا لعمرى أهل الزمان ليوصفوا بموافاة^٨ [الإخوان و مصافاة -^٩] الخلان، معرضين عن رضى الملك الديان.

١٥ و لما كان في سياق الابتلاء، و ذكر من الانبياء من طال ابتلاؤه،

- (١) من ظ و مد، وفي الأصل: في (٢) من ظ و مد، وفي الأصل: المتوفى.
(٣) من ظ و مد، وفي الأصل: فيذكر (٤) في ظ و مد: منكم (٥) من مد،
وفي الأصل و ظ: يلعن (٦ - ٦) في ظ و مد: ضر (٧) من ظ و مد، وفي
الأصل: ليعدوه، وفي ظ: ليعيدوه (٨) في مد «و» (٩) من ظ و مد، وفي
الأصل: بموافاة (١٠) زيد من مد.

بين أنه لم يكن لهم من أهمهم^١ تابع يقدر على نصرهم ، وأن الله سبحانه
تولى كفايتهم فلم يقدر واحد على إهلاكهم ، وأهلك أعداءهم ، فلم يكن
لهم^٢ من ناصرين فقال : ﴿ فإمن له ﴾ أى لأجل دعائه له مع ما رأى
من الآيات ﴿ لوط ٢ ﴾ أى ابن أخيه هاران^٣ وحده ، وهو أول من صدقه
من الرجال ﴿ وقال ﴾ أى إبراهيم عليها الصلاة والسلام مؤكدا لما هو
جدير بالإنكار من الهجرة لصعوبتها : ﴿ انى مهاجر ﴾ أى خارج من
أرضي وعشيرتي على وجه الهجر لهم فقتل ومنجاز ﴿ الى ربى ﴾ أى إلى
أرض ليس بها أنيس ولا عشير ، ولا من ترجى نصرته ، ولا من تنفع
مودته ، فحيث يتبين^٤ الرضى بالله وحده ، والاعتماد عليه دون ما سواه ،
فهاجر^٥ من كوث^٦ من سواد الكوفة إلى حران^٧ ثم منها إلى الأرض
المقدسة ، فكانت له هجرتان . وهو أول من هاجر في الله ، قال مقاتل^٨ :
وكان^٩ إذ ذاك ابن^{١٠} خمس / وسبعين^{١١} سنة . ثم علل ذلك بما يسليه عن
فراق أرضه وأهل وده من ذوى رحمه وأنسابه وأولى قربه ، فقال مؤكدا
تسكيننا لمن عساه يتبعه و تهويننا عليه لفراق ما ألفت النفوس من أنه
(١ - ١) سقط ما بين الرقيين من ظ و مد (٢) فى مد : ماران ، والصواب ما
فى الأصل و ظ إذ ورد فى روح المعاني ٦ / ٤٠٦ : و لوط على ما فى جامع
الأصول ابن أخيه هاران بن تارح (٣) فى مد : بين (٤ - ٤) سقط ما بين الرقيين
من مد (٥) فى ظ و مد : حرارة (٦) فى ظ و مد : وقال (٧) راجع معالم
التنزيل بهامش الباب ٥ / ١٥٩ (٨ - ٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : ادارك
اثن - كذا (٩) من ظ و مد ، وفى الأصل : سبعون .

لا عز إلا به من العشائر و الأموال و المعارف : ﴿ انه هو ﴾ أى وحده
 ﴿ العزيز ﴾ أى فهو جدير باعزاز من انقطع إليه ﴿ الحكيم ﴾ فهو إذا
 أعز أحدا منعه حكيمه من التعرض له باذلال ، بفعل أو مقال ، كما
 صنع بي حين أراد إدلالى من كان جدرا باعزازى من عشيرتى و أهل
 ه قربى ، و بالغ فى أذى عن كان حقيقا بنفعى من ذوى رحمى و حى .
 و لما كان التقدير : فأعزناه كما ظن بنا إعزازا أحكمناه حتى استمر
 فى عقبه إلى القيامة ، عطف عليه قوله : ﴿ و وهبنا له ﴾ أى بجميل قدرتنا
 شكرا على هجرته ﴿ إسحق ﴾ من زوجته سارة عليها السلام التى جمعت
 إلى العقم فى شبابها اليأس بكبرها ، و عطفه لهبته له بالواو دليل على
 ١٠ ما سيأتى إن شاء الله تعالى فى الصفات من أن الذبيح إسماعيل عليه
 الصلاة و السلام لتعقيبه للهبة هناك على الهجرة بالقاء ﴿ و يعقوب ﴾
 من ولده إسحاق عليهما الصلاة و السلام .

و لما كان السياق فى هذه السورة للامتحان ، و كان إبراهيم عليه
 الصلاة و السلام قد ابتلى فى إسماعيل عليه الصلاة و السلام بفراقه مع
 ١١ أمه رضى الله عنهما . وضعهما فى قضبة من الأرض لا أنيس بها ،
 لم يذكره تصريحاً فى سياق الامتحان . و أفرد إسحق عليه الصلاة و السلام
 لأنه لم يتبل فيه شئ من ذلك ، و لأن المنة به - ' لكون أمه ' عجوزا
 و عقيما - اكبر و اعظم لأنها ' أعجب ، و ذكر إسماعيل عليه الصلاة

(١) راجع آية ... (٢-٢) سقط ما بين الرهين من ظ و مد (٣) كد . و ليس
 واضح فى م (٤-٤) فى مد : لأن أمه كانت (ه) فى ظ : أكثر (٦) فى ظ و مد :
 لأنه .

و السلام تلويحا في قوله : ﴿ وجعلنا ﴾ أى بعزتنا و حكمتنا ﴿ في ذريته ﴾ من ولد إسحاق وإسماعيل عليهما الصلاة و السلام ﴿ النبوة ﴾ فلم يكن بعده بى أجنبي عنه ، و متى صحت هذه المناسبة لزم قطعاً أن يكون الذبيح لإسماعيل عليه الصلاة و السلام فانه أعزى ذكر هذه السورة منه ، و يكون كأنه قيل : إنا بشرناه بما يسر [به - ١] من إسحاق بعد أن أمرناه بما ه يضر^٢ من إسماعيل عليهما السلام فصبر^٣ في محنة الضراء ، و شكر في محنة السراء ﴿ و الكتب ﴾ فلم ينزل كتاب إلا على أولاده ، و أفقره ليدل - مع تناوله بالجنسية الكتب الأربعة - على أنه لا شيء يستحق أن يكتب إلا ما أنزل فيها ، أو كان راجعاً إليه ، ولو جمع لم يفد هذا المعنى ﴿ و أتيت به اجره ﴾ على هجرته ﴿ في الدنيا ﴾ بما خصصناه به بما لا يقدر ١٠ عليه غيرنا من سعة الرزق ، و رغد العيش ، و كثرة الخدم ، و الولد في الشيخوخة ، و كثرة النسل . و الثناء الحسن ، و المحبة من جميع الخلق ، و غير ذلك .

و لما كان الكافر يعتقد - لإنكاره البعث - انه نكد حياته بالهجرة نكدًا لا تدارك له ، اقتضى الخال التأكيد في قوله : ﴿ و انه في الآخرة ﴾ ١٥ أى التى هى الدار و موضع الاستقرار ﴿ لمن الصالحين ﴾ الذين خصصناهم بالسعادة و جعلنا لهم الحسنى و زيادة .

و لما كان - كما مضى - السياق للابتلاء ، خص بالبسط في القص

(١) زيد من م (٢) في ظ و مد : بصير (س) من مد ، وفي الأصل وظ : بصير .
(٤) من مد ، وفي الأصل وظ « و » .

من لم يكن له ناصر من قومه، أو كان غريبا منها، ولذلك أتبع الخليل عليه الصلاة والسلام ابن أخيه الذي أرسله الله إلى أهل سدوم: / فاس لا قرابة له فيهم ولا عشيرة، فقال: ﴿ولوطا﴾ أى أرسلناه، وأشار إلى إسرعه في الامتثال بقوله: ﴿اذ﴾ أى وأرسلناه حين ﴿قال لقومه﴾ أهل سدوم الذين سكن فيهم وصاهرهم، وانقطع إليهم فصاروا قومه، حين فارق عمه إبراهيم الخليل عليها الصلاة والسلام، منكرا بما رأى من حالهم، وقبيح فعالهم، مؤكدا له إشارة إلى أنه - مع كونه يرويه من أعرف المعارف - جدير بأن ينكر: ﴿انك لتأتون فاحشة ذك﴾ [أى - ٧] المجاوزة للحد في القبح، فكانها لذلك لا فاحشة غيرها. ١٠ ثم علل كونها فاحشة استنفا بقوله: ﴿ما سبقكم﴾ أى هي حال مدينة لعظيم جرأتهم على المنكر، أى غير مسبوقين ﴿بها﴾ وأعرق في النفي بقوله: ﴿من أحد﴾ وزاد بقوله: ﴿من الغلبين ه﴾ أى كلهم فضلا عن خصوص الناس؛ ثم كرر الإنكار تأكيدا "لتجاوز قبحها" الذى ينكرونه فقال: ﴿انكم لتأتون الرجال﴾ إتيان الشهوة، وعطف عليها ١٥ ما ضمه إليها من المناكر، يانا لاستحقاق الذم من وجوه. فأوجب حالهم ظن أنهم وصلوا من الخبث إلى حد "لا مطمع" فى الرجوع عنه مع

(١) من ظ و مد، وفى الأصل: سيدوم (٢) فى ظ و مد: قرينة (٣) من ظ و مد، وفى الأصل: قال (٤) فى ظ: شاهرهم (ه) فى ظ و مد: كونهم. (٦) فى ظ و مد: ان (٧) زيد من ظ و مد (٨) من ظ و مد، وفى الأصل: «و» (٩) سقط من ظ و مد (١٠-١١) فى الأصل: تجاوز حدودها، وفى ظ و مد: لم يطمع.

ملازمته لدعاتهم من غير ملل ولا ضجر ، فقال : (و تقطعون السيل)
أى 'بأذى الجلايين' و المارة .

و لما خص هذين الفسادين ، عم دالا على المجاهرة فقال :
(و تاتون فى نادىكم) أى المكان الذى تجلسون فيه للتحدث بحيث
يسمع بعضكم نداء بعض من مجلس المؤانسة ، و هو ناد ما دام القوم فيه ، ه
فاذا قاموا عنه لم يسم بذلك (المنكر) أى هذا الجنس ، و هو ما تنكره
الشرائع و المروءات و العقول ، لاتحاشون عن شيء منه فى المجتمع الذى
يتحاشى فيه الإنسان من فعل خلاف الأولى ، من غير أن يستحى بعضكم
من بعض ؛ و دل على عنادهم بقوله مسييا عن هذه النصائح بالنهى عن
تلك الفصائح : (فما كان جواب قومه) أى الذين فيهم قوة و نجدة ١٠
بحيث يخشى شرم ، و يتقى أذاهم و ضرهم ، لما أنكر عليهم ما أنكر
(إلا ان قالوا) عنادا و جهلا و استهزاء : (اتقنا بعذاب الله) و عبروا
بالاسم الأعظم زيادة فى الجرأة . و لما كان الإنكار ملزوما للوعيد
بأمر صار قالوا : (ان كنت) أى كونا متمكنا (من الصديقين)
أى فى وعيدك و إرسالك ، إلهابا و تهيجا . ١٥

و لما كان كأنه قيل : بهم أجابهم ؟ قيل : (قال) أى لوط عليه
الصلاة و السلام معرضا عنهم ، مقبلا بكتبته على المحسن إليه : (رب)

(١-١) من ظ و مد ، و فى الأصل : بايدي الخلايين (٢) كما ذكره فى لسان
العرب - راجع مادة [ندى] (٣) فى ظ و مد : الفصائح (٤) من ظ و مد ،
و فى الأصل : لا يخشى (٥) فى ظ و مد : ثم .

ولما لم يبق^١ بعد هذا إلا خبر الرسل مع لوط عليه الصلاة والسلام ،
قال عاطفا على ما تقديره : ثم فارقه^٢ ومضوا إلى المدينة التي فيها
لوط عليه السلام ، مفهماً بالعدول عن الفاء إلى الواو أن بين المكانين^٣
[بعداً -^٤] : (ولمّا) وأثبت [ما صورته صورة -^٥] [الحرف المصدرى
لما اقتضاه مقصود السورة ، وأكثر سياقاتها بين التسليك في مقام الامتحان
والاجتهاد في النهي عن المنكر ،] ولذا ذكر هنا في قصة إبراهيم عليه
السلام القتل والإحراق ، واتبعت بشراء باهلاك القرية الظالة -^٦] ،
فقال^٧ : (إن جاءت رسلنا) أي المعظّمون بنا (لوطاً) يابنا لانه (سبياً)
أي حصلت له المساءة (بهم) أول^٨ أوقات مجيئهم إليه وحين قدومهم
١٠ عليه ، فاجأته المساءة من غير ريب لما رأى من حسن أشكالهم ، وخاف
من تعرض قومه لهم ، وهو يظن أنهم من الناس ، وذلك أن [أن-^٩] [أن-^{١٠}]
في مثل هذا^{١١} صلة [وإن كان أصلها المصدر -^{١٢}] لتؤكد^{١٣} وجود الفعلين
مرتباً وجود أحدهما على الآخر في وقتين متجاورين لا فاصل بينهما
(١) من ظ و مد ، وفي الأصل : لم يبين (٢) من ظ و مد ، وفي الأصل :
فارقوا (٣) من ظ و مد ، وفي الأصل : معها (٤) زيد بعده في الأصل : ما ،
ولم تكن الزيادة في ظ و مد لحذفها (٥) في ظ و مد : الكاذبين - كذا .
(٦) زيد من ظ و مد (٧) في ظ و مد : قال (٨) من ظ و مد ، وفي الأصل :
المعلمون (٩) من ظ و مد ، وفي الأصل : لهم (١٠) من ظ و مد ، وفي
الأصل : أي (١١) زيد من مد (١٢) من ظ و مد ، وفي الأصل : هذه .
(١٣) من مد ، وفي الأصل و ظ : تؤكد .

[فأنهما وجدا -^١] في جزء واحد من الزمان، [قال ابن هشام في المغني ما معناه أن علة ذلك أن الزائد يؤكد معنى ما جرى به لتأكيده، ولما تقيد وقوع الفعل الثاني عقيب الأول وترتبه عليه فالحرف الزائد يؤكد ذلك -^٢] . (وضاق بهم) أى بأعمال الحيلة في الدفع عنهم (ذرعا)
 أى ذرعة طاقاتهم^٣ كما بين / وأشبع القول فيه في سورة هود عليه السلام، هـ / ٧٨
 والأصل في ذلك أن من طالت ذراعه نال ما لا يتاله قصرها، فغضب مثلا في العجز والقدرة، وذلك أنهم أتوه في صورة مردان ملاح جدا، وقد علم أمر أهل القرية في [مثل -^٢] ذلك ولم يعلم أنهم رسل الله .
 ولما كان التقدير: فقالوا له: يا لوط! إنا رسل ربك، خفض عليك من هذا الضيق الذي نراه بك فانا^٤ ما أرسلناك إلا لإهلاكهم، ١٠
 عطف عليه قوله: (وقالوا) أى لما رأوا ما لقي في^٥ أمرهم: (لا تخف)
 [أى -^٢] من أن يصلوا إلينا [أو -^٢] من أن تهلك أنت أو أحد من أهل طاعتك (ولا تحزن) أى على أحد من^٦ نهلك فانه ليس في أحد منهم خير يوسف عليهم بسية؛ ثم عللوا ذلك بقولهم مبالغين في التأكيد الإغناء به عن جمل طوال، إشارة إلى أن الوقت أرق فهو ١٥
 لا يحتمل التطويل: (أنا منجوك) أى مبالغون في إجحائك (واهلك)
 أى ومهلكوا أهل [هذه -^٢] القرية، فلا يقع^٧ في ضميرك أنهم يصلون
 (١) زيد من ظ و مد إلا أن في مذ « واحد » مكان « وجدا » (٢) زيد من ظ و مد (٣-٣) في ظ: ذرعه أى طاقته (٤) من ظ و مد، وفي الأصل: قصرهما .
 (٥) من ظ و مد، وفي الأصل: فانا (٦) في ظ و مد: من (٧) من ظ و مد، وفي الأصل: بما (٨) في مد: فلا يكن .

نظم الدرر (سورة العنكبوت ٢٩: ٣٣ - ٣٦) ج - ١٤

إلينا ، وقالوا : ﴿ الا امراتك ﴾ تنصيصا^١ على كل فرد منهم سواها ؛
ثم دلوا على هلاكها بقولهم جوابا لمن كأنه قال : ما لها ؟ قليل ؛
﴿ كانت من الغبرين ٥ ﴾ أى كأن^٢ [هذا -^٣] الحكم فى أصل خلقتها^٤ .
ولما أفهمت العبارة كما مضى إهلاكهم^٥ ، صرحوا به فقالوا^٦ معينين
نوعه ، معللين لما أخبروه به ، مؤكدين إعلاما بأن الأمر قد فرغ منه
قطعا لأن يشفع فيهم ، جريا على عادة الأنبياء فى الشفقة على أمهم :
﴿ انا منزلون ﴾ أى لا محالة ﴿ على اهل هذه القرية رجزا ﴾ أى عذابا
يكون فيه اضطراب شديد يضطرب^٧ منه من أصابه كائنا من كان
﴿ من السماء ﴾ فهو عظيم وقعه ، شديد صدعه^٨ ﴿ بما كانوا ﴾ أى كونا
١٠ راسخا ﴿ يفسقون^٩ ﴾ أى يخرجون فى كل وقت من دائرة العقل^{١٠} والحياة .
ولما كان التقدير : ففعلت رسلنا ما وعدوه به من إنجائه
وإهلاك^{١١} جميع قراهم ، وتركناها^{١٢} ، كأن^{١٣} لم يسكن بها^{١٤} أحد قط ،
عطف عليه قوله مؤكدا إشارة إلى^{١٥} فضيلة المخاطبين بهذه القصة من العرب
وغيرهم^{١٦} ، وأنه ليس بينهم وبين الهدى^{١٧} إلا تفكرهم^{١٨} فى أمرهم مع

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل : نفسا - كذا (٢) سقط من ظ (٣) سقط
من مد (٤) زيد من مد (٥ - ٥) فى ظ : اصل خلقها ، وفى مد : الأصل خلقها .
(٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : إهلاكه (٧) سقط من ظ و مد (٨) فى ظ
و مد : يضرب (٩) من ظ و مد ، وفى الأصل : صرعه (١٠) فى مد : يكسبون .
(١١) فى ظ و مد : الفعل (١٢ - ١٢) فى ظ : فإهلاك (١٣) فى مد : قتراها
(١٤ - ١٤) فى ظ و مد : لم يسكنها (١٥ - ١٥) من ظ و مد ، وفى الأصل :
غفلتهم (١٦ - ١٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : ان لا تفكره - كذا .

الانخلاع من الهوى: ﴿ ولقد تركنا ﴾ بما لنا من العظمة ﴿ منها ﴾ أي من تلك القرية^١ ﴿ آية ﴾ أي علامة على قدرتنا على كل ما نريد ﴿ بينة ﴾ وهو الماء الأسود المتن الذي غمر قراهم كلها بعد الحسف بها وهو مبان^٢ لجميع مياه الأرض لكونه ماء السخط لمن^٣ باينوا بفعلهم الخلق مع اشتها كونه على الحسف .

ولما كان سبحانه قد حجب عن الأبصار كثيرا من الناس قال : ﴿ لقوم يعقلون ﴾ فعد [من^٤] لم يستبصر بها غير عاقل ولا شاعر بأنها آية ولا فيه أهلية القيام بما يريد^٥ .

ولما كان [السياق -^٦] لإثبات يوم الدين وإهلاك الفسدين ، ولمن^٧ طال ابتلاؤه من الصالحين ولم يجد له ناصرا من قومه ، إما لغربه عنهم ، وإما لقلّة عشيرته وعدم أتباعه ، وكان شعيب عليه السلام بمن استضعفه قومه^٨ واستقلوا عشيرته لتسميتهم^٩ لهم رهطا ، والردط ما دون العشرة أر من سبعة إلى عشرة ، وما دون السبعة إلى الثلاثة / نفر ، فكان^{١٠} عليه السلام كذلك في هذا العدد ، عقب قصة لوط بقصته عليه الصلاة والسلام [فقال -^{١١}] : ﴿ والى ﴾ أي ولقد أرسلنا إلى ١٥

(١) في ظ و مد : القرى (٢) سقط من مد (٣) في ظ و مد : باين (٤) في مد : يكونه (٥) في ظ و مد : على من (٦) زيد من ظ و مد (٧) في مد : نريد (٨) من ظ و مد ، وفي الأصل : باثبات (٩) من ظ و مد ، وفي الأصل : لما (١٠) من ظ و مد ، وفي الأصل : قلة (١١) سقط من ظ و مد (١٢) في مد : لتسميته . (١٣) في ظ و مد : كان (١٤) زيد نظرا إلى السياق السائد في هذا الكتاب .

(مدین اخام) أى من النسب و البلد (شعيا) .

[و لما كان مقصود السورة الامر بالمعروف والنهى عن المنكر من غير فترة، عبر بالفاء فقال -^٢]: (فقال) أى قسب عن إرساله و تعبه أن قال: (يقوم اعبدوا الله) أى الملك الأعلى وحده،
 ٥ ولا تشركوا به شيئا، فان العبادة التى فيها شرك عدم، لأن الله تعالى أغنى الشركاء^٣ فهو لا يقبل إلا ما كان [له -^٤] خالصا .

و لما كان السياق لإقامة الأدلة على البعث الذى هو من مقاصد السورة قال: (وارجوا اليوم الآخر) أى حسن الجزاء فيه لتفعلوا ما يليق بذلك (ولا تنثوا فى الارض) حال كونكم (مفسدين^٥)
 ١٠ أى متعمدين الفساد .

ولما تسبب عن هذا النصح و تعبه [تكذيبهم قسب عنه و تعبه -^٢]
 إهلاكهم، تحقيقا لأن أهل السيئات لا يسبقون قال: (فكذبوه فاخذتهم)
 أى لذلك أخذ قهر و غلبة (الرجفة) أى الصيحة التى زلزلت بهم فأهلكتهم (فاصبحوا فى دارهم) أى محالهم^٦ التى كانت دائرة بهم
 ١٥ وكانوا يدورون فيها (إجمين^٧) أى واقعين على صدورهم، لازمين مكانا واحدا، لا يقدرّون على حركة أصلا، لأنه لا أرواح لهم .

و لما كان من المقاصد العظيمة الدلالة على اتباع بعض هذه الأمم بعضا فى الخير والشر على نسق، والجري بهم فى إهلاك المكذبين

(١) من ظ و مد، وفى الأصل: الولد (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى ظ: الشرك (٤) زيد من ظ (٥) من ظ و مد، وفى الأصل: مخالفتهم .

وإنجاء المصدقين طبقاً عن طبق . وكان إهلاك عاد و ثمود - لما اشتهروا به من قوة الأبدان ، و متانة الأركان - في غاية القراة^١ ، و كان معنى ختام قصة مدين : فأهلكناهم ، عطف على ذلك المعنى قوله : ﴿ و عاداً ﴾ أى و أهلكتنا أيضاً عاداً ﴿ و ثموداً ﴾ مع ما كانوا فيه من العتو ، و التكبر و العلو ﴿ و قد تبين لكم ﴾ أى ظهر بنفسه غايبة الظهور أيها العرب ٥ أمرهم ﴿ من مسكنهم ﴾ أى ما وصف من هلاكهم^٢ و ما^٣ كانوا فيه من شدة الأجسام ، و سعة الأحلام ، و علو الاهتمام ، و ثقوب الأذهان ، و عظيم الشأن ، عند مروركم بتلك المساكن ، و نظركم إليها في ضربكم^٤ في التجارة إلى الشام ، فصرفوا أفكارهم في الإقبال على الاستمتاع بالعرض الفانى من هذه الدنيا ، فأملوا بعيداً^٥ ، و بنوا شديداً ، و لم يغن عنهم شئ^٦ ١٠ من ذلك شيئاً من أمر الله ﴿ و زين لهم ﴾ في غاية التزيين ﴿ الشيطان ﴾ أى البعيد من الرحمة ، المحترق باللعة ، بقوة احتياله ، و محبوب ضلاله و محاله ﴿ أعمالهم ﴾ أى الفاسدة . فأقبلوا بكليتهم عليها^٧ مع العدو المبين ، و أعرضوا عن الهداة الناصحين .

و لما تسبب عن هذا^٨ التزيين منعهم لعامهم^٩ عن انصراف المستقيم ١٥ قال : ﴿ فصدّهم عن السبيل ﴾^{١٠} أى منعهم عن سلوك الطريق الذى لا طريق إلا هو ، لكونه يوصل إلى النجاة ، و غيره يوصل إلى الهلاك^{١١} ،

(١) من ظ و مد . و فى الأصل : القراة (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : كلاكهم - كذا خطأ (٣) سقط من ظ و مد (٤ - ٤) سقط ما بين الرقبن من ظ و مد (٥) سقط من مد (٦-٦) فى مد : هماهم .

'فهو عدم بل العدم خير منه . ولما كان ذلك ربما ظن أنه لفرط غباوتهم
قال : ((وكانوا)) أى فعل بهم الشيطان ما فعل من الإغواء و الحال
أنهم كانوا كونا^٢ هم فيه^٣ فى غاية التمكن (مستبصرين لا) أى معدودين
بين الناس من البصراء العقلاء جدا لما فاقوهم^٤ به عما يعلمون^٥ من ظاهر
الحياة الدنيا ، ولم يسبقونا ، بل أوقعناهم بعملهم السيئات فيما أردنا من
أنواع الهلكات ، فاحذروا مثل مصارعهم فانكم لا تشابهونهم^٦ فى القوة ،
ولا تقاربونهم فى العقول .

٨٠ / ولما كان فرعون و من ذكر معه من العتو بمكان لا يخفى ، / لما أوتوا^٧
من القوة بالأموال و الرجال قال : ((وقارون)) أى أهلكتاه^٨ و قومه
١٠ لأن وقوعه فى أسباب الهلاك أعجب ، لكونه من بنى إسرائيل ، ولأنه
ابتلى بالمال والعلم ، فكان ذلك [سبب إعجابه ، فتكبر على موسى و هارون
عليهما السلام فكان ذلك -^٩] سبب هلاكه ((و فرعون و هاتين^{١٠})) وزيره
الذى أوقد له على الطين ، فلا هو نجى^{١١} أو لا كان^{١٢} رأسا فى الكفر ، بل
باع سعادته بكونه^{١٣} ذنبا لغيره .

١٥ ولما كان هلاكهم مع رؤية الآيات أعجب ، فكان جدرا بالإنكار ،
١٢ إشارة إلى أن رؤية الآيات جدرة بأن يلزم عنها الإيمان قال :

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ و مد (٢) سقط من ظ و مد (٣) سقط من مد .
(٤) فى ظ : بوقتهم ، وفى مد : توهم (٥) فى ظ و مد : يعملون (٦) من مد ،
وفى الأصل وظ : لانعشرونهم (٧) من ظ و مد ، وفى الأصل : اتوا (٨) فى ظ :
اهلكتناهم (٩) زيد من ظ و مد (١٠ - ١١) فى ظ : لان (١١) من ظ و مد ،
وفى الأصل : لكونه (١٢) زيدت الواو فى ظ و مد .

(ولقد جاءهم موسى بالبينت) أى التى لم تدع لبسا قسيوا^١ عما يقتضيه من الاستبصار الاستكبار^٢ (فاستكبروا) أى طلبوا أن يكونوا أكبر من كل كبير بأن كانت أفعالهم أفعال من يطلب ذلك (فى الارض) بعد مجئ موسى عليه الصلاة والسلام إليهم [أكثر -^٣] عما كانوا قبله .

ولما كان من يتكبر - وهو عالم بأنه مأخوذ - أشد لوما من هـ

بجهل^٤ ذلك قال : (وما كانوا) أى الذين ذكروا هذا كله^٥ ، كونا ما^٦ (سبقين بـ) أى^٧ فأتين ما^٨ نريد^٩ ، بأن يخرجوا من قبضتنا ، بل هم فى القبضة كما ذكرنا أول السورة وهم عالمون بذلك (وكلا) أى قسب عن تكذيبهم وعصيانهم أن كلا منهم (اخذنا) أى^{١٠} بما لنا من العظمة (بذنبه ج) أخذ عقوبة ليعلم أنه لا أحد يعجزه^{١١} ١٠

(فنهم من ارسلنا عليه ج) إرسال عذاب ياله من عذاب ا (حاصبا) أى ربحا ترمى لقوة عصفها وشدة قصعها بالحجارة كعاد وقوم لوط (ومنهم من اخذته) اخذ هلاك و غضب و عذاب ، [وعدل عن أسلوب العظمة ثلا يوم الإسناد فى هذه إليه صوتا^{١٢} ليوقع فى مصيبة التشبيه -^{١٣}] (الصيحة ج) التى تظهر شدتها^{١٤} لربح الحاملة لها الموافقة^{١٥} ١٥

(١) من ظ و مد و القرآن الكريم ، وفى الأصل : و (٢) من مد . وفى الأصل و ظ : فـ يـ و ا م : زيد فى الأصل : قال . ولم تكن الزيادة فى ظ و مد لحذفها (٤) اريد من ظ و مد (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : يشهد . (٦ - ٧) فى مد : ما كانوا (٧ - ٧) فى ظ و مد : كائنين ، أن (٨) سقط من ظ و مد (٩) فى مد : اخذ (١٠) من مد ، وفى ظ : قوة (١١ - ١١) سقط ما بين الرقعتين من مد .

لقصدهما^١ فترجف لعظمتها الأرض كمدين و ثمود (و منهم من)
 [و أعاد أسلوب العظمة^٢ الماضي لسلامته من الإيهام المذكور في الصيحة
 و للتنبيه على أنه لا يقدر عليه غير الله سبحانه فقيه من الدلالة على
 عظمتها ما يقصر عنه الوصف فقال -^٣]: (خسفنا به الأرض ج) بأن^٤
 ه غيباه فيها كفارون و جماعته (و منهم من اغرقناه ج) بالغمر في الماء
 كقوم نوح و فرعون و جنوده، و عذاب قوم لوط صالح للعد في
 الإغراق و العد في الخسف، فتارة نهلك بريح تقذف بالحجارة من السماء
 كقوم لوط، أو من الأرض كعاد، و أخرى بريح^٥ تقرع بالصرخة
 الأسماع فيزلزل^٦ القلوب و البقاع، و مرة نبيد^٧ بالغمس في الكيف^٨
 ١٠ و كرة^٩ بالغمر في اللطيف - فله در الناظرين في هذه الأوامر النافذة،
 و المتفكرين^{١٠} في هذه الأقضية الماضية، ليعلموا حقيقة قوله "و ما أنتم
 بمعجزين في الأرض و لا في السماء" - [الآية -^{١١}].

و لما كان ذلك ربما جر لأهل التعنت شيئاً مما اعتادوه في^{١٢} عنادهم
 قال: (و ما كان الله ج) أي الذي لا شيء من الجلال و الكمال إلا و هو
 ١٥ له (ليظلمهم ج)^{١٣} أي مريدا ليعاملهم^{١٤} معاملة الظالم الذي يعاقب من
 لا جرم له، أو من أجرم و لم يتقدم إليه بالنهي عن إجرامه ليكشف

(١) سقط من مد (٢) زيد من ظ و مد (٣) في ظ و مد: أي (٤) من ظ
 و مد، وفي الأصل: فيترزّل (٥) في ظ و مد: يفسد (٦-٧) في ظ: بالكشف.
 (٧) من ظ و مد، وفي الأصل: كثرت (٨) في ظ و مد: للمفكرين (٩) في
 ظ و مد: من (١٠ - ١٠) في ظ: أي مريدا ليعاملهم، وفي مد: تعالى الله أن
 يعاملهم.

فيسلم ، أو يتهدى فيهلك^١ لأنه^٢ لا تقع يصل إليه سبحانه من إهلاكهم ، ولا ضرر يلحقه عز شأنه من^٣ إبقائهم (ولكن كانوا) أى [م - ١] لا غيرهم (انفسهم) لا غيرها (يظلمون .) بارتكابهم^٤ ما أخبرناهم غير مرة أنه يفضنا و أنا نأخذ من يفعله ، فلم يقبلوا النصح مع عجزهم ، ولا خافوا العقوبة على ضعفهم ، و أما ما عبده و رجوا نصره لهم^٥ و أملوه فأضعف منهم ، و لكون شيء منه لم يفن عن أحد منهم شيئاً فلم تحتل^٦ سنة الله في أولياته و أعدائه في قرن / من القرون [و لا عصر من العصور - ٧] ، بل جرت على أقوم نظام ، و اتقن إحكام ، وصل بذلك قوله تعالى على وجه الاستنتاج^٨ : (مثل الذين) .

٨١ /

- و لما كان دعاء غير الله مخالفاً لقويم العقل ، و صريح النقل ، و سليم^{١٠} الفطرة^٩ [و صحيح الفكرة - ١] فكان ذلك^{١١} يحتاج إلى [تدرب على - ٢] الجلالة ، و تطبع في الكثافة ، قال : (اتخذوا) أى تكلفوا أن أخذوا . و لما كانت الرتب تحت رتبته سبحانه لا تخصى ، و كل الرتب^{١٢} دون رتبته^{١٣} ، قال [منها على ذلك بالجار - ٤] : (من دون الله) أى الذى لا كفؤ له ، فرضوا بالدون ، عوضاً عن لا تكيفه الأوهام و الظنون (أولياء)^{١٥}

(١) فى ظ و مد : فيها (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : انه (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : عن (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : بما ارتكبهم (٦) سقط من ظ ، وفى مد : فله يختلف (٧) زيد من مد (٨) فى ظ و مد : الاستفتاح (٩) من ظ و مد ، وفى الأصل : الفطر (١٠) من ظ و مد ، وفى الأصل : لذلك (١١-١٢) سقط ما بين الرقين من ظ ، وفى مد : و ان علت لاندانى .

نظم الدرر (سورة العنكبوت ٢٩: ٤١ و ٤٢) ج - ١٤

ينصرونهم بزعمهم من معبودات وغيرها، في الضعف والوهى
 (كثل العنكبوت) الدابة المعروفة ذات الأرجل الكثيرة الطوال؛
 ثم استأنف ذكر وجه الشبه وعبر عنها بالتأنيث وإن كانت تقال
 بالتذكير تعظيماً لضعفها، لأن المقام لضعف ما تبينه فقال: (اتخذت بيتاً)
 هـ أى تكلفت أخذه في صنعها له ليقبها الردى، ويحيمها البلا، كما تكلف
 هؤلاء اصطناع^١ أربابهم لينفعوهم، ويحفظوهم بزعمهم ويرفعوهم، فكان
 ذلك البيت مع تكلفتها في أمره^٢، وتعبها الشديد في شأنه، في
 غاية الوهن.

ولما كان حالها في صنعها حال من ينكر وهنه^٣، قال مؤكداً:
 ١٠ (وان) [و-°] واوه للحال من ضمير - "اتخذت" أى والحال
 أنه أوهن^٤ - هكذا كان الأصل، ولكنه أظهر للتعميم فقال:
 (اوهن البيوت) أى أضعفها (لبيت العنكبوت^٥) التى عانت في حوكه^٦
 ما عانت وقاست في نسجه^٧ ما قاست، لأنه لا يكن من حر،
 ولا يصون من برد، ولا يحصن عن طالب، كذلك ما اتخذ هؤلاء من
 ١٥ هذه الأوثان، وهذا الدين الذى لا أصل له فهو^٨ أوهن.

(١) من مد وفي الأصل وظ: لبها (٢) من ظ ومد، وفي الأصل؛
 اصطناعهم (٣) من ظ ومد، وفي الأصل: امرها (٤) في ظ: وهنها (هـ) زيد
 من ظ ومد (٦) من ظ ومد، وفي الأصل: وهن (٧) من مد، وفي
 الأصل: حركه، وفي ظ: حراله (٨) من ظ ومد، وفي الأصل: نسيه.
 (٩) زيد في الأصل: من. ولم تكن الزيادة في ظ ومد فخذناها.

الاديان 'أو أهونها' ﴿لو كانوا يعلمون ه﴾ أى لو كان لهم نوع ما من العلم لا تتفعوا به فعلوا أن هذا مثلهم ، فأبعدوا عن اعتقاد ما هذا مثله .
 و لما اتفق تفهمهم بعلمهم ، صح تقيبه ، فكانوا وإياها على حد سواء ،
 ليس لفريق منهما شئ مما نوى ، فإياها من صفقة خاسرة ، وتجارة كاسدة باثرة . و لما كان ضرب المثل للشئ لا يصح إلا من العالم بذلك الشئ ه ،
 وكان التصير على شئ لا يمكن أن يتوجه إلى معارضته إلا إن كان يعلمه
 و يعلم مقدار قدرته ، و عدة جنوده . وصل بذلك أن هذا شأنه سبحانه
 و أن شركاءهم فى غاية البعد عن ذلك ، فكيف يعلقون^٢ بنصرهم آمالهم ،
 و زاد ذلك حسنا تعقيه لنفى العلم عنهم ، فقال إشارة إلى جهلهم فى
 إنكارهم أن يقدر أحد على إهلاك آلهتهم التى [هى -^أ] أبهى الأشياء : ١٠
 ﴿ان الله﴾ [أى -^أ] الذى له صفات الكمال ﴿يعلم﴾ بما له من تلك
 الصفات ﴿ما﴾ أى الذى ﴿يدعون﴾ أى الذين ضرب لهم المثل ،
 أو أنتم - فى قراءة الفوقانية^{١١} التفاتا إلى أسلوب الخطاب إيذانا بالغضب
 ﴿من دونه﴾ إشارة إلى سفول رتبهم ، و أكد العموم بقوله : ﴿من شئ^{١٢}﴾
 أى سواء كان بجها أو صنما أو ملكا أو جنينا أو غيره ، وهم "لا يعلمونه" ١٥
 و لا يعلمون شيئا مما يتوصلون^{١٣} إليه ، فكيف يشفعون عنده أو ينصرون

(١ - ١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) من ظ و مد . وفى الأصل : منها .
 (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : ما (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : بأيدة
 (٥) فى ظ : معاوضة (٦) زيد فى ظ : مقدار (٧) من ظ و مد ، وفى الأصل :
 يعلقون (٨) زيد من ظ و مد (٩) من ظ و مد ، وفى الأصل : الذى (١٠) راجع
 نثر المرجان ٢٥١/هـ (١١ - ١١) سقط ما بين الرقيين من ظ (١٢) من ظ و مد ،
 وفى الأصل : يتوصلونه .

منه، وإليه الإشارة بقوله: ﴿و هو العزيز﴾ أى عز^١ أن يعلمه / شركاؤهم
أو يحيط به أحد علما، أو يتمتع عليه شىء يريد^٢؛ وجوزوا أن تكون^٣
'ما' نافية، أى شيئا يعتد به . ولما كان ذلك ربما أفهم أنه لا يعلم أصلا
قال: ﴿الحكيم هـ﴾ أى البالغ العلم، الواضع كل شىء يريد^٤ فى أكل
هـ مواضعه، فأبطن نفسه بكبريائه و جلاله حتى لا باطن سواء، وأظهرها
بأفعاله وما كشف من جماله حتى لا ظاهر فى الحقيقة غيره، وهو يغلب
من شاء بعزته^٥، ويمهله إن شاء بحكمته، فلا يغتر أحد بامهاله فيظن^٦
أنه لإهماله .

ولما فرغ من مثلهم وما^٧ توقف صحته عليه، كان كأنه قيل
١٠ على وجه التعظيم لهذا المثل: هذا مثلهم، فعطف^٨ عليه قوله إشارة إلى
أمثال القرآن كلها تعظيما لها وتنبها على جليل قدرها وعلى^٩ شأنها:
﴿و تلك الامثال﴾ أى العالية عن أن تنال بنوع احتيال؛ ثم استأنف قوله:
﴿نضربها﴾ بما لنا من العظمة، يانا ﴿للناس﴾ تصويرا للمعانى المقولات
بصور^{١٠} المحسوسات، لعلها تقرب من عقولهم فينتفعوا بها، [وهكذا -^{١١}
١٥ حال التشبيهات كلها فى طرق للافهام إلى المعانى المحتجبة فى الاستار،
تبرزها وتكشف عنها وتصورها .

(١) من ظ و مد، وفى الأصل: عز (٢) من مد، وفى الأصل وظ: يكون.
(٣) من ظ و مد، وفى الأصل: بقدرته (٤) فى ظ: يظن (هـ) فى ظ: ما.
(٦) من ظ و مد، وفى الأصل: بهذا (٧) فى ظ: عطف (٨) فى ظ: علو.
(٩) من ظ و مد، وفى الأصل: تصوير (١٠) زيد من ظ و مد.

ولما كانوا يتهمون بما رأوه^١ من الأمثال المذكورة به الذباب
و البعوض و نحوهما قال بمجملهم : ﴿ وما يعقلها ﴾ أى حق عقلها
فيتنفع بها ﴿ الا العالمون ﴾ أى الذين هتوا للعلم و جعل طبعاهم بما
بث^٢ فى قلوبهم من أنواره . و أشرق فى صدورهم من أسرارهم ، فهم^٣
يضعون الأشياء مواضعها ؛ روى الحرب^٤ بن أبى أسامة عن جابر رضى الله
تعالى عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : العالم الذى عقل عن الله
فصيل^٥ بطاعته و اجتنب محضه . قال البغوى : والمثل كلام سائر يتضمن
تشبيه الآخر بالاول^٦ .

ولما قدم أنه لا معجز له سبحانه ، و لا ناصر لمن أخذه ، و صحح ذلك
بالمشاهدة^٧ فى القرون^٨ البائدة ، و قرب به إلى الأذهان بالمثل المستولى على^٩
غاية أليان ، و ختم ذلك أنه حجب فهمه عن أكثر خلقه ، دل على ذلك
كله بقوله مظهرا لقوته و سائر صفات كماله^{١٠} ، بعد ما حقق أن أوليائهم
فى أنزل مراتب الضعف : ﴿ خلق الله ﴾ أى الذى لا يدانى فى عظمة^{١١}
و لاجلال ، و لا جمال و لا كمال ﴿ السنوت و الارض بالحق ﴾ أى الأمر
الذى يطابقه الواقع ، أو بسبب [إظهار أن الواقع يطابق أخباره ، ١٥
أو بسبب - ١٠] إثبات الحق و إبطال الباطل . فلا تجد أحدا يفهم عنه

- (١) فى ظ : ترويه ، و فى مد : يرويه (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : ثبت .
(٣) سقط من ظ (٤) من معالم التزييل بهامش الباب ١١/٥ : و فى الأصول :
الحرث (٥) من ظ و مد و العالم ، و فى الأصل : يعمل (٦) من ظ و مد
و العالم ، و فى الأصل : بالآخر (٧ - ٧) فى ظ : بالقرآن (٨) فى ظ : الكمال .
(٩) من ظ و مد : و فى الأصل : عظمت (١٠) زيد من ظ و مد .

حق الفهم مع تساويهم في الإنسانية إلا وهو من أهل السكينة، والإخبات^١
والطمأنينة، ولا يعجزه أحد يريد أخذه، ولا يفلح أحد عصى أنيابه، فبانت
عزته، وظهرت حكمته، فطابق^٢ الواقع ما أخبر به، وأيضا فالأمثال
إنما تكون بالمحسوسات، وهي إما سماوية أو أرضية، فإيجاد هذه
الموجودات إنما هو لاجل العلم بالله تعالى.

ولما كان المراد بالعالم قد يخفى، بينه بقوله مشيرا بالتأكيد إلى أن
حالمهم في عدم الاتقاع بالنظر فيها حال من ينكر أن يكون فيها دلالة:
(ان في ذلك) / أى الأمر العظيم من تأملهم لمطابقة الواقع^٣ لإخباره
سبحانه، فلا يخبر بشيء إلا كان الواقع منهما أو بما فيها يطابقه سواء بسواء
١٠ (لآية) أى دلالة مسعدة^٤ (للمؤمنين) أى الذين هم العالمون^٥ في الحقيقة،
خدام^٦ عليهم بما في الكونين من المنافع المترتبة على النظام المعروف مع
ما في 'خلقهما أنفسهما' مع كبر الأجرام وبديع الإحكام، على الإيمان
بجميع ما أخبر به حتى لم يكن عندهم نوع شك، وصار لهم صفة لا تنفك.
ولما أفاد هذا الخبر كله القرآن الذى لاحق أحق منه، ودل على أن

١٥ فهم أمثاله يحتاج إلى مزيد علم، وأن مفتاح العلم به سبحانه رسوخ الإيمان،
خاطب رأس أهل الإيمان لانه أعظم الفاهمين^٧ له ليقضى به الاتباع فقال:

(١) من ظ و مد، وفي الأصل: الاحتساب (٢) في ظ: و طابق (٣) سقط
من ظ (٤) في ظ: معدة (٥) من ظ و مد، وفي الأصل: عالمون (٦) في ظ:
هداهم (٧-٧) في ظ و مد: خلقها أنفسها (٨) من ظ و مد، وفي
الأصل: العالمين.

{ اتل ما } أى تابع قراءته ؛ ودل على شرفه لاختصاصه به بقوله :
 { اوحى اليك } إذ الوحي الإلقاء سرا { من الكتب } [أى - ']
 الجامع لكل خير ، فانه المفيد للإيمان ، 'مع أنه' أحق الحق الذى خلقت
 السماوات و الأرض لأجله ، و الإكثار فى تلاوته يزيد بصيرة فى أمره ،
 و يفتح كنوز الدقائق من علمه ، و هو أكرم من أن ينيل قارئه فائدة ، ه
 و أجل من أن يعطى قياد فوائده * و يرفع الحجاب عن جواهره و فرائده
 فى أول مرة ، بل كلما رددته القارئ بالتدبر حياة بكنز من أسرارها ،
 و مهما زاد زاده [من - '] لوامع أنواره ، إلى أن يقطع بأن عجائبه لاتعد ،
 و غرائبها لا تحدد .

ولما أرشد إلى مفتاح العلم ، دل على قانون العمل الذى لا يصح ١٠
 إلا بالقرآن ، و هو ما يجمع الهمم ، فيحضر القلب ، فينشرح الصدر ،
 فينبعث الفكر فى رياض علومه ، فقال : { و اقم الصلوة } أى التى هى
 أحق العبادات ، ثم علل ذلك بقوله دالا بالتأكيد على نخامة أمرها ،
 و أنه مما يخفى على غالب الناس : { ان الصلوة تنهى } أى توجد النهى
 و تجدد ٩ للواظب على إقامتها بجميع حدودها { عن الفحشاء } أى ١١
 الخصال التى بلغ قبجها { و المنكر } أى الذى فيه نوع قبج و إن دق ،
 و أقل ما فيها من النهى النهى عن تركها الذى هو كفر ، و من انتهى

(١) زيد من ظ و مد (٢-٣) فى ظ و مد : و هو (٣) فى ظ و مد : من (٤) فى
 ظ : لا يقبل - كذا (٥) من ظ و مد . وفى الأصل : فرايده (٦) فى ظ و مد :
 حياه (٧) من ظ و مد ، وفى الأصل : العلم (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل :
 الفهم (٩) من ظ و مد ، وفى الأصل : تجدد .

عن ذلك اشرح صدره . واتسع فكره ، فلم من أسرار القرآن ما لا يعمله غيره " واتقوا الله وعلّمكم الله " .

ولما كان النامي في الحقيقة إنما هو ذكر الله ، أتبع ذلك الحث على روح الصلاة والمقصد الأعظم منها ، وهو المراقبة لمن يصلى [له - ٢] حتى^٢ كأنه يراه ليكون^٣ بذلك في أعظم الذكر بقوله : (ولذكر الله) أى ولأن ذكر المستحق لكل صفة كمال (اكبر^٤) أى من كل شيء ، فمن استحضر ذلك بقلبه هان عنده كل شيء سواه " إن عبدى كل عبدى للذى^٥ يذكرنى^٦ عند لقاء^٧ قرنه " أو يكون المراد أن من واطب على الصلاة ذكر الله ، ومن ذكره أبرشك أن يرق قلبه ، ومن رق قلبه استنار له ، فأوشك أن ينهائى هذا الذكر المثمر لهذه الثمرة عن المعصية ، فكان^٨ ذكر الذاكر له سبحانه أكبر نهياً له عن المنكر من نهى الصلاة له ، وكان ذكره له سبحانه كبيراً^٩ ، كما قال تعالى " فاذكرونى اذكركم " وإذا كان هذا شأن^{١٠} ذكر " العبد / المولاه ، فما ظنك بذكر مولاه له كلما أقبل عليه بصلاة فانه جدير بأن يرفعه إلى حد لا يوصف ، ويلبسه من^{١١} أنواره ملابس لا تحصر .

١٨٤

(١) - سورة ٢ آية ٢٨٢ (٢) زيد من ظ و مد (٣-٣) فى ظ و مد : كانتك تراه لتكون (٤) فى ظ و جامع الترمذى ٤٤٣/٢ : الذى (٥) من ظ و مد و الجامع ، وفى الأصل : يذكرنى (٦-٦) فى الجامع : وهو ملاق (٧) فى ظ و مد : وكان (٨) فى ظ : كبير (٩) سورة ٢ آية ١٥٢ (١٠) من ظ و مد ، وفى الأصل : شأنه (١١-١١) سقط ما بين الرقعين من ظ .

ظلم الدرر (الجزء الحادى والعشرون) ج - ١٤

و لما كان ذلك يحتاج إلى علاج لمعوج الطباع و منحرف المزاج ،
و تمرن على شاق الكلف ، و رياضة لجاح النفوس ، و كان صلى الله عليه
و سلم قد نزه عن ذلك ' كله بما جبل عليه من أصل الفطرة ؛ ثم [بما - ']
غسل به قلبه من ماء الحكمة ، [و غير ذلك - '] من جليل النعمة ، عدل
إلى خطاب الاتباع بمنهم ^٢ على المجاهدة فقال : (و الله) أى المحيط
علما و قدرة (يعلم) أى فى كل وقت (ما تصنعون .) من الخير
و الشر ، معبرا بلفظ الصنعة الدال على ملازمة العمل تنبيها على أن إقامة
ما ذكر تحتاج إلى تمرن عليه و تدرب ، حتى يصير طبعا صحيحا ،
و مقصودا صريحا .

و لما انتهى الكلام إلى روح الدين و سر اليقين بما لا يبله حق ١٠
عليه إلا العلماء بالكتب السماوية و الأخبار الإلهية ، و كان العالم يقدر
على إيراد الشكوك و ترويج الشبه ، فربما أضل بالشبهة الواحدة النيام
من الناس ، بما له عندهم من القبول ، و بما للنفوس من الذروع إلى الأباطيل ،
و بما للشيطان فى ذلك من التزيين ، و كان الجدال يورث الإحن ، و يفتح
أبواب المحن ، فيحمل على الضلال ، قال تعالى عاطفا على " اتل " مخاطبا ١٥
لمن ختم الآية بخطابهم تنزيها لمقامه صلى الله عليه و سلم عن المواجهة بمثل
ذلك تنبيها على أنه لا يصبو ^٤ مته الشريعة إلى مثل ذلك ، لأنه ليس

(١) فى ظ و مد : هذا (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل :
لحهم (٤) فى ظ و مد : بقوله (٥) فى ظ : ربيضا ، وفى مد : مريحا (٦) فى ظ :
بما (٧ - ٧) فى ظ : فان (٨) فى ظ : لا يصرف (٩) من ظ و مد ، وفى
الأصل : الشرعية .

في طبعه المجادلة، والمارة والمقالة : ﴿ ولا تجادلوا أهل الكتاب ﴾
 أي اليهود والنصارى ظناً منكم أن الجدل ينفع الدين، أو يزيد في اليقين،
 أو يرد أحداً عن ضلال مبين ﴿ إلا بالتي ﴾ أي بالمجادلة التي ﴿ هي أحسن ﴾
 أي بتلاوة الوحي الذي أمرنا رأس العابدين بإدامة تلاوته فقط، وهذا
 ٥ كل تقدم عند قوله تعالى في "سبحان" "وقل لعبادي يقولوا التي
 هي أحسن".

ولما كان كل من جادل منهم في القرآن ظالماً كان من الواضح
 أن المراد بمن استثنى في قوله تعالى : ﴿ إلا الذين ظلموا منهم ﴾ أي
 تجاوزوا في الظلم بنفي صحة القرآن وإنكار إعجازه مثلاً وأن يكون
 ١٠ على أساليب الكتب المتقدمة^١، أو مصداقاً لشيء منها، أو بقولهم "ما
 أنزل الله على بشر من شيء"^٢، ونحو هذا من افتراءاتهم. فان هؤلاء يباح
 جدالهم ولو أدى إلى جلاذهم بالسيف. فان لدين يعلمو ولا يعلى عليه.
 ولما نهى عن موجب الخلاف. مر بالاستعطاف. فقال :
 ﴿ وقولوا آمناً ﴾ أي أوقعنا الإيمان ﴿ بالذي أنزل البنا ﴾ أي من هذا
 ١٥ الكتاب المعجز ﴿ وأنزل إليكم ﴾ من كتبكم. معنى في نسخ الأصل حق
 وإن كان قد نسخ منه ما نسخ. وما جدثوكم^٣ به من شيء ليس عندكم

(١) سقط من ظ (٢) آية ٥٢ (٣-٢) سقط ما بين الرقن من ظ ومد (٤) في
 ظ ومد: القديمة (٥) سورة ٦ آية ٩ (٦) من ظ ومد والقرآن الكريم. وفي
 الأصل: علينا (٧) زيد من ظ ومد (٨) من ظ ومد وفي الأصل: جدثوكم.
 (٩) زيدت الواو بعده في الأصل، ولم تكن في ظ ومد فحذفها.

ما يصدق ولا ما يكذب فلا تصدقهم ولا تكذبهم ، فان هذا ادعى إلى الإنصاف ، وأنقى للخلاف .

و لما لم يكن هذا جامعا للفريقين ، أتبع بما يجمعهما فقال :

٨٥ /

(و الهنا / و الهكم) ولما كان من المعلوم قطعاً أن المراد به الله ، لأن المسلمين لا يعبدون غيره ، وكان جميع الفرق مقرين بالإلهية ولو بنوع إقرار^٥ لم تدع [حاجة -^٢] إلى أن يقول " إله " ، كما في بقية الآيات فقال :
(واحد) أى لا إله لنا غيره وإن ادعى بعضكم عزيراً والمسيح (و نحن له)^٢ خاصة (مسلمون^٥) أى خاضعون متقادون أتم انقياد فيما يأمرنا به بعد الأصول من الفروع^٦ سواء كانت موافقة لفروعكم كالوجه بالصلاة^٧ إلى بيت المقدس ، أو ناسخة كالوجه إلى الكعبة ، ١٠ ولا تتخذ الأجار والرهبان أرباباً من دون الله^٨ لناخذ ما يشرعونه لنا مخالفاً لكتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، فنكون حينئذ قد خضعنا لهم وتكبرنا^٩ عليه فافقنا^{١٠} الإسلام في غير موضعه ظلماً .

ولما كان التقدير تعليلاً للأمر بهذا القول : إنا أنزلنا كتبهم إلى

رسلمهم ، عطف عليه قوله مخاطباً للرأس تخصيصاً^{١١} له لئلا يتطرق لمعنيت طعن ١٥

(١) في ظ : ابقى (٢) زيدت الواو في ظ (٣) زيد من ظ ومد (٤) من ظ ومد ، وفي الأصل : الله (٥) في الأصل : وقال ، وسقط من ظ ومد (٦-٧) من ظ ومد ، وفي الأصل : من الأصول بعد الفروع (٧) في ظ : في الصلاة . (٨-٩) في ظ ومد : بدونه (٩) من ظ ومد ، وفي الأصل : تكبر (١٠) في ظ : و افقنا (١١) من ظ ومد ، وفي الأصل : تخضعنا .

نظم الدرر (سورة النكبات ٢٩: ٤٧ و ٤٨) ج - ١٤

إلى عموم أو اتهام^١ في المنزل عليه : (وكذلك) أى ومثل ذلك
 الإنزال الذى أنزلناه إلى أنبيائهم (أنزلنا إليك الكتاب) أى هذا
 القرآن الذى هو الكتاب فى الحقيقة ، لا كتاب غيره فى طوكاله^٢ ،
 فى نظمه و مقاله ، مصداقا لما بين يديه : (فالذين) أى تسبب عن
 ٥ " أنزلناه^٣ على هذا المنهاج أن الذين (أنبيئهم) [أى -] إيتاء يليق
 بعظمتا ، فصاروا يعرفون الحق من الباطل (الكتاب) أى من^٤ قبل
 (يؤمنون به) أى بهذا الكتاب حقيقة كعبادته بن سلام وغيره
 رضى الله عنها ، أو مجازا بالمعركة به مع الكفر كحي بن أخطب وخلق
 كثير منهم (ومن هؤلاء) أى العرب (من يؤمن به) أى كذلك
 ١٠ فى الحقيقة و المجاز فى المعركة بالباطن بأنه حق لما أقامه من البرهان على
 ذلك بجزم عن معارضته مع الكفر به ، وأدل^٥ دليل على^٦ ما أردته
 من الحقيقة و المجاز قوله : (وما يحمده) أى ينكر من الفريقين
 بعد المعركة ، قال البغوى^٧ : قال قتادة : الجحود إنما يكون بعد المعركة .
 (بآئتنا) التى حازت أقصى غايات العظمة حتى استحققت الإضافة إلينا
 ١٥ (إلا الكفرون) أى العريقون^٨ فى ستر المعارف بعد ظهورها طمعا
 فى إطفاء نورها .

(١) فى ظ و مد : اتهام (٢) فى ظ : حاله (٣-٢) من ظ و مد ، وفى الأصل :
 أنزاله (٤) زيد من ظ و مد (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل :
 أول (٧) من ظ و مد ، وفى الأصل : غير (٨) من مد ، وفى الأصل : و
 وفى ظ : او (٩) فى مقام التنزيل بهامش باب التأويل ١٦٣ / (١٠) من
 ظ و مد ، وفى الأصل : العريقين .

ولما أشار إلى أن المنكر لأصل الوحي متوغل في الكفر، دل على ذلك بحال المنزل إليه^١ صلى الله عليه وسلم فقال مسلياً له: ﴿وما﴾ أى أنزلناه إليك والحال أنك ما ﴿كنت تتلوا﴾ أى تقرأ مواصلاً مواظباً في وقت ما .

ولما كان المراد نفي التلاوة عن كثير الزمن الماضي و قليله، أدخل ه الجار فقال: ﴿من قبله﴾ أى هذا الكتاب الذى أنزلناه إليك؛ وأكّد استغراق الكتب فقال: ﴿من كتب﴾ أصلاً ﴿ولا تخطه﴾ أى تجدد وتلازم خطه؛ وصور الخط وأكدّه بقوله: ﴿يعينك﴾ أى^٢ التى [هى -^٣] أقوى الجارحين، وعبر بذلك إشارة إلى أنه لا تحدث الزيادة فى أمره لعاقل إلا بالمواظبة لمثل ذلك مواظبة [قوية -^٤] ينشأ عنها ملكه، ١٠ فكيف إذا لم يحصل [أصل الفعل -^٥]، ولذلك قال: ﴿إذا﴾ أى إذ لو كان شيء من هذه المواظبة فى التلاوة أو الخط التى يحصل بها^٦ الدرجة الموروثة للملكة ﴿لارتاب﴾ / أى لساغ أن تكلف أنفسهم [لدخول -^٧] ٨٦/ فى الريب أى الشك ﴿المبتلون﴾ أى هؤلاء الذين ينكرون الوحي إليك من أهل الكتاب ومن العرب، ويقولون: هو مجمع^٨ وكهانة وشعر ١٥ وأساطير الأولين، العريقون فى وصف^٩ الإبطال، [أى -^{١٠}] الدخول

(١) من ظ ومد، وفى الأصل: عليه (٢) سقط من ظ (٣) زيد من مد (٤) من مد، وفى الأصل: الرتبة (٥) زيد من ظ ومد (٦) فى مد « و » (٧) فى مد: فى (٨) زيد فى الأصل: كذا، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد فحذفناها (٩) زيد فى الأصل: أى، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد فحذفناها .

في الباطل ، فكانوا يحدون مطعنا ، فتقول العرب : لعله أخذه من كتب
 الأقدمين ، و يقول الكتاتيون : المبشر به عندنا أمي . ولكنه لم يكن شيء
 من قراءة و لا خط كما هو معروف من حالك فضلا عن المواظبة لشيء .
 منها ، فلا رية في صدقك في نسبه إلى الله تعالى ، و إذا انتفت الرية
 ٥ من أصلها صح نفى ما عندهم منها ، لأنه [لما - '] لم يكن لهم في الواقع
 شبهة ، عدت ريبتهم عدما ، و سموا مبطلين على تقدير هذه الشبهة ، لقيام
 بقية المعجزات القاطعة بالرسالة ، الفاضية بالصدق ، كما قضت ' بصدق
 أنبيائهم [مع - '] أنهم يكتبون و يقرأون ، و كتبهم لم تنزل للاعجاز ،
 فصح أنهم ^٢ يلزمهم الاتصاف بالإبطال بالارتباب على كل تقدير من
 ١٠ تقديري الكتابة و القراءة و عدمهما ، لأن العمدة على المعجزات .

و لما كان 'تقدير : و لكنهم' لا رية لهم أصلا و لا شبهة . لقولهم :
 إنه باطل ، قال : (بل هو) أي القرآن الذي جئت به ، ارتابوا فيه
 فكانوا ' مبطلين لذلك على كل تقدير (أي ثبت) أي دلالات (بينت)
 أي ، اصضحت جدا في الدلالة على صدقك ^١ (في صدور الذين) و لما
 ١٥ كان المقصود المناقعة في تعظيم العلم ، بل للعقول ، . أظهر ما كان أصله
 الإضمار فقال : (ارتابوا العلم) . دلالة على أنه العلم الكامل النافع . فلا يقدر
 أحد على تحريف شيء منه لبيان الحق لديهم ، و في ذلك إشارة
 إلى [أن خفاءه عن غيرهم لا أثر له . و لما كان المراد بالعلم النافع ، قال
 (١) زيد من ظ و مد (٢) في ظ : قضيت (٣) في ظ و مد : (٤) في ظ
 و مد : لكنه (هـ) في ظ . و كانوا (٦) من ظ و مد ، و في الأصل : صدقه .
 إشارة

[إشارة إلى - ١] أنه في صدور غيرهم عريا عن النفع : ﴿ وما يحسد ﴾
 وكان الأصل : به ، ولكنه أشار إلى عظمته فقال : ﴿ باينتنا ﴾ أى
 ينكرها بعد المعرفة على ما لها من العظمة باضافتها إلينا [والبيان الذى
 لا يحسده أحد - ١] ﴿ الا اطلبون ﴾ أى الراسخون في الظلم الذين لا ينتفعون
 بنورهم في وضع كل شىء في محله ، بل هم - في وضع الأشياء في غير محالها ه
 - كالماشى في الظلام الذى تأثر عن وصفهم أولا بالكفر الذى هو
 تغطية أنوار العقول .

ولما كان التقدير : فحسدوها [بما لهم من الرسوخ في الظلم - ١]
 أصلا و رأسا ، ولم يعدوها آيات فضلا عن كونها بينات ، عطف عليه
 قوله : ﴿ وقالوا ﴾ موهمين مكررا 'إظهار النصفة' بالاكتفاء بأدنى ما يدل ١٠
 على الصدق : ﴿ لولا ﴾ أى فلا ﴿ انزل عليه ﴾ أى على أى وجه كان
 من وجوه الإزال ﴿ آية ﴾ أى واحدة تكون بحيث تدل قطعا على صدق
 الآتى بها ﴿ من ربه ﴾ أى الذى يدعى إحسانه إليه كما أنزل على الأنبياء
 قبله من نحو ناقة صالح عصى موسى ونحوهما ، لتستدل به على صدق
 مقاله . وصحة ما يدعيه من حاله هذا على قراءة [ابن كثير و - ٢] ١٥
 حمزة و الكسائى و ابى بكر بالإفراد . و جمع غيرهم دلالة على أن فريقا
 آخر قالوا : إن مثل هذا المهم العظيم لا يثبت إلا بآيات متعددة ، وأوهموا

(١) زيد من ظ و مد (٢ - ٢) من ظ و مد ، وفي الأصل : اظهار للنصفة .

(٣) سقط من ظ ١٤ : زيد من ظ و مد ونثر المرجان ٢٥٧/٥ (٥) من ظ و مد .

وفي الأصل : وهووا .

مكابرة و عنادا أن ذلك لم يقع ، وإن وقع ما^١ يسمى آية .
 ولما كان هذا 'إنكارا للشمس' بعد شروقها ، و مكابرة فيما تحدى
 به من / المعجزات بعد حقوقها ، أشار إليه بقوله : ﴿ قل ﴾ أى لهم
 إرخاء للعنان حتى كأنك ما أتيتهم بشيء : ﴿ إنما الآيت عند الله ﴾
 ه أى الذى له الأمر كله فلا يقدر على إنزال شيء منها غيره ، فانما الإله
 هو لاسواه ﴿ وإنما انا نذير ﴾ أقوم لكم بما حملنى وكلفنى من النذارة ،
 دالا عليه بما أعطيت من الآيات ، و نواقض المطردات^٢ و ليس لى أن
 أقترح [عليه - °] الآيات ، على أن المقصود من الآية الدلالة^٣ على الصدق ،
 وهى كلها فى حكم آية واحدة [فى ذلك - °] ، ولم يذكر البشارة
 ١٠ لأنه ليس أسلوبها ﴿ مبين ه ﴾ أى أوضح ما آتى به من ذلك بعد أن
 أوضح صحة كونى نذيرا ، فليس إلى إنزال الآيات و لا طلبها اقتراحا
 على الله ، فهو قصر قلب فيها ، خوطب به من لزمه ادعاء أن إنزال
 الآيات إليه صلى الله عليه و سلم و 'أن أمره' الإتيان بما يريد
 أو يطلب منه^٤ .

١٥ ولما أفرحهم بما كأنه تسليم لدعائهم ، و كان من الين أن لسان
 الحال يقول : ألم يكفهم ما جئتهم [به - °] من الآيات المزيئات و المسموعات ،
 و عجزوا عن الإتيان بشيء منها ، عطف على ذلك قوله منكرا على جهلهم
 (١) من ظ و مد ، و فى الأصل : لم (٢-٢) فى ظ : انكار الشمس (٣) فى ظ :
 فى (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : المطردات - كذا (٥) زيد من ظ و مد .
 (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : الدالة (٧-٧) من ظ و مد ، و فى الأصل :
 ازاره - كذا (٨) فى ظ : منهم .

- و عنادهم : (ا ولم يكفهم) أى إن كانوا طالبين^١ للحق غير متمتعين
 آية يفتنه مغنية^٢ عن كل آية (انبأ انزلنا) بعظمنا (عليك الكتب)
 أى الجامع لسعادة الدارين بحيث صار خلقا لك غالبا على حركاتك
 وسكناتك (يتلى عليهم^٣) أى يتجدد متابعة قراءته عليهم شيئا بعد شئ .
 • فى كل مكان و كل زمان من كل تالٍ مصدقا لما فى الكتب القديمة
 من نعتك^٤ وغيره من الآيات الدالة على صدقك ، يتحدرون بكل شئ
 نزل منه مع تحديقهم بما قبله من آياته^٥ " صباح مساء " ، يصفعون بذلك
 مدى الدهر فى أفتاتهم و بدفعون ، فكما أرادوا التقدم ردوا عجزا إلى
 ورائهم ، فأعظم به آية باقية ، إذ كل آية سواء منقضية ماضية ، [و قال
 الشيخ أبو العباس المرسى^٦ : خشع بعض الصحابة رضى الله عنهم من سماع
 اليهود بقراءة التوراة فعتبوا إذ تحشعوا من غير القرآن ، و هم إنما تحشعوا
 من التوراة و فى كلام الله فإظنك بمن^٧ أعرض عن كتاب الله و تحشع
 بالملاهي و الغناء -^٨] .

ولما كان هذا أعظم من كل آية يقترحونها ولو توالى عليهم
 إتيانها كل يوم لدوام هذا على مر^٩ الأيام و الشهور ، حتى تقضى ١٥

- (١) من ظ و مد ، و فى الأصل : ظالمين (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل :
 معيبة (٣) فى ظ و مد : بعثتك (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : الآيات .
 (٥ - ٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : صباحا و مساء (٦) هو أحمد بن عمر
 المرسى أبو العباس شهاب الدين ، فقيه متصوف ، من أهل الإسكندرية ، أصله
 من مرسية فى الأندلس : الأعلام ١/ ١٧٩ (٧) من مد ، و فى ظ : من (٨) زيد
 ما بين الحاجزين من ظ و مد (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : شر .

الازمان و الدهور، أشار تعالى إلى هذه العظمة، مع ما فيها من
 النعمة، بقوله مؤكدا تنبيها على جهلهم فيما لزم^١ من كلامهم الأول من
 إنكار أن يكون في القرآن آية تدلهم على الصدق: ﴿ان في ذلك﴾
 أى إنزال الكتاب على هذا الوجه البعيد المثال^٢ البديع المثال^٣ (لراحة)
 ه لهم لصفه صدا القلوب في كل لحظة، و تطهيره^٤ خبث النفوس في
 كل لحظة (و ذكرى) أى عظيمة مستمرا [تذكرها - °].

و لما عم بالقول، خص من حيث النفع فقال: ﴿لقوم يؤمنون﴾
 أى يمكن أن يتجدد لهم إيمان، ليس من همهم التعنت، قال^٥ الحرالى
 فى كتاب له فى أصول الدين: و لما كان القرآن لسان^٦ إحاطة لم يف
 ١٠ بالقيام به خلق من خلق الله، لأنه^٧ ببناء على^٨ كلية أمر الله حتى أن
 السورة الواحدة منه لما كان موقع الخطاب بها^٩ من مدد بنائه^{١٠} على
 إحاطة أمر الله لا يستطيعها [أحد من الخلق، و إذا كان الأقل من كلام
 العالم لا يستطيعه - °] من دون رتبته، فعجز الخلق عن^{١١} كلام الله أحق
 و أولى، ثم كل ناظر فيه - من أى وجه نظره - أدرك بمقتضى علوه على
 ١٥ رتبته وجها من العجز فيه، إن كان فصيحاً بليغاً فن جهة البلاغة،
 و معناها بلوغ الكلام / فى مطابقة أنبائه و يسمى الفصاحة، و حسن نظم

/ ٨٨

(١) فى ظ: الزم (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: المثال (٣) من ظ و مد،
 و فى الأصل: المثال (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: تطهير (٥) زيد ما بين
 الحازرين من ظ و مد (٦ - ٦) فى مد: الغزالي فى كتابه (٧) فى ظ: لبيان.
 (٨ - ٨) فى ظ: بناء عن، و فى مد: فبا عن (٩) سقط من ظ (١٠) فى مد:
 نباه (١١) فى ظ: من.

حروف كتابته ويسمى الجزالة، وكمال^١ انتظام كتابته وآياته، ويسمى حسن
النظم - إلى أنهى^٢ غايته وأتم نهايته، وإن كان عالما بأخبار الأولين فبصحة
مقتضاها فيه، وإن كان حكيمًا فبالإعلام الآتم بوجه تقاضى المقربات،
و بالجملة فـا يكون^٣ لاحد أصل من عقل وحظ من علم - أى علم كان -
إلا ويمجد له موقعا في القرآن، يفي له بحظ بيان علوم مرتبة أنبائه على نهاية^٤
مدركه منه بمقدار لا يرتاب في وقوعه فوق طور الخلق، فكان^٥ آية
باقية دائمة لم يتفاوت في تلقيه أول سامع له من آخر سامع في وجه سماعه،
فكل نبى فقدت آيته بفقده أو بفقد وقت ظهورها على يديه، وآية محمد
صلى الله عليه وسلم باقية ببقاء الله، فجهاث ظهور إعجازه تأتى^٦ على حظوظ
أصناف الخلق من وجوه الإدراك، لا يتعين لظهور^٧ الإعجاز فيه جهة،^٨
ولا يفقد ناظر فيه حظا يتطرق بمقدار^٩ إدراكه منه إلى يقين^{١٠} وجه إعجازه،
وذلك لما كان محيطا بكل تفصيل و كل إجمال، ولم يفرط فيه من شيء،
و كان تفصيلا لكل شيء وإحاطته بآبئات كل رتبة من رتب^{١١}
حكمة الله تعالى لم يقدر أحد من الخلق في التوقف عن الإيمان به من
الجن والإنس والاحمر والأسود وجميع خلق الله، من يعرفه الناس^{١٢}
منهم ومن لا يعرفونهم بمن أحاط بهم^{١٣} علم العالمين بأعلام الله، ومن

(١) من ظ ومد، وفي الأصل: اكمال (٢) من ظ ومد، وفي الأصل: اعنى .
(٣) زيدت الواو في ظ ومد (٤) في ظ : وكان (٥) زيد في الأصل و ظ :
على ظهور تأتى، ولم تكن الزيادة في مد فخذناها (٦) من ظ ومد، وفي
الأصل: لظهورها (٧) في ظ ومد: تعين (٨) في ظ: رتبة (٩) في ظ ومد: به .

حكم إحاطة كتابه كان يمكناً من عالية^١ كل آية جاء بها نبي قبله من شاهد ذلك منه خاطروا، ونقله نقل التواتر والاستفاضة حلة العلم خلفاً عن سلف^٢ ثم رتب قياساً على إنبات النبوة فقال: [إن -^٣] محمدًا صلى الله عليه وسلم ذو آية هذا القرآن المشهود، وهذا القرآن المشهود معجز كل ذي إدراك، وأبشرى من كل جهة من جهات معانيه وبلاغته، فذو آية هذا القرآن نبي، فمحمد^٤ صلى الله عليه وسلم [نبي -^٥]، أما أن محمدًا صلى الله عليه وسلم ذو آية فبالتجربة السمعية المتينة المسماة بالتواتر، و[أما -^٦] أن هذا القرآن معجز فيما يحده كل ناظر في معناه المشتمل على تمام الحكمة فيما هو كائن ونبأ ما كان^٧ من قبل وخبر ما يكون بعد المتيقن^٨ بوقوع ١٠ أوائله وقوع جملة وصحة خبره، وبذلك يتضح أن ذا آية نبي، ثم بما تضمنته من شهادته لذي آية^٩ وتصريحه بذلك لمحمد صلى الله عليه وسلم، فصح^{١٠} أن محمدًا صلى الله عليه وسلم ذو آية، وأنه نبي - صلى الله عليه وسلم، والمستعمل في ذلك أن محمدًا صلى الله عليه وسلم تحدى بهذا القرآن [العرب -^{١١}] الفصحاء واللد البلاغاء، فلما لجأوا^{١٢} للحرب ١٥ وضح أنهم فروا لذلك لما وجدوه في أنفسهم من العجز، وإذا عجز أولئك فمن بعدهم أحق بالعجز، فلما شمل العجز الكل^{١٣} من الخلق،

(١) في ظ: حاله (٢) زيد من ظ و مد (٣) سقطت الواو من ظ و مد (٤) من ظ و مد، وفي الأصل: مجد (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و مد، وفي الأصل: يكون (٧) من ظ و مد، وفي الأصل: التيقن (٨) في ظ و مد: فوضح (٩) من ظ و مد، وفي الأصل: جاوا (١٠) من ظ و مد، وفي الأصل: عجزوا (١١) في ظ: لكل .

وجب العلم بأن هذا القرآن حق ، و المتحدى به نى جاء بالصدق ، و حاصله :
 لو لم تعجز العرب ^١ لم تحارب لمكان ثقل الحرب و خفة المعارضة لو
 استطاعوها ، و لم يعارضوا و حاربوا / فقد عجزوا ، ثبت بذلك أنه نبي
 صلى الله عليه و سلم - انتهى .

٨٩/

و لما كان من المعلوم أنهم يقولون : نحن لا نصدق أن هذا الكتاب ه
 من عند الله فضلا عن أن نكتفى^٢ به ، قال : ﴿ قل ﴾ أى جوابا لما قد
 يقولونه^٣ من نحو هذا : ﴿ كفى بالله ﴾ أى الحائز لجميع العظمة و سائر
 السمات ، الذى شهد لى بالرسالة فى كتابه الذى أثبت أنه كلامه عجز
 الخلق عن^٤ معارضته .

و لما كانت العناية فى هذه السورة بذكر الناس ، و تفصيل أحوالهم ،
 ابتداء بقوله : ﴿ بينى و بينكم ﴾ قبل قوله : ﴿ شهيد ﴾ - بخلاف الرعد^٥
 و الأنعام^٦ ، ثم وصف^٧ الشهيد أو علل كفايته بقوله : ﴿ يعلم ما فى السموات ﴾
 أى كلها . و لما لم يكن للأرض^٨ غير هذه التى يشاهدونها ذكر فى إتيان
 الوحى و القرآن منها ، أفرد فقال : ﴿ الأرض ﴾ أى لا يخفى عليه^٩ شىء
 من ذلك^{١٠} فهو عليم بما ينسبونه إلى^{١١} من القول عليه : بما أنسبه أنا إليه ١٥

(١) فى ظ : القرب (٢) من مد ، و فى الأصل : ظ : يكتفى (٣) فى ظ :
 يقولوه ، و فى مد : يقولوه (٤) فى ظ : من (٥) راجع آية ٤ (٦) راجع آية ٩ ،
 (٧-٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : فوصف (٨) من مد ، و فى الأصل
 و ظ : الأرض (٩-٩) سقط ما بين الرقین من ظ (١٠) من ظ و مد ،
 و فى الأصل : إليه .

نظم الدرر (سورة النكبات ٢٩ : ٥٢ - ٥٥) ج - ١٤

من هذا القرآن الذى شهد لى به عجزكم عنه فهو شاهد لى ، والله فى الحقيقة هو الشاهد لى ، بما فيه من الثناء على ، والشهادة لى بالصدق ، لانه قد ثبت بالعجز عنه أنه 'كلامه' وسيحقق^١ بالعقل لإبطال المبطل منا .

ولما كان التقدير : وأنتم تعلمون أنه قد شهد لى بأن^٢ على الحق ،

هـ وأن كل ما خالف ما جئت به فهو باطل ، فالذين آمنوا بالحق وكفروا بالباطل فأولئك هم الفآزون ، عطف عليه قوله : ((والذين آمنوا بالباطل) أى الذى لا يجوز الإيمان به من كل معبود سوى الله ((وكفروا بالله لا الذى يجب الإيمان به والشكر له ، لأن له الكمال كله وكل ما سواه هالك ليس له من ذاته إلا العدم ((اولئك)) البعداء البغضاء ((هم))

١٠ أى خاصة ((الخسرون)) أى المريقون^٣ فى الخسارة ، فانهم خسروا أنفسهم أبدا .

ولما كان قولهم مرة واحدة "لولا انزل عليه آية" عجبا . أتى بعد إخباره بخسارتهم باعجب منه ، وهو استمرار استعجالهم بما لا قدرة لهم على شيء منه من عذاب الله فقال : ((ويستعجلونك)) أى يطلبون

١٥ تعجيلك فى كل وقت ((بالعذاب)) ويجعلون تأخره عنهم شبهة لهم فيما يزعمون من تكذيب ((ولولا اجر مسمى)) قد ضرب لوقت عذابهم لا تقدم فيه ، لا تأخر ((لجاءهم العذاب)) وقت استعجالهم ، لأن القدرة تامة والعلم محيط .

(١) من ظ و مد ، وفى الاصل : ان (٢) فى ظ : سيحقق (٣) فى ظ : انى .
(٤) سقط من ظ و مد (٥) فى ظ : المريقون (٦) سقط من ظ .

ولما أفهم هذا أنه لابد من إتيانه، صرح به في قوله مؤكدا رداً
على استهزائهم المضمن للانكار: ﴿ وليأتينهم ﴾ ثم هوّله بقوله: ﴿ بقية ﴾
أكد معناها بقوله: ﴿ وهم لا يشعرون ﴾ بل هم في غاية الغفلة عنه
والاشتغال بما ينسبه، ثم زاد [في - ٢] التعجب من جهلهم بقوله
مبدلاً: ﴿ يستعجلونك بالعذاب ﴾ أى يطلبون منك إيقاعه بهم ناجزاً
ولو كان في غير وقته الأليق [به - ٢]، فلو علموا ما هم سائرون إليه
لتمنوا أنهم لم يخلقوا فضلاً عن أن يستعجلوا، ولا عملوا جميع جهدهم في
الحلاص منه.

ولما كان دخولهم النار لابد منه لإحاطة القدرة بهم، قال مؤكداً
/ لإنكارهم الآخرة باثبات أخص منها: ﴿ وإن جهنم ﴾ التى هى من عذب ٩٠ / ١
الآخرة ﴿ لمحيط ﴾ أى بما هى مهيأة له، لأنه لا يفوتها شيء منه، لأن
الذى أعدها عليم قدير، وقال: ﴿ بالكافرين ﴾ موضع بهم تبيينها
على ما استحقوا به عذابها، وتعميماً لكل من اتصف به.

ولما كان هذا كله دليلاً على إنكارهم قال: ﴿ يوم ﴾ أى يعلمون
ذلك [يوم - ٢] ﴿ يغشاهم العذاب ﴾ أى يلحقهم ويلصق بهم ما
لا يدع لهم شيئاً يستعديونه، ولا أمراً يستلذونه. وانه على عدم استغراق

(١) ن: مد، وى الأصل و ظ: هول (٢) زيد من ظ و مد: فى مد:
المتعجب (٤) فى ظ و مد: ونو (٥) من ظ و مد، وى الأصل: من (٦) فى
ظ: بجميع (٧) فى ظ: كان (٨) زيد بعده فى الأصل: دراً، ولم تكن الزيادة
فى ظ و مد فحدثاها (٩) فى ظ و مد: دالا.

نظم الدرر (سورة العنكبوت ٢٩ : ٥٥ و ٥٦) ج - ١٤

جهة الفوق مع استعلائه عليهم باثبات الجار فقال : ﴿ من فوقهم ﴾
ولما أفهم ذلك الإحاطة بما هو أدنى من جهة الفوق، صرح به فقال :
﴿ من تحت أرجلهم ﴾ فلم بذلك إحاطته بجميع الجوانب، وصرح
بالرحل تحقيقاً للآدمي^٢ ﴿ ويقول ﴾ أى الله فى قراءة نافع^٣ وعاصم^٤
و حمزة^٥ والكسائى بالتحثانية جرياً على الأسلوب الماضى، أو نحن بعظمتنا^٦
فى قراءة الباقرين بالنون^٧ ترويحاً بالالتفات إلى مظهر العظمة^٨ : ﴿ ذوقوا ﴾
ما سيده لكم ﴿ ما كنتم ﴾ بغاية الرغبة ﴿ تعملون ﴾ أى فى ذلك اليوم
تعملون^٩ ذلك حق اليقين بعد علمكم له عين اليقين^{١٠} بسبب تكذيبكم^{١١}
بعلم اليقين .

١٠. ولما أبلغ فى الإنذار، وحذر من الأمور الكبار، ولم يهمل
الإشارة إلى الصغار، وكانت هذه الآيات فى المتعنتين من الكفار، وكان
قد كرر أن هذه المواعظ إنما هى للؤمنين، قال مخاطباً لهم معرضاً عن
سواهم إذا كانت أسماعهم ليلغ هذه المواعظ قد أصغت، وقلوبهم
لجليل هذه الإنذارات قد استيقظت، التفاتاً على^{١٢} قراءة الجمهور إلى

(١) فى ظ و مد : او هـ (٢) فى ظ و مد : الامر (٣-٣) سقط ما بين الرقين
من ظ و مد، و راجع أيضاً نثر المرجان ٢٦١ (٤) فى الأصل وظ : جارياً (٥) فى
ظ و مد و « (٦) من ظ و مد، وفى الأصل : فعظمتنا (٧-٧) سقط ما بين
الرقين من مد (٨) من ظ و مد، وفى الأصل و مد : يعملون (٩-٩) من ظ و مد،
وفى الأصل : سبب تكذيبهم (١٠) من ظ و مد، وفى الأصل : « (١١) من
ظ و مد، وفى الأصل : إلى، و راجع أيضاً نثر المرجان ٢٦١ / ٥ .

التلذذ فى المناجاة بالإفراد والإبعاد من مداخل التعت : (يغادى)
فشرهم بالإضاعة ، و لكنه لما أشار بأداة البعد إلى أن فيهم من لم يرسخ ،
حقق ذلك بقوله : (الذين آمنوا) أى [وإن -] كان الإيمان باللسان
مع أدنى شعبة من القلب .

و لما كان نزول هذه [السورة -] بمكة ، وكانوا بها مستخفين ه
بالعبادة^٢ خوفا من الكفار ، وكانت هجرة الأهل و الأوطان شديدة ، قال
مؤكدًا تنبيها على أن حال من ترك الهجرة حال من يظن أن الأرض
ضيقة : (إن أرضى واسعة) أى فى الذات و الرزق و كل ما تريدون
من الرفق ، فإن لم تتمكنوا بسبب هؤلاء المعاندين الذين يفتنونكم فى دينكم
و يمنعونكم من الإخلاص [إلى -]^١ فى أرضكم و الاجتهاد فى عبادتى حتى ١٠
يصير الإيمان لكم وصفا ، فهاجروا إلى أرض تتمكنون فيها^٣ من ذلك .
و لما كانت الإقامة بها قبل الفتح مؤدية^٤ إلى الفتنة ، و كان المفتون
ربما طاولع بلسانه ، و كان ذلك و إن كان القلب مطمئنا بالإيمان فى صورة
الشرك قال : (فايأى) أى خاصة بالهجرة إلى أرض تأمنون فيها اعبدوا
و قنبهوا (فاعبدون .) بسبب ما دبرت لكم من المصالح من توسيع ١٥
الأرض و غيره ، عبادة لاشرى فيها ، لا باللسان و لا بغيره و لا استخفافا
بها و لا مراعاة لمخلوق فى معصيته ، و لا شئ يجر إليها بالهرب عن بمنعكم
من ذلك إلى من يعينكم عليه .

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : مؤل (٣) فى ظ :
عبادة (٤) زيد من مد (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : بها (٦) من ظ
و مد ، وفى الأصل : يوده .

ولما كانت / الهجرة شديدة المرارة لأنها مرت في المعنى من حيث كونها مفارقة المألوف^١ المحبوب من العشير والبلد^٢ والمال، وكان في الموت ذلك كله زيادة، قال^٣ مؤكداً بذلك مذكراً به^٤ مرهبا من ترك الهجرة: ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ أى مفارقة كل ما ألفت حتى بدنا ه طالما لابسته، وآنسها وآنسته، فإن أطاعت ربها أنجحت نفسها ولم تنقصها الطاعة من الأجل شيئاً، وإلا أوبقت نفسها ولم تزدها المعصية في الأجل شيئاً، فإذا قدر الانسان أنه مات سهلت عليه الهجرة. فانه إن لم يفارق بعض مألوفه^٥ بها فارق كل مألوفه [بالموت - ٦]، وما ذكر الموت في عسير إلا يسره، ولا يسير إلا عسره وكدره.

١٠ ولما هوّن أمر الهجرة، حذر من رضى في دينه بنوع نقص لشيء من الأشياء حثا على الاستعداد بغاية الجهد في الزود للمعاد فقال: ﴿ثم اليّا﴾ على عظمتنا، لا إلى غيرنا ﴿ترجعون﴾ على أيسر وجه، فيجازى كلا منكم بما عمل.

ولما كان التقدير: فالذين آمنوا فلبسوا إيمانهم بنوع نقص لنقصاتهم ١٥ في جزائهم، والذين كفروا لتركسهم^١ في جهنم ذرّكات^٢ تحت ذرّكات (١) من ظ و مد، وفي الأصل: الماوقات (٢) في ظ و مد: (الوادي - م) في ظ و مد: مذكراً بذلك (٤) من ظ و مد، وفي الأصل: لا (٥) في ظ: ماوفاته (٦) زيد من ظ و مد (٧ - ٧) من مد، وفي الأصل: على عليه، وفي ظ: بما عمله - كذا (٨) من مد، وفي الأصل و ظ: تركتهم - كذا (٩) من ظ و مد، وفي الأصل: ودكات.

فبئس مثوى الظالمين، ولكنه لما تقدم ذكر العذاب قريبا، وكان القصد هنا الترغيب فى الإيمان كيفما كان، طواه ودل عليه بأن عطف عليه قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا﴾ أى تصديقا لإيمانهم ﴿الصلحت﴾ أى كلها.

ولما كان الكفار يتكبرون البعث، فكيف ما بعده، أكد قوله: هـ ﴿لنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾ أى لنسكتهم فى مكان هو جدير بأن يرجع إليه من حسنه وطيبه من خرج منه لبعض أغراضه، وهو معنى ﴿من الجنة غرقا﴾ أى بيوتا عالية تحتها قاعات واسعة بهية عالية، وقريب من هذا المعنى قراءة حمزة والكسائى^٢ بالثاء المثلثة من ثوى بالمكان - إذا أقام به.

و لما كانت العلالى لا تروى^٣ إلا بالرياض قال: ﴿يجرى﴾ و لما ١٠ كان عموم الماء لجهة التحت بالعذاب أشبه^٤، بعضه فقال: ﴿من تحتها الأنهر﴾ ومن المعلوم أنه لا يكون فى موضع أنهار، إلا كان به^٥ بساتين كبار، وزروع ورياض وأزهار - فيشرفون عليها من تلك العلالى.

و لما كانت بحالة لا نكد فيها^٦ يوجب هجره فى لحظة ما، كنى عنه بقوله: ﴿تخلدين فيها^٧﴾ أى لا يغفون عنها حولا، ثم عظم أمرها، ١٥ شرف قدرها، بقوله: ﴿نعم اجر العاملين﴾ ثم وصفهم بما يرغب فى الهجرة، فقال معرفا بجماع الخير [كله -^٨] الصبر وكونه على جهة التفويض لله،

(١ - ٢) فى ظ: اكبه بقوله (٢) فى ظ: عليه (٣) راجع نثر المرجان ٥/٢٦٢. (٤) من مد، وفى الأصل وظ: كان (٥) من ظ ومد. وفى الأصل: لاترون. (٦) من ظ ومد، وفى الأصل: شبه (٧) سقط من ظ ومد (٨) من ظ ومد، وفى الأصل: بها (٩) زيد من ظ ومد.

نظم الدرر (سورة العنكبوت ٢٩: ٥٩ - ٦١) ج - ١٤

منها على أن الإنسان لا ينفك عن أمر شاق ينبغي الصبر عليه :
 (الذين صبروا) أى أوجدوا هذه الحقيقة حتى استقرت عندهم فكانت
 بحجة لهم، فأوقعوها على كل شاق من التكليف من هجرة و غيرها .
 و لما كان الإنسان إلى المحسن إليه أميل، قال مرغبا في الاستراحة
 ٩٢ / ٥ بالتفويض إليه : (و على ربهم) أى وحده لا على / أهل و لا وطن
 (يتوكلون) أى [يوجدون التوكل إيجادا مستمرا التجديد عند كل مهم
 يعرض لهم -] فى إرزاقهم بعد الهجرة و غيرها^١ و جهاد أعدائهم و غير
 ذلك من أمورهم .

و لما أشار بالتوكل إلى أنه الكافى فى أمر الرزق فى الوطن و الغربة،
 ١٠ لا مال و لا أهل، قال عاطفا على ما تقديره : فكأى من متوكل^٢ عليه كفاه،
 و لم يحوجه إلى أحد سواه، فليبادر من أنقذه من الكفر و هداه إلى
 الهجرة طلبا لرضاه : (و كان من دآبته) أى كثير من الدواب العاقلة
 و غيرها (لا تحمل) أى لا تطيق أن تحمل (رزقها) و لا تدخر
 شيئا لساعة أخرى، لأنها قد لا تدرك^٣ قمع ذلك، و قد تدركه
 ١٥ و تتوكل، أو لا تجد .

و لما كان موضع أن يقال : فمن يرزقها؟ قال جوابا له : (الله)
 أى المحيط علما و قدرة، المتصف بكل كمال (يرزقها) و هى لا تدخر
 (و اياكم) و أنتم تدخرون، لافرق بين ترزيقه لها على ضعفها و ترزيقه لكم
 (١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد، وفى الأصل : فيها (٣) من ظ و مد،
 وفى الأصل : توكل (٤) سقط من ظ .

نظم الدرر (الجزء الحادى والعشرون) ج - ١٤

على قوتكم وادخاركم ، فان الفريقين تارة يحدون وتارة لا يحدون ،
فصار الادخار وعدمه غير معتد به ولا منظورا إليه .

ولما كان أهم ما للحيوان الرزق ، فهو لا يزال فى تديره بما يهجر^١
فى ضميره وينطق به إن كان ناطقا ويهمهم به إن كان صامتا ، أما العاقل^٢
فأمرور كلية ، وأما غيره فبأشياء جزئية وحدانية ، وكان العاقل ربما قال : ه
إنى لا أقدر على قطع العلائق من ذلك ، قال تعالى : (وهو السميع)
أى لما يمكن أن يسمع فى أمره وغير أمره (العليم) أى بما يعلم من
ذلك . وبما يصير إليه أمركم وأمر عدوكم ، فهو لم يأمركم بما أمركم به
إلا وقد أعد له أسبابه ، وهو قادر على أن يسبب لما اعتمد عليه الإنسان
من الأسباب المنتجة عنده ولا بد ما يعطله ، وعلى أن يسبب للتوكل ١٠
القاطع للعلائق ما يغنيه ، ومن طالع كتب التصوف وتراجم القوم
وسير السلف - نقعنا الله بهم - وجد كثيرا من ذلك بما يبصره
ويسليه ويصبره .

ولما هوّن سبحانه أمر الرزق بخطابه مع المؤمنين بعد أن [كان
قد - ٢] أبلغ فى تنبيه الكافرين بایضاح المقال ، وضرب الامثال ، ولین ١٥
المحاورة فى الجدل ، ولما كان الملك لا يتمكن غاية التمكن من رزق من فى
غير مملكته ، قال [عاطفا على نحو : فلئن سألتهم عن ذلك لصدقك - ٢]

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل : يهجر (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل :
الغافل (٣) زيد من ظ و مد .

عائدا إلى استعطاف المعرضين، و اللطف بالغافلين، نالجا في تفتين الوعظ
 - أعنى طرق الحكمة، فإن التبتد إذا كان له عبدان: مصلح و مفسد، يتخضع
 المفسد، فإن لم يسمع التفت إلى المصلح، إعراضا عنه قائلا: هذا لا يستحق
 الخطاب^١، فاسمع أنت و لاتكن مثله، فكان^٢ قوله متضمنا نصح المصلح
 ه و وجر المفسد، ثم إذا سمع^٣ وعظ أخيه كان ذلك محركا منه بعد
 التحريك بالإعراض و الذم بسوء النظر لنفسه و قلة الفطنة^٤، فإذا خاطبه
 بعد هذا وجده متهيئا للقبول، نازعا إلى الوفاق، مستهجنا للخلاف:
 ﴿و لئن سألتهم﴾ أى "المؤمنين و غيره"، و أغلب^٥ القصص له:
 ﴿من خلق السموات و الأرض﴾ و سواهما على هذا النظام العظيم
 ١٠ ﴿و سخر الشمس و القمر﴾ لإصلاح الأقوات، و معرفة الأوقات،
 و غير ذلك / من المنافع .

/ ٩٣

ولما كان حالهم فى إنكار البعث حال من ينكر أن يكون
 [سبحانه -^١] خلق هذا الوجود، أكد^٢ تنبيهها على أن الاعتراف بذلك
 يلزم منه قطعا الاعتراف بالبعث فقال: ﴿ليقولن الله ج﴾ أى الذى له
 ١٥ [جميع -^١] صفات الكمال لما قد تقرر فى فطرهم من ذلك و تلقفوه عن
 أبائهم موافقة للحق فى نفس الأمر .

و لما كان حال من صرف الهمة^٣ عنه عجبا يستحق أن يسئل عنه

(١) فى ظ : بالخطاب (٢) فى ظ : و كان (٣) سقط من ظ (٤) من ظ و مد ،
 و فى الأصل : الغبطة (٥ - ٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : المؤمنين وغيرهم
 و اطلب (٦) زيد من ظ و مد (٧) فى ظ : أكره (٨) من ظ و مد ، و فى
 الأصل : التهمة .

على وجه التعجب منه إشارة إلى أنه لا وجه له، قال: (فانى) أى فكيف و' من أى وجه (بؤفكونه) أى يصرف من صارف ما من لم يتوكل عليه أو [لم - ٢] يخلص له العبادة فى كل أحواله، وجميع أفعاله و أفعاله، عن الإخلاص له مع إقرارهم بأنه لاشريك له فى الخلق فيكون وجهه إلى قفاه فينظر الأشياء على خلاف' ما هى عليه فيقع فى ه خبط' العشواء وحيرة العجباء' .

ولما كان قد يشكل على ذلك التفاوت فى الرزق عند كل' من لم يتأمل [حق التأمل - ٢] فيقال: بكل الخلق والرزق له، فما بالهم متفاوتين فى الرزق؟ قال: (الله) أى بما له من [العظمة و - ١] الإحاطة بصفات الكمال (يسيطر الرزق) بقدرته التامة (لمن يشاء من عباده) على ١٠ حسب ما يعلم من بواطنهم (و يقدر) أى يضيّق .

ولما كان [ذلك - ٢] إنما هو لمصالح العباد وإن لم يظهر لهم وجه حكمته قال: (له') أى لتظهر من ذلك قدرته وحكمته، وأنت ترى الملوك وغيرهم من الأقوياء يفاوتون' فى الرزق بين عماهم بحسب ما يعملون' من علمهم الناقص بأحوالهم، فما ظنك بملك الملوك العالم علما لا تدنو من ساحته ظنون ولا شكوك، وهذه الآية نتيجة ما قبلها .

ولما كان سبحانه يرزق' الناس، ويمكن لهم بحسب ما يعلم من

- (١) سقطت الواو من ظ و مد (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى ظ و مد: غير.
(٤-٥) سقط ما بين الرقيين من ظ و مد (٥) سقط من ظ و مد (٦) زيد من ظ (٧) من ظ و مد: وفى الأصل: بتفاوتون (٨) فى ظ: يعملون.
(٩) فى ظ: رزق .

نظم الدرر (سورة العنكبوت: ٢٩ و ٦٢ و ٦٣) ج - ١٤

ضمائرهم أنه لاصلاح إلا فيه^١، قال معللا لذلك ومؤكدا رداً على من
يعتقد أن ذلك إنما هو من تقصير بعض العباد و تشمير بعضهم، معللًا
بأنه يحيط العلم فهو يحيط القدرة [فهو -^٢] الذي سبب تعجز بعضهم^٣
وطاقة الآخرين للآزمة القدرة العلم: (إن الله) أي الذي له صفات
الكمال (بكل شيء) [أي -^٢] من المرزوقين و من الارزاق وكيف
تمنع أو تساق و غير ذلك (عليم) فهو على ذلك كله قدير، يعلم ما
يصلح العباد من ذلك و ما يفسدهم، و يعطيهم بحسب ذلك إن شاء، و كم
رام بعض الأقويا إغناء فقير و إفقار غنى، فكشف الحال عن فساد
ما راموا من الانتقال.

١٠. و لما ثبت بهذا شمول علمه، لزم تمام قدرته كما برهن عليه في ظله،
فقال مشيراً إلى ذلك ذاكرًا السبب القريب في التزيق^٤ بعد ما^٥ ذكر
البعيد^٦، فإن الاعتراف بأن هذا السبب منه يستلزم الاعتراف بأن المسبب^٧
أيضاً منه: (و لئن سألتهم من نزل^٨) بحسب التدرج على حسب ما
[فعل -^٢] في التزيق، [و لما كان ربما ادعى مدع أنه استنبط ماء فأنزله
١٥ من جبل و نحوه، ذكر ما يختص به سبحانه سالماً عن دعوى المدعين
فقال -^٢]: (من السماء ماء) بعد أن كان مضبوطاً في^٩ جهة العلو

(١) في ظ: به (٢) زيد من ظ و مد (٣-٤) من ظ و مد، وفي الأصل:
بعض عجزهم (٤) زيد في الأصل: ماء، ولم تكن الزيادة في ظ و مد لحذفها.
(٥) سقط من ظ (٦) من مد، وفي الأصل: العبد (٧) من ظ و مد، وفي
الأصل: السبب (٨) تكرر في الأصل ققط (٩) في ظ: من.

(فاجبا) [ولما كان أكثر الأرض يحى بماء المطر من غير حاجة إلى سقى، قدم الجار فقال -^١]: (به الأرض) الغبراء، وأشار بآيات الجار إلى قرب الإنبات^٢ / من زمان المات، [وإلى أنهم^٣ لا يعلمون إلا الجزئيات الموجودة المحسوسة، ولا تنفذ عقولهم إلى الكليات^٤ المعقولة فتؤذ أهل الإيمان ليعلموا أن ما أوجده سبحانه^٥ بالفعل في وقت فهو موجود إما بإيجاده إذا أراد، فالأرض حية بأحيائه سبحانه^٦ بسبب المطر في جميع الزمن الذى هو بعد الموت بالقوة كما أنها حية في بعضها بالفعل -^٧] فقال: (من بعد موتها) فصارت خضراء تهتز بعد أن لم يكن بها شيء من ذلك، و أكد لئلا^٨ ما تقدم من التنبيه على أن^٩ حالهم في إنكار البعث حال من ينكر أن يكون الله صانع ذلك، باللازمة القدرة عليه القدرة^{١٠} على البعث [بقوله -^١]: (ليقولن الله^٢) وهو الذى الكمال كله، فلزمهم توحيده .

فلما ثبت أنه الخالق بدما وإعادة كما يشاهد في كل زمان، قال منها على عظمة صفاته اللازم من إثباتها صدق رسوله صلى الله عليه وسلم: (قل) معجبا منهم في جودهم حيث يقرون بما يلزمهم التوحيد ثم ١٥ لا يوحدون: (الحمد) أى الإحاطة بأوصاف الكمال كلها (الله) الذى لا سى له وليس لاحد غيره إحاطة بشيء من الأشياء، فلزمهم^٣ الحجة بما

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٢) من ظ و مد، وفي الأصل: اسات - كذا (٣) غير واضح في ظ و مد (٤-٤) سقط ما بين الرقمن من ظ (٥) في ظ: المثل (٦-٦) من ظ و مد، وفي الأصل: إنكارهم في حال - كذا (٧) في مد: فلزمهم .

نظم الدرر (سورة العنكبوت ٢٩: ٦٣ و ٦٤) ج - ١٤

أقروا به من إحاطته، وهم لا يثبتون ذلك باعراضهم عنه
 ﴿بل أكثرهم لا يعقلون﴾ [أى لا يتجدد لهم عقل، بعضهم مطلقا لأنه
 مات كافرا -^١] حيث هم مقرون بمعنى الحمد من أنه الخالق لكل شيء
 بدءا وإعادة ثم يفعلون ما ينأى ذلك فيشركون به غيره عما هم معترفون
 به بأنه خلقه ولا يتوكلون في جميع الأمور برا وبحرا عليه ويوجهون العباداة
 خالصة إليه، فهم لا يعرفون معنى الحمد حيث لم يعملوا به، [و منهم من
 آمن بعد ذلك فكان فى الذروة من كمال العقل فى التوحيد الذى يتبعه
 سائر الفروع، ومنهم من كان دون ذلك، فكان نقي العلم عنه مقيدا
 بالكمال -^١].

١٠ ولما تبين بهذه الآيات أن الدنيا مبنية على الفناء والزوال، والقلعة
 والارتحال،^١ وصح أن السرور بها فى غير موضعه فلذلك قال تعالى
 مشيرا بعد سلب العقل عنهم إلى أنهم فيها كالبهائم يتهارجون:
 ﴿وما هذه الحياة الدنيا﴾ فخرها بالإشارة ولفظ الدناءة مع الإشارة
 إلى أن الاعتراف بهذا الاسم كافٍ فى الإلزام بالاعتراف بالآخرى.
 ١٥ ولما كان مقصود السورة الحث على الجهاد والنهي عن المنكر،

وكان فى معرض سلب العقل عنهم، قدم اللهو لأن الإعراض عنه يحسم
 مادة الشر فانه الباعث عليه فقال: ﴿الاهو﴾ أى شيء يلهى عما ينفع

(١) سقط من ظ و مد (٢) زيد ما بين الحاذرين من ظ و مد (٣) من مد،
 وفى الأصل و ظ: بوجيئون (٤) فى ظ: الانتقال (٥) سقط من ظ (٦) من ظ
 و مد، وفى الأصل: بالآخرة.

(و لعب^١) يشتغل به صيدان العقول، وكل غافل و جهول، فان الله
كل شيء من شأنه أن يعجب النفس كالغناء والزينة من المال والنساء
و غيره، فيحصل به فرح و زيادة سرور، فيكون سببا للغفلة و الذهول
و النسيان و الشغل عن^٢ استعمال العقل في اتباع ما ينجى في الآخرة
فينشأ عنه الضلال - على ما أشارت إليه آية لقمن^٣ "ليشترى لهو الحديث
ليضل عن سبيل الله" و منه اللعب، و هو فعل ما يزيد النفس في دنياها
سرورا كالرقص بعد السماع و ينقضى بسرعة لانه ضد الجد و مثل الهزل،
و [هو -^٤] كل شيء سافل، و كل باطل يقصده زيادة البسط و الترويح
و التماهى في قطع الزمان فيما يشتهى من غير تعب، و اللعبة - بالضم:
التمثال، و ما يلعب به كالشطرنج، و الاحق يسخر به، و لعب لعبا: ١٠
مرح، و فى الامر و الدين: استخف به^٥.

و لما كانوا ينكرون الحياة بعد الموت، أخبر على سبيل التأكيد أنه
لا حياة غيرها فقال: (و ان الدار الآخرة لهي) أى خاصة (الحيوان^٦)
أى الحياة التامة الباقية العامة / الوافية نفسها من حيث أنه لاموت فيها
و لافناء لشيء من الأشياء، و لذلك اختير هذا البناء الدال على المبالغة، ١٥
و حركته مشمرة بما فى الحياة من مطلق الحركة و الاضطراب، فلا انقضاء^٧
لشيء من لعبها و لا لهوها الذى [لا-^٨] يوافق ما فى الدنيا إلا فى الصورة فقط

(١) فى الأصل فقط: لعب - خطأ (٢) العبارة من هنا إلى * و ينقضى
بسرعة * ساقطة من مد (٣) آية ٦ (٤) فى ظ: بعده (ه) زيد من ظ و مد.
(٦) سقط من ظ و مد (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: انفصال.

نظم الدرر (سورة العنكبوت ٢٩ : ٦٤ - ٦٦) ج - ١٤

لا^١ في المعنى ، لأنه ليس فيها شيء ساقط لا في الباعث ولا في المبعوث^٢
إليه ، بل كل ذلك بالتسريح والتفديس وما يترتب عليه من المعاوف^٣
والبسطة والترويح ، والانشراح والانس والتفريح .

ولما كانوا [قد - ^٤] غلطوا في الدارين كليهما فأنزلوا^٥ كل واحدة
منهما غير منزلتها ، فهدوا الدنيا وجودا دائما على هذه الحالة والآخرة
عدما ، لا وجود لها بوجه ، قال : (لو كانوا) [أى - ^٦] كوننا هو
كالجبل (يعلمون) أى لهم علم ما لم يغلطوا في واحدة منهما فلم يركبوا
مع إثباتهم للحياة وشدة فقرتهم من الموت ، لاعتقادهم أن لا قيام بعده
إلى الدنيا ، مع أن أصلها عدم الحياة الذى هو الموتان .

١٠ ولما ختم هذه الآية بما أفهم أنهم لا يعلمون ، والتى قبلها بأن
أكثرهم لا يعقلون ، سبب عن ذلك قوله : (فاذا) أى قسب عن
عدم عقلهم المستلزم لعدم علمهم أنهم إذا (ركبوا) أى البحر
(فى الفلك) أى السفن (دعوا الله) أى الملك الأعلى المحيط بكل
شئ . إذا أصابتهم مصيبة^٧ خافوا منها الهلاك (مخلصين) بالتوحيد
١٥ (له الدين) بالإعراض^٨ عن شركائهم بالقلب واللسان ، لما هم له محققون
أنه لا منجى^٩ عند تلك الشدائد غيره (فلما مجئهم) أى الله سبحانه ،
موصلا [لهم - ^{١٠}] (إلى البر إذا هم) أى حين الوصول إلى البر

(١) فى ظ : الا (٢) من ظ ومد ، وفى الأصل : البعوث (٣) فى ظ : فى (٤) زيد
من ظ ومد (٥) فى النسخ : فزلوا ، والسياق يقتضى ما أثبتناه (٦) سقط
من ظ (٧) فى ظ ومد : معرضين (٨) فى ظ : لا ينجى (٩) زيد من مد .

(يَشْرُكُونَ لَا) فصَحَّ أَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ، لِأَنَّهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ، حَيْثُ تَرَوْنَ
 بَعْضَ آلِهَتِهِمْ وَ يَشْرُكُونَهَا مَعَهُ ، فَفِي ذَلِكَ أَعْظَمُ التَّهْكُمِ بِهِمْ ؛ قَالَ الْبَغَوِيُّ^٢ :
 قَالَ عِكْرَمَةُ : كَانُوا إِذَا رَكَبُوا الْبَحْرَ حَلَّوْا [مَعَهُمْ -^٣] الْأَصْنَامَ ، فَذَا اشْتَدَّتْ
 بِهِمُ الرِّيحُ أَلْقَوْهَا فِي الْبَحْرِ وَ قَالُوا : يَا رَبِّ يَا رَبِّ . وَ قَالَ الرَّازِيُّ فِي
 اللُّوَامِعِ : وَ هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ مَعْرِفَةَ الرَّبِّ فِي فِطْرَةِ كُلِّ إِنْسَانٍ ، وَ أَنَّهُمْ ه
 إِنْ غَفَلُوا فِي السَّرَاءِ فَلَا شَكَّ أَنَّهُمْ يَلُودُونَ إِلَيْهِ فِي حَالِ الضَّرَاءِ - اُنْتَهَى .
 فَعَلِمَ أَنَّ الْإِسْتِغْثَالَ بِالدُّنْيَا هُوَ الصَّادِقُ عَنْ كُلِّ خَيْرٍ وَ [أَنْ -^٤] الْإِنْتِقَاطَ عَنْهَا
 مُعَيَّنٌ لِلْفِطْرَةِ [الْأُولَى الْمُسْتَقِيمَةِ ، وَ هَذَا نَجْدُ الْفُقَرَاءِ أَقْرَبُ إِلَى كُلِّ خَيْرٍ .
 وَ لَمَّا كَانُوا مَعَ هَذَا الْفِعْلِ -^٥] - الَّذِي لَا يَفْعَلُهُ إِلَّا الْمَلُوبُ الْعَقْلُ -
 يَدْعُونَ أَنَّهُمْ أَعْقَلُ النَّاسِ وَ أَبْصَرُهُمْ بِلَوَازِمِ الْأَفْعَالِ وَ مَا يَشِينُ الرِّجَالَ ، ١٠
 وَ كَانَ فَعْلُهُمْ هَذَا كُفْرًا لِلنِّعْمَةِ ، مَعَ ادْعَائِهِمْ أَنَّهُمْ أَشْكُرُ النَّاسِ لِلْمَعْرُوفِ ،
 قَالَ مِينَا أَنَّ عَادَتَهُمْ مُخَالَفَةُ إِعَادَةِ الْمُؤْمِنِينَ فِي [جَعْلِهِمْ نِعْمَةَ النِّجَاةِ سَبِيحًا
 لِرِيزَادَةِ طَاعَاتِهِمْ ، فَعَلِمَ أَنَّهُ مَا كَانَ إِخْلَاصَهُمْ فِي الْبَحْرِ إِلَّا صُورَةً لِاحْتِقَاقِ
 لَهَا -^٦] : (لِيَكْفُرُوا مِمَّا آتَيْنَهُمْ لَا) عَلَى عَظَمَتِهَا مِنْ هَذِهِ النِّعْمَةِ الَّتِي يَكْفِي
 فِي عَظَمَتِهَا أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ غَيْرُهَا أَنْ يَفْعَلَهَا مَا أَشْرَكُوا إِلَّا لِأَجْلِ هَذَا الْكُفْرِ ، ١٥
 وَ إِلَّا لَكَانُوا فَاعِلِينَ لَشَيْءٍ عَنْ غَيْرِ قَصْدٍ ، فَيَكُونُ ذَلِكَ فِعْلًا مِنْ لَا عَقْلَ
 لَهُ أَصْلًا وَ هُمْ يَحَاشُونَ عَنْ مِثْلِ ذَلِكَ (وَ لِيَتَمَتَّعُوا بِقُدْرَتِهِ) بِمَا يَحْتَمِعُونَ
 (١) فِي ظَ وَ مَد : عَظِيمٌ (٢) فِي مَعَالِمِ التَّنْزِيلِ بِهَامِشِ بَابِ التَّوْبِيلِ ٥ / ١٦٦ .
 (٣) زَيْدٌ مِنَ الْمَعَالِمِ (٤) زَيْدٌ مِنْ ظَ وَ مَد (٥) فِي ظَ : أَنْ (٦) مِنْ ظَ وَ مَد ،
 وَ فِي الْأَصْلِ : يَفْعَلُوا (٧) فِي ظَ وَ مَد : مِنْ .

عليه في الإشراف من التواصل و التعاون^١ ، وعند من سكن اللام
 - وم ابن كثير و حمزة و الكسائي و قالون عن نافع^٢ - يكون معطوفا
 تهديدا على مقدر هو ، فليكفروا ، أو على " ليكفروا " السابق ، على
 أن لامة للامر ، و سيأتي في / الروم^٣ إن شاء الله تعالى ما يؤسده
 ٥ ﴿ فسوف يعلمون ﴾ بوعده لا خلف فيه ما يحل بهم بهذا الفعل الذي هو
 دائر بين كفر و جنون .

و لما كان قد فعل بهم سبحانه من الأمن الشديد المديد في البر دون
 سائر العرب عكس ما ذكر من حال خوفهم الشديد في البحر ، وكان
 قادرا على إخافتهم في البر كما قدر على إخافتهم في البحر ليدوم إخلاصهم ،
 ١٠ وكان كفرهم عند الأمن بعد الإخلاص^٤ عند الخوف - مع أنه أعظم
 النقص - [هزلا -^١] لا يفعله^٢ إلا من أمن مثل تلك المصيبة في البر ،
 توجه^٣ الإنكار في نحو أن يقال : ألم يروا أنا قادرون على إخافتهم
 و إهلاكهم في البر كما نحن قادرون على ذلك في^٤ البحر كما فعلنا بنعيمهم ،
 فمطف عليه قوله : ﴿ أو لم يروا ﴾ [أي -^١] بعيون بصارهم^٢
 ١٥ ﴿ انا جعلنا ﴾ أي بعظمتنا لهم ﴿ حرما ﴾ و قال تعالى : ﴿ ائمنوا ﴾ لانه
 لا خوف على من دخله ، فلما أمن كل حال به كان كأنه هو نفس^٣ الأمن ،

(١) في ظ : ائتعارف (٢) راجع نثر المرجان ٥/ ٢٦١ (٣) آية ٤٤ (٤) في ظ و مد :
 بوعيد (٥) في ظ و مد : الخلاص (٦) زيد من ظ و مد (٧) من مد ، و في
 الأصل و ظ : لا يفعل (٨) من ظ و مد ، و في الأصل : بوجه (٩) سقط من
 ظ (١٠) زيد من ظ (١١) في ظ ، بصائرهم (١٢) في ظ و مد : نفسه .

وهو حرم مكة^١ المشرفة. وأمنه موجب^٢ للتوحيد والإخلاص،
 رغبة في دوامه، و خوفا من انصرامه، [كما كان الخوف في البحر موجبا
 للإخلاص خوفا من دوامه، ورغبة في انصرامه -^٣] (و) الحال أنه
 (يتخطف) و بناه للمفعول لأن المقصود الفعل لا فاعل معين .

ولما كان التخطف غير خاص بناس دون آخرين، بل كان جميع^٥
 العرب يغزو بعضهم بعضا، و يغير بعضهم على بعض بالقتل و الأسر
 و النهب و غير ذلك من أنواع الأذى، قال: (الناس من حولهم^٦)
 أى من حول من فيه من كل جهة تخطف^٧ الطيور مع^٨ "قلة من" بمكة
 وكثرة من حولهم^٩، فالذى خرق العادة في فعل ذلك حتى صار على هذا
 السنن قادر على أن يعكس الحال فيجعل^{١٠} من بالحرم متخففا^{١١} و^{١٢} من
 حوله آمنا، أو يجعل الكل في الخوف على منهاج واحد .

ولما تبين أنه لا وجه لشركهم و لا لكفرهم هذه النعمة الظاهرة
 المكشوفة^{١٣}، تسبب الإنكار في قوله: (افبالاطل) أى خاصة^{١٤} من الأوثان^{١٥}
 و غيرها (يؤمنون) و الحال أنه لا يشك عاقل في بطلانه، و جاء الحصر
 من حيث أن من كفر بالله تبعه الكفر "بكل حق" و التصديق بكل^{١٦}
 باطل (و بنعمة الله) التى أحدثها لهم من الإنجاء و غيره^{١٧} (يكفرون^{١٨})

(١) فى ظ: بمكة (٢) فى ظ: موجبة (٣) زيد من ظ ومد (٤) فى ظ: كىخطف.
 (٥-٥) من ظ ومد، وفى الأصل: قلته (٦) من ظ ومد، وفى الأصل:
 حوله (٧) من ظ ومد. وفى الأصل: لجعل (٨) سقط من ظ (٩) زيد فى
 ظ ومد: فوجه (١٠-١٠) من ظ ومد، وفى الأصل: باللاوثان (١١-١١) من
 ظ ومد، وفى الأصل: بحق (١٢) فى ظ: غيرهم .

حيث جعلوا موضع شكرهم له على النجاة شركهم بعبادة غيره .

ولما كان الظلم وضع الشيء في غير محله . و كان وضع الشيء في موضع لا يمكن أن يقبله [أظلم - ٢] الظلم ، كان فعلهم هذا الذي هو إنزال ما لا يعلم شيئا ولا يقدر [على شيء في منزلة من يعلم كل شيء . و يقدر - ٢] على كل مقدور أظلم الظلم ، فكان التقدير : فمن أظلم منهم في ذلك ، عطف عليه . قوله : (و من اظلم) أى أشد وضعا للأشياء في غير مواضعها ، لأنه لا نور له بل هو في ظلام الجهل يخطب (بمن افترى) أى تعمد (على الله كذبا) أى أى كذب كان من الشرك و غيره كما كانوا يقولون إذا فعلوا فاحشة : وجدنا عليها آباءنا و الله أمرنا بها (او كذب بالحق) من هذا القرآن المعجز المبين ، على لسان هذا الرسول الأمين الذى ما أخبر خيرا إلا طابقه / الواقع (لما) أى حين (جاءه) من غير إهمال ، إلى أن ينظر و يتأمل فيما جاءه من الأمر الشديد الخطر .

/ ٩٧

ولما كان التقدير : لا أحد أظلم منه ، بل هو أظلم الظالمين ، فهو كافر و مراءى جهنم . و كان من المعلوم أنهم يقولون عنادا : ليس الأمر كذلك ، قال إنكارا عليهم . و لأن فعلهم فعل المنكر ، و تقريراً لهم لأن همزة الإنكار إذا دخلت على النفي كانت للتقرير ، عدا له بمنزلة ما

- (١) في ظ و مد : موضعه (٢) من ظ و مد ، وفي الأصل : موضعه .
(٣) زيد من ظ و مد (٤) في ظ : من (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و مد ، وفي الأصل : اشر (٧) زيد في ظ : قالوا (٨) من مد ، وفي الأصل و ظ : اجمال .
(٩) في ظ : مقررا .

لا نزاع فيه أصلاً: ﴿اليس في جهنم مثوى﴾ أى منزل و موضع إقامة و حبس له و قد ارتكب هذا الكفر العظيم - هكذا كان الأصل، ولكنه لقصد التعميم و تعليق الفعل بالوصف قال: ﴿للكافرين﴾ أى الذين يغطون أنوار الحق الواضح، أو ليس هو من الكافرين؟ أى أن كلا من المقدمتين صحيح لا إنكاراً فيه، و لا ينتظم إنكارهم إلا بافساد هـ أحدهما، أما كفره للنعم بعد إنجائه من الهلاك حيث عبد غيره فلا يسمع عاقلاً إنكاره، و أما كون جهنم تسعة بعد إخبار القادر به فلا يسمع مقراً بالقدرة إنكاره، فالمقدمتان بما لا مطعن فيه عندهم، فأتجنا أن مشواه جهنم، [و صار القياس هكذا: عابد غير من أنجاء كافر، و كل كافر مشواه جهنم، فعابد غير من أنجاء مشواه جهنم - ١٠] .

و لما كان هذا كله فى الذين قتلوا فلم يجاهدوا أنفسهم، كان المعنى: فالذين قتلهم فوجدوا كاذبين ضلوا فصاروا لا يعقلون و لا يعلمون، لكونهم لم يكونوا من المجاهدين، فعطف عليه قوله: ﴿و الذين جاهدوا﴾ أى أوقعوا الجهاد بغاية جهدهم على ما دل عليه بالمفاعلة "﴿فينا﴾ أى بسبب حقنا و مراقبتنا خاصة بلزوم الطاعات من جهاد الكفار و غيرهم ١٥

(١-١) فى ظ و مد: فى اصله (٢) من ظ و مد، وفى الأصل: هكذا (٣) زيد فى ظ: اذا (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و مد، وفى الأصل: التقديمين . (٦-٦) من ظ و مد، وفى الأصل: الانكار (٧) من مد، وفى الأصل و ظ: أحدهما (٨) من ظ و مد، وفى الأصل: للنعم (٩) فى ظ: ممن (١٠) زيد ما بين الحاجزين من مد (١١) فى ظ و مد: فان (١٢) فى ظ و مد: المفاعلة (١٣) تكرر فى الأصل فقط بعده و الذين جاهدوا .

من^١ كل ما ينبغي الجهاد فيه بالقول والفعل في الشدة والرخاء، ومخالفة
 الهوى عند هجوم الفتن، وشدائد المحن، مستحضرين لعظمتنا .
 ولما كان الكفار ينكرون فلاحهم و كان المفلح والظافر في
 كل شيء هو المهتدى، قال معبرا بالسبب عن المسبب: (لنهديتهم)
 ٥ بما نجعل^٢ لهم من النور الذي لا يضل من صحبه، هداية يليق بعظمتنا
 (سبلنا^٣) التي لا سبل غيرها، علما وعملا، ونكون معهم بلطفنا ومعونتنا،
 لانهم أحسنوا المجاهدة فنهيتا لمن قاتل في سبيل الله ولو فواق ناقة لهذه^٤
 الآية وقوله تعالى "والذين قاتلوا في سبيل [الله - *] فلن يضل
 أعمالهم سيديهم ويصلح بالهم^٥"، ولهذا كان سفيان بن عيينة يقول:
 ١٠ إذا اختلف الناس فانظروا ما عليه أهل الغزو .

ولما كان المحسن كلما^٦ توفر حظه في مقام الإحسان نقص حظه
 من الدنيا، فظن الأغبياء أنه ليس لله به عناية، عظم التأكيد في قوله،
 [لافتا الكلام عن أسلوب الجلال إلى أجلّ عنه بما زاد من الجمال^٧]
 ﴿وان الله﴾ أي بعظمته وجلاله وكبريائه وجميع كماله لمعهم -
 ١٥ هكذا كان الأصل، ولكنه أراد الإعلام بأحسانهم وتعليق الحكم

(١) في ظ و و (٢) من ظ و مد، وفي الأصل: العمل (٣) في ظ و مد:
 جعل (٤) من ظ و مد، وفي الأصل: هذه (٥) زيد من ظ و مد والقرآن
 الكريم سورة ٤٧ آية ٤٤ وأما «قاتلوا» فقد قرأ بها غير حفص وأبي عمرو
 ويعقوب (٦) العبارة إلى هنا ساقطة في ظ من «فلن يضل» وفي مد من
 «ويصلح» (٧) من ظ و مد، وفي الأصل: قلها (٨) زيد من ظ و مد .

بالوصف

بالوصف و التعميم فاعلم قاتلا : (منع لمحسنين) أى كلهم بالنصر
و المعونة فى دنياهم^١ ، و الثواب و المغفرة فى عقباهم . بسبب جهادهم لأنه
شكر يقتضى الزيادة ، و من كان معه سبحانه فاز بكل مطلوب ، و إن
رأى الجاهل خلاف ذلك . فانه يجعل عزم من وراء ذل و يستر غناهم
بساتر فقر ، حماية لهم مما^٢ يجر إليه دائم^٣ العز من الكبر ، و يحمل
/ عليه^٤ عظيم الغنى من الطغيان ، و ما أحسن ما نقل الأستاذ أبو القاسم
٩٨ / القشيرى^٥ فى الرسالة عن الحارث المحاسى^٦ أنه قال : من صحح باطنه بالمراقبة
و الإخلاص زين الله ظاهره بالمجاهدة و اتباع سنة . و الآية من الاحتباك :
أثبت أولا الجهاد دليلا على حذفه ثانيا ، و ثانيا أنه مع المحسنين دليلا
على حذف المعية و الإحسان أولا ، فقد عاق أول^٧ السورة هذا الآخر ، ١٠
و كان إليه أعظم ناظر ، فسأل الله لعافية من الفتن ، و المجاهدة إن كان
لا بد من المحن .^٨ و إليه المآب^٩ .

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : الدنيا (٢) من مد ، و فى لأصل وظ : بما .
(٣) فى ظ : ثم (٤) ريد فى الأصل : من . و لم تكن الزيادة فى ظ و مد
فقدفناه ١٥٠ هو عبد الكريم بن هوارن بن عبد الملك بن طاححة النيسابورى
لقشيرى ، و من مؤلفاته « الرسالة القشيرية » - راجع الأعلام ٤ / ١٨٠ .
(٦) هو الحارث بن أسد المحاسى أبو عبد الله ، من أكابر التصوفية - راجع
لأعلام ٢ / ١٥٣ (٧) سقط من ظ (٨-١٨) سقط ما بين الرقنين من ظ و مد .

خاتمة الطبع

لقد تم - وإلحده - طبع الجزء الرابع عشر من تفسير "قلم الدرر" في تناسب الآيات و السور" للشيخ العلامة برهان الدين أبي الحسن إبراهيم ابن عمر البقاعي الشافعي رحمه الله تعالى ، يوم الجمعة السابع من شهر جمادى الآخرة سنة ١٣٩٩ هـ = الرابع من مايو سنة ١٩٧٩ م ، تحت إشراف مدير الدائرة و سكرتيرها صاحب الفضيلة السيد شرف الدين أحمد ، قاضي المحكمة العليا سابقا - بآرك الله جهوده ، و ضاعف له أجوره .

و تولى مهمة تصحيحه و التعليق عليه مصحح الدائرة أخى الفاضل محمد عمران الأعظمى الانصارى العمرى (أفضل العلماء - جامعة مدراس) و قام بقراءة ملازمه مصحح الدائرة السيد الفاضل القاضي محمد عطاء الله النقشبندى القادرى (كامل الجامعة النظامية) - حفظهما الله .

و اهتم بتنقيحه و إنهائه خادام العلم و العلماء مقدم هذه الخاتمة - كان الله له و لوالديه .

و يليه الجزء الخامس عشر بآذن الله و مشيئته مستهلا بسورة الروم . و نهائيا نسأل الله مولانا الكريم أن ينفعنا به و يوفقنا لما يحبه

و يرضاه ، و هو المسئول لحسن الخاتمة ، و نصلى و نسل على من علم فوائحه الخير و خواتمه سيدنا و مولانا محمد و آله و صحبه أجمعين ، و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المستمسك بحمل الله المتين

المفتى محمد عظيم الدين

رئيس قسم التصحيح دائرة المعارف العثمانية